



سلسلة محاضرات الحوار (٤)

حوار الأديان والثقافات

خريطة الحالات والتحديات وشروط التفعيل

تنسيق علمي وإشراف

نادية محمود مصطفى

مراجعة وتحرير

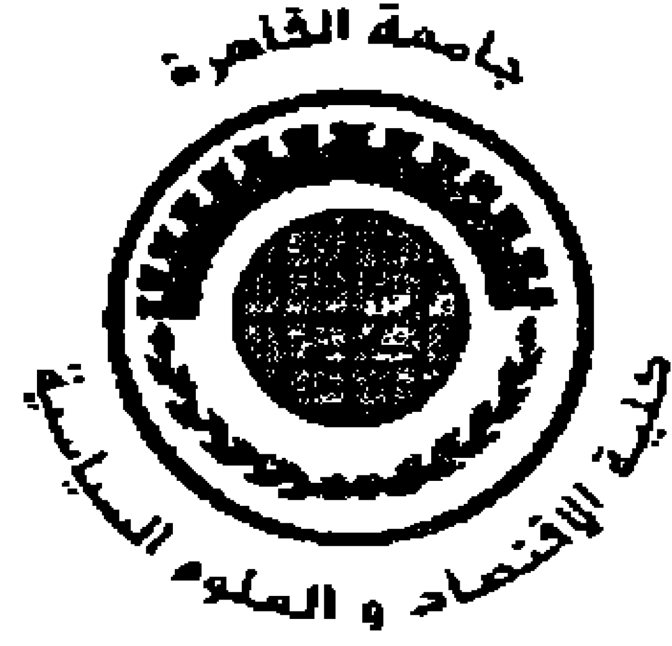
وسام الضويني

٢٠٠٩

حوار الأديان والثقافات:

خريطة الحالات والتحديات وشروط التفعيل

٢٠٠٩





سلسلة المحاضرات (٤)

حوار الأديان والثقافات:
خريطة الحالات والتحديات وشروط التفعيل

السيد يسين
أندرياس فان أخت
روبرت فسك
رياض جرجور
ستيڤن سايزر
سوسومو شيمازونو
عباس الحلبي
كريستيان فان نسبن
محمد أحمد الشريف
محمد رمضان البوطي
محمد سليم العوا

تنسيق علمي وإشراف :
نادية محمود مصطفى

مراجعة وتحرير :
وسام الضويني

٢٠٠٩

الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر المؤلفين
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر البرنامج

تصميم الغلاف: نوران زين العابدين

برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات – كلية الاقتصاد والعلوم السياسية – جامعة القاهرة
الجيزة – مصر
تليفون مباشر: ٣٥٦٧٦٤٨٦ – ٣٥٧٠٣٧٦٩ – ٣٧٧٦٨٢٤٨
فاكس: ٣٥٧٠٣٧٦٩
البريد الإلكتروني: hewar@hewaronline.net
الموقع الإلكتروني: www.hewar-online.org

المحتويات

الموضوع		الصفحة
	مقدمة	٧
	الأستاذةالدكتورة/ نادية مصطفى (مدير برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات)	
(١)	"حوار الأديان .. الواقع والمستقبل"	١١
	الأستاذ الدكتور/ محمد سليم العوا	١٥
	المناقشات	٣٠
(٢)	"دور الدين في حل النزاعات: حالات وخبرات"	
١-	المستشار/ عباس الحلبى	٤٣
٢-	القس الدكتور/ رياض جرجور	٥٦
	المناقشات	٦٣
(٣)	"الإسلام والآخر"	
	الأستاذ الدكتور/ محمد رمضان البوطى	٧٩
(٤)	"التواصل الإسلامي-المسيحي: مظاهره وآثاره"	
	الأستاذ الدكتور/ محمد أحمد الشريف	٨٩
	المناقشات	١١٣
(٥)	"الثقافات بين الصدام والمصالحة: دور الإعلام والأكاديميا"	١٣٦
١-	الأستاذ الدكتور/ أندرياس فان أخت	١٤٣
٢-	الأستاذ/ السيد يسين	١٥٢
	المناقشات	١٥٩
(٦)	"دور الإعلام في العلاقة بين الثقافات"	١٧٧
	الصحفي الأستاذ/ روبرت فسك	١٨٣
	المناقشات	٢٠٣
(٧)	"علمانية المجتمع الياباني: الدولة والدين منذ عام ١٩٤٥"	٢١٣

الأستاذ الدكتور/ سوسومو شيمازونو ٢١٧
المناقشات ٢٤١
(٨) "الصهيونية المسيحية: خارطة طريق إلى هرمجدون؟" ٢٤٩
القس الدكتور/ ستيفن سايزر ٢٥٥
المناقشات ٢٨١
(٩) حلقة مناقشة كتاب الأب الدكتور/ كريستيان فان نسبن :
"مسيحيون ومسلمون أخوة أمام الله"
١- عرض محتوى الكتاب ٣٠٣
الأستاذة/ وسام الضوينى
٢- تقديم المؤلف للكتاب ٣٢٥
الأب الدكتور/ كريستيان فان نسبن
المعقبون:
١- الأستاذة الدكتورة/ زينب الخضيرى ٣٢٨
٢- الأستاذة الدكتورة/ أميمة عبود ٣٢٩
٣- الأستاذة الدكتورة/ ناجية عبد المغنى ٣٣١
٤- القس الدكتور/ إكرام لمعى ٣٣٤
٥- الأستاذ/ سامح فوزى ٣٣٦
٦- الأستاذة الدكتورة/ نادية مصطفى ٣٤٠
المناقشات ٣٤٩
التقرير الختامي: اتجاهات وقضايا المناقشة ٣٥٩
الأستاذ/ عطية عبد العزيز

مقدمة

أ.د/ نادية مصطفى*

يضم هذا الكتاب محاضرات الموسم الثقافي الرابع والموسم الثقافي الخامس الذي نظمه برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات (حوار الحضارات سابقًا) في مجال "حوار الأديان"، وهما الموسمان اللذان استغرقا العامين الدراسيين (سبتمبر ٢٠٠٥- سبتمبر ٢٠٠٧).

وإذا كان الموسم الثقافي الأول قد تم تدشينه مع تأسيس البرنامج في ظل تداعيات أحداث الحادي عشر من سبتمبر المباشرة (أبريل ٢٠٠٢- سبتمبر ٢٠٠٢)، ومن ثم صدرت أعماله تحت عنوان "استراتيجية الولايات المتحدة تجاه عالم الاسلام والمسلمين"، فإن الموسم الثقافي الثاني (سبتمبر ٢٠٠٢- يونيه ٢٠٠٣) تركزت أعماله حول حوار الحضارات في الخطابات العربية والغربية، باحثةً في جدوى الحوار ومصداقيته وقضاياه وشروط فاعليته، وذلك خلال مرحلة تسارعت فيها توظيفات القوة الصلدة في نفس الوقت الذي تزايدت فيه الدعوات للحوار بكل مستوياته: بين الأديان والثقافات والحضارات.

وحيث كان من أهم نتائج أعمال هذا الموسم ذلك التساؤل حول خصائص الثقافة العربية والإسلامية، تلك الثقافة التي أضحت محل الهجوم والاتهام المتصاعد منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ولذا فإن أعمال الموسم الثقافي الثالث للبرنامج (سبتمبر ٢٠٠٣- سبتمبر ٢٠٠٥) تناولت هذه الخصائص بالتحليل.

ومع استمرار تجدد المبادرات الإسلامية والدولية في مجال "الحوار" (مبادرة تحالف الحضارات مثلاً)، وفي نفس الوقت الذي استمرت فيه صراعات القوى التقليدية بأدواتها

* مدير برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات.

العسكرية والاقتصادية، والتي تجتاح عالم المسلمين، انفجرت أزمات متكررة وطنية وعالميـة تبين مدى التأزم الذي أصاب حالة الحوار سواء بين مسلمي ومسيحيي الوطن الواحـد، أو بين العالم الإسلامي والغرب. ومن ثم تزايد الاشتباك بين ما هو ديني وما هو ثقافي أو ما هـو حضاري وبين السياسي. وحيث أن للدين محوريته في التشكيل الثقافي أو الحضاري، فلقـد حاز "الحوار بين الأديان" بصفة خاصة اهتمامًا متجددًا. وكان السؤال الحاضر الغائب دائمًا هو: ما دور الأديان في انفجار الصراعات؟ وما إمكانيات دورها في بناء السلام وصـنعه؟ ومن ثم هل بمقدور "حوار الأديان" أن يلعب دورًا، وما هي الشروط؟ وفي المقابل، فى حـين رفض البعض تمامًا فكرة وجود حوار بين الأديان، فإن البعض الآخر تحدث عن الحوار بـين المنتمين للأديان والملتزمين بها.

ومن ثم، وحيث كانت أنشطة أخرى لبرنامج حوار الحضارات (سابقًا) تقتحم مجالات حوار الثقافات والحضارات، من مداخل متنوعة (المرأة، الهوية الإسلامية فى أوروبا، الأمـة وأزمة الثقافة والتنمية، حوار الثقافات الأورومتوسطية، الدبلوماسـية العامـة الأمريكيـة، الخصوصية الثقافية، اللغة والهوية...) فلقد ظل مجال حوار الأديان –في حد ذاته وفي اتصاله بحوار الثقافات– يتطلب اقترابًا منظمًا ومتنوع المداخل أيضًا.

وبعد تدشين البرنامج موسمه الثقافي في مجال حوار الأديان بمحاضرة أ.د.محمد سـليم العوا، فلقد حظي البرنامج بفرصة استضافة نخبة متنوعـة مـن الخـبراء وقـادة الـرأي والمتخصصين والقائمين على هذا المجال: د.محمد أحمد الشريف، القاضى عبـاس الحلـبى، د.رياض جرجور، د.محمد سعيد رمضان البوطى، د.ستيفن سايزر، د.كريستان فان نـسبن، د.أندرياس فان أخت، روبرت فيسك، د.سوسومو شيمازونو.

ولقد رسمت إسهامات هؤلاء الأعلام خريطة حالة الجدال حول "حـوار الأديـان"، وبالرغم من تنوع مداخل المحاضرات التي شهدها الموسمان الثقافيان إلا أن توجهًا عامًا قـد

تبلور واتضح وهو أن "حوار الأديان" لم يدشّن حلولاً لمشاكل مستعصية مازالت قائمة، وهو الأمر الذي أفرز السؤال عن عواقب ومخاطر تسييس حوار الأديان.

وإذا كانت أعمال هذا الكتاب تقدم حلقة أخرى من حلقات الجهود التقييمية التي يقوم عليها البرنامج في مجال "الحوارات"، وباعتبار تلك الأخيرة ساحة من ساحات اختبار الدراسات الحضارية، إلا أن هذا الكتاب يصدر في مرحلة هامة من مراحل تطور مبادرات "حوار الأديان". فمن الملاحظ، من واقع بعض المبادرات الكبرى الرسمية المعلنة (ابتداءً من مبادرة مؤتمر مكة يونيه ٢٠٠٨ وصولاً إلى مؤتمر نيويورك في نوفمبر ٢٠٠٨ ومرورًا بمؤتمر مدريد في يوليو ٢٠٠٨) أو من واقع المبادرات غير الرسمية، الاتجاه نحو حوار ثلاثياً: إسلامي – مسيحي – يهودي، بعد توسيع نطاق بعض الحوارات الثنائية.[1]

وفي هذه المرحلة من تزايد العدوان الصهيوني على الفلسطينيين ومن تزايد التحالف الغربي مع إسرائيل والمساندة غير المشروطة لها، كان لابد وأن تؤدي هذه الاتجاهات نحو المأسسة والتوسيع لحوارات الأديان إلى إثارة التساؤلات والشكوك حول العلاقة بإسرائيل، وحول آفاق إشراك المؤسسات الدينية الإسلامية، مثل الأزهر والمؤسسات السعودية، في حوارات مع اليهود، بل ومع الإسرائيليين.

وعلى ضوء كل ما سبق، فإن محاضرات هذا الكتاب، التي تعاقبت على مدى عامين، قد قدمت إجابات حول أهداف حوار الأديان، ومن ثم فهي تمثل بدورها منطلقًا وتأسيسًا آخر نبني عليه جهود تقييم ومتابعة المرحلة الراهنة من هذا الحوار؛ أي مرحلة الحوار الثلاثي الإسلامي – المسيحي – اليهودي.

---

[1] تم تناول تلك التطورات في الندوة التي عقدها البرنامج بعنوان "حوار الأديان: مراجعة وتقويم" يومي ٥-٦ مايو ٢٠٠٩ بالتعاون مع مؤسسة ميديا انترناشونال بحضور نخبة من المتخصصين والناشطين في هذا المجال، وسوف يصدر البرنامج مؤلفًا يضم أعمال تلك الندوة.

وأخيرًا، أشكر الأستاذ عطية عبد العزيز على إعداده التقرير الختامي باتجاهات وقضايا المناقشة، كما أشكر كل من ساهم في إخراج هذا الكتاب سواء بالتفريغ أو التحرير وهم أ.ماجدة إبراهيم، أ. شيماء بهاء. وخالص شكري وتقديري على المجهود المتميز الذي بذلته أ.وسام الضويني في ترجمة كافة النصوص الإنجليزية (بحوث ومناقشات) من ناحية، وكذلك في المراجعة التحريرية الكاملة للكتاب.

الحمد لله

القاهرة ديسمبر ٢٠٠٨

"حوار الأديان .. الواقع والمستقبل"

٢٣ نوفمبر ٢٠٠٥

* تقديم الأستاذة الدكتورة/ منى البرادعى.

* الأستاذ الدكتور/ محمد سليم العوا.

* المناقشات.

تقديم

أ.د/ منى البرداعي*

أُرحب بالحضور في هذه المحاضرة التي ينظمها برنامج حوار الحضارات بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ومن المعلوم للجميع أن كلية الاقتصاد والعلوم السياسية تحتل موقعًا متميزًا في دائرة الفكر المصري المعاصر السياسي والاقتصادي والاجتماعي العام، وأن رسالة الكلية تطورت عبر مسيرهّا من التخصص التربوي والتأهيل الدائر حول العلوم السياسية والاقتصادية، كعلمين بالمعنى الدقيق، إلى آفاق أرحب يتسع معها مفهوم السياسة والاقتصاد علمًا وممارسة، حتى صارت الكلية أشبه بخلية متعددة العناصر والوظائف والأدوار بما يتواءم مع تطورات السياق المحيط بها، وصارت تحتوي على أربعة عشر مركزًا وبرنامجًا بحثيًا تغطي مساحة واسعة من مناطق الاهتمام العام، وتنفذ خططًا تجمعها المنهجية العلمية الرصينة، والالتزام بخدمة المجتمع معرفيًا وفكريًا وعلميًا.

وفي هذا الإطار تأتي أعمال برنامج حوار الحضارات الذي ينظم بدءًا من اليوم سلسلة محاضرات حول "حوار الأديان". وذلك في وقت يشهد فيه العالم خطابًا دوليًا تتداخل فيه الأبعاد الثقافية والسياسية والاقتصادية والعسكرية، ونجد منطقتنا العربية والإسلامية من أكثر المناطق إبرازًا لهذا التداخل ومعملاً لتجريب هذه الخارطة الجديدة، كما نجد أن حدودنا قد انفتحت لبروز تأثيرات من هذا التيار تتمثل في إثارة تهديد يحاول أن يمس ثوابتنا الوطنية والتاريخية والقيمية. من هنا كان لابد لمنابر العلم والمعرفة الملتزمة أن تدلي بدلوها، وأن تؤسس نماذج المعالجة الحضارية الموضوعية المستقيمة لمثل هذه المستجدات.

ومن هنا جاءت مبادرة برنامج حوار الحضارات لبحث مسألة حوار الأديان في إطار علمي جاد يضع الأمور في أنصبتها. ولاشك أن منابر علمية أخرى تنهض على مثل هذا الشأن كالأزهر، أو الكليات ذات التخصص الشرعي ككلية دار العلوم بجامعة القاهرة، غير

---

* عميد كلية الاقتصاد والعلوم السياسية سابقًا – جامعة القاهرة.

أن هذا لا يمنع من طرح القضية داخل كلية الاقتصاد والعلوم السياسية من باب مختلف يهتم بالسياق السياسي والثقافي العام والمؤثرات الواقعية والآثار المتعددة لمثل هـذه الحـوارات، خاصةً على الصعيدين المصري والعربي.

وفي هذا الإطار يسر كلية الاقتصاد والعلوم السياسية وبرنامج حوار الحـضارات أن يستهلا هذه السلسلة بمحاضرة أحسب أنها ستكون مهمة وهي بعنوان ''حـوار الأديـان: الواقع والمستقبل'' يلقيها ركن من أركان الفكر المصري المستنير هو الأستاذ الدكتور/ محمد سليم العوا الذي أثرى المجالين الحقوقي والقانوني علمًا وعملاً داخل مصر وخارجها. وهـو مُنظِّر ومفكر رئيسي في دائرة الفكر السياسي الإسلامي اهتم بدراسة النظام السياسي للدولة الإسلامية، وأصول النظام الجنائي الإسلامي، والمؤسسة الدينية في مصر، والتجديد في الفقه الإسلامي، وقضايا الاجتهاد والتقليد. كما أن له تجربة طويلة مع قـضايا الحـوار كتابـة ومشاركة؛ فكتب عن حقوق الأقباط في الإسلام وفي النظام الإسلامي، وفي وضـع غـير المسلمين في الدول الإسلامية، وفي المفاهيم الأساسية للعلاقة بين المسلمين وغير المـسلمين، وفي التعددية في النظام السياسي المصري، وغيرها.

وهو كذلك عضو الفريق العربي للحوار الإسلامي-المسيحي في الشرق الأوسط منذ منتصف التسعينيات ومشارك رئيسي في مؤتمرات ولقاءات حوار الأديان، أو كما يحب د/ العوا أن يسميه "الحوار بين أهل الأديان". والدكتور العوا له رؤية واضحة في كيفيـة إدارة هذا الحوار لإرساء العيش المشترك بين الشعوب الإسلامية والمسيحية، أو قواعد التعايش بين أفراد الشعب الواحد.

ومن هذا الرصيد الكبير، ننتظر محاضرة الدكتور/ العوا لرسم خريطة هـذا الحـوار واستشراف مستقبله القريب. وأشكر لحضراتكم الاهتمام بالحـضور والمـشاركة وأكـرر الشكر لبرنامج حوار الحضارات والقائمين عليه، وكذلك الأستاذ الدكتور/ محمد سليم العوا لتشريفه لكليتنا.

حوار الأديان .. الواقع والمستقبل *

أ.د/ محمد سليم العوا**

يسرني أن أكون معكم في رحاب كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، والتي اعتبر نفسي واحدًا من أبناءها، الذين ينتمون إليها بالمحبة والتقدير والاحترام، وإن لم يسعدهم الحظ بالانتماء إليها تعلمًا أو تعليمًا. جئت فوجدت كثير من أخواني وأخواتي أعضاء هيئة التدريس، ومن طلاب الدكتوراة في ذلك الوقت، والذين أصبحوا الآن أساتذة وأساتذة مساعدين نوابغ، كلهم يهتمون بمسألة الدور الإسلامي في الفكر السياسي، وهو دور المسلمين في الفكر السياسي، وما هي قدرتهم على الأداء، وما بإمكانهم أن يضيفوه، وما الذي يعتبرون فيه خصمًا لقوى فكرية في أوطانهم ومجتمعاتهم أو عالة على من سواهم من أهل الرأي والفكر.

في البداية، لي ملاحظة حول مفهوم "حوار الأديان"، سبقتني إليها الأستاذة الدكتورة/ منى البرداعي، تنبع هذه الملاحظة من أن الأديان لها أهلها من المسلمين وغير المسلمين، مطلقات مسلمة أو مسلمات مطلقة. وعندما نستخدم كلمة "مُسلَّم" أو "مُسلَّمة" فإننا نعني بها أشياءً لا تقبل الجدل أو النقاش، وعندما نستخدم كلمة "مُطْلَق" أو "مُطْلَقة" فإننا نعني شيئًا عامًا لا يمكن أن يأتيه باطل من بين يديه أو من خلفه، محكم شديد الإحكام، يحرص عليه أهله فيعضون عليه بالنواجذ لأنهم يرون فيه ما يسمونه إخواننا النصارى "الخلاص النهائي". وإذا كان خلاصنا النهائي في شيء، فهذا الشيء أسمى من أن يكون موضوعًا للجدل أو المناقشة أو البحث. هذه هي الأديان عند أهلها، وكذلك هي لا يمكن أن تكون موضوعًا للحوار، وإنما يمكن أن تكون هناك موضوعات للحوار حول هذه الأديان، ويمكن

* نص تفريغ المحاضرة بعد تحريرها.

– لمزيد من التفصيل في هذا الموضوع برجاء الرجوع إلى: د.محمد سليم العوا، "للدين والوطن: فصول فى علاقة المسلمين بغير المسلمين"، الطبعة الثالثة، (القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٩).

** محامي ومفكر إسلامي كبير، يشغل منصب الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين ورئيس جمعية مصر للثقافة والحوار.

أن تكون هناك موضوعات للحوار بين المتدينين، وتكون هناك حوارات في نطاق عيش المتدينين مع بعضهم البعض، وهذا ما أسميه "حوار أهل الأديان".

لكن الحوار حول الأديان نفسها لا يكون إلا نوعًا واحدًا سأذكره لاحقًا، ولكني سأتطرق الآن إلى كيفية نظر المسلمين عقديًا إلى هذا الدين؛ فالمسلمون يرون الدين اختيارًا من الله تبارك وتعالى لعباده: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ سورة البقرة (١٣٢)، ويرونه شرعة: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ سورة الشورى (١٣)، ويرون أن لكل قوم دينهم هكذا صراحةً وبغير مواربة: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ سورة الكافرون (٦)، أي على قدم المساواة في نظر الإنسان، فمن حق كل إنسان أن يختار الدين الذي يريده وأن يحظى به، وديننا ودينهم لا يجوز الجدال فيهما إلا بالتي هي أحسن: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ سورة العنكبوت (٤٦). وإذا كان الأمر أمر إيمان وتسليم لا أمر جدل عقيم، فإن النبي ﷺ مأمور في القرآن بأمر ربنا تبارك اسمه: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾، هذا كله مقدمة، ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ سورة الشورى (١٥). فإن جادلوا وكابروا وأرغموه على المجادلة فإن الله تعالى يُعلِّم الرسول ﷺ أن يقول لهم: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ سورة سبأ (٢٤)، إنا وإياكم، الله يعلم، ومرجع هذا الأمر إلى الله رب العالمين، وهذا لا نجادل فيه، ولا ندخل في مسألة الهدى والضلال، إنا وإياكم على قدم المساواة. ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ سورة سبأ (٢٥). ويُسمِّي فعله وفعل أصحابه والذين آمنوا به إلى قيام الساعة جريمة أو إجرامًا، والإجرام هو ارتكاب شيء ما، ليس بالضرورة أن يكون جريمة بالمعنى القانوني الذي نعرفه في لغتنا المعاصرة. إذًا، هذه النظرة إلى الدين في الإسلام تجعله أعلى من أن يكون محلاً للحوار والجدال، والحوار والجدال الذي وقع في الأديان كان هدفه إخراج قوم أو فرد من دينهم أو من دينه أو تشكيكهم في هذا الدين أو تشكيكه.

وفي هذه المدينة العريقة في عام ١٨٠٥، عُقد المؤتمر الأول للمبشرين الإنجيليين برئاسة القس البريطاني المشهور صامويل زويمر واختير لعقد هذا المؤتمر بيت الزعيم أحمد عرابي- رحمه الله- ولا يخفى ما في الاختيارين من دلالة (القاهرة وبيت أحمد عرابي). وفي ذلك الوقت، اختتم صامويل زويمر بكلمته الطويلة المطبوعة في تسع صفحات، بأن قال: "أيها الإخوان إنني أؤكد لكم أننا لا نستطيع ان نخرج المسلمين في هذا البلد من دينهم، لكنه يكفي أن نشككم في بعض أصوله وكلياته". هذه الخطة هي التي يسلكها المتحاورون في الدين بمنطق "أشكك في دينك أو تشككني في ديني"، وهذه خطة غير مقبولة، نحن لا نخوض فيها ولا نناقشها ولا نتحاور حولها، لا إنتقادًا ولا اعتراضًا ولا قبولاً ولا ردًا لأنها أمر لا يجوز.

ما الذي يجوز إذن؟ ما يجوز هو أن يتحاور أهل الأديان بعضهم مع بعض حول سؤال واحد: كيف نعيش معًا؟ سواء عيشًا واحدًا إذا كنا في وطن واحد، مثل حالنا وحال إخواننا الأقباط في هذا الوطن العزيز، أو كيف نعيش معًا عيشًا مشتركًا إذا كنا في أوطان شتى، مثل أحوال المسلمين في الدنيا، وأحوال غير المسلمين في الدنيا كلها من ذوي الأديان كافة، ومن غير ذوي الدين كذلك، لأن الحوار في هذه الحالة يكون حوارًا إنسانيًا، ليس مورده ومصدره الإيمان وحده، إنما مورده ومصدره الحالة الإنسانية التي نعيشها ونتمتع فيها بالخيرات التي خلقها الله تبارك وتعالى في هذه الأرض: ﴿وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ سورة فصلت (١٠)، سواءً للسائلين فلا يفرق بين صاحب الدين وغيره، أو بين ذي الإيمان وذي الإلحاد.

هذا الحوار الوحيد الجائز بشقيه "حوار الحياة" كما سميته منذ أكثر من عشرين سنة؛ وهو الحوار الذي يستهدف العيش الواحد إذا كنا في وطن واحد، ويستهدف العيش المشترك إذا كنا في أوطان شتى أو في العالم كله. هذا هو الحوار المقبول، بينما النوع الآخر ليس حوارًا بل أسميه "محاولة إكفار"، والعاقل لا يدخل في إكفار نفسه أو إكفار غيره، لأنه لا يؤدي به إلى نتيجة. ما كان شأنه من الدين-كما وصفت- لا يتسع شأنه لحوار إلا أن يكون هدفه هذا الهدف غير المقبول، وبالتالي نحن لا نتعرض له ولا نمارسه ولا نقوِّم أداءنا فيه ولا أداء غيرنا. ما نقوم به هو أن ننظر ونقوِّم أداءنا وأداء غيرنا ونتجدد ونجدد أنفسنا فيما يتعلق

بالحوار بين أهل الأديان، لأن الحوار بين أهل الأديان هو حوار على قاعدة الإيمان؛ وقاعدة الإيمان تترك التفاصيل وتلتقي عند قمة الهرم، فهي تلتقي عند الإيمان بالله تبارك وتعالى، عند الإيمان بالخالق الواحد، الإيمان بالرب الرازق القادر وحده، الإيمان بالمحيي والمميت. إذا آمنا بهذا الخالق وبتلك الصفات والأوصاف، نكون قد التقينا عند ذروة الإيمان وتفاصيله ليست من شأننا، وكيفية تفصيله في كل حضارة وفي كل ثقافة، فضلاً عن كل دين وعقيدة وملة، ليست من عمل الإنسان أصلاً. فالحساب عليها في الآخرة كما يرد في الآيات الكثيرة في سورة البقرة والمائدة والحج التي يذكر الله تبارك وتعالى فيها أديان أهل الإيمان وأديان النصرانية وأديان اليهودية وأديان الصائبة، ويزيد في سورة الحج فيذكر الذين أشركوا، ثم يجعل أمر الفصل بينهم لله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ سورة الحج (١٧).

هذا هو منهجنا في مسألة تلاقي أصل الأديان بعضهم مع بعض؛ ذروة الإيمان تجمعنا وتفاصيل الإيمان الديني والشريعة والشعيرة لا تفرقنا، فكل إنسان لديه اختياره، والحساب على هذا الاختيار مرده إلى الله سبحانه وتعالى. هذا هو الحوار الذي يليق بأهل الأديان وبأهل الإيمان، لا الحوار الآخر الذي هو محاولة إكفار. إذا قلنا حوار "أهل الإيمان" أو حوار "أصحاب الأديان" كلها بدائل متساوية، لا يخرج الدين فيها على كونه وصفًا لأصحابه، وهو يخرج –بالضرورة– على أن يكون موضوعًا للقائهم أو افتراقهم. الدين ليس موضوع حوارهم، وهو ليس موضوع اجتماعهم أو افتراقهم، بل هو موضوع شعورهم الذاتي بانتمائهم إلى هذا الخالق الواحد الذي من وحيه نزلت الأديان كلها ثم تفرق فيها الناس فأصبحوا شيعًا وأحزابًا.

ويصبح موضوع هذا الحوار هو كيف يمكن أن نعيش معًا عيشًا واحدًا أو عيشًا مشتركًا، وهي قضية تستلزم استبعاد الحوار السياسي الذي دار ولازال يدور تحت أسماء حوار بين الشرق والغرب، وحوار الشمال والجنوب، وحوار شمال المتوسط وجنوبه، وحوار الأورومتوسطية، وحوار الشرق–أوسطية (الذي أخفق بحمد الله ولن يعود للنجاح إن شاء الله)، وكل أنواع الحوارات السياسية التي يشترك فيها أهل الأديان شتى تخرج من نطاق حديثنا عن الحوار بين أهل الأديان حاضره ومستقبله. هذه الحوارات، وإن لبست في بعض

الأحيان لباس الدين، وشارك فيها في بعض الأحيان أصحاب عمائم أو أصحاب قلنسوات، ليست حوارات بين أهل الأديان ولا يؤخذ الدين فيها مأخذ الجد وإنما يؤخذ فيها مأخذ الديكور الذي يكون جميلاً إذا أعجب المتحاورين، وقد يولوه ظهورهم إذا لم يعجبهم قول أهل الدين الحاضرين فيه. هذا الحوار حول المصالح هو حوار قوي وضعيف، حوار مُستغِل ومُستغَل، حوار من يملك الثروات ولا يستطيع أن ينتفع بها لقصور نظره وجهله ولقعوده عن إعداد الطاقات التي تستثمرها وتستغلها، ومن يملك الطاقات لاستغلال ثروات هذا المسكين لمصلحته.

إن الحوار الذي يجري في هذه المنطقة ليس حوار أكفاء، وليس حوار متساويين، ولا حوار أنداد ولا نظراء. ونحن عندما نتحدث عن الحوار بين أهل الأديان، نتحدث عن الحوار بين الأكفاء وبين النظراء وبين الأنداد المتساويين، فإذا لم يكن الحوار كذلك فلا حاجة لنا به، ولا حاجة بنا إليه، ويكفينا أن ننكفئ على أنفسنا، وأن نُغلِق أبوابنا ونوافذنا، وأن نعيش كما نحن؛ دون أن ندخل في منطقة نكون فيها الأدنى والأذل لأن وجودنا وحدنا في كون يسعنا ويسع غيرنا، فهذا أفضل ألف مرة من وجودنا مع غيرنا على أن يكون هو سيد ونحن مسودون.

لذلك فإن الكثير من الناس –الذين أتشرف بأن أكون واحدًا منهم– أعرضوا عن المشاركة في مثل هذا النوع من الحوارات المسماة شمال وجنوب، وشرق وغرب، وأورومتوسطية، وشرق– أوسطية، وأخيرًا دافوس الذي ينعقد مرة كل عام، ولا يجمع إلا المجني عليهم من أهل تملك الثروات، والجناة من أهل الاستغلال والاستثمار الأمثل–كما يقولون– الذين يريدون منّا أن نتحضر فنصبح مثلهم في طعامنا وشرابنا وملبسنا، وقد نجحوا في ملبسنا فنحن الآن نلبس مثلهم. لكننا لا نستطيع أن نمضي في الشوط إلى غايته فنصبح كالقردة المقلدين الذين لا هم لهم من الدنيا إلا تقليد ما يرونه أمامهم من حركات وسكنات. استبعدتُ الحوار السياسي ومعه الحوار الاقتصادي لأنهما لا علاقة لهما بالدين، وإذا دخلهما رجال الدين (الذين يلبسون الزي الديني) يدخلونهما كديكور، يقْبل أو لا يقبل بقدر ما يُرضي أو يُغضب، وهو عادةً يُرضي لأن رجال الدين يتحدثون جيدًا –وبالأخص رجال الدين المسلمين.

أنتقل إلى نقطتي الثانية، وهي استعراض تطور ما يُسمَّى بالحوار بين أهل الأديان، والذي مرَّ بعدة مراحل هي:

المرحلة الأولى: الحوار بين المسلمين والكاثوليك

هذه المرحلة عمرها الآن نصف قرن تقريبًا، وبدأت بدعوة الفاتيكان لبعض علماء المملكة العربية السعودية لكي يزوروا الفاتيكان ويناقشوا بطاركته ومطارنته ورجال الدين هناك حول العلاقة الممكنة بين المسلمين والمسيحيين. وأنا لم أشارك في الجولات السبع الأولى من هذا الحوار، ولكني قرأت جدول أعمالها، وما نُشِّر عنها من وثائق، وكان في المرات الثلاث الأولى ينشر باللغات الإنجليزية والفرنسية والإيطالية، وبدءًا من المرة الرابعة أصبح يُنشَر بالعربية إلى جانب تلك اللغات. لكن الوثائق كلها -حتى آخر اجتماع حواري بين المسلمين والكاثوليك في قطر العام الماضي- تدور حول المحاور نفسه ولا تتغير.

أولاً: الدعوة عادة تأتي من الكنيسة الكاثوليكية (الفاتيكان).

ثانيًا: المحاور تُفرَض لهذا الحوار من هناك، والأشخاص الذين يُختارون للحوار من جانبهم هم يختارونهم- وهذا حقهم- ولكن الأشخاص الذين من جانبنا هناك قول فيهم، فإذا رأوا أن آراء أحد المشاركين ستكون في غير اتجاهاتهم يطلبون تغييره بأشخاص يستطيعون التفاهم معهم...وهكذا. ويذهب المرء إلى هذه الحوارات فيجد أجندة سداسية تتكون من الأسئلة التالية:

١. لماذا يجرِّم الإسلام الردة؟

٢. لماذا يبيح الإسلام تعدد الزوجات؟

٣. لماذا يمنع الإسلام زواج الرجل غير المسلم من المرأة المسلمة؟

٤. لماذا لا تبني المدارس الكنسية بحرية في بلاد المسلمين؟

٥. لماذا تنص بعض دساتيركم على أن مبادئ الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع؟

٦. لماذا تنص كل دساتيركم على أن دين الدولة هو (الإسلام)؟

وقد سمعت سخرية متكررة من تعبير "دين الدولة"، ونحن في العلوم السياسية نعرف أن الدولة شخص معنوي، والشخص المعنوي لا دين له، ولكن المقصود بدين الدولة هو دين الأغلبية أو الكثرة الغالبة من أهل هذه الدولة، وهذا قديم في لغة العرب ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ سورة يوسف (٨٢)، وهذا لا يعني أن بيوت القرية ستتكلم ولا العير كذلك، ولكن المقصود هنا هو أهل القرية، فهذا في لغة العرب منذ القدم. واستحدثه المشرعون فقالوا "دين الدولة" بدلاً من أن يقولوا "دين أهل الدولة"، وكلما قلنا لهم هذا وجدنا نظرات لطيفة منهم ولكنها ساخرة في نفس الوقت.

هذا الحوار السداسي بلغ ذروته عندما كنا في قطر العام الماضي، وطلب الممثل الرسمي للفاتيكان –القس الأردني/ خالد عكشة– أن ينشأ في القاهرة مكتب يُسمَّى "مكتب الخروج من الإسلام" ليقابل مكتبًا زعم هو أنه موجود في مدخل إدارة الأزهر –مع أنني دخلت الأزهر مائة مرة ولم أره– اسمه "مكتب إشهار الإسلام"، معللاً بذلك بأنه ما دام هناك مكتب لإشهار إسلام من يريد الدخول فيه، فإنه لابد أن يكون هناك مكتب آخر لإشهار ارتداد من يرغب في الخروج منه. وعندما تصل المناقشات إلى هذا الحد تكون عنيفة وغير مثمرة ومستفزة للمسلمين فيخسرون الجولة، لأنك إذا غضبت في الحوار ضمنت بذلك أن تخسر جولتك، كما أن المحامي عندما يغضب أمام القاضي في المحاكمة يضمن أن يخسر قضيته لأن الذي يغضب هو خاسر دائمًا، أما الذي يفوز فهو من يستطيع أن يظل هادئًا ورزينًا ومتزنًا وقادرًا على مقابلة السخرية بمثلها بأدبٍ ورقي وتحضر.

أما عن مسألة الزواج المختلط، فقد قلنا لهم إن الإسلام منع هذا الزواج حفاظًا على حق الزوج، لأن في الإسلام حقوق الزوج لا يستطيع أن يقتضيها من زوجته في أوقات وأيام معينة في رمضان وفي غيره، وله قوامة لا يملكها إذا كانت امرأته مسلمة. فحفاظًا على حقوقه من حيث أنه إنسان وزوج، وحفاظًا على قوامته، أي رئاسته لهذا البيت، حرَّم الإسلام أن يكون الزوج غير المسلم مع الزوجة المسلمة لأنه لن يمارس قوامته إذا أعطاها حقوقها الدينية. أما الزوج المسلم إذا تزوج امرأة غير مسلمة، فإن دينه يأمره أن يؤدي لها فرائض دينها كافة، وأن يأخذها في أيام الآحاد وأيام الأعياد إلى كنيستها. وقال الفقهاء يُفضَّل أن يدخل معها ولا يصلي، لكن على الأقل يأخذها ويجلس إلى أن تنتهي من صلاتها.

ويأثم شرعًا إذا حاول إجبارها على تغيير دينها للدخول في دينه. ويجب عليه وعلى موثق الزواج أن يبيِّنا لها ما ترثه وما لا ترثه، وما تستحقه وما لا تستحقه، من أمواله ومن ثرواته؛ فحقوقها في الإسلام مكفولة، وحقوق مثيلها إذا تزوج مسلمة غير مكفولة. ولذلك مُنِع هذا الزواج حفاظًا على حقوق هذا الزوج. يسمعون ذلك ثم يقولون: "ولكنكم لا تقولون هذا كل يوم"، فنرد: "وكيف نقول كل ذلك كل يوم فهذه ليست تهمة"، وكأن المطلوب منا أن نقف دائمًا موقف المدافعين عن أنفسنا في غير قضية وفي غير تهمة.

المسألة الثالثة مسألة بناء الكنائس، وكان ما حضرته منها الزيارة الرسمية التي قام بها وفد الفاتيكان للقاهرة عام ٢٠٠٠، وكان السيد/ عمرو موسى وقتها وزيرًا للخارجية، وقد طلب مني الحضور مع الوفد المصري في هذه المناقشة. وعندما طُرح هذا الموضوع، ذكرت لهم أن لدينا قررًا جمهوريًا صدر منذ عام يفوض هذه السلطة للمحافظين، وأنه إذا كان هناك سوء إدارة أو سوء عمل، فإن ذلك قرار إداري يمكن أن يُطعَن فيه أمام مجلس الدولة مثل أي قرار إداري آخر، وتستطيع الحصول على حقك بدون أي مشكلة. وقد فوجئوا بما قلته لهم، وقالوا لسفيرهم الحاضر بأنه لم يبلغهم بذلك، ثم تحدثوا لنا عن أوضاع بعض الكنائس من قبيل نوافذ مكسورة وأجزاء مهدمة..إلخ، فقلت "إن هذا لا أجادل فيه، ولكن ليس هذا موضوع العلاقات بين مصر والفاتيكان، فهاتان دولتان لكن منهما إقليم وسيادة ورئاسة، وهناك مصالح متبادلة، ولذا فلمصر سفير في الفاتيكان وللفاتيكان سفير بمصر، فلماذا نحصر الحوار في مسألة جزئية بسيطة جدًا، ثم هي في النهاية تتعلق بمواطنين مصريين لا بمواطنين من دولة الفاتيكان". وكان هذا فصل الخطاب، فالكل يُحترَم هنا سواء كانوا أقباط كاثوليك أو أقباط أرثوذوكس أو أقباط إنجيليين. وانتهى الحوار حول هذه النقطة عند هذا الحد وانتقلنا إلى موضوع آخر.

أردت أن أضرب هذه الأمثلة لكي أوضح أن الحوار مع الكنيسة الكاثوليكية حوار لا جدوى منه؛ فهو حوار أجندته مفروضة سلفًا، ومستمرة في الفرض منذ نحو خمسين سنة حتى الآن ولا تتغير. وكان من الأشياء التي آلمتني جدًا في الاجتماع الأخير في قطر أننا حضرنا افتتاح أول مدرسة كاثوليكية في قطر، وقطر ليس من أبنائها مسيحي واحد فكلهم مسلمون، والكاثوليك الذين بها عددهم قليل جدًا. علمًا بأن المدرسة عند افتتاحها كان بها

بضع وستون طفلاً، منهم عشرون من الكاثوليك والباقي مسلمون، وكان مصدر التعجب والاستغراب: لماذا يريد المسلمون أن يُعَلموا أولادهم في مدارس كاثوليكية في قطر؟ فمصر مثلاً المسألة فيها قديمة من أيام البعثات التبشيرية الإنجيلية والكاثوليكية، وتعايشنا معها ودخلت مناهجها في وزارة التربية والتعليم، والطلبة فيها يتعلمون اللغة العربية والدين الإسلامي. لكن لماذا ينشأ هذا في قطر؟ وما المقصود به؟ وكذلك الأمر في عدد من دول الخليج الأخرى. وهذا موضوع مثير للتساؤل، ولا أريد هنا أن أقول شيئًا آخر.

أؤكد ألا مستقبل لهذا الحوار إلا إذا شاركنا في الدعوة إليه، والإنفاق عليه. ولا يعني هذا أننا لا ننفق على الحوار، بل إننا نتحمل الإنفاق كله، فإذا دعونا إليهم ننفق، وإذا دعوناهم لديارنا ننفق أيضًا، ونحضر الاجتماعات على نفقتنا سواء عندنا أو عندهم. وهنا أعني أن يشاركوننا هم في الإنفاق، ويدفعون كما ندفع، ونختار أناس كما يختارون، عندئذ تكون هناك مساواة وندية وتكافؤ، ويشعرون هم بجدية مشاركتهم في هذا الحوار. فالذي يأتي إلى أمر مجانًا كالذي يأخذ كتابًا مجانًا لا يشعر بفائدته. وكذلك هذا الحوار الذي نُدفع له بطريقين: المال، والتهاون عن بعض الكرامة، والتنازل لأنهم ضيَّفونا، ثم لا نستفيد منه شيئًا، وهكذا فإن الحوار لا مستقبل له.

لقد منعت نفسي من الذهاب هذه السنة، وأظن أن كثيرًا من العقلاء سوف يفكرون مرتين قبل الذهاب إلى مثل هذا الحوار، لاسيما وأنه بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، أُضيف على أجندة الحوار بند جديد هو "الإسلام والإرهاب". وانعقد لهذا البند لقاء خاص سُمي بالقمة الإسلامية–المسيحية الأولى، عُقِد في روما، وتشرفت بالمشاركة فيه وحضره مفتي مصر وقتها (الشيخ/ نصر الدين فريد واصل) والشيخ/ يوسف القرضاوي، والدكتور/ أحمد كمال أبو المجد، والأستاذ/ فهمي هويدي، والشيخ/ عبد الله بن بيه من موريتانيا، والشيخ/ محمد سلامي من تونس، وعدد من الرموز المسيحية الكاثوليكية من أوروبا كلها، وغيرهم. وكان الموضوع الوحيد المطروح هو "الإرهاب"، وقال المسيحيون كلمتهم في الإرهاب، وقال المسلمون كلمتهم في الإرهاب، ولكل منهم كلمته الصادقة التي لا أشك أنها تعبيرًا عما يؤمنون به. لكن في اليوم الثاني من هذه القمة، جلست في لجنة

الصياغة لإعداد البيان الختامي، فكان من الموضوعات التي طرحها الجانب العربي والإسلامي ليتضمنها في البيان الختامي القضية الفلسطينية والممارسات الإسرائيلية الوحشية هناك، فإذا بإخواننا المسيحيين يرفضون أن تُذكَر أية كلمة عن ممارسات الإرهاب الصهيوني على أرض فلسطين، أو ذكر أي كلمة عن حق الشعب الفلسطيني في المقاومة (والمقرر منذ القرار ٤٢٠ وحتى الآن والذي يتكرر كل سنة في الجمعية العامة دون أن يُلقي إليه أحد بالاً). وكان معنا بعض عقلاء المفكرين المسلمين مثل د/ عز الدين إبراهيم وهو رجل عميق الفكـر وبعيـد النظر، واقترح علينا منحهم مزيدًا من الوقت حتى اليوم التالي لكـي يـشاوروا قيـاداتهم الكنسية لإضافة سطر أو سطرين عن هذا الموضوع حتى يكون البيان متوازنًا لأنه بالنسبة لنا لن يكون متوازنًا بغير قضية فلسطين. فذهبوا وتشاوروا وجاءوا في اليوم التالي وقـالوا أن القيادة الكنسية ترفض أن يذكر اسم فلسطين أصلاً في البيان الختامي. فأنطقني الله تعالى بأن أقول: "لا حاجة لبيان ختامي إذن" وانضم إلي بعض إخواننا واتفقنا ألا يصدر بيان ختامي. وكان هذا مصدرًا للانزعاج، فكيف تنعقد قمة لقيادات الدينين الإسلامي والمـسيحي، ولا تصدر بيانًا يخاطب المؤمنين بالدينين. وكان ردنا أنه إذا كانت فلسطين غائبة، فإنـه لـيس للمسلمين مبررًا لوجودهم في هذه القمة، وانتهينا بغير بيان.

وانعقدت القمة الثانية في برشلونة العام الماضي، ولم أشارك فيها بسبب ما حـدث في القمة الأولى. كذلك عُقدت القمة الثالثة في فبراير ٢٠٠٦ واعتذرت عن الذهاب إليهـا، ذلك لأن من يتخذ موقفًا إنسانيًا من كل قضاياك حـتى إذا جـاء إلى قـضيتك المحوريـة والجوهرية. والتي تعاني فيها أشد أنواع الظلم، وتجده لا يقف معك ويرفض أن يذكر كلمة واحدة عنها، فما جدوى حوارك معه؟! وإلى أين يقودك هذا الحوار؟ وهذا ليس حوار عيش واحد أو عيش مشترك، هذا حوار بين أهل الأديان لتصور السلام العالمي وتـصور وضـع المسلمين في منظومة الحفاظ على هذا السلام، فإذا لم يكن لقضيتنا دور فيه، فلا جدوى من هذا الحوار.

المرحلة الثانية: الحوار بين المسلمين والإنجيليين:

وهذا الحوار ذو ثلاث شعب: الشعبة الأولى، بين المسلمين والإنجيلين داخل مصر. هذا الحوار في غالبه يكون حوار بناء، يتناول قضايا وطنية ليس عليها خلاف كبير مثل حقوق الإنسان، وقضية الديمقراطية وأهميتها، ومساعدة الفقراء -وهذه الأخيرة يهتمون بها جدًا. حيث استطاعت الهيئة الانجيلية بقدرتها وبمثابرة أبناءها وبناتها أن تغزو مناطقًالم تصل إليها خدمات الدولة غزوًا حضاريًا، وأن تقدم فيها بعض هذه الخدمات دون نشاط تبشيري للإنجيليين مع المسلمين المصريين. فالنشاط التبشيري للإنجيليين في مصر يحدث في أوساط الأقباط الأرثوذكس، وهذه قضية نتمنى فيها أن تظل كل كنيسة بعيدة عن معتقدات الكنيسة الأخرى، وكذلك نتمنى لكل مسجد أن يظل بعيدًا عن الديانات الأخرى. هذا الحوار الذي يتم في الداخل بين المسلمين والإنجيلين أو بين الإنجيليين والأرثوذكس من جهة والمسلمين من جهة ثانية، هو حوار وطني وحوار جيد، وإن كانت ترتيباته وتكاليفه المالية- وهي غير قليلة- وجدول أعماله في الغالب يأتي من الكنيسة الانجيلية، والمسلمون يكونون ضيوفًا، إما ضيوف شرف أو ضيوف حقيقيين وفاعلين.

الشعبة الثانية: هي الحوار الإنجيلي الخارجي الذي يتمثل في الحوار بين المسلمين والمسيحيين المشارقة كلهم وبين الكنائس الأمريكية، علمًا بأنه ليس هناك ما يسمي بالكنائس الأمريكية؛ فهناك من يريد إقامة كنيسة له الحق في ذلك، وهذه الكنيسة تعامل معاملة الدين المستقل، ولذلك نجد هناك مجلس كنائس نيويورك، ومجلس كنائس واشنطن، ومجلس كنائس وسط أمريكا، ومجلس الكنائس المشيخية، وغيرها الكثير. ومن ثم فإن تعبير الكنائس الأمريكية ليس له دلالة، وإنما المقصود هنا هو الكنائس الأمريكية التي تحاور معها الفريق العربي للحوار الإسلامي- المسيحي.

هذا الحوار مستمر منذ ثلاثة سنوات، وعقدت فيه ثلاث دورات حيث زار بعض المسلمين والمسيحيين المشارقة الولايات المتحدة، وزار بعض الأمريكيين من هذه الكنائس بلاد المشرق (مصر، لبنان، الأردن). وتميز هذا الحوار -على عكس الحوارات الأخري- بأنه حوار إنساني فقط، متعلق بالتعليم والشباب وبأوضاع الأسر وأوضاع النساء، حوار به تبادل معارف- وأنا أشهد أن الأمريكيين الذين شاركوا في هذا الحوار لم يكن في أسئلتهم

وفي توجهاهم ما يشعرك بمحاولة تقصي المعلومات التي قد تشعر بها عندما تقابل صحفي أجنبي، أو طالب دكتوراة من جامعة برلين مثلاً ويقوم ببحث عن الإخوان المسلمين، وعندما يسأل لا يتحدث عن الإخوان المسلمين مطلقًا، بل يسأل عن أشياء أخرى. لكن الأمريكان الذين ذكرهم شعرت فيهم بالبساطة والتلقائية، وبأسئلة تبدو لنا ساذجة، ولكنها في الحقيقة تدل على أهم لا يعرفون عنا شيئًا.

وأظن أن الاستمرار في هذا الحوار واجب، وأن الأجهزة المصرية والعربية المعنية بالحوار مع أمريكا لا يجوز لها أن تبقي على الحوار الحكومي وحده، لأن الحوار مع الأمريكان يجب أن يكون حوارًا مع الشعب أكثر مما هو حوار مع الحكومة. فالشعب هناك هم الناخبون الذين يغيرون الحكومات، وإذا لم ننشئ معهم أنواعًا من العلاقات، سنتأخر كثيرًا في تغيير موقف الولايات المتحدة من قضايانا السياسية والاقتصادية والثقافية والتعليمية السائدة الآن.

الشعبة الثالثة من شعب الحوار مع الكنيسة الانجيلية: كانت لمرة واحدة، وحدثت عام ٢٠٠٢ لأول مرة منذ ٨٥٠ سنة، وكان هو الحوار بين الكنيسة الانجيلية البريطانية (كانتربري) وبين مجموعة من المسلمين من مختلف المذاهب (السنة والشيعة والإسماعيلية أيضًا)، جاءوا من جميع البلاد من الهند ومصر والولايات المتحدة إلى بريطانيا، واجتمعوا في مقر أسقف كانتربري –دكتور جون كيري وقتها– وشارك من كلية الاقتصاد في هذا الحوار أ/ هبة رؤوف عزت.

كان هذا اللقاء مختلفًا لأن الذي افتتحه هو رئيس الوزراء البريطاني توني بلير وتحدث لمدة أربعين دقيقة –وهو وقت طويل للغاية بالمعايير البريطانية– عن قضايا حقيقية على غير العادة، فلم يتكلم عما يعانيه المسلمون في الغرب وإنما عما يعانيه الغرب من المسلمين، وتكلم عن قضايا الانفصال الأسري بين المسلمين وأزواجهم، ومن محاولة المسلمين الاستقلال في التعليم التي تؤثر على إدماجهم في المجتمع البريطاني، وتكلم عن قضايا الاستقلال بأنواع من التجارة والصناعة والتي لا تؤدي إلى كسب أي تكنولوجيا، ولذلك عندما يكبرون لا يجدون أي عمل يقومون به. كما تكلم عن تبادل العلاقات بينهم وبين أوطانهم الأصلية، وقال إن هذا التبادل، وإن كان صحيًا من جهة، غير أنه يجعلهم كأنهم

ضيوف في بريطانيا لمدة العشر شهور للعام الدراسي أو العام الوظيفي ثم يذهبون إلى بلادهم الأصلية في شهري الإجازة. وتكلم عن حيرة بريطانيا في هذه الأمور، ولهذا هو استضاف هذا اللقاء، وهذه أول مرة نعرف فيها أننا ضيوف على رئيس الوزراء البريطاني.

لكن هذا اللقاء -وإن بدأ بهذه الطريقة- لكنه بمجرد خروج توني بلير تحول إلى لقاء ديني -إذا صح التعبير- بين القساوسة من جانب والعلماء المسلمين من جميع الطوائف الإسلامية من جانب آخر. وكان من بين هؤلاء العلماء المسلمين، والمسيحيين الشرقيين المشاركين في اللقاء: طارق متري والأب جون جبران من لبنان وميخائيل ضاهر وجورج جبور من سوريا ورياض جرجور (أمين عام مجلس كنائس الشرق الأوسط سابقًا). كان المسلمون والمسيحيون الشرقيون من جانب هذه المائدة أثناء الحوار، وكان البريطانيون على الجانب الآخر من المائدة. وكان الحوار مثمرًا جدًا، وصدر عنه كتاب، ووعد جون كيري أن يكرر اللقاء في العام التالي وإن لم يتكرر حتى الآن.

في نهاية حديثي، أود أن أقول كلمات قليلة عن جهود الفريق العربي للحوار الإسلامي المسيحي الذي يُعنى بالحوار داخل الوطن العربي بين أهل الدينين الكبيرين فيه: المسلمين والمسيحيين. هذا الفريق مكون من نحو ثلاثين شخصية فردية، كل منهم انضم إلى الفريق- الذي تأسس عام ١٩٩٥- من منطلق إيمانه الفردي بدينه وعمله وخدمته دون انتماء إلى كنيسة بالنسبة للأقباط، أو إلى جماعة إسلامية بالنسبة للمسلمين، أو حزب سياسي بالنسبة لمن هم سياسيون لأن الفريق ضم كثير من الأعضاء السياسيين. أدى هذا الفريق دورًا هامًا جدًا في تنشيط الحوار عبر عدة سبل من أهمها: معسكرات الشباب التي تنعقد كل صيف منذ عام ١٩٩٥ وحتى الآن في لبنان والأردن وسوريا، كما انعقدت في قبرص وتركيا، وللأسف لم نستطع أن نعقدها ولو مرة واحدة في مصر. في هذه المعسكرات نجمع شبابًا - مابين ٤٠ إلى ٦٠ شاباً- نصفهم من البنات ونصفهم من البنين، وكل فريق يكون من جانب، ويعملون عملاً شاقًا بحيث يأتون قبل وقت المغرب في غاية الجوع والحاجة للاسترخاء وللنوم، وفي غاية الرغبة لعدم دخول في مناقشات مثيرة أو متعبة. واشترطنا في هذه المعسكرات ألا يناقش الدين وألا تناقش السياسة. فهدفنا أن يعيش هؤلاء الشباب ما

أسميه "العيش الواحد" لكي يشعروا عندما يعودون إلى بلادهم أن باستطاعتهم العيش جنبًا إلى جنب دون أن يأكل أحدهم الآخر.

وقد نجحنا في يونيو ٢٠٠٢ في إصدار وثيقة "الحوار والعيش الواحد: ميثاق عربي إسلامي-مسيحي" وضعنا فيها مجموعة من المبادئ والقيم مثل: أن كل عضو في هذا الفريق كان ولا يزال يعمل منطلقًا من قناعته الشخصية غير مدعيًا أن له صفة تمثيلية لأي هيئة معينة، وأن كل منهم يعبر في عمله عن التزامه الديني وحده ويرمي إلى تحقيق المصلحة العامة دون سواها وينظر في ذلك إلى الأمة في مجموعها لا إلى فئة أو جماعة أو طائفة أو حزب أو ما شابه ذلك. والحوار في هذا الفريق حوار حياة يرعاه الفريق ويمارسه، يتم من خلال بحث فكري وعمل برامج مشتركة، وهو يعمل من أجل توطيد العيش الواحد لأن هذه ضرورة تبديها الهموم والأهداف الوطنية والاجتماعية الواحدة والسياق التاريخي والحضاري الواحد، والحوار هو السبيل الوحيد لدفع الالتباس بين التدين الصحيح والغلو المذموم الذي يؤدي إلى العنف والتطرف، والحوار مطلب روحي وأخلاقي وثقافي يتوج مبدأ التعارف المتبادل بين المؤمنين ومن شأن ذلك أن يسهم في ترسيخ قيمة الاحترام المتبادل.

أختم بجملة واحدة عن كيفية الحوار في أوقات الأزمات؛ ماذا يمكننا أن نفعل؟ مثل أزمة أحداث الزاوية الحمراء والخانكة والكشح وأزمة صحيفة النبأ ووفاء قسطنطين وماري عبد الله، ثم الأزمة الأخيرة وهي أزمة كنيسة مار جرجس في محرم بك بالإسكندرية بخصوص مسرحية "كنت أعمى والآن أبصرت". في الأزمات السابقة كلها، لم يختل النسيج الوطني الإسلامي المسيحي قيد شعرة فما فوقها، صحيح أنه وقعت أحداث عنف من الحمقى من الجانبين، ووقع قتلى في بعض الأحيان من الجانبين، لكن أهل الرأي وأهل الفكر وأهل الدين من العلماء المسلمين ومن الكهنة المسيحيين كانوا دائمًا على مستوى المسئولية في كل الأزمات السابقة، حتى حدثت أزمة وفاء قسطنطين وماري عبد الله، وحصل الانهيار القانوني بتسليم مواطنتين مصريتين لجهة لا تملك ولاية تسلمهما، وتم إيداعهما مكانًا لا نعرفه، ويقال أنه دير وادي النطرون، وأثار هذا الأمر عند المسلمين ما أثاره، وهذا جرح لم يلتئم بعد، وأظنه سيحتاج إلى وقت طويل لكي يلتئم وقد لا يلتئم أبدًا، ولكن لابد له من علاج. ثم جاءت بعد ذلك بأشهر قليلة أزمة مسرحية كنيسة مار جرجس، والتي فتحت الجرح القديم

وعمقته، وفتحت إلى جواره جرحًا جديدًا لا يزال ينـــزف حتى اليوم، لأن المحاولات الـــتي تمت، لوقف النـــزيف أولاً ثم لعلاج الجرح ثانيـــًا، باءت كلها بالإخفاق. فعندما حـــدثت أزمة الكشح الأولى، أصمت الحكومة المصرية والنيابة والقـــضاء آذانهـــا عـــن الاســـتماع للقساوسة، وجاء الأنبا ويصا والأنبا بولا وإخوانه قساوسة أسقفية ســـوهاج والبلينـــا إلى القاهرة واعتصموا في المقطم. وسعيت من جانبي للقاء هؤلاء، والتقيـــت معهـــم بالفعـــل، وكتبت بعد ذلك مقال في الأهرام وفي الأهرام العربي أقول فيه "اسمعوا هؤلاء الذين يقولون أن لهم مظالم، بينما أنتم تقولون أنهم سبب الفتنة، فإذا كانت لهم مظالم فأعطوا لهم حقوقهم، وإذا كانوا هم من تسبب في الفتنة فحاسبوهم فليس هناك مواطن مصري فوق الحـــساب". وانتهت المسألة بمحاكمة من اتهموا بقتل الاقباط، وما يهمني هنا أن يطبق القـــانون علـــى الجميع.

إن الحوار الوطني القبطي-المسلم لن يستمر وهذه الجراح مفتوحة أو نافذة أو ملوثة، فلابد أن تغلق هذه الجراح. وإذا أغلقت هذه ووأدت، فسوف تعود الحياة القبطية-الإسلامية في مصر إلى سابق جريها كجري ماء النيل فيه. أما إذا لم تغلق وبقيت على ما هي عليه، فان أحدًا في الكون لا يستطيع أن يتنبأ بما قد يصيب هذا الوطن من فتن الله وحـــده أعلم بمصيرها، وأرجو ألا تحدث.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المناقشات

أ.د. سيف الدين عبد الفتاح:

نشكر أستاذنا الجليل الدكتور محمد سليم العوا على هذه المحاضرة القيمة حول (حوار الأديان..الواقع والمستقبل". ونحن قد تعرفنا على هذه الخريطة المهمة في هذا المقام، لدي بعض الكلمات والأسئلة حول الموضوع سألقيها لاحقًا. والآن سنفتح باب النقاش حتى يتسع الوقت للمداخلات، ويتسع الوقت للرد إن شاء الله تعالى.

د. عبد الله شحاتة:

أود طرح ثلاث نقاط أساسية:

النقطة الأولى تتعلق بأن الأغلبية هي التي تحقق دين الدولة، وذلك سواءً من قرار سيادي أو من خلال صناديق الانتخابات. وهذه مسألة هامة جدًا بالنسبة للتجربة المصرية، فنحن كما قال د/ العوا بحاجة إلى تنظيف مثل هذه الجروح. وما أسمعه وأراه من بعض الأخوة الأقباط من أنهم يستقوون بالخارج لفرض أجندة معينة على الأغلبية، رغم أننا في مراحل الدراسة المختلفة لم نكن نميز المسلم من المسيحي وكنا نمارس كل الأشياء معًا دون تمييز، فتلك مشكلة خطيرة.

النقطة الثانية تتعلق بتجربة شخصية لي في انجلترا، وهي أنه كان من المسموح لنا أن نصلي الجمعة لكنه لم يكن من المسموح أن نرفع الآذان خارج المكان الذي نصلي فيه، وذلك وفقًا لقوانين الدولة. وبالتالي، كنا نحاول الالتزام بهذه القوانين لأننا كنا نعرف أنه إذا لم نلتزم بها قد نفقد هذه الحقوق، وهنا يعد الالتزام بالقانون المدني هو نقطة الفصل بصرف النظر عن الديانة.

النقطة الثالثة مرتبطة بثقافة الانعزال، وللأسف الشديد بدأ يظهر نوع من هذه الثقافة عند الأخوة الأقباط في مصر. وسأضرب مثال بالقرية التي كنت أعيش فيها، فلم يكن يحدث أبدًا أن يُبعَد أطفال الأقباط حتى لا يسمعوا خطبة الجمعة، ولكن هذا الأمر

أصبح موجودًا الآن. ونفس الأمر بالنسبة للمسلمين، فهناك منهم من أصبحوا يمنعون أبناءهم من الاختلاط مع أولاد الأقباط كرد فعل لتلك الثقافة. وبالتالي انعدم الحوار بيننا وبينهم، مما أدى بالأمر إلى النتيجة التي نلمسها الآن مثل ما حدث في الإسكندرية.

أ. محمد الشريف:

أنا لي سؤال محدد للدكتور/ العوا وهو: مع من يكون الحوار؟ فنحن نقبل الحوار مع إخواننا الأقباط الذين يعيشون معنا، لكننا لا نقبله مع أولئك الذين يسبون الإسلام ويسبون الرسول ﷺ. وعلى سبيل المثال تلك الأجندة الكاثوليكية، والتي تحدد خمسة بنود رئيسية للحوار. فلماذا لا نناقشهم نحن فيما لديهم؟ فهم يعيبون علينا تعدد الزوجات ولا يعيبون على سليمان الذي تزوج سبعمائة وكان عنده من الحرائر ألف.

النقطة الثانية تتعلق بربط الإسلام بالإرهاب، فلماذا لم تنعت المسيحية بالإرهاب لذبح أربعة ملايين مسلم في الأندلس؟! ولماذا لم تنعت منظمة مثل "إيتا" بالإرهاب؟ وبالنسبة لأحداث الإسكندرية، أنا شاهدت المسرحية بنفسي، وهي بالفعل مليئة بالسب والشتائم للإسلام وللرسول ﷺ.

أ. مسعود صبري:

بالنسبة للأصوات المتعالية التي تنادي بإعطاء مساحة أكبر للأقباط؛ ففي ظني أن هذا الأمر يعد مدخلاً غير صحي لتفعيل مشاركة إخواننا الأقباط في مصر. وفي الحقيقة، فإن مصر هي نموذج للتعايش الإسلامي-القبطي، ولم تظهر فيها نظرات الاختلاف إلا بفعل الضغوط الخارجية. فهذا في الحقيقة شئ مخيف، فإذا كان الكل في مصر يعيشون تحت قانون ودستور واحد، إذن فالمطالبة بنسبة مسيحية محددة في مجلس الشعب هي في رأيي أمر غير ضروري، يجب أن يتم ترك الأمر للشعب ليحدد من يريد، فهذه إرادة الشعب. واعتقد أن مثل هذه السياسة تأتي بنتيجة معاكسة، فالمسلمون سيصبح لديهم أيضًا نوع من التعصب، وهذا كله ليس من مصلحة الوطن.

الأمر اللافت للنظر أيضًا، أننا يجب أن نفرق بين الخطاب الثقافي الفكري وبين الخطاب الكنسي فيما يخص الثقافة القبطية. وأظن أن هناك مرونة عند المثقفين والمفكرين الأقباط، والذين هم أقرب للنخبة الثقافية والسياسية في مصر، فهؤلاء يجب أن نُفعِّل الحوار معهم، لأنهم يقبلون بالمواطنة، ومبدأ أن الناس كلهم سواسية في هذا الوطن، أما الخطاب الكنسي فهو في غالبيته مخيف. وعلى الجانب الآخر، نلحظ عدم وجود هذا النوع من التمايز عند النخبة الثقافية المسلمة؛ فالتيار الإسلامي أيضًا يسير في نفس الاتجاه ويقر بحق المواطنة. ربما تكون هناك بعض الإشكاليات الفكرية عند المؤسسات الفقهية، وهي تحتاج لنوع من تجديد الخطاب حتى تستطيع مواكبة مستجدات العصر. وفي رأيي، إن النخبة والصوت الشعبي هما الوحيدان القادران على إحداث التغيير وإفساح المجال لوجود التسامح.

أ. أمجد أحمد جبريل:

سؤالي الأول يدور حول ماهية الأجندة الإسلامية للحوار، فأرجو من د/ العوا أن يطلعنا على نوعية القضايا التي يرغب المحاورون المسلمون في طرحها عندما يلتقون بالطرف الآخر أو الأطراف الأخرى، فهناك أيضًا الدين اليهودي.

سؤالي الثاني هو عن قضية الأولويات؛ فهل الأمة العربية والإسلامية في مرحلة من الأفضل فيها أن يكون الحوار مع الداخل أم مع الخارج؟ فأنا أرى ضرورة الحوار الداخلي بين المسلمين والمسيحيين في مصر أو فلسطين أو العراق، ولكنني لا أفهم مسألة الحوار المصري مع المسيحيين المصريين في الولايات المتحدة. من الناحية السياسية، لا أعتقد أن هناك جدوى للحوار مع كنائس غربية، لأن مواقف هذه الكنائس منفصلة عن المواقف الرسمية – إلى حد كبير. فمثلاً عند اجتياح شارون للضفة الغربية، في ٢٩ مارس ٢٠٠٢ والذي استمر خمسة عشر يومًا، خرجت مظاهرة في نيويورك، وقدر عدد المشاركين فيها بمائة ألف، ومع ذلك خرج الرئيس بوش ليقول أن شارون هو رجل سلام. فالشارع الأمريكي له رأي، والإدارة الأمريكية لها رأي مختلف؛ فآلية التأثير والتأثر بين كلٍ من الشارع الأمريكي والإدارة الأمريكية بحاجة إلى دراسة، وأنا أعتقد أن الإدارة هي أكثر تأثيرًا من الشارع.

أضيف نقطة أخيرة تتعلق بالاحتفال بمرور خمسين عامًا على إنشاء جامعة الدول العربية؛ فعند الاحتفال بهذا الحدث سمعت تعليقًا من أحد المشاركين يقول فيه: "إن أفضل إنجاز للجامعة العربية هو أنها استطاعت أن تستمر خمسين عامًا"!! فهل أكبر إنجازات حوار الأديان هو استمرار هذا الحوار؟! إذن فما جدوى هذا الحوار؟

أ. وسام كمال:

كيف يمكن تحقيق التوازن بين احترام كل دين للدين الآخر؟

أ. أمل العشماوي:

لقد ذكرت سيادتكم أن الحوار يجب أن يكون بين طرفين متساويين. إذن هل من الأفضل أن يتوقف الحوار الذي تُفرَض فيه الأجندة علينا؟

أ. هاني عبد القادر:

أشكر د/ العوا على هذه المحاضرة القيمة. مداخلتي لها شقين: الشق الأول، يتعلق بما تلى أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ من هجمات شديدة جدًا على الإسلام والمسلمين. وقد قرأت بعض المقالات التي جاءت في وسائل الإعلام الأمريكية والتي تطالب بتعديل القرآن أو حذف آيات معينة منه، ومع ما ذكرته سيادتكم من علاقة القوي بالضعيف، فإن هذا كله لا يبشر بخير فيما هو قادم في المستقبل. أما الشق الثاني فيتعلق بمؤتمر أقباط المهجر وما ظهر فيه من تواطؤ وتآمر؛ فمستشار السفارة الإسرائيلية السابق في واشنطن كان عضوًا في المؤتمر، ووقع البيان مع أ.مايكل منير. وأنا أريد أن أعرف ما هو مفهوم سيادتكم للمواطنة والمساواة مع الأخوة الأقباط الذين يعيشون معنا في مصر؟

أ. رنا عبد العال:

لدي سؤالين: سؤالي الأول أنه في ظل جدلية العلاقة بين المسلمين والأقباط، وفي ظل التحديات التي يواجهها الإسلام الآن بعد عرض مسرحية الإسكندرية، وبعدما حدث في الدنمارك، لماذا لا يصدر الأزهر بيان رسمي يرد فيه على هذه الاعتداءات على الإسلام؟ ولماذا توجد فجوة بين ما يقال على الجانب الرسمي (النائب العام)، وبين ما يقوله الآخرون

(حتى قس الكنيسة نفسه)؟ سؤالي الثاني يتعلق بزيارة قُمتُ بها للولايات المتحدة العام الماضي، ووجدت هناك خلطًا شديدًا عند الأمريكيين بين المسلمين وبين الجماعات الإسلامية العنيفة، فلماذا لا نعمل على تصحيح هذا الخلط وتوضيح المعاني الحقيقية لتلك المفاهيم؟

أ. ريهام أحمد:

سؤالي الأول هو: لماذا لا توجد مبادرات من المسلمين لعرض أجندهم؟ والسؤال الثاني بخصوص تغيير المناهج؛ فقد تم استبدال كتاب "القدس" في منهج الثانوية العامة، بكتاب "الأيام" لطه حسين، فما هي الجهود التي يمكن أن تُبذل لمواجهة محاولات تغيير المناهج؟

أ. أحمد سعد عبد الوهاب:

لماذا لا تطبق الشريعة الإسلامية في مصر؟ مع أن تطبيق شرع الله منصوص عليه في القرآن، في سورة المائدة، ومع أن المادة الثانية من الدستور المصري تنص على أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي للتشريع. ولماذا لا يطبق شرع الله خصوصًا في المجال الجنائي؟ لأن الإسلام به حدود واضحة محددة. وما مدى الإثم الذي يقع فيه رجال القانون لعدم تطبيقهم للشريعة الإسلامية؟

أ. دعاء الشامي:

لماذا لا يتم تفعيل الحوار بين الشباب المسلم والشباب المسيحي في مصر؟ خصوصًا في ظل وجود فجوة كبيرة بينهما في الحوار العادي اليومي. وأيضًا، أريد أن أتسائل عن كيفية التصدي لادعاءات الاضطهاد عند الإخوة المسيحيين.

أ. محمد الشوربجي:

لقد رفضتم سيادتكم فكرة حوار الأديان مع بعضها البعض، وذلك فيما يتعلق بالحوارات التي يقوم بها العلماء، فما رأي سيادتكم إذن في الحوارات التي تتم الآن –في ظل الظروف الأخيرة– والتي يقوم بها العوام وغير المتخصصين؟ ولمصلحة من تتم هذه الحوارات؟

أ. مصطفى مبروك:

أنا سعيد بما قاله د/ العوا عن الحوار بين أهل الأديان، وليس حوار الأديان. فالحوار هنا بين أشخاص؛ والفرق بين الشخص المتدين وغير المتدين يكمن في أن المتدين ينظر إلى ما بعد الحياة الدنيا، فالحياة الآخرة هي امتداد للحياة الدنيا، يرى أهل كل دين من الطرفين أن الحياة الآخرة للطرف الآخر ستكون جحيم! فكيف يتم الحوار بيننا إذن لنعيش سعداء في الحياة الدنيا ولا ننظر لمصلحة الطرف الآخر في الحياة الآخرة؟! ومن هنا أؤكد على ضرورة الإبقاء على حوار الأديان، جنباً إلى جنب مع حوار أهل الأديان، فمن خلال حوار الأديان يكون هدف كل طرف هداية الطرف الآخر، لنصل إلى الطريق الذي سيجعلنا جميعاً سعداء في الحياة الآخرة.

أ.د. سيف الدين عبد الفتاح:

لقد استضاف برنامج حوار الحضارات فريق الحوار العربي الإسلامي–المسيحي من قبل، وتم عقد ندوة عن القدس، وكانت ندوة شديدة القيمة في ذلك الوقت. كذلك شاركتُ مع فريق الحوار العربي الإسلامي–المسيحي في حوار في الأردن، وكان حوارًا ثرياً حول رؤى العالم بين الأديان المختلفة، وتحدث المشاركون فيه عن رؤى الأديان للإنسان والكون والحياة والعلاقة بين الدين والسياسة. وأنا فقط أريد أن أؤكد على أن هذا الفريق يقوم بأدوار هامة، ويشار إليه بالبنان في هذا المقام؛ فهو يقوم بعمل مهم لا نستطيع أبدًا إنكاره في مسألة العيش المشترك والعيش الواحد.

وأنا أؤكد على قضية تعلمناها بالأساس من الدكتور/ العوا حول أن الاختلاف سنة كونية. والتعدد حقيقة، والتعايش ضرورة، والتعارف عملية، والحوار آلية. والحوار يتخذ أشكالاً عدة، من أهمها حوار الأديان الذي يمكن أن يكون بين أهل الأديان وعقائدها. لكن هذا الموضوع يثير أكثر من قضية وأكثر من إشكالية حول الأسئلة التالية:

ما هي موضوعات الحوارات؟ وهل إذا دعي الطرف الإسلامي لهذه الحوارات يمكنه تكوين أجندة تنطلق من قدراته ومن إمكانياته، بل ومن موضوعاته؟ وما هي أطراف الحوار

والمؤسسات القائمة به؟ فالمؤسسات القائمة بالحوار كثيرة، ونحن نريد أن نرصد هذه الخريطة نظرًا لأهميتها. ونريد أن نرصد ما قامت به هذه المؤسسات بالفعل من حوارات في هذا المقام. ما هي أهداف الحوار وما أهم غاياته؟ فهل حددنا أهداف ومقاصد هذه الحوارات المختلفة؟ أم أن الأجندة تأتي بأهدافها من الخارج؟ ما هي دواعي الحوار؟ فهناك الكثيرون الذين يتساءلون عن ذلك، فنحن عقدنا جولات كثيرة للحوار، فماذا تمخض عنها؟ وما الذي قامت به الأطراف الإسلامية في هذا السياق؟

وأنا أظن أننا بحاجة لاستراتيجية في الشأن الحواري يكون من بنودها تأسيس مؤسسات تقوم على الحوار مضمونًا وأهدافًا وتستطيع أن تقوم بنوع من المبادرة الحوارية في موضوعات بعينها. فبدلاً من البحث عن إضافة فقرة عن فلسطين، لماذا لا نأتي بالكنائس ونتحاور حول القضية الفلسطينية وعن إرهاب الدولة الذي تمارسه إسرائيل؟ كذلك نريد أن نعرف ما هي الصلة بين حوار الثقافات وحوار الحضارات وبين حوار الأديان، فهل هناك تداخل بالفعل؟ وإذا تمكنا من استبعاد الحوار السياسي والحوار الاقتصادي من حوار الأديان، فهل نستطيع القيام بذلك مع الثقافة والحضارة؟ هل هناك من سبيل لجعل حوار الأديان ثقافيًا ومتعلقًا بالعيش المشترك؟ وما هي أصول بناء الجماعة الوطنية وكيفية الاندماج فيها؟ وكيف يمكن الربط بين أهل الأديان والحوار حول رؤى العالم، وأهل الأديان وحوار الحياة، وحوار الأديان بين الداخل والخارج، وبين المستوى الإقليمي والمستوى الدولي؟ فهل سنطور استراتيجية معينة لحوار الأديان؟ أم سنستمر في الاعتماد على الجهود الفردية؟ ولماذا يكون هذا الحوار محصورًا على أصحاب العمائم؟ خاصةً أن الحوار يتعلق بمسائل الديانات.

هذه بعض الأمور المهمة، خصوصًا أنني لاحظت أن حوار الأديان في الآونة الأخيرة، بدأ يتبع الغلبة الحضارية للغرب كنوع من الغلبة الدينية، وتحولت حوارات الأديان للغة امتهانية للدين الإسلامي. تتطلب حوارات الأديان قدرًا من الندية، واستثمار القدرات والمهارات الحوارية. كذلك نريد معرفة هل حوار الأديان يمكن أن يرتبط بقضايا الصراع

العربي-الإسرائيلي وعمليات التطبيع؟ فبعض حوارات الأديان يحضرها حاخامات يهـود، مثلما حدث في المغرب وفي قطر.

هذا فقط ما أردت توضيحه في هذا المقام، وشكراً. والآن نترك الفرصة الكاملة للدكتور محمد سليم العوا للرد على هذه الأسئلة والمداخلات.

الأستاذ الدكتور/ محمد سليم العوا :

أول من لن استطيع الرد على تساؤلاته وهواجسه هو الدكتور/ سيف الدين عبد الفتاح، لأنني لو قمت بالرد على ذلك سأحتاج إلى يومين من الكلام، وقبلهما شهرين من التفكير! لكنني أتفق مع الكثير مما ذكره، فأكثر ما وضع يده عليه كجزء من خريطة الحوار نحن نطلبه ونريده ليس كعرب ومسلمين فقط، وإنما كمفكرين ومثقفين مهتمين بمستقبل هذه الأمة، سواء كنا مسلمين أو مسيحيين، لأن القضية واحدة في النهاية، ونحن في مركب واحد ليس لها ثانٍ.

لن استطيع الرد على كل الأسئلة التي طُرحت، فاسمحوا لي أن أنتقي منها ما يحتاج فعلاً إلى جواب أو تعقيب مني:

** د/ عبد الله شحاتة ذكرت أن الأغلبية هي التي تحدد دين الدولة، وفي الحقيقة هذا غير صحيح، فالذي يحدد دين الدولة هو الوثيقة التأسيسية (الدستور أو ما في حكمه)، وهذه الوثيقة الدستورية يجب أن يتم عرضها على الأمة لتقبلها أو ترفضها، وإذا لم تعكس هذه الوثيقة الواقع الموجود في الدولة، يحدث صراع دموي في هذه الدولة. ونضرب مثالاً على ذلك بما يحدث في إسرائيل الآن؛ فالوثيقة التأسيسية لإسرائيل تقول أنها دولة يهودية، بينما الواقع يقول أن الغالبية فيها للعنصر العربي الفلسطيني -المسلم والمسيحي- ولذلك الصراع سوف يستمر إلى أن يتغلب أحد العنصرين على الآخر. وأنا أقر -كما أقرَّ كثيرون- بضرورة الخضوع للقانون، وأدعو إلى الالتزام بالقانون في كل أمر، صغر أم كبر، وأن يسود القانون على كل الرؤوس، صغرت أو كبرت. فأنا لا أرى وطني رأسًا أكبر من القانون، لأن الوطن الذي يوضع كرأس أكبر من القانون، هو وطن يخون أصحابه وأهله.

** الشيخ/ محمد الشريف، سألت عمن نتحاور معهم، ولماذا لا نحاورهم بما لدينا في اعتقاداتنا عنهم، وردي هو أننا مأمورون بألا نجادلهم إلا بالتي هي أحسن، إلا الظالمون منهم فنقول لهم "آمنوا بما أنزل إلينا وما أنزل إليكم" فإلهنا وإلهكم واحد، ويجب علينا ألا ندخل في هذا الجدل، فمن دخل هذا الفخ لن يخرج منه. والذين استطاعوا أن يبلغوا هذه الدعوة، وأن يوصوا بهذا الدين، اتسموا بسماحة محمد ﷺ؛ فالرسول ﷺ دخل عليه اليهود وقالوا له بلغتهم: "الموت عليك"، فقال لهم: "وعليكم"، فقالت السيدة عائشة من وراء ستارها: "بل عليكم الموت واللعنة"، وعندما دخل عليها الرسول ﷺ، قال لها: "متى عهدتني لعَّاناً؟"، فقالت: "ألم تسمع ما قالوا؟"، قال: "يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على سواه". ولكن لا يعني ذلك ألا أنتصر لديني بكل ما أوتيت من قوة وحق، ولكن يعني ألا أتخلى عن سماحة الإسلام أيضًا.

** الأخ مسعود، أنا معك في أن علو الصوت مدخل غير صحي لمشاركة الأقباط، فالنموذج الحقيقي هو تفعيل مشاركة الأقباط في مصر، كما كانت مفعَّلة قبل أحداث الخانكة وما تلاها -إن كانت هذه الأحداث هي السبب الحقيقي فيما نحن فيه. أما بالنسبة للأجندة الإسلامية للحوار؛ فهي مليئة بالموضوعات، ومنها ما يتعلق بحياتنا الاجتماعية. وقد أنتج هذا الحوار إجابات على عدد من الأسئلة، كما أنتج تغيرًا في العديد من المفاهيم، مثل مفهوم المواطنة، والذي ظل حتى عام ١٩٨٠ غير مقبول لدى غالبية المسلمين. فكان المسلمون لا يعرفون عن إخوانهم الأقباط سوى أنهم أهل ذمة، ولا يعرفون عن الأجانب الذين يأتون من الخارج إلا أنهم معاهدون، أو أنهم محاربون، وبالتالي فدماؤهم حلال لولا القوانين الوضعية التي تمنع ذلك! لكن منذ عام ١٩٨٠ وحتى الآن، وكنتيجة لاستمرار الحوار، واستمرار عرض فكرة انقضاء أهل الذمة نتيجة لانقضاء عهد الدولة الإسلامية، ولاستمرار التأكيد على فكرة المواطنة، تغير كلاً من الخطاب المسلم والخطاب المسيحي إلى الأحسن وليس إلى الأسوأ، فالعلاقات الإنسانية والوظيفية والاقتصادية كلها تغيرت إلى الأحسن.

ولقد اهتممنا -في الفريق العربي للحوار الإسلامي المسيحي- بمسألة الديانة الإبراهيمية، وتم عقد مؤتمر لها لمدة ثلاثة أيام في بيروت. فقد كان أهل الأديان الثلاثة، المسلمون واليهود والنصارى، يقولون "نحن أبناء إبراهيم" أما الباقي فعلى خطأ. واهتم الفريق العربي بهذه المسألة العقدية التي تؤثر في سلوكنا اليومي، لأنه إذا أدرك كل منا بأنه ورث جزءاً من دين الآخر، فهذا شيء يُقرِّب كثيرًا بين أهل الأديان. وقد عقدنا أيضًا مؤتمرًا مطولاً فيما يتعلق بهذه المسألة، وأصدرنا عنه كتابًا بعنوان "حوار الديانات الإبراهيمية"، وأثبتنا فيه، من خلال بحوث علمية رصينة وموثَّقة، كذب الدعوة اليهودية بانفراد اليهود ببنوَّة إبراهيم، وأثبتنا أنه أمر مشترك بين أهل الديانات السماوية الثلاثة. كذلك اهتم الفريق بمسألة حقوق المواطنين في كافة مجالات الحياة، وأيضًا في حواراتنا مع الغربيين لنا اهتمام بموضوعات أخرى مثل حق المسلم في أن يتعلم طبقًا لدينه، حيث لا تُعلَّم الأديان في المدارس، وكذلك حق المسلمين في أن يطبقوا قوانين أحوالهم الشخصية على زواجهم وطلاقهم وبنوَّة أبنائهم، حيث لا تُطبَّق هذه القوانين عليهم، وكذلك حق المسلمين في أن يطبقوا قوانين ميراثهم، والذي لا يطبق في كل بلاد الغرب. وعندنا قضايا كثيرة جدًا من هذا النوع ضرورية ولابد لها من حل؛ فمثلاً فيما يتعلق بالقوانين، أمريكا وكثير من دول أوروبا تمنع التدخل في تربية الأولاد، فإذا نهرت ابنك مرتين، من الممكن أن يؤخذ ابنك منك، وإذا ضربته يؤخذ منك ويعطى لأسرة أخرى أيًّا كانت مسيحية أو بوذية أو يهودية.. ولكن ديننا به تربية ومحاسبة مما يتعارض مع تلك القوانين، ومن هنا تأتي الإشكالية.

** أنا أختلف مع من قال أن الحوار مع مسيحيي أمريكا ليس له جدوى، فأنا أرى أن له جدوى كبيرة، ليس لتأثيرهم على القرار السياسي اليوم أو غدًا، ولكن لأننا نبحث عن تأثير متراكم على المدى البعيد، فالسياسات لا تتغير بين يوم وليلة، وإذا خرج الجمهوريون من الحكم اليوم وأتى الديمقراطيون لن تتغير السياسات المُطبَّقة. وأنا أتذكر عندما كنت طالبًا في بريطانيا، وسقط رئيس الوزراء المحافظ "إدوارد هيث" وتم انتخاب "ويلسون" رئيسًا لحزب العمال، فحينها ألقى "ويلسون" خطابًا في البرلمان، في أول جلسة له بعد الانتخابات، كان عبارة عن تكرار لخطاب "إدوارد هيث" أثناء حملته الانتخابية. وردًا على سؤال بهذا المعنى وُجِّه لإدوارد هيث في مقابلة تليفزيونية، يستفسر عن سبب سقوطه

وفوز ويلسون رغم استخدامهما لنفس الخطاب، قال هيث: "ليس المهم من نَجَح، بل المهم إلى أين تصل انجلترا عن طريق الحكومة التي تحكمها". فهذه الشعوب الديمقراطية لا تفكر إلا هكذا، ونحن علينا أن نعمل على المدى الطويل حتى نستطيع التأثير على القرار السياسي عن طريق التأثير على القرار الشعبي؛ وليس أمامنا وسيلة أخرى. فنحن ضعفاء سياسيًّا لفترة طويلة مقبلة، وحكوماتنا ضعيفة إلى مدى طويل جدًا. ولذلك ليس أمامنا نحن الشعوب إلا أن نتعامل مع الشعوب.

** الأستاذة أمل العشماوي سألت: هل نوقف الحوار إذا انعدمت المساواة؟ أقول لابد أن نستمر فيه، ولكن بشروط أخرى وبوضع أفضل.

** أما بالنسبة للمداخلة التي أكدت على أهمية الحوار بين الأديان بالرغم من أنني رفضته، فأقول أن الحوار بين الأديان مهم لأهله المتخصصين فيه. وأذكر مثال من الأربعينيات، عندما حضر مجموعة من الشيعة درس الثلاثاء للإمام حسن البنا، وعندما لاحظ أهل السنة وجودهم أثاروا المسائل والاختلافات الفقهية بين السنة والشيعة أمام الإمام حسن البنا. فما كان منه إلا أن قال أن الاختلافات الفقهية بين السنة والشيعة تُحَل داخل الغرف المغلقة فيما بين العلماء، أما الخلاف السياسي الوحيد بيننا وبينهم فهو حول ماهية الحكم؛ هل "خلافة" أم "إمامة"، والآن لا يوجد أي منهما. وإذا استطعنا أن نأتي الآن بحاكم للدولة الإسلامية، فإننا نجعله مرة من السنة ومرة من الشيعة، ويستمر ذلك إلى أن يظهر الإمام الغائب فنتَّبعه معهم، أو تعود الخلافة فيتَّبعوها معنا. فهذا الكلام للإمام حسن البنا، هو كلام سياسي وذكي أكثر منه كلام له إمكانية تطبيق في الواقع. لكنه يوضح موقفنا من حوار الأديان، فعلماء الأديان يتحدثون في الغرف المغلقة كما يشاءون، أحيانًا عقدت جلسات في منزلي من هذا النوع وهذا ليس فيه خطر، ولكن إذا تعدى هذا الحوار تلك الأماكن فهنا تكمن الخطورة. فأنا أرفض حوار الأديان بين العامة، كما أرفض الفتاوى على الهواء.

** أما ردي على سؤال أين الأزهر: فحقيقةً، أنا لا أعرف!

** وبالنسبة للتساؤل حول الفجوة بين الموقف الرسمي والمواقف الأخرى، فليس أمامنا إلا أن نسأل النائب العام.

** أما التساؤل حول عدم تطبيق الشريعة، فأقول أن ما قاله الأستاذ أحمد سعد ينطبق على الأمم السابقة، وعلى أمتنا إذا حكمت بغير ما أنزل الله، وللعلماء كلام كثير في ذلك، فهل أمتنا تركت تطبيق الشريعة كفرًا أم عنادًا أم إهمالاً؟ فمقتضى ذلك الكلام أنه لا يكفر أحد إلا بإصراره على العناد، أما جميع الأوصاف الأخرى فلا يكفر أحد بها، وإنما يكون عاصيًا. والشريعة الإسلامية عندنا غير مطبقة في الجانب الجنائي، وهذا يعود لأسباب تاريخية كثيرة. وأنا لي كتاب اسمه "أصول النظام الجنائي الإسلامي" يمكن لمن يشاء أن يطلع عليه، كما لا يوجد إثم على القاضي أو المحامي الذي يطبق ذلك القانون، فالإثم يقع على من وضعه مخالفًا للشريعة الإسلامية.

** أ/ دعاء سألت عن تفعيل الحوار الشبابي، وأنا أتمنى أن يتم ذلك، فنحن كما ذكرت لا نستطيع أن نقوم بهذا التفعيل في مصر، ولكن أتمنى أن يتغير الوضع في المستقبل.

أشكركم جزيل الشكر، كما أشكر عميدة الكلية الأستاذة الدكتورة/ منى البرادعى وأشكر الأستاذ الدكتور/ سيف الدين عبد الفتاح، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

"دور الدين في حل النزاعات: حالات وخبرات"

٢٠ ديسمبر ٢٠٠٥

* القاضي/ عباس الحلبي.

* القس الدكتور/ رياض جرجور.

* المناقشات.

دور الحوار بين الأديان في تلافي النزاعات الدينية:

الحالة العربية والنموذج اللبناني*

القاضي/ عباس الحلبي**

الأخوة والأخوات،،،

أشكر لبرنامج حوار الحضارات ومديرته السيدة الفاضلة الدكتورة/ نادية مصطفي دعوتهما لي وإعطائي فرصة التحدث أمام هذا الجمهور المميز حول دور الحوار الديني في تلافي النزاعات.

تكتسب هذه الندوة أهمية من الموقع الذي تنطلق منه وهو جامعة القاهرة ومن برنامج حوار الحضارات، وكلاهما معنيان مباشرةً بالحوار ومؤمنان بأنه السبيل الوحيد لتلافي وحل النزاعات بعيدًا عن الحروب والعنف والضغط.

يطرح الموضوع، الذي سأحاول معالجته، مسألتين متناقضتين يجمع بينهما عامل أساسي شكَّل على مر الزمان سببًا للوئام والسلام، كما شكَّل سببًا للفراق والخصام، لا بل للحروب والنزاعات.

المسألة الأولى: هل يشكل الدين سببًا للانقسام أم عنصرًا مساعدًا لتحقيق الوحدة؟ ما هو دور الدين في بناء السلم أو في تدمير صيغ الوحدة والعيش المشترك؟ والانطباع السائد حول الدين -أي دين- أنه عنصر التفرقة الذي يعطل كل أشكال التعاون والوحدة. أما المسألة الثانية، فتتصل بتأثير الدين في تأجيج الصراعات السياسية والطائفية في مناطق التوتر في الشرق الأوسط.

---

* نص الكلمة المكتوبة.

** رئيس الفريق العربي للحوار الإسلامي-المسيحي وعضو اللجنة الوطنية للحوار الإسلامي بلبنان.

لعلني في مقاربة هذه الأسئلة التي تشغل بالنا في هذه الأيام والمطروحة ليس في بلادنا فحسب بل على مدى العالم الواسع، خاصةً بعد أحداث ١١ أيلول/سبتمبر وما أعقبها من حروب في أفغانستان والعراق وما نشهده قبل هذا التاريخ، واشتد بعده في فلسطين، وما عشناه في هذه المرحلة من تفجيرات في مدريد ولندن وبالي وتركيا ومصر، وربما يشكل لبنان شبكة واحدة من الإرهاب القائم على الأيديولوجيات الدينية فيظهر القائمون بهذه الأعمال المقيتة بنظر البعض بأنهم أئمة صالحون يقومون بأداء واجبهم الشرعي. من هنا، اكتسب الإرهاب صفة دينية مزعومة التصقت بالإسلام (وهو برئ منها طبعًا) ونظر له الإرهابيون بنسبة آيات قرآنية وأحاديث نبوية جعلت الربط بين الإرهاب والإسلام، والإرهابيين والمسلمين، أمرًا مشروعًا بالنسبة إلى ما نراه اليوم من صورة الإسلام والمسلمين في العالم.

لسنا هنا طبعًا لندخل في هذا النقاش؛ لأن ولوج النقاش على هذا المستوى يعني أن هناك أناسًا يجب إقناعهم بنظرية معينة ولا أحد يحتاج إلى إقناع في رفض هذا الربط وتنزيه الإسلام عن عمل العنف بغير حق.

الأمر الآخر، هو أن محاربة الإرهاب مهمة رسولية تَكفَّل بها رئيس معين أو دولة معينة، وتقوم هذه النظرية أيضًا على أساس ديني تكفل به هذا الرئيس سندًا لإطلاق نظرية دينية حملها منظرو عقيدة المسيحية المتجددة أو ما يسمى بالمحافظين الجدد. وهنا أيضًا تم ربط الدين بالسياسة؛ فبرر الدين محاربة الإرهاب بالقيام بأعمال إرهابية أخرى.

ولربما أكثر الأديان إطلاقًا للمحبة هو الدين المسيحي الذي يعتمد عليه منظرو هذه السياسة.

ولا تكتمل الصورة إلا بالحديث عما يعاني منه شعب فلسطين وعالمنا العربي في ظل معاناة امتدت إلى ما يزيد عن الخمسين سنة بحجة أن لليهود حق في إقامة دولتهم على أرض فلسطين تحقيقًا لوعد إلهي ولنبوءة مزعومة. ويربط دعاة هذه النظرية أيضًا بين السياسة والدين، ولا مجال هنا لمناقشة الأساس الديني لهذه النظرية، إلا أن تداعيات هذه النظرية لا تزال متأثرة بالأيديولوجيات التوراتية.

إذًا، وبالنظر إلى الدين في كل هذه الصراعات، وفي كل من الحالات الثلاث، فإننا نتحدث عن دين مختلف، ولكن الأساس الذي تنطلق منه مجموع هذه النظريات هو الدين.

الأهم هو أن المنطقة المتوترة التي نتحدث عنها -وهي الشرق الأوسط- شهدت تاريخيًّا نشأة هذه الأديان، وهي أرض الديانات السماوية ومهبط وحيها وتجلي أنبيائها، وقد شهدت أحداثًا تاريخية كبيرة في تاريخ البشر جمعاء، ولعل هذه هي المسألة الثانية التي تُطرح في بحثنا على قاعدة التساؤل الدائم: هل يجوز لأرض الأديان السماوية التي تدعو جميعها إلى السلام أن تكون في حلقة العنف والنزاع والتوتر ومصدرًا للإرهاب والجرائم؟

ولعل بعض النظريات السياسية التي تمثل وجهات النظر المختلفة على الصعيد السياسي تعتمد على الدين في تبرير مسعاها المتسم غالبًا بالعدوانية وبالرغبة في الصراع وطمس الحقيقة وانتزاع الحق بالقوة. وكثيرًا ما يدرج الصراع العربي الإسرائيلي القائم أساسًا على معادلة قضت بإقرار حق لليهود على حساب الفلسطينيين الأصليين -مسلمين ومسيحيين ويهودًا وعربًا- وتصاعد الاحتلال باستقدام أعداد كبيرة من المستوطنين من أصقاع الدنيا وإسكانهم في مناطق تخص شعبًا مالكًا لها منذ مئات السنين، ودون أن يكون هناك رابط بين هؤلاء المستعمرين وهذه الأرض. ويستعين المنظرون لدعم عدوانهم واحتلالهم بتوليفة دينية مفادها أن اليهود يستعيدون أرضًا وُعِدَت لهم من قبل أنبيائهم حتى لو كان ذلك على أساس إيقاع الظلم بالآخر.

وردة فعل أهل فلسطين هي المناداة بـ"الله أكبر" ومحاولة الاصطفاف الديني بينهم وبين إخوانهم المسلمين للدفاع عن أنفسهم من جهة ولرد هجمة اليهود من جهة أخرى.

وبهذا وقف المسيحيون بين سندان الالتزام القومي مع إخوانهم المسلمين للدفاع عن حقهم في الوجود على أرض شهادة المسيح، وبين مطرقة اليهودي الذي لا يفرق بينهم وبين المسلمين في احتلال الأرض والتهجير إلى الخارج والإضرار بالمصالح القومية الوطنية والمعيشية، حتى ضاقت أرض المسيح بهم ونزحوا بأكثريتهم عن أرض المسيح وأُجبروا على العيش خارج الشرق الأوسط. *ولعل هذا النزيف الذي تعرض له الوجود المسيحي في* الشرق أدى ويؤدي إلى تشكيل خطر على النسيج الوطني في بلاد عربية كفلسطين ولبنان

والعراق وربما مصر، بما يُفقد هذه الدول معناها على اعتبارها دولاً تتشكل من جماعات دينية مختلفة عاشت زمنًا طويلاً حياة مشتركة أعطت هذه المنطقة معنى خاصًا جعلها تتفتح على الحضارات والثقافات المختلفة.

إن رسم المشهد السياسي المتأجج للصراع يعطي فكرة واضحة عن دور الدين في هذا النزاع، إلا أن هذه النظرية يجب ألا تحجب عنا أن الديانات السماوية الثلاث قد عاشت آلاف السنين بوئام ومحبة وائتلاف. وهو ما تزخر به المنطقة من مآثر العيش المشترك ومن تراث التفاعل الخلاق والانفتاح الذي أدى إلى تكوين الحضارة العربية التي من مكوناتها اليهودية والمسيحية والإسلام. كما أدخلت –هذه الديانات– في تكوين المواطن العربي جزءًا من ثقافة الآخر مما أغنى هذه المنطقة وجعلها مهدًا للكثير من الإنجازات التاريخية قبل أن يسيطر عليها التخلف ويسطو عليها المتخلفون فأدخلوها في عصر الانحطاط ولما تزال.

إزاء هذا الواقع، تزخر منطقتنا بالكثير من الإمكانيات لإعادة توظيف دور الدين في تلافي النزاعات السياسية إن لم يكن من وسيلة إلى حلها:

(١) لعلنا بحاجة إلي إعادة الاعتبار إلى السياسة وإبعادها عن الدين منعًا لاستغلاله ولكي يبقى له صفة الوصل بين المؤمنين، وبين المرء وخالقه. كما لعلنا بحاجة إلى إبعاد رجال الدين عن السياسة حتى لا يوقعوا في إتباعهم الاستبداد، وهو –أي الاستبداد الديني– أشد ظلمًا ووقعًا من الاستبداد السياسي، لأنه يربط التابع في الدنيا وفي الآخرة بينما الاستبداد السياسي يقتصر على الدنيا.

ليس الدين مسؤولاً عن التوتر في الشرق الأوسط، ولكن الدين يشكل عنصرًا مكونًا لهذا التوتر، وعلينا أن ننزع فتيله لكي يبقى في تألقه رابطًا روحيًا، ورجاله دعاة سلام، وأتباعه مواطنون صالحون.

إننا في لبنان خبرنا مسألة توظيف الدين في السياسة والانطلاق منه لتحقيق غايات بعيدة كل البعد عن روحية الأديان بدعوى حمايتها ونصرتها والحفاظ على مصالحها حتى ولو أدى ذلك إلى نزاعات دموية.

(٢) ولكنَّ الدين، من وجهة أخرى، يشكل حتمًا عامل لقاء ومصالحة. المسلمون والمسيحيون تجمع بينهم وحدة إيمان مؤسَّسة. ولابد من الإشارة في هذا السياق، إلى انطلاقة الحوار الإسلامي–المسيحي التي قامت على الوثائق التي أصدرها المجمع الفاتيكاني الثاني، والتي تحدثت عن المسلمين، وفيها دعوة لهم وللمسيحيين للعمل معًا من أجل السلام. وهكذا فإن المؤمنين يجب ألا يكتفوا بالدعاء لله تعالى فحسب بقدر ما يجب أن تتضافر جهودهم من أجل العمل معًا على الانتصار للقيم التي وضعتها الأديان والتي تهدف إلى تحقيق السلام بين بني البشر.

إن تلكؤ المؤمنين في الانتصار لهذه القيم والجهر بذلك يؤدي إلى إلقاء الشك على إيمانهم نفسه. وهذا على ما أعتقد هو أحد أسباب وصم المسلمين بالإرهابيين ونعت الدين الإسلامي بالدين الذي يحض على العنف. لقد استرعى انتباهي أنه منذ فترة قصيرة تمكنت أكثر من خمسة عشر جمعية إسلامية أمريكية من إصدار فتوى بشأن أحداث ١١ أيلول، أي بعد مضي ما يقارب الأربع سنوات الحافلة بالأحداث والتطورات، وهذه الفتوى ضد التطرف والإرهاب والانتحاريين. والسؤال المطروح هو: لماذا أخذ إصدار هذه الفتوى هذه المدة الطويلة؟ والجواب ليس سهلاً لأنه يتصل في بعض جوانبه بالعديد من المفاهيم التي تعتبر من المحرمات (Taboos). وأتساءل من موقع غير المطلع: ماذا كان رد المسلمين على الإرهاب الذي مورس في مدرسة بيسلان؟

كل عمل إرهابي هو حرام في الإسلام. هو محرم التنسيق والعمل مع أي عمل إرهابي أو عمل عنف. إنه من الواجب الشرعي والمدني على المسلم أن يسعى للتعاون في سبيل تطبيق القوانين التي تحمي حياة المدنيين.

وهنا يطرح السؤال الكبير الذي أدت حماقة القائمين في "الحرب على الإرهاب" به هو أنه لماذا حُرِمَ المسلمون وهم الأكثرية –بل إن " الإرهابيين" هم قلة قليلة بالنسبة لهذا العدد الهائل من المسلمين– لماذا حُرِمَ هؤلاء من إمكانية المشاركة في محاربة الإرهاب على اعتبار أن محاربة الإرهاب هي واجب شرعي على المسلمين؟!

من هنا نصل إلى النتيجة: يجب أن نوضح بعض النقاط المتصلة في الحوار الديني ومسألة تحديد دور الدين وتلافي النزاعات وبناء السلم على اعتبار أن هذا الحوار كفيل بمعالجة جذور التوترات الطائفية ومنع توظيف الاختلافات الدينية في الخلافات السياسية وصراعاتها في منطقة حافلة بالنزاعات كما نشاهد في مأساتيّ فلسطين والعراق، لكن أيضًا زاخرة بالإمكانيات البشرية القائمة على التنوع الديني والثقافي، وأيضًا الغنية بالموارد الطبيعية.

المسألة الأولى، وهي الأهم: الطوائف، وإن كان باستطاعتها أن تحقق السلام وتروج له، لكنها أيضًا تشير إلى اعتبارها كيانات متنوعة تفرق المواطنين فيما بينهم وتعطي لكل منهم أو لكل مجموعة صفة خاصة. إن روحانية الرسالة الدينية تقرب البشر فيما بينهم إلا أن النص يفرق بينهم بشكل مؤكد.

إن ما يجمع أبناء المنطقة العربية– والمسلمين والمسيحيين عمومًا– أكبر وأغنى مما يفرقهم، فهناك قيمًا وتجارب مشتركة وتطلعات واحدة، فلو قسنا فترات السلام والتآخي في تاريخهم المشترك، لاستنتجنا بأنها أعظم وأطول من فترات الفتنة والغلو والتطرف. كما إن بناء التاريخ المشترك المقبول من الجميع يسمح بنزع الذرائع التي أدت سابقًا إلى التناحر والتعارض وربما التقاتل. إن الكثير من التوترات والصراعات وحتى الحروب الأهلية يُرجع المغرضون أسبابها إلى الفروقات الدينية والطائفية والمذهبية.

إذا اكتسب الحوار بين أصحاب الديانات ميزة التعارف والتواصل واحترام الآخر، كما يجب أن يتسم بالعدل بين المتحاورين ليكون هذا الحوار صادقًا نزيهًا، عندها –وعندها فقط– يعطل الحوار فتيل كل النزاعات ويمنع حصولها أو يؤخرها على الأقل، وإن هي وقعت فيحد من أضرارها ومفاعيلها السلبية.

خبرة الحوار في لبنان:

لعلنا في لبنان تعلمنا أن لا بديل عن الحوار؛ لأن البديل مدمر ولا أحد يخرج منه منتصرًا. كما أننا نتطلع إليكم أيها الإخوة والأخوات، نتطلع إلى شعب مصر قبلة أنظار

عالمنا العربي، وأننا لعلى ثقة بأنكم ستدحرون المؤامرات وستنتصر قيم العدالة والحوار على ما عداها من مآسي التفرقة. فلكم في تجاربكم الغنية -ماضيًا وحاضرًا- ما يطمئن إلى المستقبل على أساس تغليب الحالة الوطنية على الحالة الطائفية الفئوية. كما أننا نتطلع إليكم باعتبار أنكم تخرجون من هذا الاستثناء على السياق التاريخي لعلاقتكم بعضكم ببعض، والذي كان دومًا نموذجًا ناجحًا في منطقة تغلي بالتناقضات والمؤامرات، من هنا إننا قلقون، وإننا بإذن الله منتصرون على المحنة.

وقد برزت الحاجة في لبنان إلى الحوار بعد انتهاء المحنة الوطنية الكبري عام ١٩٩٠. كما برزت الحاجة إلى هذا الحوار في منطقتنا العربية في الفترة عينها لما كان من أثر للحرب اللبنانية على المجتمعات العربية، وعندما بدأت مجموعتنا تتحدث عن الحوار فى تلك الفترة، كان السياسيون يهزأون لأن بعضهم كان مأخوذًا بشعور الغلبة ومسكونًا بشعور الاستقواء على الآخر. وهكذا فلقد كان البعض ممن كان يرفض الحوار بالأمس أصبح اليوم يقدمه على أنه الحل المثالي أو الوصفة السحرية لأي خلاف أو اختلاف أو سوء فهم أو نزاع وذلك دون أدنى تمحيص أو تدقيق في شروطه ومبناه كما في معناه. ليس الحوار مساومة وتسوية وتنازلاً لأن بعض السياسيين ينظر إلى الحياة والعلاقات الإنسانية والاجتماعية من منظور ميزان القوى. من هذا المنطلق، بقي الحوار والقائمون عليه في وادٍ والسياسة والسياسيين في وادٍ آخر؛ والوادي الآخر المقصود هو سياسة النبذ، وإلغاء الآخر، والسيطرة، والهيمنة، والإقصاء، وأحادية الرأي. وقد سعت اللجنة الوطنية الإسلامية-المسيحية إلى إطلاق الحوار الوطني، وهي اللجنة التي تأسست في القمة الروحية التي عقدت في "بكركي" إثر الاعتداءات الإسرائيلية في سنة ١٩٩٣، مستفيدة من صفتها التمثيلية للمرجعيات الروحية الإسلامية والمسيحية من جهة، ومن الحاجة الكبيرة التي ازدادت في العلاقات بين الطوائف اللبنانية لوجود مرجعية تُقرِّب وجهات النظر وتسعى إلى توحيد النظرة إلى القضايا الوطنية الكبرى.

كما قمنا بتأسيس الفريق العربي للحوار الإسلامي-المسيحي لمعالجة القضايا والأمور الناشئة عن العلاقات الإسلامية-المسيحية في المنطقة العربية. والمنطقة المقصودة هي: لبنان،

وسوريا، وفلسطين. والأردن، ومصر، والسودان، وبعض دول الخليج، حيث تتشكل المجتمعات من جماعات إثنية وثقافية ودينية مختلفة.

في هذا السياق، انطلق الحوار الإسلامي–المسيحي، وقد امتاز القائمون به بالشروط المبدئية للحوار من: الصدق، والنزاهة، والعدالة، والسعي إلى التعرف والتعارف المتبادل كمقدمة للتفاهم والفهم المتبادل؛ وذلك لبناء التعاون عبر معايير الحقيقة والحرية والعدالة المقبولة دينيًا وأخلاقيًا لدى كل الشعوب والحضارات.

في سجل إنجازات هاتين المجموعتين تم عمل كبير في توسيع دائرة المهتمين بغية ترويج ثقافة الحوار بعد أن أمعنت الحرب اللبنانية في هتكه ووأده. ولعل من أهمها الندوات والمحاضرات التي تناولت الموضوعات "الحامية" في العلاقات الإسلامية–المسيحية والتي قام بها الفريق العربي عن التوترات الدينية، وحالات العيش المشترك، والأصولية، والتحديات التي تواجه المسيحيين والمسلمين، والإصلاح والديمقراطية، وسوى ذلك من الموضوعات. وبالإضافة لذلك تم وضع ميثاق إسلامي–مسيحي للحياة الواحدة رسَّم إشكاليات العلاقات الإسلامية–المسيحية على مستوى الوطن العربي مؤكدًا على جملة أمور توصل إليها واضعو هذا الميثاق نتيجة الأبحاث واللقاءات والمناقشات التي لم تخل أحيانًا من الحدة، ومنها:

- أنَّ المسلمين والمسيحيين لديهم إيمان ثابت بالعيش الواحد في مجتمع تسوده الحرية والتكافؤ والمساواة في حقوق المواطنة.
- أنَّ المسلمين والمسيحيين مدركون وجوب تحالف أهل الإيمان الواجب الذي يمليه عليهم اعتقادهم الديني نحو وطنهم العربي، وبالإسهام في تعزيز الوحدة الوطنية وتقوية الشعور بالانتماء إلى وطن واحد يتسع لأبنائه جميعًا على اختلاف ولاءاهم الدينية، ويتجاوز بهم العصبية الطائفية والعرقية.
- أنَّ العمل من أجل توطيد العيش الواحد ضرورة تمليها الهموم والأهداف الوطنية والاجتماعية الواحدة والسياق التاريخي والحضاري الواحد ووحدة المصير.

- أنَّ تعزيز الوحدة الوطنية في وجه التدخلات الخارجية ومشاريع الهيمنة على الوطن العربي همٌّ مشترك، يجتمع حوله المسلمون والمسيحيون.
- أنَّ الحوار بين المسلمين والمسيحيين يجب أن يؤسَّس على معالجة جذور التوترات الدينية والطائفية وأسبابها، والكثير منها يقع في الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية السائدة التي تسهم في إنتاج مناخ من الاحتقان العام.
- أنَّ المسلمين والمسيحيين يسعون إلى دفع الالتباس بين التدين الصحيح والغلو المذموم الذي يؤدي إلى العنف والتطرف.

ويؤسفني القول إن تجربة اللجنة الوطنية الإسلامية-المسيحية للحوار لم تكن على مستوى التوقعات التي عوَّل عليها مؤسسوها مشيرًا، في هذا السياق، وعلى وجه أخص، إلى رغبة غبطة البطريرك "مار نصر الله بطرس صفير" -أطال الله بعمره- والمرحوم الإمام "محمد مهدي شمس الدين" -رحمه الله.

لقد قيل في تقصير اللجنة أن حركتها مرتبطة بحركة المرجعيات التي تمثلها؛ فإذا كانت هذه المرجعيات -إزاء هذا الواقع السياسي الضاغط- عاجزة عن القيام ببعض المبادرات فكيف للجنة أن تتمكن من القيام بهذه المبادرات؟ كما قيل في هذا التقصير إن العمل المنتظر كبير وأن إمكانيات اللجنة ضعيفة؛ فهي مؤلفة من سبعة ممثلين للمرجعيات الدينية الإسلامية والمسيحية لكل منهم عمله وارتباطاته.

على أن عمل اللجنة الذي اقتصر في فترة من الفترات على أداء دور "الإطفائي" على ما يردد بعض أعضاء اللجنة أحيانًا، إلا أن هذا لا ينفي إطلاقًا المساهمات الجدية التي يقوم بها بعض أعضائها بصفاتهم الشخصية والتي تشكل جهدًا مشكورًا للتقريب ومحاولة توحيد الخطاب الوطني لبعض المرجعيات الدينية التي يجمعها سلم القيم المشتركة والتي في أساسها الإيمان الديني والسعي نحو السِلم الأهلي. وليس من قبيل التكرار أنه إبان الحرب اللبنانية لم يكن الدين سببًا للتفرقة والتقاتل إذ لم يطرح أي موضوع ذي بعد ديني خلال فترة الحرب،

إنما كان هناك استغلال للدين في السياسة وهو الأمر الذي يؤدي إلى تعميق الخلافات بين اللبنانيين.

لقد وعى البعض أهمية توسيع نطاق الحوار بين القوى السياسية اللبنانية والتأسيس لمساحة آمنة مشتركة يجتمع في ظلها ممثلون عن هذه القوى للتحاور في القضايا الوطنية التي تؤسس لقيام دولة تجمع في أطيافها جميع اللبنانيين. وقد نجحت فئة من العاملين في الحوار في استجماع مجموعة من المثقفين والعاملين في الشأن العام الذين ينتمون إلى فئات سياسية متعددة، وأنشأوا ما سُمي لاحقًا بـ"اللقاء اللبناني للحوار" الذي يسَّر تأسيسه وانطلاقته الوزير الحالي الأستاذ الدكتور/ طارق متري بصفته مسؤول العلاقات العامة الإسلامية-المسيحية في مجلس الكنائس العالمي، والقس الدكتور/ رياض جرجور الأمين العام الحالي للفريق العربي للحوار الإسلامي-المسيحي والذي كان آنذاك الأمين العام لمجلس كنائس الشرق الأوسط، حيث تمكن المجتمعون من عقد الحلقة الأولى في مدينة مونترو في سويسرا. لقد تابع اللقاء اجتماعاته بعد أن وضع وثيقة تأسيسية جاءت نتيجة نقاش معمق، لم يخلُ أحيانًا كثيرة من الحدة، إلا أن كسر الجليد قد تم، وتلاقى المجتمعون على جملة قضايا وأمور وطنية شكلت جامعًا مشتركًا لهم للانطلاق، وحددوا في نتيجة مناقشاتهم القضايا الخلافية التي شكلت أجندة الحوار فيما بينهم.

إننا نستطيع أن نقول بعد مضي حوالي ثلاث سنوات لانطلاقه بأنه أسس لإطار وطني جامع ومساحة مشتركة آمنة يستطيع -من خلالها وعبرها- كل فريق أن يطرح هواجسه ومخاوفه وأن يبحث مع شركائه في إزالة هذه الهواجس والمخاوف. وإننا ندعو من على هذا المنبر، وتعميمًا لفوائد هذا الجهد، إلى تجميع أعمال اللقاء والاتفاق على طباعتها وتوثيقها وتوزيعها لأنها تشكل محاولة جدية جديدة لتطوير الحوار الوطني في لبنان.

أيها الإخوة والأخوات،

إن تعميم ثقافة الحوار يقتضي التأصيل الكلامي والفقهي؛ أي العودة إلى الجذور الدينية والفلسفية في الإسلام والمسيحية كما في الفكر الإنساني عمومًا. ليس الحوار فولكلورًا ولا مواقف إعلامية ولا حاجات شخصية، إنه عمل ودأب وسعي. إنه يفترض

التفكير النقدي والاستغراق الذاتي بحثًا عن الحقيقة، وهذا يفترض أيضًا وجود حس العدالة، فليس المهم أن نفهم بعضنا بعضًا فقط، بل أن نفهم أيضًا الآخر كما هو وكما يريد ويقصد ويرغب أن يكون.

ولعل ما أفسد الحوار في لبنان هو كثرة حديث أهل السياسة عنه في منابر السياسة والإعلام. وليس صحيحًا أن البرامج التي يسهر عليها معظم اللبنانيين في محطات التلفزيون المختلفة تسعى إلى الحوار، بل هي تسعى إلى المبالغة والنجومية وأبعد ما يكون عن التحقق والتفكير بجدية ومسؤولية. وهذا ما يدفعنا إلى التنبيه على عدم الاعتماد على ما يجري في الإعلام من مماحكات وسجالات و"خناقات" واستعاضة عن الحوار بهذه البرامج "المسلية"، فالحوار يتعدى مجرد التبادل الكلامي اللفظي.

من هذا المنطلق، فإننا ندعو إلى إعادة الاعتبار للحوار وإعادة فهمه وتحديد مقاصده ومعاييره ومبادئه للتأسيس لحوار جاد. ولعل المجالس النيابية هي الإطار الجامع للحوار الوطني ونرى مع الأسف أنها لا تقوم بهذه المهمة.

نحن مدعوون اليوم وكل يوم إلى التمسك بالحوار ضمن أخلاقيات الإنسانية المناقضة للنبذ والإلغاء والاستقواء والغلبة، فذلك لا بديل عنه. وقد جرَّب العرب –ومنهم اللبنانيون– البدائل فكانت ويلات الحرب ومآسيها، ولعلنا نستفيد من تجربة الماضي المريرة لنؤسس لمستقبل هادئ ننعم به.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة القس الدكتور/ رياض جرجور :***

في الواقع، إنني لا أريد أن أقدم محاضرة، بل أريد أن أتحدث أكثر عن دور الفريق العربي للحوار الإسلامي–المسيحي وما يقوم به. وكما سمعنا من الزميل سعادة المستشار/ عباس الحلبي أن أهل لبنان حين أرادوا أن يلتقوا بمختلف فرقهم وطوائفهم ومذاهبهم وانتماءاتهم السياسية، عُقد اللقاء في مونترو في سويسرا. تصوروا أننا لم نستطع أن نجد مكان في لبنان –حيث المشكلة والنزاع– لكي نلتقي فيه ونتحاور، فذهبنا إلى خارج لبنان، هذه مشكلة أساسية وعصيبة. إن بعض الفرقاء لم يكن باستطاعتهم أن يتواجدوا في مكان واحد في لبنان لفض النزاع القائم. لقد كان الفريق العربي للحوار الإسلامي–المسيحي ينوي عقد لقاء في هذه الفترة، وذلك حول بعض الأحداث والتطورات التي حدثت.

وأذكر ذلك لأنني أريد أن أقول إننا لسنا فريقًا يُنظِّر فقط وإنما فريق يود الدخول في طلب القضايا التي تواجهنا في موضوع العيش المشترك والتعاون ما بين المسلمين والمسيحيين. وكان هدف اللقاء –والذي جاء في أعقاب ما حدث في الإسكندرية على سبيل المثال– هو أن نعالج هذا الوضع؛ أي نعالجه بطريقة توصلنا إلى كيفية تحاشي ما حدث في المستقبل، ووضع أسس لعلاقات صحيحة وصحية مبنية على التفاهم وعلى احترام كل منا للآخر. وكان من المفروض أن يخرج هذا اللقاء بوثيقة عن الاحترام المتبادل لكي نتفادى ما حدث. لكن نتيجة لبعض التوترات، رأى الفريق أن يؤجل عقد هذا اللقاء، وأن يقوم ببعض المبادرات الشخصية على مستوى لقاءات ومجموعات تُحضِّر إلى لقاء يعقد فيما بعد في الربع الأول من العام القادم (٢٠٠٦) إن شاء الله.

هذا يعني أننا كفريق ندخل في هذه القضايا لأنه يهمنا جدًا أن نرى أنه ليس هناك فقط عيش مشترك بين المسلمين والمسيحيين في هذا الوطن العربي، وإنما هناك عيش واحد. ولهذا خرج الفريق بما أسماه "الحوار والعيش الواحد –ميثاق عربي إسلامي مسيحي"، وجاء

*** الأمين العام للفريق العربي للحوار الإسلامي–المسيحي، والأمين العام الأسبق لمجلس كنائس الشرق الأوسط.

– نص تفريغ الكلمة بعد تحريرها.

هذا الميثاق بعد خمس سنوات من عمل الفريق. وكان آخر لقاء قبل أن نوافق على هذا الميثاق، لقاءً حول العيش المشترك والتوترات الدينية في الشرق الأوسط، وعالجنا حينها حالة لبنان ومصر والسودان.

ومن دون شك، إذا استرجعنا اليوم ما نقرأ في الصحف والمجلات، وما نسمع ونشاهد من محطات الإذاعة والتليفزيون، وما نعرف مما لا يكتب أو يذاع، سنلاحظ ذلك التناقض الصارخ بين ما نصبو إليه في هذا الوقت بالذات من تواصل وتعارف وتوافق وتوق للعيش الواحد، وما نعيشه فعلاً في عدد من بلداننا العربية من حروب ونزاعات وانقسامات وتوترات. وإذا أمعنا النظر في كثير من هذه النزاعات نجد أنها تتأسس بالفعل على اختلافات دينية وعرقية. ومن جهة ثانية، نجد أنها تُفتَعل وتُدار من جهات غربية، وللأسف تجد أرضًا خصبة مهيئة نوعًا ما لاحتضان تلك النزاعات. ومن جهة ثالثة، يأبى الدين –أي دين– إضفاء شرعية على مثل هذه التصرفات، ولكن يبقى السؤال الذي ما برح يقض مضاجعنا وهو همنا في الفريق العربي: ما السبيل ليس فقط لإدانة هذا العنف غير المبرر وشجبه، بل ما السبيل لإيقافه؟ وما السبيل لإرساء الأسس الكفيلة بتحصين تلك المجتمعات وعلى مختلف المستويات حتى لا تقع في حبائل المشبوهين والمغرضين، وحتى لا تتكرر التجارب المريرة التي مرت بها؟ وأن نحاول أن يكون للحوار دورًا يساهم في إيقاف تلك النزاعات حين تحدث، وأن نتحاشى الوقوع في مطبات الحوار الديني والتباساته.

يجب ألا نخشى على الأديان، وألا نخشى من الأديان، لكن ربما يكون علينا أن نخشى ممن يستخدمون الأديان وقودًا في إزكاء الصراعات السياسية والاقتصادية. لذلك على المؤمنين أن يحرصوا على أن تقدّم الأديان بدور أنسنة الإنسانات (الإنسان الفرد والجماعة)، وبإشاعة قيم السلام والمحبة والعدل والمساواة، أن يحصنوا المؤمنين بالله كي يبقى الدين واثقاً بنفسه دون انتصارية، ومتواضعًا دون انكسار، وشجاعًا دون تهور. وهذا يتحقق إذا ما كان هناك نقد ذاتيّ لتصرفاتنا وردَّات أفعالنا المنسوبة إلى التدين.

ولكي يكون الحوار الديني –وأركز هنا على الحوار الإسلامي المسيحي– فعَّالاً في إزالة التوترات والنزاعات الدينية والطائفية والمذهبية، عليه أن يزيل من طريقه الأسباب التي تقوده إلى مآزق، ومن تلك الأسباب السلبية:

أولاً: حصر الحوار في قمة الهرم المجتمعي وعدم انتقاله إلى قواعده الشعبية، والتي لا تعرف حاليًا شيئًا عن الحوار الإسلامي–المسيحي.

ثانيًا: جعل الحوار يقتصر أحيانًا على صيغة التعايش ولا يتعداها إلى مسألة العيش الواحد أو المشترك.

ثالثًا: تركيز الحوار على حل الخلافات العقائدية، والأهم الوصول إلى اتفاق حول الجوامع المشتركة التي تُسهِّل العمل على المستوى الحياتيّ المعاش.

وأعتقد أنه في عالمنا العربي اليوم، علينا أن نتحاشى المسببات التي تقود الحوار إلى مأزق، أو نتحاشى أن تقع الصيغ الحوارية في ثلاثة انحرافات أساسية:

الانحراف الأول: يمكن تسميته (جهل الآخر)، فالآخر في حالة كهذه هو عدو القوم، فقد قيل الإنسان عدو ما يجهل. وأنا لا أريد هنا أن أذكر بعض الحالات في العالم العربي، لكن هناك بعض الأشياء التي تقود إلى توتر ديني وخلافات سببها الرئيس هو الجهل بالآخر.

الانحراف الثاني: يمكن تسميته "تشويه صورة الآخر" لأن الجهل يحمل المرء إلى أن يصدق كل ما يقال عن ما يجهل.

الانحراف الثالث: فدعوني أسميه "الخوف من الآخر" وهذا ينطبق على حالة معاشة مؤخرًا في مصر وفي العالم العربي، وقد يكون الخوف في أكثر الأحيان أشد خطورة من التهور؛ لأنه يؤدي إلى ردود فعل سلبية كالانعزال والانغلاق والامتناع عن المشاركة... وهكذا.

وقد عقد فريق الحوار العربي الإسلامي-المسيحي لقاءين عايش فيهما موضوع التوترات الدينية في الشرق الأوسط. وفي هذا الإطار، كان عندنا التجربة التي قمنا فيها بدراسة حالات لبلداننا العربية، وقد أتينا أيضًا بتجارب من أندونيسيا وباكستان وافريقيا والبوسنة والهرسك، ورأينا كيف كانت مؤلمة هذه التجارب في تلك البلدان، وبحثنا عن أسباب هذه الأحداث، وأعتقد أن تقصيرنا كفريق عربي في هذا المجال أننا لم نضع ما درسناه وخبرناه من هذه التجارب لشعوبنا بطريقة إعلامية أفضل، ونحن نلام بسبب هذا التقصير الإعلامي.

أما عن التجارب التي أتينا بها من أفريقيا ومن آسيا ومن أوروبا، فقد جعلتنا نؤمن بضرورة أن نتفادى تكرار ما حدث في هذه المناطق في وطننا العربي، لكننا لم نعمم ذلك في وطننا العربي، ولكننا عممناه فقط عندما ذهبنا إلى السودان، حيث كان للفريق العربي للحوار الإسلامي-والمسيحي تجربة ناجحة جدًا هناك، حيث زار السودان أكثر من مرة وعقد لقاء وطنيًا كبيرًا جمع المسلمين والمسيحيين. ولفترة من الوقت لم يكن لدى المسيحيين في السودان ثقة فينا؛ لأنه يطلق علينا "الفريق العربي" وبمفهومهم أنه فريق مسلم لا يضم مسيحيين، وعندما صار البعض منهم أعضاءً معنا بالفريق واختبروا ما خبرناه من اللقاءات التي ذكرها، صاروا هم من يبادرون بتوجيه الدعوة إلينا حتى نساعدهم على حل الأزمة لديهم، وبالطبع كان لدينا أكثر من دور، ولكنني لا أريد أن أخوض في التفاصيل.

وفي اللقاء الكبير الذي تم، والذي توجهنا له وساعدنا فيه، تم البحث بعمق عن المشاكل الفعلية التي تواجههم كمسلمين وكمسيحيين، لكنها بالفعل كانت تواجه المسيحيين بشكل أكبر، وتم في اللقاء الذي حضره ثلاثة وزراء (وزير الأوقاف، ووزير الداخلية، والوزير المسئول عن تطبيق الشريعة الإسلامية) عرض أهم المشاكل التي يواجهها المسيحيون من جانبهم، وتم ذكر كثير من الأحداث بالتفاصيل إلى الوزراء، وهذا ما دفع الوزراء ومن معهم إلى التفكير جديًا للوصول إلى حلول لهذه المشكلات. وبناء على ذلك، تم عقد لقاء فيما بعد مع نائب رئيس الجمهورية وتوصلنا إلى توافق حول كيفية حل الأزمة، وأيضًا تم

عقد لقاء من الشخص المسئول عن تطبيق الشريعة الإسلامية، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يلتقي فيها مسيحيون به، وقد طلب هو تكرار هذه الزيارات حتى يصلوا إلى حل. وهذه النوعية من اللقاءات والحوارات وجهًا لوجه والتي تتسم بالصراحة التامة تؤدي -في رأيي- إلى نتائج إيجابية.

حاول الفريق العربي أيضًا أن يساعد في موضوع العراق، لكن هذا الموضوع للأسف متشعب وصعب جدًا، لكن هذا لا يعني أنه ليس لدينا دور، فنحن نحاول أن نقوم بدور، ودورنا هنا مختلف ليس فقط دورًا في مجال الحوار الإسلامي-المسيحي بقدر ما هو دور في مجال الحوار الإسلامي-الإسلامي المذهبي، أي ما بين السنة والشيعة، حتى لا يستمر ما هو حاصل الآن من أحداث مرعبة جدًا.

ونحن كفريق امتد عملنا إلى خارج الإطار المحلي والوطني والإقليمي إلى موضوع الحوار مع الغرب، وبشكل خاصة مع أوروبا ومع الولايات المتحدة. وفي هذا المجال، كان للفريق العربي دور كبير في صياغة ورقة مشتركة حول "التبادل بين الإسلام والمسيحية"، وتقدم المستشار الحلبي بورقة قدمها لنا فريق خاص من أوروبا حول التبادل ما بين المسلمين والمسيحيين في أوروبا، وأبدينا رأينا حول دور الفريق في هذا الموضوع، وأجرينا تعديلات على تلك الورقة التي اعتبرت وثيقة أوروبية للمسيحيين والمسلمين.

وكان لنا أيضًا دور مهم في موضوع ما بعد أحداث ١١ سبتمبر، حيث توجهنا إلى أمريكا، وكنا حوالي من ٨ إلى ١٠ أشخاص ومعنا القاضي/ عباس الحلبي والدكتورة/ نادية مصطفى، وذهبنا إلى ست ولايات أمريكية، وتحدثنا فيها عن الإسلام والمسيحية، لكن بشكل خاص حاولنا أن نصحح صورة الإسلام هناك والتي شُوِّهت بعد أحداث ١١ سبتمبر بطريقة مرعبة. فعلى سبيل المثال، ذهبت أنا والقاضي/ عباس الحلبي والدكتور/ محمد السماك إلى المجموعات اليمينية المتطرفة، وكانت هي المرة الأولى التي يلتقون فيها بوفد يضم مسلمين ومسيحيين معًا، وأبدوا دهشتهم مما سمعوه منا عن الإسلام وعن العيش الإسلامي-المسيحي في الشرق الأوسط. وفي وقت من الأوقات، كنا في معهد يميني متطرف وهو معهد "فولر"،

وكان هناك لقاء حضره عدد كبير من أعضاء الجالية المصرية بكاليفورنيا، وفي ذلك الوقت تم توجيه تساؤل لنا حول كيف أننا نتحدث عن الإسلام بهذه الطريقة في الوقت الذي يأمر فيه القرآن المسلمين بقتل النصارى أينما وجدوهم. وبالطبع كان هناك رد من محمد السماك وعباس الحلبي، لكن المصريين المسلمين طلبوا مني كمسيحي عربي أن أعطي رأيي. وأعتقد أنه يلزمنا عقد لقاءات أكثر وأن يكون هناك تبادل للزيارات، لأن الإعلام بالفعل يشوه صورة الإسلام، وهذا يتطلب منا جهدًا أكبر.

وفي نهاية حديثي، أقول إنه مما لا شك فيه أن دورًا كبيرًا ملقى علينا، فالفريق العربي هو فريق صغير، ولديه انطلاقة جديدة، فهو يمر بمرحلة تجدد، وأتمنى أن تكون مرحلة نقد ذاتي حتى يكون بمقدوره أن يعالج كثير من التوترات الحاصلة الآن. لكن يلزمنا أكثر من فريق؛ فيلزمنا في كل دولة وفي كل مدينة وفي كل قرية أن يكون هناك دومًا فريق صغير يعمل على إيقاف النزاعات. وأخشى ما أخشاه أن تُستخدم الأديان والطوائف لإزالة صيغة الدولة الموحدة والأمة الموحدة واستبدالها بكيانات طائفية ومذهبية، وفي هذا الموضوع للأسف يتم تفتيت الانتماء من المواطنة الواحدة لبناء انتماءات وولاءات طائفية ومذهبية، وهذا ما يحدث الآن في العراق، وهو شيء مؤسف جدًا. وخشينا أن يحدث ذلك في السودان بعد وفاة "جون جارنج"، وهذا ما نخشى أيضًا أن يحدث في سائر بلدان المنطقة متعددة الأديان والطوائف تحت شكل فيدراليات تؤدي إلى وجود أوطان مبنية على الانتماء الطائفي أو العرقي. إن ما نخشى وقوعه يجب ألا يؤدي بنا إلى إحباط أو يأس، إنما –على العكس– لابد أن يحفزنا على جعل التعددية الدينية والطائفية غنى وثراء لوحدة ضمن التنوع.

وفي لقاء التوترات الدينية في الشرق الأوسط، قال الدكتور هشام الشامي (رئيس جمعية المقاصد والأستاذ بجامعة القديس يوسف) حول موضوع العيش المشترك: إن علينا أن نلتزم بعدة أمور، أذكر منها الآتي:–

أولاً: مقاطعة كل دعوة للعداوة أو للكراهية أو التقبيح أو التجريح بشكل مباشر أو غير مباشر فيما بين المسلمين والمسيحيين.

ثانيًا: تحريم تبادل الاتهامات -فضلاً عن الشتائم- فيما بين المسلمين والمسيحيين.

ثالثًا: نبذ النفاق (والذي هو التظاهر بشيء وإظهار عكسه) في التعامل وفي المواقف بين المسلمين والمسيحيين.

رابعًا: التعهد فيما بين المسلمين والمسيحيين بعدم التبشير.

وخامسًا: دعوة المفكرين المسلمين والمفكرين المسيحيين إلى الكتابة والإعلام بشتى الوسائل عما يعجبهم في دين الآخر وليس عن العكس.

ولا يمكن أن تتحقق الوحدة المؤسسة عن إزالة التوترات والنزاعات الدينية إلا باعتماد المبدأ التالي: "الدين لمن اعتنق الدين، والوطن للجميع، والناس متساوون في الإنسانية وفي المواطنة".

وشكرًا لكم جميعًا.

المناقشات

أ.د. أحمد شوق الحفني (أمين مساعد جمعية الدعوة الإسلامية العالمية) :

لقد لمس القاضي/ عباس الحلبي ود/ رياض جرجور القصور الإعلامي في عمل هذا الفريق، لأنه يمتلك الكثير من الخبرات، ولو أنها عُممت إعلاميًا لكان هناك فائدة عظيمة من تراكم تلك الخبرات، لأنني أعتقد أنها من أنشط الجماعات التي تقوم بالحوار على مستوى الوطن العربي.

ومن خلال متابعتي للحوارات على مدى سنوات طويلة، سواء على المستوى العربي–العربي، أو على المستوى العربي–الغربي، لي بعض من الملاحظات:

الملاحظة الأولى: يأتي المحاورون أثناء الدعوة بفكر جيد، وبمجرد جلوسهم على الطاولة نجد هناك انحياز من كل فريق إلى الإيديولوجية أو الدين. وتنقلب المسألة إلى حوار بين "مبشرين" و"دعاة"، وهذه مشكلة. وكما تفضل الأخوة يجب أن يكون الحوار حول المشترك الإنساني الذي يتعايش فيه الفريقين في تماس وليس في خطوط متقاطعة، وذلك لوجود عامل مشترك وهو المصلحة العامة التي تنعكس على أوطاننا العربية، وعلى الديانتين معًا إذا ما حدث اختراق لعالمنا العربي.

الملاحظة الثانية: وهي تخص الديانات في حد ذاتها، فأي دين سماوي ليس لديه مشكلة إطلاقًا في التعايش السلمي مع كل أفراد العالم، ولكن المشكلة دائمًا في متبعي الديانات؛ فهم كيف يفهمون النصوص؟ وكيف يؤولونها؟ وكيف يطبقون الفهم؟ أما الديانات في حد ذاتها، فلا يوجد فيها ما يحلل قتل إنسان أو التعدي على عرضه أو ماله.

الملاحظة الثالثة: أن السياسة عندما تدخل في الدين فإنها تفسده، على عكس ما يقوم به الدين من إصلاح للسياسة لأنه يتعامل بقيم سامية وقيم عليا التي هي أصول وجوهر الأديان. ولكن تسييس الدين هو الذي جعل تأويل النصوص لصالح السياسة، ونحن نعلم ما هي السياسات المتبعة.

الإشكالية الحالية الشديدة هي محاولة سيطرة حضارة واحدة على الحضارة العالمية، في حضارة الغائية، ونمط الحياة الطبيعي الذي يرتضيه البشر هو وجود حضارة عالمية تتلاقى فيها مجموعة الحضارات، وتتلون بألوانها. والتكنولوجيا كلما مرت السنوات تُقـرِّب هـذه الحضارات من بعضها البعض لزيادة التفاعل الحضاري مـع الاحتفـاظ بالخـصوصيات أو الثوابت التي تمنع الصراعات.

وفي عالمنا العربي، وكنتيجة للغلو في الدين، حدثت احتكاكات خطيرة بين الطرفين وفهم خاطئ لبعضهما البعض. ولكن هناك مشكلة أساسية أيضًا، وهي أن المرجعيات الدينية الكبرى فقدت دورها أو ضَعُف دورها، وسأعطي مثالاً من مصر وهو يتعلق بدور "الأزهـر الشريف"، فقد كان الأزهر يعتبر منبر الوسطية والاعتدال في الإسلام، وعندما تقلص هـذا الدور، وظهرت أدوار أخرى كثيرة وساعدت الفضائيات على انتشارها وأصـبح ينطبـق عليها قول "كلٌ يغني على ليلاه". من هنا ساعد هذا الوضع الداخلي، المفكـك والطـائفي والعنصري والديني، الخارج على أن يدخل من هذه الثغرات. وأصبح اختراق الداخل أمرًا سهلاً، وأصبح ذلك مصدرًا للاسترزاق من كلا الطرفين الإسلامي والمسيحي، فهناك بعض المرتزقة الذين يستفيدون من تأجيج الخلاف وتوسيع الهوة بين الطرفين.

وحول التساؤل عن السبيل لإدانة هذا العنف ولإيقافه، وتحصين مجتمعاتنـا ضـد المتطرفين والمتعصبين، أرى أن الانهيار سهل والبناء صعب، ولكنه ليس مستحيلاً، بل هـو ممكن إذا جهزنا أنفسنا ورتَّبنا أفكارنا ووعينا. الآن المسألة تستحق أن نحافظ علـى وطننـا العربي، وأعطينا لهذا الموضوع الأولوية والأسبقية، كي لا نعطي للغرب ما يريده من تقسيمنا حتى يسهل عليه اختراقنا. ولا بد من وجود مرجعيات محترمة -عند الطرفين- تحـاول أن تكون مرجعيات فكرية وأن تقوي هذه المرجعيات حتى لا تتناظر المرجعيات، ويصبح كـل مفتي تليفزيوني هو مرجعية، وهذا ينطبق على الوضع داخل الدين الواحد بـين المـذاهب المختلفة، وعلى هذه المرجعيات المحترمة التقريب بين وجهات النظر لأن التأثير في العامة يأتي من خلال المساجد والكنائس بالأساس. وشكرًا.

أ.د. زينب الخضيري (رئيس قسم الفلسفة سابقًا بكلية الآداب – جامعة القاهرة) :

لفت نظري في الكلمتين أن المستشار الحلبي حاول أن يثير المشكلة وأن يثير الحل، وقدم لنا التجارب، والتي توسع فيها د.رياض جرجور مقدمًا التجارب الناجحة في هذه المجال. وفي صياغته للمشكلة، استخدم المستشار الحلبي جملة كنا نستخدمها في وصف السياسة الإنجليزية: وهي أن "الدين يفرق"، وقد كنا نقول إن التفرقة تحقق السيادة للطرف الآخر "فرق تسد". والمشكلة هنا أن الدين أصبح يفرق، وعندما وضع المستشار الحلبي الحل كان هو تغليب الحالة الوطنية على الحالة الطائفية، لكن الخوف من هذا أن ينتهي الأمر بصدام بين الوطنيات والقوميات وينتهي الأمر في النهاية إلى صدام الحضارات، وهو الآفة التي أبتلينا بها. والوسيلة هنا –كما قال– هي الحوار الذي يقتضى التأصيل الكلامي والفقهي.

وهنا أتوقف عند هذه النقطة المهمة جدًا والتي ربما لم تأخذ حقها من الاستفاضة وهي أهمية المعرفة؛ المعرفة بالذات والمعرفة بالآخر، فالعالم كله يعيش في حالة جهل كبيرة. وعلى رأس هذا العالم –وأكبر جاهل فيه– هو صاحب أكبر سلطة فيه..! فعندما ننظر إلى الكتب التي تصدر عندهم والتي تتحدث عن نهاية الإنسان وصدام الحضارات، نجدها كتب تافهة وسطحية وينقصها تمامًا الأساس الفلسفي والمعرفي. ونحن الآن بحاجة إلى علماء بالمعنى الدقيق للكلمة؛ علماء يعرفون الذات ويعرفون الطرف الآخر، وهؤلاء لابد وأن يكونوا ممن يقوم بالحوار، وليس بعض المفكرين الذين أصبح همهم وشغلهم الأساسي هو تحقيق المنافع الشخصية وتحقيق النجومية.

أذكر هنا تجربة قام بها بشكل تلقائي مجمرعة من كبار المفكرين والفلاسفة والعلماء من مختلفي الانتماءات (أحدهم مسيحي والآخر يهودي والثالث مسيحي ذو هوى صوفي إسلامي) وكانوا يلتقون بشكل دوري على الحدود الفرنسية/السويسرية، وهذا الأخير كان له موقف أساسي عند دراسة تراثنا، فهو كان يعتبر نفسه ضيفًا على هذا التراث، فهو يختلف عن فريق من العلماء المستشرقين الذين تعاملوا مع التراث بطريقة مختلفة، ولذلك فهو نجح لأن الضيف يكون ممتنًا من مستضيفه. وكان ذلك هو المفكر "ماسيون" الذي يأتِ على رأس المدشنين للحوار، وقد تحمل العبء بعده تلامذته، وأنا سأذكر منهم الأب "جورج قنواتي"

المصري الذي لعب دورًا خطيرًا في تزكية الحوار وإطلاقه، وربما بفضله كان هناك فريق مصطفى عبد الرازق ومدرسته المصرية، هذا الفريق الذي تبنى كل المشروع الإصلاحي لمحمد عبده، والذي كان إصلاحًا دينيًا بالأساس، والحل الوحيد لإصلاح الشرق الأوسط هو الإصلاح الديني، والإصلاح الذي يقوم على الأساس المعرفي والمعرفة الدقيقة، والعلماء عليهم دور كبير للعمل بجد وإخلاص أو ينذرون أنفسهم لهذه المهمة العاجلة، وعليهم أن يُعرِّفوا الغرب بنا، وأن يعرفونا بأنفسنا. وبالمناسبة ففي وقت من الأوقات كان هناك أمير لجماعة في إمبابة ولا يعرف قراءة الفاتحة !! بينما الإسلام كما كان يفهمه محمد عبده ومصطفى عبد الرازق هو الإسلام الذي يقوم على أساس معرفي.

نقطة أخيرة، لقد اشتريت ذات مرة كتابًا من فرنسا عن الإسلام، وهو ضمن سلسلة تقدم أسئلة وإجابات لبعض الإشكاليات للموضوع الذي يتم طرحه، من قبيل "هل الجهاد هو حرب؟"، "هل الغزوات كانت فتح؟"، "ماذا عن تعدد الزوجات؟". والإجابات كانت خطيرة جدًا، لأن الأسئلة كانت مطروحة من عقلية غربية، وهي التي علينا أن نقنعها، ولكن في نفس الوقت الإجابات كانت رائعة جدًا. وقد فكرت أن نترجمها من أجلنا نحن المسلمين، هذه المعرفة الدقيقة يمكن أن نستعيرها من الغرب، فالحل يكمن في المعرفة المتبادلة، والتي أساسها الاحترام، وعندما يحدث ذلك يصبح الحوار ممكنًا.

أ. باسم سمير:

هناك أسئلة كثيرة طُرحت في كلمتي المستشار الحلبي ود. رياض، وأولها: هل يُشكل الدين عنصر انقسام؟ صحيح أنه يجب التأكيد على وجود خلاف بين الإسلام والمسيحية واليهودية، ولكن الحوار يجب أن يكون حول الأشياء المشتركة، فالمشكلة في كل من مصر ولبنان تمثل "بركان". ففي لبنان هناك اغتيال الحريري وتلاه اغتيالات أخرى. وفي مصر كان الفارق بين كل أزمة طائفية وأخرى يحسب بالسنين، أما الآن فأصبح شهورًا قليلة. وذلك ينطبق عليه فكرة البركان الخامد الذي بدأ يثور وأصبح من المتوقع أن يثور مرة أخرى في أي وقت. ويجب التعامل مع هذا الوضع على هذا الأساس. فهناك مشكلة، والمشكلة بحاجة إلى حل، وقد ظهرت توابع لهذه المشكلة، ويجب العمل على علاجها.

كما قالت د. زينب، فإن دور المفكرين والعلماء هام جدًا، أو فكرة الهرم المجتمعي الذي يتدرج من أعلى إلى أسفل من القادة إلى العلماء والمفكرين إلى العامة. والقيادة قد تكون سياسية أو دينية، والمشكلة عندنا في القيادة الدينية –سواء كانت إسلامية أو مسيحية– أن أحدهم يعيش كموظف حكومي. ويجب على القيادات الدينية أن تركز في دورها فقط، وألا تنخرط في أي عمل سياسي، ولو حتى بمجرد تأييد أحد المرشحين في الانتخابات. وفي نفس الوقت ألا يصبح مجرد موظف، فمن الطبيعي أن يصبح لديه نوع من الولاء لمن اختاره.

والمشكلة تكمن في العامة أيضًا، وخصوصًا العامة الجاهلة في مصر، فيجب أن يكون هناك تواصل بين العلماء وبين العامة، فالمثقفون من الممكن أن يتحدثوا مع القادة بالتنظير، ولكن كلامهم مع العامة يجب أن يكون مبسطًا. وأتمنى على برنامج حوار الحضارات أن يقوم بنوع من هذا الدور.

النقطة الأخيرة تدور حول كيفية التعامل مع المشاكل، فأصبحت صورة ذهنية في مصر، تتعلق بعناق العمائم أو تقبيل اللُحى؛ فمع ظهور أي مشكلة يخرج لنا أب كاهن وشيخ ويتقابلان ويتعانقان، ويدَّعيان أن المشكلة قد تم حلها، لكن ليس بذلك تُحَل المشاكل! وحتى الآن لم يفقد رجال الدين احترامهم لدى الناس، ولكن بعد ذلك لن نقبل أن يقال لنا إن هذه هي طريقة حل الأزمات. يضاف على ذلك أن من أهم أسباب زيادة الاحتقان في الشارع المصري هي أنه عند وقوع أي أزمة ما بين مسلم ومسيحي، يتم التعامل معها على أنها أزمة طائفية حتى يثبت العكس!

في النهاية، أشكر برنامج حوار الحضارات وأتمنى أن يتم التعامل بجدية مع هذا البركان حتى لا تتوالى الأزمات بعد ذلك يوميًا.

أ.د. نصر رضوان (سكرتير عام نادي أعضاء هيئة التدريس – جامعة القاهرة) :

في الحقيقة أنا مُتَّفق مع معظم ما قاله القس/ رياض جرجور، وأتفق بدرجة أقل مع المستشار/ عباس الحلبي.

بدايةً، لا أتفق مع المستشار/ عباس الحلبي في موضوع إبعاد رجـال الـدين عـن السياسة. وكذلك لا أتفق مع قاله د. أحمد شوقي الحفني بخصوص هذه النقطة من أن الدين ليس مسئولاً عن التوتر، ولكنه يمثل عنصرًا في هذا التوتر. وكذلك لا أتفق مع قالـه عـن الطوائف من أن لها دور في السلام ولها دور في التفريق، وهذا التناقض يحتاج لتعليق منـه. وأتفق في أن المسلمين والمسيحيين لديهم إيمان بالعيش في وطن واحد، وهذا يثبته التـاريخ. وعندما يتحالف أهل إيمان في أداء الواجب تضمحل العصبية القبلية.

أما بخصوص السؤال الكبير في البداية: هل يشكل الدين سببًا للانقـسام؟ أم هـو عنصر مساعد لتحقيق الوحدة؟ فقد كنت أتمنى أن أسمع نقاط أكثر تدلل على أنـه عنـصر مساعد، لكن معظم النقاط أشارت إلى أنه سبب للانقسام وليس عنصرًا مساعدًا لتحقيـق الوحدة.

أما بالنسبة لما قاله القس/ رياض جرجور، أتفق معه في عدة نقاط هي: أننا نـرجح الخشية على الأديان أكثر من خشيتنا من الأديان؛ فالديانة السماوية لا يخاف منها ولا يخشى منها، ولكن من يريد أن يخشى فعليه أن يخشى على الدين، ولكن الله عز وجل هو الحـافظ للدين.

إن الإعلام يُشوِّه صورة الفريقين، وهذا ما نعاني منه، ولعل الحقبة الناصرية في مصر كان لها باع كبير في هذا السياق، ولمن عاصر ذلك، وكان يَقرأ الجرائـد أو الكاريكـاتير اليومي لصلاح جاهين يدرك هذا جيدًا، فقد كان فيه سخرية شديدة من المقدسـات لـدى الطرفين.

إن دور الدين في حل النـزاع يُلزِم كل بلد وكل مدينة وكل قرية، فهو أنفـع في الجانب المحلي والإقليمي أكثر من الجانب العالمي.

أتفق معه أيضًا حول أن ما نخشى وقوعه لا يجب أن يوقعنا في إحباط أو في يـأس، وأتفق معه في تحريم تبادل الاتهامات، غير أنني لا أتفق معه حول موضـوع التبـشير بـين الفريقين، وإذا كنا نريد قاعدة صلبة لهذا الأمر، فهناك سؤال كبير وهو الانطلاق من الأخوة البشرية لأهل الديانات السماوية كلها، فكلنا أبناء آدم، ولذلك بيننا أخوة نسب ونـسل وأخوة خلق. انطلاقًا من هذا المعنى، أرى أن مرتكزًا قويًا يجب أن يتم البنـاء عليـه وهـو

الحكمة من خلق البشر. فلابد من وجود حكمة مشتركة ننحني لها جميعًا، لأن الله لم يخلق الخلق بدون حكمة ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (سورة المؤمنون: ١١٥)، فالله سبحانه وتعالى لم يخلقنا ولم يخلق الحوت والنملة عبثـًا، ولم يخلق أي شيء من خلقه عبثـًا.

أما بخصوص العلاقة بين الدين والسياسة، فأنا أقول: هل نستطيع أن نبعد السياسة -أو أي شيء آخر- عن الدين الإسلامي؟ لا نستطيع، فالله تعالى يقول: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (سورة الأنعام: ١٦٢)، ولكن بالنسبة للسياسة التي تجري الآن نستطيع أن نقول فيها مثلاً: إن هذه السياسة ليس فيها شيء من الإسلام. وهذا لا يتعارض مع كون السياسة جزءًا من حياتنا، فهي تعيننا على الحياة، فالكلام في هذا كثير وينطلق من شمول الإسلام. وإذا لم أقل لأخي المسيحي الذي يجلس معي هذا المعنى، فلن أستطيع أن أرضيه حتى نهاية المطاف؛ فلو أردت إرضائه -بهذه الطريقة- سوف أتنازل عن ثوابتي شيئًا فشيئًا. وإذا أرضيته بالغفلة عن أمور معينة فسوف ينتهي بنا الأمر إلى أن نجد الإسلام منغلقًا على الصلاة والزكاة والصوم والحج فقط. وكلامي هذا ليس موجهًا كله لسيادة المستشار، فأنا لا أدَّعي أنه قال كل ذلك، ولكنني أتكلم عن المُدَّعين في أمور أخرى. فلا يجب عليّ أن أخالف ما اجتمع عليه أهل ديني، وإلا لن يصبح لي مصداقية مع رجل الشارع، ولا يصح أن أغفَل هذا وأنا أتحاور مع غيري.

أما بالنسبة لموضوع الدعوة أقول إن الدعوة هدف أساسي في الدين الإسلامي ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (سورة يوسف: ١٠٨)، وقبلها ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (سورة المائدة: ٦٧)، ثم المهمة جاءت إلى أمة محمد ﷺ، لأنه لم يأتِ رسل أو أنبياء بعد محمد ﷺ، وإن انقطعت هذه الدعوة فنحن نحكم عليها بالعقم.

ورأيي في النهاية، أن تتكون فرق للحوار من العلماء والفاهمين والواعين لدينهم من كل من الطرفين، ويمكن لهم أن يستعينوا بمستشارين إذا لم يكونوا فقهاء، لنبذ الخلافات الواقعة. وشكرًا.

الأب د. كرستيان فان نسبن:

أريد أن أعلق على مشكلة الخطاب المزدوج، فهو خطاب رنان يُلقَى في اللقاءات والحوارات فقط، لكن في البيوت الخطاب مختلف تمامًا. ومعالجة هذه النقطة مسألة مهمة، وقد تمت الإشارة إليها في ميثاق الفريق العربي للحوار الإسلامي-المسيحي. وبالتالي، من المهم أيضًا أن نكتشف أكثر فأكثر أين يحدث هذا، لأن الخطاب المزدوج لا يعني الكذب دائمًا، فأنا أعرف بعض النماذج ذات الخطاب المزدوج، وفي نفس الوقت كانت صادقة في كليهما، لكن المشكلة تكمن عندهم في عدم ربط الملفات ببعضها البعض، فمثلاً قد يوافق البعض على أهمية التعايش الإيجابي في الحياة الاجتماعية، ثم في الملف العقائدي يقولون عكس ذلك دون أن يشعروا بهذا التناقض.

وهناك ظاهرة جديدة زادت هذه الأيام تتمثل في استغلال العلاقات الدولية، أو الاستقواء بالخارج. كذلك مشكلة الإنترنت، الذي أصبح مجالاً لحروب بين الديانات والثقافات، وهذا بحاجة لدراسة خاصة لتجاوز تلك الحروب. كما أعتقد أنه من المهم أن تكون هناك دراسة مشتركة للتاريخ، مثلاً لفترة مثل فترة الحروب الصليبية، ونقوم بإدارة مشتركة بين المسلمين والمسيحيين لتلك الفترة وتحليلها وهكذا. كذلك من المهم عمل استبيانات وتحليلها للأحداث الواقعة الآن ثم دراسة ذلك لكي نصل إلى رؤية مشتركة حول هذه الأحداث. كما يجب أيضًا أن يوجد هناك تعبير صريح من الطرفين عن الحواجز المتبادلة، ففي إطار جمعية أحباء السلام تم عقد لقاءات من هذا النوع، وكل طرف عبَّر عن مصادر الخوف والقلق عنده من الطرف الآخر، وكانت لقاءات رائعة ومثمرة جدًا. وأؤكد على أهمية المصارحة، وهذا يتعلق أيضًا بقضية الخطاب المزدوج.

وحول ما تم ذكره بخصوص "الدعوة"، أرى أنه يجب أن تكون هناك دراسة مشتركة حقيقية حول هذا الأمر. فمنذ عشرين سنة تقريبًا، تم عقد لقاء في سويسرا حول إعلان التبشير والدعوة، ولم يكن لقاءً سهلاً، وهذا يدل على أنه كان به نوع من المصارحة، وأنا أدعو لعقد مثل هذه اللقاءات. وحقيقةً أشعر بكم الخوف لدى كل طرف من الطرف الآخر، وهذا الخوف له أثر سيء جدًا، وهو مرتبط بغياب الثقة بين الطرفين؛ فكل طرف يرى في الطرف الآخر أنه يظهر غير ما يبطن. ومن الهام جدًا أن نصل إلى عمل مشترك

ودراسات مشتركة نصل من خلالها إلى بناء الثقة لدى الطرفين، وقد يكون ذلك من خلال مشروع وطني حقيقي يلتف الناس حوله ويلتزمون من أجله.

أريد أن أوضح في النهاية الفرق بين الفصل والتمييز، فهناك فرق بين الفصل بين السياسة والدين، وبين التمييز بين السياسة والدين، فليس المطلوب فصل السياسة عن الدين، ولكن المطلوب هو التمييز بينهما.

أ.د. محمد حسن عبد العزيز (وكيل كلية دار العلوم سابقًا – جامعة القاهرة):

ما أريد أن أُركز عليه أولاً هو: كيف نبني ثقافة الحوار؟ وكيف نبني عقلية الحوار؟ وهذه هي المشكلة. ولست مع الذين تكلموا عن الأزهر، وجعلوه مسئولاً عن هذه الثقافة، فكلنا مسئولون عن بناء العقلية الحوارية. ولابد أن نفهم أن هناك فرقًا كبيرًا بين مؤسسة كالأزهر ومؤسسة كالكنيسة؛ فالكنيسة لها نظام ووظائف وترتيب محدد يختلف تمامًا عن الأزهر، فالأزهر مؤسسة قد تكون تربوية أو تعليمية، ولكنه ليس مؤسسة دينية بالمعنى الدقيق إذا قارناه بالكنيسة. إذن ثقافة الحوار ليست مسئولية الأزهر وحده، والدليل أن أكثر المشاكل تكون من الدعاة الذين لا ينتمون إلى الأزهر.

أود أن أركز على ما جاء في كلمة القس الدكتور/ رياض جرجور من أن المشكلة تكمن في "الجهل"، فهناك فئتان ترفضان الحوار: الفئة الأولى هي أصحاب الأغراض وأصحاب المقاصد الخاصة، وهذه لن أتحدث عنها. لكنني سوف أتكلم عن الجهل لأنني أرى أنه المصدر الأكبر وراء سوء الفهم المتبادل أو عرقلة الحوار الإسلامي–المسيحي، هذا الجهل يتمثل في جهل المسلم بأخيه المسيحي، وجهل المسيحي بأخيه المسلم، وجهل كل منهما بثقافة الآخر وبدينه. ثم جهل المسلم بإسلامه، وجهل المسيحي بمسيحيته، فالجهل متعدد الأوجه هنا.

على سبيل المثال، عندما قرأت بعض مسائل الفقه والتي تعالج قضية العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في مسائل مثلاً حول كيفية أخذ الجزية منهم...إلخ وحين رجعت إلى الإسلام من مصادره الصحيحة وجدت أن ما قرأته ليس له أساس من الصحة، فهذا هو فقه التخلف، ففقه هذا العصر هو فقه التخلف، ولم أجد مصدرًا واحدًا لا في القرآن ولا في السنة يؤكد مثل تلك المعلومات المتداولة في الكتب، والتي يتداولها الجهلة حتى يومنا هذا

حول طبيعة العلاقة بين المسلمين والمسيحيين، كذلك بالرجوع إلى التاريخ العربي الإسلامي في مصر، وبالبحث في مصادر الفتنة التي حدثت في عهد السلطان الناصر بن قلاوون، وهي تعد من أضخم ما هدد مصر كوطن في التاريخ العربي الإسلامي، حيث كادت هذه الفتنة أن تعصف بمصر كلها، وجدت أنها نشأت من الجهل، فمن أثاروها أول مرة ليس لديهم أدنى معرفة بالإسلام أو المسيحية. وجاءت من فئة "المدروشين"، وهم فئة الجاهلين بالدين كدين، وهناك فئة أخرى مشابهة لها من المسيحيين. فقد حدث في تلك الفتنة أن تم هدم بعض الكنائس أو حرقها، فما كان من تلك الفئة الأخيرة إلا حرق مصر كلها، المساجد والقصور والبيوت وغيرها. ولولا حكمة قلاوون ووزرائه -وبعضهم من المسيحيين- لانهارت الدولة آنذاك وقد أعجبتني كلمة البطريرك في ذلك الوقت حيث قال "إنما أشعل الفتنة السفهاء من الطائفتين".

أعود إلى النقطة التي بدأت منها وهي: كيف نبني ثقافة الحوار؟ فلن يتم بناء هذا الحوار من تلك المؤسسات الدينية فحسب، ولكن من المؤسسات التعليمية والجامعية والبحثية... إلخ، وكل المؤسسات التي تعنيها ثقافة السلام والمحبة. وأنا لي تجربة -ولا أعتقد أنها شخصية بحتة- نتيجتها أن كل الديانات هي الإسلام بالمعنى المطلق لكلمة "الإسلام"؛ فكل الديانات السماوية مصدرها واحد، وهدفها واحد، وكل الخلافات ناتجة عن التأويل والتفسير فحسب. لكن إذا استنبطنا الأمر على حقيقته فسنجد أن كل هذه الأديان هي دين واحد؛ لأننا جميعًا نتفق على وجود الله سبحانه وتعالى ولا خلاف بيننا في ذلك. فإذا كان الأمر هكذا، فلماذا لا نعتمد على الخالق كمشترك بين الأديان الثلاثة. أما موضوعات الخلاف فهي ليست مطروحة للحوار.

أؤكد في النهاية على ضرورة تكرار السؤال في كل مكان: كيف نبني ثقافة الحوار؟ وكيف نفهم الإسلام والمسيحية على وجه صحيح؟ وشكرًا.

أ.د. سيف الدين عبد الفتاح (نائب مدير برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات) :

في الواقع، أنا والدكتورة نادية مصطفى لنا تلميذة مشتركة اسمها آمال الشيمي وقد قامت ببحث عن الدين والعلاقات الدولية. وقد كتبت مقدمة رائعة سأقرأ جزء منها، ثم أنتقل إلى مداخلتي. فهي تقول "يمارس المحاماة دون استرشاد بثوابت القانون: فاشل، ويمارس

الطب دون علم بأصوله: دجال، ويمارس الهندسة دون مراعاة لأسسها لحساب مصالح أخرى: غافل، ويدعو إلى الله دون دراية بطبائع النفوس: جاهل". هذه الرباعية التي تحدثت عنها في إطار ما يسمى بعملية الاختصاص تقول عنها "هذه هي عين حال القائم بالعلم و العمل السياسي دون إدراك لمكانة الدين في علمه أو عمله، فهو فاشل في إدراك كل المتغيرات التي يجب عليه التعامل معها، ودجال لأنه يدعى إمكانية فصل الدين عن السياسة أو العكس، وغافل عن بعد لا يمكن تنحيته في الطبيعة الإنسانية، وجاهل لأنه لا يعلم عواقب هذا الفصل، ولا يعلم مردوده، فكيف نفصله عنا وهو أصيل فينا".

هذه المقدمة التي كتبتها آمال أظن أنها مهمة جدًا فيما أريد قوله في مداخلتي في هذا الموضوع عن دور حوار الأديان في حل النزاعات الدولية. وأنا أطرح منذ البداية قضية مهمة جدًا في هذا السياق، وهي القضية التي تتعلق بإمكانية ما أسميته "تثقيف حوار الأديان"؛ فليس من المصلحة بأي حال من الأحوال أن نتحدث عن مسألة حوار الأديان إلا بالاعتبار الذي أكَّد عليه الفريق العربي للحوار الإسلامي-المسيحي في هذا السياق حينما تحدث عن الحوار بين أهل الأديان، وليس هو حوار بين الأديان نفسها. وهذا الحوار أيضًا يحتاج هنا إلى مسألة التثقيف، أي ربط حوار الأديان بحوار الحضارات والثقافات. فهل من سبيل لهذا التثقيف؟

أقول وأؤكد إن حوار الأديان يجب ألا ينصرف إلى الدائرة الشائكة المتعلقة باعتقادات أهل كل دين، ولكن عليهم أن يقتربوا من أصول الحد الأدنى الذي يكوِّن ثقافة قادرة على أن تثمر حوارًا فاعلاً وموفقًا. وهو أمر قد يسهم في تحقيق الاقتراب الأكيد بين حوار الأديان وحوار الثقافات والحضارات، وهذا الأمر يتعلق بترسيخ مستويات الحوار في جانبه الثقافي التعايشي والتعارفي بين: أهل الأديان وقواعد العيش الواحد والمشترك، أهل الأديان وحوار الحياة حول قضايا كلية تتعلق بمستقبل الجميع من مثل: التنمية المستدامة، والمشاركة الفاعلة، ومستقبلنا المشترك على هذه المعمورة، أهل الأديان ومناقشة قضايا العالم وفق رؤية تلك الأديان للإنسان والكون والحياة، أهل الأديان وجامع المواطنة، الذي يجب أن يكون أحد المستويات التي تشكل إطار المرجعية في هذا المقام، ولا نفهم المواطنة إلا في إطار تلك الثقافة الحوارية التي ذكرها د.محمد عبد العزيز في هذا السياق.

أقول إن المسألة أيضًا تحتاج منا إلى إشاعة "ثقافة السفينة"؛ فنحن نعيش في سفينة واحدة، ويجب علينا -من منطلق قضية الحياة والعيش المشترك- أن نؤكد على كيفية وصول هذه السفينة إلى بر الأمان في هذا السياق.

الأمر المهم في هذا السياق أيضًا، أن ندرس نظرية الضرر وتطبيقها في العملية الحوارية هنا، والضرر في هذا المقام يُمنَع ابتداءً، أي بشكل وقائي، فعلينا أن نحدد الوسائل الوقائية لمنع حدوث ذلك الضرر الذي يتعلق بالعيش الواحد والمشترك، والدفع عند الوقوع، وهنا لابد أن تكون هناك آليات لدفع الضرر الذي يتعلق بالعيش المشترك، وفي إطار ذلك العيش الواحد والمشترك، ثم بعد ذلك الرفع، فإذا وقع الضرر فعلينا رفعه، ورفع هذا الضرر هو المستوى الثالث، وللرفع آلياته في هذا المقام. وأقول في هذا السياق قول الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): "الناس صنفان، أخ لك في الدين، ونظير لك في الخلق"، وهذه هي الوجهة التي يجب أن نفكر فيها في هذا المشروع الذي يتعلق بحوار الأديان والثقافات. وشكرًا.

أ.د. نادية مصطفى:

لدي بعض الملاحظات السريعة دونتها من خلال الاستماع لحضراتكم. فقد تم التركيز اليوم على تشخيص وتفسير وحلول ما يتصل بموضوع الحوار بين الأديان أو الحوار بين معتنقي الأديان، وكيف يساعد في تفادي أو حل النزاعات:

الملاحظة الأولى: أن الحديث عن تشخيص الاحتقان وإيجاد مؤشرات له، كان له أكثر من تفسير حول لماذا تثور أزمة بسبب الاختلاف في الدين، أو توظيف للاختلافات بين الديانات في أمور شتى.

الملاحظة الثانية: هي أن العنوان هو حول تلافي أو منع النزاعات الدولية، ولكن حديثنا تطرق في معظمه على النزاعات على الأصعدة الوطنية (مصر/ لبنان/ العراق/ فلسطين/ السودان) لكنها بلا شك وبلا مواربة لها أبعاد دولية، وأبعاد التدخلات الدولية فيها شديدة الوضوح، بحيث يصعب الآن في هذه المرحلة الفصل بين ما هو وطني وما هو إقليمي وما هو عالمي محيط به، وذلك بسبب طبيعة المرحلة الراهنة من صعود ثلاث أصوليات تحدث القاضي/عباس الحلبي عنها في بداية حديثه؛ وهي الأصولية التي تمارس

الإرهاب باسم الإسلام، والأصولية المسيحية التي تقترن بالصهيونية المسيحية والإدارة الأمريكية الراهنة في الولايات المتحدة الأمريكية، والأصولية اليهودية التي هي -بطريقة أو بأخرى- أساس المشروع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين. إذن، نحن أمام وضع ذي طبيعة خاصة، فنحن لا نتحدث عن الديانات والمنتمين إليها في فراغات ولكن في نطاقات محدودة.

الملاحظة الثالثة: لقد أجرينا مقارنة سريعة بين وضع لبنان وفلسطين والعراق والسودان، ولكن قادنا الأمر -سواء أردنا أم لم نرد- إلى مصر، وذلك سواء بصراحة أو بطريقة ضمنية، والحديث عنها لا يثور بصفتنا أفراد أكاديميين أو ناشطين مهتمين ولكن هذا الحديث منا كأفراد في هذه الحلقة لا يتم في فراغ، فنحن لا نتحدث كحوار مثقفين في غرف مغلقة، ولكن نتحدث في إطار مجتمع مصري، ونظام إقليمي له خصائص، وعالم نعيش فيه كلنا بقواه العالمية، ولذلك أعتقد أننا في فترة شديدة الحساسية وشديدة الخطورة. ولا أريد أن أقول إنها تشبه الفترة التي أشار إليها د.محمد عبد العزيز، أو ما أشار إليه أ.باسم، من أننا أمام بركان قد ينفجر في أي وقت. ففي فترة الناصر قلاوون انفجر البركان نتيجة تراكمات مجتمعية. فتلك الفترة كانت شديدة التأزم اجتماعيًا واقتصاديًا، وشديدة التهديد من الخارج لمصر من الإفرنج على سواحلها بكافة المعايير، فاجتماع هذين العاملين أجج الجهل وأظهره.

ولهذا فإن ملاحظاتي التي أقولها أود أن أوضح فيها رؤيتي لتفسير ما تحدث عنه د.رياض جرجور من أن هنا مهمة ما للفريق العربي للحوار الإسلامي-المسيحي نتيجة تراجع حالة الحوار أو احتقانها في مصر فيما يتصل بالعلاقة بين المسلمين والمسيحيين في الفترة الأخيرة، وخاصة في ظل نتائج الانتخابات (٢٠٠٥)، وكل ما اقترن بها.

وكل هذه الأمور تقودني إلى ثلاث نقاط سريعة أشير إليها:

الأولى: أن السبب في كل هذا كما قلت أننا نعيش في ظل أزمة مجتمعية بكل أبعادها السياسية والاقتصادية الثقافية وفي قلبها الدينية -أردنا أم لم نرد.

الثانية: هو أنه هناك فارق كبير بين النخبوي أو المثقف وبين القاعدة، ولا أحب تسميتهم بالعامة، ويمكن أن نقول الشعب أو الجماهير. وهنا أريد وضع ثلاثة أسئلة: من الخائف؟ ومن المتهم؟ ومن الجاهل؟ وأنا أستطيع أن أقول إننا في النطاق المصري الآن، ليس المسيحيون وحدهم هم الخائفون من أغلبية مسلمة تتجدد على صعيدها صحوة دينية أو

تظهر في الانتخابات كقوة إسلامية صاعدة، لكن هذه الأغلبية أيضًا لها مخاوفها ابتداء من القاعدة حتى النخب المثقفة، نتيجة لأمور كثيرة أهمها أن المتهم في العالم الآن هو ما يسمونه "الإرهاب الإسلامي" والذي يدير العملية تجاه هذا الإرهاب الإسلامي أنشط أصوليتين حاليًا: الأصولية المسيحية التي تحكم أقوى دولة في العالم، والأصولية اليهودية المتحالفة معها، فهاتان الأصوليتان هما الأقوى ويوجهان الاتهام للأصولية الأضعف. التركيز دائمًا يكون على "الأصولية الأضعف" وليس فقط الأصولية بمعناها الحرفي الذي يمكن أن نطلق عليه السلفي، ولكن على كل أطياف التيارات الإسلامية بما فيها المعتدلة التي قبلت بالتعددية وبالانتخابات ...إلخ.

هذه حالة أعتقد أنها يجب أن تفهم جيدًا، ويرتبط بها أمرين: التأثير الخارجي، فنحن في وضع توازن قوى مختل لغير صالح العرب والمسلمين بإجمالهم، فمسألة الجهل لا تكفي بمفردها، ولكن يجب أن نضعها في نطاق توازن دولي يخضع لخلل في توازن القوى، ويفعل بموضوع الفكر والثقافة ما يريد. وأنا لا أعتبر نظريات هنتجتون وغيره سطحية؛ فهي وجهات نظر ورؤى وُظِّفت للحركة، ووُظفت لخدمة السياسة الخارجية الأمريكية.

الأمر الثالث: متصل بقضية المرجعية الإسلامية والعلاقة بين الدين والسياسة. وسأطرح سؤالاً: هل كلما برزت قضية المرجعية الإسلامية كمرجعية للقيم أو الحياة أو المجتمع، أو ربما لمشاركة سياسية لفصيل سياسي، سيثير هذا الأمر المخاوف لدى الأخوة الأقباط؟ وهل هو في حد ذاته يجب إبعاده؟ فهذا لا يمكن، لأنه ثابت من الثوابت. ولكن يجب أن نفكر معًا كيف يقدم ويوضع في نطاق لا يثير مخاوف أحد، ويحقق بالفعل شروط المواطنة والجماعة الوظيفية، وأعتقد أن فكرًا وطرحًا إسلاميًا كبيرًا قُدِّم بالتعاون مع مدرسة وطنية مصرية مسيحية في هذا الأمر وقدموا أسسًا كبيرة لهذا الأمر، ويحدث له الآن تراجع وخوف وإثارة للشكوك عند الطرفين، ويجب أن نسأل لماذا؟ إن الأمر تخطى حدوّد معينة، مثل الحديث عن إلغاء المادة الثانية من الدستور المصري التي يرد فيها أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيس للتشريع، والحديث دائمًا يبدو كما لو كان الظهور الديني الإسلامي في المجتمع المصري هو في حد ذاته تهديد للأقباط. وفي الواقع، هناك تهديد من فكر معين سلفي تكفيري فعلاً، ويجب أن يواجه بشدة، ولكن هذا ليس عند كل مرجعية إسلامية. وشكرًا.

نص محاضرة :

"الإسلام والآخر"

التي كان من المقرر عقدها في:

١٩ يناير ٢٠٠٦

* الأستاذ الدكتور/ محمد رمضان البوطى

الإسلام والآخر*

أ.د/ محمد رمضان البوطي**

أبدأ حديثي بعرض موجز للواقع التاريخي، ثم أنتقل إلى بيان المشكلة القائمة، ثم أضع بين أيديكم الحل المقترح. وهكذا فإن حديثي لن يكون وصفًا مجردًا لواقع، بل سأحاول أن أجعل الوصف مقدمة للعلاج.

أما الواقع التاريخي فيقول: لم يستخدم الدين مرة لمأرب سياسي، إلا عاد ذلك بالوبال على الدين وأصحابه وعلى العلاقة السارية بينهم وبين مواطنيهم أو مجاوريهم من ذوي الأديان الأخرى. ولو أردنا أن نصغي إلى حديث التاريخ، وهو يترجم هذا الواقع ويستنطق بذلك أحداثه، لاستنفد منا وقتًا طويلاً، ولما تأتى تسجيله إلا في مجلدات.

ولقد نظرت وتدبرت، فلم أجد ما يدل على أن هذا الواقع ينطبق على الإسلام دون المسيحية أو على المسيحية دون الإسلام، أو يتحيز في هذا لدين دون دين. بل الذي دلت عليه شهادة التاريخ أنه لم يوضع أي من الإسلام والمسيحية أو اليهودية في عهد من العهود في ميزان الرؤية السياسية، إلا وتحول في أيدي أصحاب هذه الرؤى إلى ورقة هامة نادرة، يحقق اللعب الماهر بها نتائج سياسية لأصحاب النفوذ والمصالح، قلما تقوى أي وسيلة أخرى على تحقيقها.

وبتعبير أوجز وأوضح أقول: لم يظهر الدين أيًّا كان في مرآة السياسة وأربابها، إلا خادمًا لأقوى من يستطيع أن يستخدمه في مناوراته السياسية، وربما تمزَّق بين أكثر من

---

* هذا البحث هو نص المحاضرة التي كان من المقرر أن ألقيه يوم ٢٠٠٦/١/١٩ بدعوة من برنامج حوار الحضارات بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، غير أن ظرفًا طارئًا حال دون إلقائها هناك. وإنه ليسعدني أن يجد هذا البحث اليوم سبيله إلى من فاتهم سماعه آنذاك، ولا ريب أن الخيرة كلها فيما اختاره الله.

- (نُشِرَ البحث في مجلة وجهات نظر، العدد ٨٦، مارس ٢٠٠٦).

** المفكر الإسلامي والعميد الأسبق لكلية الشريعة الإسلامية بجامعة دمشق.

مخدوم واحد، عندما تتقارع المذاهب السياسية المتعارضة على مستوى متساو مـــن النديـــة المتنافسة.

أعني بهذا أن المسيحية، على سبيل نظر الساسة الغربيين قديمًا وحديثًا، إنما اخـــتيرت دائمًا في هذه المنطقة، بوابة يجتازون منها، أو سلاحًا يقارعون به، غير مبالين بمـــصير هـــذه البوابة أو بما يصيب هذا السلاح!..

وما يقوله التاريخ في هذا عن المسيحية، هو ذاته الذي يقوله عن الإسلام.

ولأضرب الآن بعض الأمثلة الحية، لتجسيد هذه الحقيقة، ولمزيد من التبصير بها.

إليكم أولاً من الأمثلة التاريخية، هذه الصورة القاتمة:

يبدو أن أقدم اضطهاد، بل مأساة، مُنيت بها المسيحية على يد السياسة والـــسياسيين، ذاك الذي جرى على يد الدولة البيزنطية قبل الإسلام، والذي مـــن المعلـــوم أن الدولـــة البيزنطية تبنَّت المسيحية دينًا رسميًا لها، في القرن الرابع بعهد الإمبراطور تيودوسيوس. وقـــد أشاع ذلك لدى المسيحيين أن هذا الحدث الهام سينهي ذلك التاريخ الطويل من الاضطهاد الذي مُني به المسيحيون على أيدي الرومان.

ولكن سرعان ما تبين أن اعتناق روما للدين الجديد، إنما كان بدوافع سياسية تهـــدف إلى بسط الدولة نفوذها على هذه المنطقة بأسرها، وأن تتمتع فيها بقدم راســـخة وســـلطان متين.

وهذا هو الذي دعاها إلى أن تعتمد طبعة خاصة بها عن هذا الدين، على حـــد تعـــبير فيكتور سحاب، وإلى أن تفرض هذه الطبعة الخاصة مذهبًا لها تفرضه على شعوب المذاهب المسيحية التي تخالف مذهبها الرسمي هذا.

وهكذا، سعت بيزنطة سعيها اللاهث إلى إنهاء وجود سائر العقائد المسيحية المغـــايرة لعقيدها الرسمية التي اختارها، مرة عن طريق المجامع التي كان الإمبراطور يدعو إليها ويحرص على وجوده الشخصي فيها، ومرة بالتصفية الجسدية وملاحقة الرهبان حتى تخوم الصحراء السورية والمصرية!.. وفي مجزرة بيزنطية واحدة قتلت الدولة في مصر ما لا يقل عن مـــائتي

ألف قبطي من أنصار المسيحيين اليعاقبة (من يسمون اليوم بالسريان الأرثوذوكس)!.. ولم يتوقف اضطهاد بيزنطة للمسيحيين العرب، وكان جلهم من اليعاقبة، إلا عندما امتد الفتح الإسلامي إلى بلاد مصر والشام.

وفي ظل هذا الفتح، وبسعى من الدولة الإسلامية، تم عقد الصلح بين القلة من الخلقيدونيين الموالين للرومان والكثرة الكبرى من اليعاقبة الذين لقوا النكال على أيدي الرومان. وقد سجل التاريخ كيفية انعقاد هذا الصلح بمساعي الدولة الإسلامية وباهتمام شخصي من معاوية ابن أبي سفيان.[1]

أما الآن، فإليكم هذه الصورة المناقضة:

جاء الإسلام، بل جاءت الدولة الإسلامية، فكانت أكثر اتساعًا للمسيحيين العرب من الدولة المسيحية البيزنطية. والسبب في ذلك أن الدولة الإسلامية دأبت على السير تحت قيادة الدين، ومن ثم فقد كان عليها أن تستخدم السياسة لسلطان الدين، على النقيض من عدم اكتراث الدولة البيزنطية بالدين، ومن ثم سعيها إلى استخدام الدين للسياسة!...

ونظرًا إلى أن من أبرز مبادىء الدين الإسلامي أن من حق الشعوب الخاضعة لسلطان الحضارة الإسلامية أن تحافظ على معتقداتها وتقاليدها وموروثاتها، وأن على الدولة الإسلامية أن تكون عونًا لتلك الشعوب في حماية ذلك كله، فقد كان لابد لسياسة الحكم الإسلامي أن تكون متماشية ومنسجمة مع هذا المبدأ.

وعلى الرغم من أن هذه الحقيقة مقررة في القرآن وفي السنة النبوية المطهرة، ومجسدة تطبيقًا في حياة الخلفاء الراشدين ومن بعدهم، فإنه ليطيب لي أن استشهد في ذلك بما يقوله ادمون رباط، وهذا هو كلامه باللفظ والحرف:

''للمرة الأولى في التاريخ انطلقت دولة هي دينية في مبدئها، ودينية في سبب وجودها، ودينية في هدفها، ألا وهو نشر الإسلام عن طريق الجهاد بأشكاله المختلفة من

---

[1] أنظر تفاصيل ذلك في ابن الأثير والطبرى والمسعودي والفتوحات الإسلامية لزيني دحلان، وانظر (من يحمي المسيحيين العرب) لفيكتور سحاب.

عسكرية ومُثلية وتبشيرية، إلى الإقرار بأن من حق الشعوب الخاضعة لنظامها أن تحافظ على معتقداتها وتقاليدها وتراث حياتها. وذلك في زمن كان يقضي المبدأ السائد فيه بإكراه الرعايا على اعتناق دين ملوكهم"[2].

ولقد جاءت أحداث الفتح الإسلامي، ثم جاء واقع النظام الإسلامي الـذي انبسط سلطانه على هذه البلاد، بعد انحسار المد البيزنطي عنها، تصديقًا وتجسيدًا لهذا النهج الذي ذكره ادمون رباط.

فلقد شهد التاريخ أن السياسة البيزنطية في البلاد العربية عامة وفي القدس خاصة، كانت ترمي إلى إشعال نيران البغضاء والوقيعة بين الديانتين الكتابيتين: المسيحية واليهودية؛ من ذلك الأتربة والأوساخ التي كانت تتراكم على الصخرة المشرفة بأمر من الرومان وكيدًا لليهود الذين كانوا يدفعون بدورهم وبوحي من السياسة الرومانية إلى تقدير المكان الـذي يعتقد المسيحيون أن عيسى ابن مريم صُلب فيه، وهو المكان الذي أقيمت فوقه كنيسة القيامة.

فلما استجاب عمر بن الخطاب "لرغبة أهل إلياء، ودخل القدس، وكتب كتاب الصلح المعروف، أقبل إلى الأتربة والأوساخ المتراكمة فوق الصخرة، يزيحها بردائه، فأقبل من حوله من المسلمين وغيرهم يسابقونه إلى ذلك.. ثم اتجه إلى حيث القمامة المتراكمة بفعل اليهود وبوحي من الرومان فوق مكان كنيسة القيامة، فباشر إزاحة القمامة عنها بنفسه، وما هو إلا أقبل كل من كانوا حوله يسابقونه على العمل ذاته"[3].

وهكذا فقد كان عمل عمر بوحي من شرعة الإسلام وحكمه، مدَّ جسور التآلف والقربى بين الديانتين، على حين كانت سياسة بيزنطة ترمي إلى تعميق مشاعر الكراهية وأسباب الوقيعة بينهما!..

---

[2] من مقال في مجلة الصباح، العدد ٣١، بتاريخ ٢٠ آذار ١٩٨١.

[3] أنظر البداية والنهاية لابن كثير: ٥٦/٧.

إن مد جسور التآلف والقربى بين الديانتين، هدف قدسـي ترمـي إليـه الـشريعة الإسلامية، وتوظف لذلك كثيرًا من الأحكام الفقهية التي يعرفها الفقهاء. من ذلك ما هـو مقرر من استحباب تهنئة المسلم لأي من معارفه وجيرانه وأقاربه لنعمة وفدت إليه من شفاء أو زواج أو ولادة، دون أن يكون لوحدة الدين أثر في ذلك. ومن ذلك ما هو مقرر مـن استحباب تعزية المسلم لجاره أو صديقه الكتابي بوفاة قريب لـه أو لمـصيبة طافـت بـه، واستحباب عيادته لمرض ألم به.. وعيادة رسول الله للغلام اليهودي المريض معروفة وثابتة في الصحيح.

ثم إن التاريخ شهد بأن الكثرة الغالبة من سكان سورية الطبيعية (سـورية، ولبنـان، والأردن، وفلسطين) ظلت تنتمي إلى الدين المسيحي طوال خمسة قرون من حكم الدولـة الإسلامية. ولم يكن ذلك الوضع نشازًا أو نشوزًا لما يقتضيه النظام الإسلامي السليم. بـل كان الإقرار به والعمل على رعايته جزءًا لا يتجزأ من الشرعة الإسلامية المنبثقة من مصدريه الأساسيين: القرآن والسنة. فلا جرم أن ذلك الانسجام الحقيقي السري بـين الجمـاعتين الإسلامية والمسيحية، إنما كان بأمر من النظام الإسلامي الرباني بالحماية والرعاية.

لا أدل على ذلك من أن قادة الغزو المسيحي الأوروبي المتمثل بـالحروب الـصليبية حاولوا أن يوقعوا المسيحيين العرب المنسجمين مع الدولة الإسلامية في حرج شديد، فأرسلوا يسألونهم عن قرارهم الذي يجب أن يتخذوه: أهو الوقوف مع بني دينهم الغزاة الوافدين، أم الوقوف مع بني قومهم المسلمين. وغني عن الشرح والبيان أن السبب الذي دعاهم إلى اتخاذ القرار الثاني، ذلك الانسجام المتناغم مع شرعة الإسلام ونظامه المطبقين طوال خمسة قـرون من عمر الفتح الإسلامي. وعلى الرغم من أن قلة من المـسيحيين انحـازوا إلى صـفوف الصليبيين، فقد كان الغزو وبالاً على المسيحيين جميعًا!.. ويرى أكثر المؤرخين أنـه العامـل الذي أدى إلى تناقض المسيحيين بعد الغزو الصليبي واعتناقهم الإسلام.

دعونا الآن نتأمل المشكلة الدولية القائمة:

مما لا ريب فيه أن السياسة الغربية التي تقودها اليوم أمريكا بالتعاون مع حليفتها الصهيونية العالمية، هي الوريث الحقيقي للنهج الذي كانت تسير عليه الدولة البيزنطية في هذه المنطقة.

إنها، أي الوريث المتمثل في السياسة الغربية اليوم، تُعلن في كل مناسبة انتماءها إلى المسيحية، ولكن كما كانت بيزنطة تُعلن عن انتمائها إليها، إذ كانت ترى فيها مطية ذلولاً إلى تحقيق مصالحها في العالم كله، لاسيما العالم العربي والإسلامي. أي فالدين، من حيث إنه حقيقة ذاتية تتمثل في دينونة الإنسان بالعبودية السلوكية لله، لا قيمة ولا وزن له في رؤية هذا الوريث اليوم. ولكنه من حيث إنه أداة يمكن لذوي البراعة السياسية استخدامها لتنفيذ مآربهم وأغراضهم، له في رؤية هذا الوريث الوزن العظيم والقيمة الخطيرة.

والسياسة الغربية الأمريكية التي أعلنت بالأمس شعار "النظام العالمي الجديد" ثم طورته اليوم إلى شعار "العولمة"، كانت ولا تزال ترمي إلى تجزئة هذه المنطقة، ثم إلى تفتيت أجزائها، ثم إلى بث أسباب الصراع بين فتاتها. قرأنا ذلك بين الأسطر في كثير من التصريحات والخطابات، ثم قرأناه صراحةً في التقرير الصادر من مجلس الأمن القومي الأمريكي عام ١٩٩١.

وإنا لنرى وسائل تنفيذ ذلك، والخطوات التي تتخذ لذلك بأم أعيننا. وإنها لوسائل كثيرة، ولكن من أخطرها ما يتم من استكثار فئات الإسلاميين واستيلاد بعضهم من بعض، وبث عوامل الشقاق والوقيعة فيما بينهم باسم الإسلام ذاته. والعمل في الوقت ذاته على تبديد (الإسلام الحضاري) الذي كان ولا يزال يُشكّلُ الجامع المشترك بين المسيحية والإسلام على امتداد هذه الأرض المباركة، ثم تذويب عوامل الثقة التي كانت ولا تزال تؤدي إلى صدق التعاون بين المسلمين والمسيحيين، وتحويل الجامع الإيماني المشترك بينهم إلى حساسيات طائفية، تبعث على استيحاش كل فريق من الآخر، لتغريه باللجوء أو بالركون، على أقل تقدير، إلى العدو الطامع في مصالح كلا الفريقين.

إنني من أكثر الناس تتبعًا لهذا الذي يجري من التلاعب بالقرآن الكـريم وأحكامـه، وطمس الوقائع التاريخية المتمثلة في أسمى مظاهر التعايش المسيحي الإسلامي في كنف الحكم الإسلامي، هذا الذي يجري على أيدي أو بألسن فئات من ذوي العواطف الفجة التي تعوزها كوابح البصيرة والعلم، مع سعيها إلى تقطيع صلة القربى بين المسلمين والمسيحيين فـوق أوطاننا المشتركة.

ولعلي من أكثر المراقبين إطلاعًا على الأصابع الأجنبية الخفية التي تحركهم طبق خطة رسمت في جنح الظلام في الغرب، ثم أُرسلت لتطبق علانية على أيدي هـؤلاء الزعـانف في الشرق.

وما انفجار حافلة السائحين الأجانب بمن فيها قبل سنوات طويلة في مصر، والفتنـة التي اختُلِقت أسباب لها بين المسلمين والمسيحيين هناك قبل فترة من الزمن، إلا تنفيذ وانقياد من جنود مجهولين هنا، لتعليمات كانت ولا تزال يُصدرها قادة معروفون هناك.. والقـصد الوحيد الذي يُسخَّر له هؤلاء الناس، هو أن يتحول الشعور الديني والإيماني الجـامع بـين المسلمين والمسيحيين فوق هذه الأرض العربية الإسلامية إلى عداوة تستشري بين جوانح كل من الفئتين ضد الأخرى لتقطع سبل التلاقي والتعاون بينهما، وليعود الوبال بعد ذلـك إلى كلتا الفئتين، حيث يفوز عندئذٍ تجار العولمة وروادها؛ أولئك الذين يتخذون مـن سـلطان الدين أينما كان خادمًا لسلطتهم السياسية التي تدور على محور أغراضـهم ومـصالحهم في العالم.

وفي الناس اليوم من تذهب بهم السطحية إلى تصور أن الغرب إذ يسعى إلى الوقوف في وجه الإسلام والقضاء عليه، إنما يهدف بذلك إلى أن تتحقق للمسلمين والمسيحيين العرب، بعيدًا عن الدين، وحدة قومية جامعة!!..

إن الغرب يعلم جيدًا أن الوحدة التي يمكن لها أن تجمع شمل المسلمين والمـسيحين في بلادنا العربية هذه، هي تلك التي تنبعث من أسس حضارية إسلامية عربية عميقة الجـذور، تطبع الوجود العربي بطابع متميز عن شعوب العالم كله، بقطع النظر عن الإسلام الاعتقادي الذي يأخذ جانبًا ينفرد به المسلمون من هذه المساحة الحضارية الواسعة.

ونظرًا إلى أن الغرب لا يرضيه ولا يناسب مصالحه اجتماع شمل المسلمين والمسيحيين في بلادنا هذه، فإنه يظل ماضيًا في تذويب هذه الأسس الحضارية الإسلامية الجامعة؛ أي فهو لا يكتفي بالسعي إلى القضاء على الإسلام الديني الاعتقادي، بل يتجه بالحماسة ذاتها إلى القضاء على الإسلام الحضاري!.. ألا ترون إليه كيف يحارب اللغة العربية الفصحى بسلاح اللهجات العامية المتعددة!.. ألا ترون كيف يحارب الكوابح الأخلاقية التي تميز مجتمعاتنا، وتحول دون انهيار قوالب الأسرة في حياتنا!.. ألا ترون إليه كيف يحارب الوجدان الديني الجامع لفئاتنا ويحاول اقتلاع جذور التربية التي كانت ولا تزال تشرب وترتوي من عميق وجودنا الحضاري المتميز؟..

إن الغرب يلح على محاربة هذا النسيج الحضاري في مجتمعاتنا، لأنه النسيج الجامع والمؤلف بين شطري المواطنين: المسلمين والمسيحيين على أرضنا العربية الإسلامية هذه.

أجل.. إن الغرب ليعلم الدور الذي يلعبه هذا النسيج الحضاري في أوطاننا العربية الإسلامية أجمع، إنه ليعلم كما نعلم أن هذه القيمة الحضارية الإسلامية الجامعة هي مهوى أفئدة المسلمين والمسيحيين العرب على السواء.

وإن كنتم في شكٍ مما أقول فإليكم ما يقوله المسيحي اللبناني فيكتور سحاب في كتابه (من يحمي المسيحيين العرب):

"أفلا يطرب العربي المسيحي لبلاغة اللغة العربية، وقوة الشعر العربي المسبوك بلغة القرآن، أفلا تهزه الموسيقى العربية الغنائية المنحدرة من التجويد القرآني؟ أفلا تستهويه خطوط العمارة الإسلامية؟.. أفلا تعتمل في صدره عواطف من نمط عربي لا شبيه لمثلها في الغرب؟.. أفلا تتحكم بعقله مفاهيم اجتماعية وعائلية مماثلة لما يستحكم بعقل المسلم العربي؟..".

"إذن فما الذي يفرقه عن المسلم سوى تلك المساحة الضئيلة التي يحتلها الدين من حياتنا؟ وأقصد بالدين العقيدة الأخروية والصلاة والصوم والفروض، ولا أقصد الاقتتال الطائفي الذي هو اقتتال سياسي في حقيقته".

وهكذا فلابد أن أكرر قائلاً: عندما ينجح الغرب في تفكيك هذا النسيج الحضاري الجامع في مجتمعاتنا العربية، فلسوف ينحط الوبال من جراء ذلك على كل المسلمين والمسيحيين على السواء.

وبعد.. فما العلاج؟

أولاً: ينبغي أن نعلم أنه علاج واحد لكل من المسلمين والمسيحيين أينما كانوا.. إذ إن الخطر الذي يحدق بالجماعتين خطر واحد.

ثانيًا: يجب أن نستبعد عن التفكير بنوع العلاج أطروحة "العلمانية" التي تراود أذهان بعض الناس، ذلك لأن هذه الأطروحة جزء من الخطة الكيدية المرسومة، إذ هي تمثل من وجهة نظر الغربيين إحدى الضمانات لتفكيك مجتمعنا العربي الإسلامي، وتبديد نسيجه الحضاري الجامع والمؤلف كما قلنا بين شطريه الإسلامي والمسيحي، وكم قرأنا في ذلك من تقارير خفية وكتابات معلنة!..

ثالثًا: إن العلاج -في كلمة موجزة جامعة- هو أن نسمو بمعتقداتنا الدينية إسلامية كانت أو مسيحية إلى صعيد التحرر من التيارات السياسية الوافدة، بل نسمو بها إلى مستوى القيادة الحقيقية التي تستخدم الرؤى السياسية لمصلحتها وحسابها. وذلك بدلاً من أن نمكن الآخرين من الهبوط بها (أي بعقائدنا الدينية) إلى خدمة التيارات السياسية واللحاق بها...

إنه لخطأ قاتل أن تنقاد جماعة أو مؤسسة إسلامية أو مسيحية كبرت أو صغرت، وراء تيار سياسي وافد أيـًّا كان مصدره ونوعه، وأن تجعل من معتقدها الديني خادمًا يدور على محور ذلك التيار!.. إن ذلك يعني أن الدين قد غدا في مجتمعاتنا هذه منبرًا يتربح عليه سلطان السياسة الغربية الماضية في العمل على مزيد من تفتيتنا، ثم في العمل على تحويل أوطاننا هذه إلى حقول تزدهر بمصالحها، ومقبرة تدفن فيها حقوقنا بعد أن دفن فيها وجودنا الحضاري.

ولكن ما الضمانة التي تمكننا جميعًا من التسامي فوق هذا الخطأ القتّال؟

الضمانة أن يكون كلٍ منا صادقًا في يقينه الإيماني والاعتقادي؛ فمهما توافر هذا الصدق في المعتقد الديني، وقى صاحبه التورط في هذا الخطأ، ومهما غابت مشاعر الصدق

في المعتقد الديني تجاهه، وحلت في مكانها المشاعر والدوافع التقليدية، غابت معها الوقاية اللازمة، وحل في مكانها الفراغ الأيديولوجي الذي لابد أن يستقبل مغريات الأنشطة السياسية التي تزهق القيم وتُذيب قوالب تماسك الأمة، ثم تنثر وتفكك كيانها المتآلف لتتحول إلى فئات متنافرة شتى تتيه في بيداء الضياع.

فإن عزَّ علينا استعمال هذا العلاج، فلن يعز علينا صدق الالتجاء إلى الله، ولا نشك أبدًا في أن العبد المملوك إذا صدق ربه المالك في الطلب والإلحاح، صدق الله معه في الاستجابة والعطاء.

وإني لأقول بحق: مهما اختلفت عقائدنا الدينية، ومهما تغايرت شروحنا لها، فإن لغة أكفنا إذ تنبسط بالافتقار إلي كرم الله لغة واحدة.. وإن نداءنا المنبعث من حلوقنا جميعًا بأنشودة «يارب» عندما يطوف بنا الكرب، إنما يطرق من السماء بابًا واحدًا.

فلنجعل من أكف افتقارنا إذ تنبسط بالافتقار إلى الله بذل، وأنشودة دعائنا إذ تنبعث من قلوبنا بصدق أول علاج لمشكلاتنا كلها.

وصدق الله القائل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ سورة البقرة (١٦٨).

"التواصل الإسلامي – المسيحي:
مظاهره وآثاره"

٢٢ فبراير ٢٠٠٦

* الأستاذ الدكتور/ محمد أحمد الشريف

* المناقشات.

التواصل الإسلامي – المسيحي: مظاهره وآثاره*

أ.د/ محمد أحمد الشريف**

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وصلى الله على خاتمهم أجمعين. أيها السيدات والسادة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

أولاً أود أن أعبر عن سعادتي للقائكم في رحاب هذه الجامعة العريقة جامعة القاهرة التي كان خريجوها وعلماؤها رسل العلم والمعرفة في الجامعات والمؤسسات العلمية على امتداد الوطن العربي وفي جميع أرجاء العالم.

وهذا ليس بغريب؛ فالقاهرة هي العاصمة العربية العتيدة قاهرة المعز والأزهر الشريف قلب مصر وضمير هذه الأمة الحي، تلتقي فيها قلوب الباحثين عن المعرفة والخير والتراث والتواصل الإنساني بكل أبعاده، ولابد أن أشير هنا إلى أن مصر عرفت المسيحية منذ قرنها الأول وعرفت الإسلام منذ بداياته.

إنني أشكر الأستاذة الدكتورة/ نادية مصطفي على دعوتها الكريمة لأتحدث إليكم في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية. وقد عرفت جهد هذه الأستاذة الفاضلة في عدد من اللقاءات العلمية التي قدمت فيها البحوث والمداخلات العلمية مما كان له الأثر الكبير في إضاءة جوانب مهمة من قضايانا المعاصرة وخاصةً في رحاب الحوار واللقاء الثقافي والحضاري.

وأرى أمامي هنا معكم علماء ورجال دين ورجال فكر وأصدقاء أعزاء أحييهم وأسعد بلقائهم.

---

* نص المحاضرة المكتوبة.

** أمين عام القيادة الشعبية الإسلامية العالمية بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية – طرابلس.

موضوع حديثنا اليوم هو "التواصل الإسلامي المسيحي: المظاهر والأبعاد"

الوصل خلاف الفصل، ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ سورة القصص (٥١)، وصلنا ذكر الأنبياء لعلهم يعتبرون؛ واتصل الشيء بالشيء: لم ينقطع، والتواصل: ضد التصادم أي الانقطاع والتقاطع والهجران، والتواصل الإسلامي-المسيحي قديم قدم ظهور الإسلام: بدأت مظاهره في حياة الرسول محمد بن عبد الله ز حيث اهتم القرآن الكريم بمسألة التواصل والتحاور والمجادلة مع أهل الأديان، وخاصةً أهل الكتاب. فقد قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ سورة النحل (١٢٥)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ سورة العنكبوت (٤٦)، وخصَّ المسيحيين بالتبجيل والتقدير فقال: ﴿لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ سورة المائدة (٨٢)، والمسيحيون يوصفون دائمًا بالرحمة: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ سورة الحديد (٢٧)، كما يشير إلى أن الرهبان تفيض أعينهم بالدمع مما عرفوا من الحق.

ومن هنا فالقرآن كله حوار متواصل وخاصةً مع أهل الكتاب وبصفة أكثر خصوصية مع المسيحيين. ولا شك أن اعتبار القرآن لكل أتباع الأنبياء من نوح، ثم إبراهيم وعقبه إلى محمد مرورًا بموسى وعيسى أنهم مسلمون، هذا الاعتبار له أهميته في صورة التواصل مع هؤلاء جميعًا وخاصة المسيحيين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ سورة البقرة (٦٢). فقد ذُكر عيسى في القرآن ٢٥ مرة، والمسيح ١١ مرة، وابن مريم مرتان، وذُكرت مريم ٣٤ مرة منها ١١ بدون وصل بعيسى أو المسيح ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ سورة النساء (١٧١). وجاء عيسى بالحكمة: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾ سورة الزخرف (٦٣) ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾ سورة الحديد (٢٧)، ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ سورة المؤمنون (٥١).

ولا شك أن النبي قد أرسل إلى عدد من الرؤساء المسيحيين مثل رسالته إلى "هرقل" وإلى "المقوقس".

ولما كان الروم هم مسيحيين، فقد جاء القرآن متعاطفًا معهم في صراعهم مع الفرس: ﴿الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥)﴾ سورة الروم. أما الحوار والتواصل الشهير فقد كان في المدينة المنورة حيث استقبل الرسول ز وفد نصارى نجران الذي حضر فيه أربعون منهم يترأسهم الأسقف "أبو الحارث بن علقمة" وكانوا في ضيافة النبي ز في مسجده وقاموا بصلاقم في المسجد. وتناول الحوار العيش المشترك في حوار إيجابي فقد كتب لهم النبي ز: "بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد النبي رسول الله إلى الأسقف أبي الحارث وأساقفة نجران وكهنتهم ورهباقم وأهل بيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهنته، ولا يغير حق من حقوقهم ولا سلطاقم ولا مما كانوا عليه، لهم على ذلك جوار الله تعالي ورسوله أبدًا".

ثم تتابعت الصلات بين المسلمين والمسيحيين خلال التاريخ الإسلامي المديد، تخللتها كتابات ورسائل ولقاءات علمية وكلامية، ولكن الأهم هو الحياة المشتركة والحوار الحياتي الذي صبغ المسلمين والمسيحيين في الوطن العربي بخاصة.

ولا أريد هنا أن أتحدث عن الحوار الحياتي من خلال العيش المشترك بين المسلمين والمسيحيين في المنطقة العربية بخاصة فهو أبلغ من الحوارات الرسمية والرسائل المتبادلة وغيرها (راجع ابن الراوندي مثلاً للدلالة على الصلة الجادة بين أهل الديانتين).

المسلمون والمسيحيون واصلوا حوارهم الحياتي خلال القرون، وإن تأثر ذلك مدًا وجزرًا بتأثيرات من خارج منطقتهم، وشهدت فترات صعبة وصراعات سياسية مثل الحروب الصليبية ثم بعد ذلك الاستعمار الغربي الحديث، وحتى خلال الحروب وخلال الهيمنة الاستعمارية ظهرت كتابات تُعرِّف كل جانب بثقافة ودين الجانب الآخر، بشيء من التجاوزات والتلوين الفكري لثقافة الآخر ومحاولة كسبه إلي الجانب الآخر.

وفي النصف الثاني من القرن العشرين، انحسر الاستعمار عن كثير من بلاد العرب والمسلمين، وهذا أوجد ثقة في مؤسسات المسلمين ليكون هناك استعداد للتعرف الإيجابي على عالم المسيحية الواسع في غير المشرق العربي، ولكن هذا ما كان له أن يكون بداية لنشاط حواري لولا المبادرة المسيحية التي جاءت من الفاتيكان. فالمجمع الفاتيكاني الثاني قد أقرَّ الحوار مع الأديان غير المسيحية وأعلن البابا "بولس السادس" بتاريخ ١٩٦٤/٨/٦ بداية الحوار. وتم إنشاء "أمانة السر لشؤون غير المسيحيين" في الفاتيكان لتنظيم الحوار. كما نشأت "دائرة الحوار مع الشعوب ذات العقائد الحية والأيديولوجيات" في مقر مجمع الكنائس العالمية في جنيف، الذي يضم إليه الكنائس غير الكاثوليكية.

وقد بدأت بين المسلمين والفاتيكان حوارات للتعارف بين أصحاب الديانتين، وبدأت لقاءات ضمت حينها علماء من الشام، وأخرى ضمت علماء من الخليج العربي، وتم عقد حوار في لبنان أوائل السبعينيات. وبعد عام ١٩٧٣، ونتيجة لحرب العبور وقطع النفط عن الغرب، تسارعت مؤسسات دينية وثقافية –وبتأييد سياسي– لإقامة حوارات دينية مع المسلمين، وتعددت هذه الحوارات.

أنا لا أريد هنا أن أعرض للحوارات الدينية والثقافية بكل أنواعها، لأن القصد في هذا الحديث السياسي هو تجربتنا نحن في جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في التواصل الإسلامي–المسيحي. إلا أن الحوار الأكبر بين المسلمين والمسيحيين –والذي كان الأساس في كثير من أنشطة التواصل بين أصحاب الديانتين والحوار بين أتباعهما– كان الحوار الذي عُقِدَ بين المسلمين والمسيحيين في طرابلس في الفترة من ١ – ١٩٧٦/٢/٥ وذلك برعاية من الجماهيرية الليبية ودولة الفاتيكان.

وقد شارك في هذه الندوة مجموعة من المفكرين المسلمين والمسيحيين من عدد من بلاد العالم، حضرها –بالإضافة إلى الفريقين المتحاورين– مراقبون من علماء الدين الإسلامي ورجال الدين المسيحي من الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت، ومن رجال الفكر والسياسة والصحافة والإعلام، قدموا من ٧٢ دولة من دول العالم، وكان عدد المشاركين ٤٩٠ مشاركًا.

وكانت الندوة قد أُعدَّ لها إعدادًا جيدًا عن طريق لجان تحضيرية من الجانبين، وقد جرى العمل في هذه الندوة بمشاركة فريقين: فريق مسلم، والآخر كاثوليكي، وكان من الفريقين ثلاثون شخصًا. وقد ترأس الجانب المسيحي الكاردينال "سيرجيو بينيودلي" (رئيس الأمانة العامة لغير المسيحيين في الفاتيكان)، وترأس الجانب الإسلامي العبد الفقير إلى الله تعالى (د/ محمد الشريف). وقد تكوَّن كل فريق من علماء كانت لهم إسهاماتهم في توضيح صورة كل دين.

وقد كانت للندوة أربعة محاور:

١- هل يمكن للدين أن يكون أيديولوجية للحياة؟

٢- العدل الاجتماعي ثمرة الإيمان بالله.

٣- الأسس المشتركة بين الديانتين في المعتقدات، ومواطن الالتقاء في ميادين الحياة.

٤- كيف نعمل على إزالة الأحكام المسبقة الخاطئة وضعف الثقة التي لا تزال تفرق بيننا؟

وتم تقديم ورقة توضح رؤية كل دين حول كل موضوع من هذه الموضوعات، وتمت مناقشتها من الجانبين وفتح باب النقاش بإلقاء المداخلات من كل المراقبين من خارج الوفدين.

وقد أسهم الأخ/ معمر القذافي (قائد ثورة الفاتح) في مناقشة بعض موضوعات الندوة، حيث شارك في الجلسة المسائية لليوم الثاني وأثار قضايا وطرح أراءً في غاية الأهمية كانت مثار اهتمام للمشاركين وللصحافة العالمية التي كانت حاضرة بكثافة في هذه الندوة.

ولعله من الأهمية بمكان الإطلاع على مناقشات هذه الندوة والتعرف على أسماء العلماء المشاركين فيها من مسلمين وغير مسلمين لإلقاء الضوء على متابعة التواصل والحوار بين أهل الديانتين فيما بقي من سنوات القرن العشرين وإثراء المكتبات والدوريات العلمية بمساهماتهم الفكرية لتعزيز التواصل الإسلامي-المسيحي.

وفي كلمات الافتتاح، جاء في كلمة رئيس الفريق الإسلامي:

"إننا نجتمع هنا ونفوسنا يملؤها الإيمان بالله الواحد الأحد. كلنا شوق وأمل في أن يكون حوارنا مسلمين ومسيحيين من أجل خير المؤمنين وخير الإنسانية التي تعيش في هذا العصر تجارب عصيبة لا عاصم لها فيها إلا الإيمان والعمل الصالح".

لقد تم أكثر من حوار بين المسلمين والمسيحيين في الأعوام الماضية؛ وكان طبيعيًّا أن تقتصر بعض اللقاءات التي تمت على الجزئيات أو على وسائل التعرف على الدين الآخر أو الإعلان عن النوايا الطيبة وأوجه الاتفاق المرغوب فيها. وبالرغم من أن حوارنا هذا لن يكون إلا مرحلة من مراحل الحوار بين الفريقين، إلا أنه لابد له من أن يكون حوارًا يضع العلاقات الكبرى على طريق التعاون بين المسلمين والمسيحيين.

إن لقاءنا هذا هو لقاء الصراحة والحق والعمل الإيجابي الجاد، لذلك ترانا نؤكد على منطلقات مهمة لابد من أخذها في الاعتبار.

حقًّا إننا لا نستطيع أن نلغي التاريخ أو نعيد أحداثه وفقًا لظروف زماننا، ولكننا نستطيع أن نستخلص منه العبر لنتمكن من أن نصنع تاريخ عصرنا.

إننا في حوار جاد مما ينبغي معه أن تقوم أعمالنا على الثقة والصراحة، ولذلك لابد لنا أن نؤكد هنا إيمان المسلمين بحقيقة رسالة عيسى عليه السلام الذي يقول الحق تعالى فيه: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ سورة النساء (١٧١).

وقد جاء في بيان المجمع المسكوني الثاني بتاريخ ١٩٦٥/١٠/٢٨ ما يفيد تفهم المسيحيين لجوانب مهمة من العقيدة الإسلامية. وهذا يعتبر موقفًا إيجابيًّا يؤدي بكل تأكيد إلى روح المعرفة والفهم التي انقطعت بين أتباع الدينين فترة من الوقت.

ويقتضي هذا أن تتضافر جهود العاملين من علماء المسلمين والمسيحيين من أجل تبليغ رسالة الله لبني البشر الذين لازالوا محرومين منها، ولا يتحقق ذلك إلا بالامتناع عن فتنة أحد الفريقين لأتباع الفريق الآخر لأن ذلك يتنافي مع الإيمان بالقيم المشركة للدينين، ويؤدي مرة أخرى إلى التنازع الذي شتت الجهود في الماضي وأفضى إلى الظلم والجور... إن

الحوار بين المسيحيين والمسلمين لا يجري في فراغ ولا هو من أجل ترف عقلي، إنما يهدف إلى تأكيد الإيمان والعمل الصالح في نفوس المعاصرين لنا جميعًا.

إننا معشر المسلمين، انطلاقًا من عقيدتنا الإسلامية وليس من اجتهادنا أو استجابة للظروف الاجتماعية أو أغراض حسن الجوار، ننظر للمسيحيين بأنهم أهل كتاب وأنهم أقرب أهل الكتاب إلينا ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ سورة الشورى (١٣).

وجاء في كلمة نيافة الكاردنيال "سيرجيو بينيودولي" رئيس الوفد المسيحي في جلسة الافتتاح، معبرًا عن شكره للجماهيرية الليبية ورئيسها وشعبها على دعوتهم لهذه الندوة، إذ قال: "ألفت انتباهكم إلى قيمتين مشتركتين وجوهريتين تكوّنان موضوع لقائنا وتبرران ندوتنا ذاتها إذ تضعانها ببساطة على مستوى لقاء حي بين أشخاص روحانيين يؤمنون بالله الواحد الرحمن الرحيم. وهنا أحب أن أذكر لكم صلاة نتلوها يوم الثامن من يناير وتستطيعون أنتم إخوتنا المسلمين أن تتلوها معنا نحن المسيحيين: "تطلع اللهم إلى جميع الذين يعبدونك، إنك الإله الحقيقي، وينتظرون دينونتك في اليوم الآخر".

القيمة الأولى: هي عبادة الله خالق الكون وربه الذي أظهر إرادته للناس وعلمهم طرق العدل والسلام ويقود كل واحد منهم نحو خلاصه الأبدي.

كما أن أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين التي يكررها المسلم المتدين على سبحته تطابق في جوهرها، أسماء إله الوحي والتقليد المسيحي.

والقيمة الثانية: هي الأخوة التي تجمعنا أنتم ونحن وكل الناس، وتفرض علينا واجبًا ثقيلاً هو واجب المحبة والتعاون (وهذا في الإنجيل والقرآن). فنحن نفتتح هذا الحوار بروح الأخوة، لا لنتجابه ولا لندين بعضنا بعضًا، ولا لنقلل من إيمان كل واحد منا، بل بروح الاحترام والمحبة الكاملة بعضنا لبعض نحو بعض.. إنني أعتقد أن واجبنا نحو الأجيال الجديدة يفرض علينا بذل جهودنا الفعالة لتحقيق العدل ومنع الظلم، والسلام عليكم".

وعلى مدى أربعة أيام حافلة بتقديم الأوراق الثماني الرئيسة حول المحاور الأربعة ومشاركة الفريقين في التعليقات والمناقشات والأسئلة وتقديم المداخلات العديدة من قاعة المؤتمر من طرف المشاركين من أهل الديانتين من مختلف المذاهب والمدارس بالإضافة إلى عدد من المفكرين وأهل الرأي، وتغطية إعلامية مكثفة (مرئية ومسموعة ومكتوبة) تصل إلى أقاصي الأرض ونقل مرئي حي إلى عدد من الدول، بالإضافة إلى دولة مقر الندوة، وبالإضافة إلى مداخلة الأخ/ معمر القذافي التي قدم فيها أسئلة أجاب عنها بعض أعضاء الفريقين، وقدم تعليقات على قضايا رئيسة منها أن أهل كل ديانة يجب أن يعودوا إلى وحيهم وكتابهم لأن هذا هو العاصم من الجهل والصراع وعدم الإساءة للأنبياء، قائلاً في ذلك الوقت: "إن هذا الملتقى يمكن أن يدين في توصياته هذه التصرفات التي تسيء إلى أنبياء الله".

وبالإضافة إلى وجود رئيس لكل جانب، كان لكل جانب مقرر، وكان مقرر الجانب الإسلامي هو الأستاذ/ إبراهيم الغويل (عضو جمعية الدعوة الإسلامية) الذي قدم ورقة الجانب الإسلامي في المحور الثاني: "العدل الاجتماعي ثمرة الإيمان بالله"، وكان مقرر الجانب المسيحي كان هو الأستاذ/ بييرو روسانو، الذي قال في كلمته في ختام الندوة:

"إننا نشعر بالارتياح لروح الود والأخوة التي سادت جلسات الندوة. لقد طُرحت في الندوة العديد من القضايا المهمة التي نوقشت بكل تعمق من الجانبين، وإن التعاون المشترك بين الطرفين الإسلامي والمسيحي من شأنه أن يقودنا إلي حياة أفضل روحيًّا وخلقيًّا".

وأضاف: "إن البيان الختامي للندوة ليس من وضع وفد واحد، لكنه ثمرة لقاء بين الجانبين المسيحي والإسلامي. وهذا دليل قاطع على أننا عرفنا كيف نتحدث بنفس اللغة، وأن قلوبنا قد تلاقت، ونحن نشكر الله على هذه الرحمة".

لقد كان شعار الندوة: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ و"لنبحث إذًا عما يعزز السلام والأخوة".

وبعد تلخيص أعمال الندوة، وحرصًا على تحقيق الغايات النبيلة التي من أجلها عُقد الحوار، اتخذت الندوة المقررات والتوصيات التالية وعددها (٢٤) منها:

١- يؤكد الجانبان إيمانهما بالله الواحد الأحد، ويوصيان بالعمل الدائب صفًا واحدًا وجبهة واحدة من أجل تعميق القيم الدينية والأخلاقية في النفوس.

٢- يكرم الجانبان جميع الأنبياء والرسل في الديانات السماوية كلها، ويستنكران التعرض بالإساءة لهم أو التجرؤ على مقامهم لأن في ذلك اعتراضًا على إدارة الله الذي أرسلهم.

٣- يؤكد الجانبان على أن الإيمان بالله يقتضي بالضرورة الوقوف مع الحق حيثما كان والانتصار للإنسان ولكرامته ولرخائه.

٤- وانتصارًا لكرامة الإنسان، يعلن الجانبان رفضهما واستنكارهما للتمييز العنصري بجميع أبعاده وأشكاله.

٥- يؤكد الجانبان وجوب حرية الاعتقاد الديني وإقامة الشعائر الدينية وحق الأسرة في تنشئة أبنائها تنشئة دينية.

٦- يوصي الطرفان بضرورة العمل المشترك لتتبع ما ورد من أغلاط ومفتريات في المناهج والكتب المدرسية وفي كتب بعض المستشرقين والعلماء حول معتقدات كل طرف.

٧- وفي سبيل التعاون الحقيقي بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي، يوصي الفريقان بالكف عن المحاولات الرامية إلى صرف المسلمين عن معتقداهم من قبل المسيحيين أو صرف المسيحيين عن معتقداهم من قبل المسلمين.

وفي الختام، اتفق الجانبان على:

"أن المقصود من الحوار هو أن يتبادل المتحاورون من أهل الديانتين المعلومات والأفكار والحقائق التي تزيد من معرفة كل فريق بدين الآخر وتاريخه وحضارته وسائر أمره؛

توضيحًا لما قد يكون بينهما من مواطن التلاقي أو الاختلاف بطريقة مخلصة وموضوعية يحتفظ فيها كل طرف بمعتقداته والتزامه ومواقفه في جو من الود والاحترام المتبادل. وأن الجانبين المتحاورين يغتنمان هذه الفرصة المباركة لتقديم أجزل الشكر وأوفاه لجميع من شاركوا في هذه الندوة".

وبالفعل حرّكت هذه الندوة –التي صاحبتها تظاهرة روحية ثقافية كبيرة– فعاليات ومؤسسات العالم الإسلامي والمسيحي، وظهرت نتيجة لذلك كتابات وتعليقات صحفية وبيانات من هيئات دينية وثقافية، وعقدت لقاءات وحوارات داخل الأديان ذاتها وبين المنتسبين إلى الديانتين وحتى من الذين يهتمون بشئون الثقافة والحضارة، بصرف النظر عن الجانب الديني الضيق.

وكان طبيعيًّا أن يكون لبعض المواقف السياسية للهيئات والدول حساباتها، كما كان طبيعيًا أن يكون لبعض الهيئات والمدارس الدينية في كل دين حساباتها. ومن ذلك مواقف إسلامية منددة بالحوار مع الذين استعمروا العالم الإسلامي ويعملون على التبشير فيه، وكذلك منها مواقف مسيحية عقدت مؤتمرًا عالميًا قدمت فيه الخطط والاستراتيجيات لتنصير العالم الإسلامي.

ولكن الحوار انطلق، والثقة بين أصحاب الديانتين ازدادت رسوخًا، واطمأن الناس في ظل البيانات المشتركة واللقاءات المتتابعة والمواقف المشتركة والدراسات الإيجابية العميقة. ومع ذلك لا يمكننا أن نغفل مواقف دينية وغير دينية من خارج أهل الديانتين كانت تثير دائمًا روح الشك والنزاع والصراع وتفعيل الأزمات والعراقيل. وقد قامت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية مع المجلس البابوي للحوار بمتابعة التوصية (٢٣) التي تنص على تشكيل لجنة متابعة مشتركة، وكان لهذه المتابعة الأثر الكبير في عقد جلسات لمعالجة قضايا كثيرة وذلك في كل من الفاتيكان وطرابلس ومدن أخري مثل مالطا وفيينا.

كما شجَّع الجانبان المؤسسات الدينية والثقافية من العالمين الإسلامي والمسيحي على عقد دورات وندوات حوارية ناجحة، حدث ذلك في مصر والأردن ولبنان وتونس والمغرب وإسبانيا وفرنسا وألمانيا وتركيا وغيرها الكثير مما لا يتسع المجال إلى التحدث عنها، وكان لكل تلك الأنشطة آثارها الكبيرة في التواصل الإسلامي-المسيحي الذي أصبح حقيقة واضحة وأصبح له رجاله ومفكروه. وأصبحنا خلال العقود الثلاثة الماضية نرى مشاركة رموز الديانتين يظهرون معًا في المناسبات الدينية للطرفين وإعلان التهاني من كل طرف إلى أتباع الطرف الآخر، وظهور دراسات للتعريف بثوابت كل دين ومساهماته في الحث على السلام والتنمية والعدل.

وتساوت مع ذلك في نفس الوقت بعض الكتابات النقدية للدين والتدين من منطلقات غير دينية، وأحيانًا لأهداف استراتيجية وأمنية.

وقد اهتمت لجنة تنسيق العمل الإسلامي، وهي لجنة تضم المنظمات غير الحكومية التي تشارك في اجتماعات منظمة المؤتمر الإسلامي كأعضاء مراقبين، اهتمت فيما اهتمت به -من شؤون الدعوة والعمل الإسلامي- بشؤون الحوار. وتناولت في عدد من اجتماعاتها، في إطار استراتيجية عملها في جدة والقاهرة وجاكرتا وطرابلس وطهران، مسألة الحوار الديني والثقافي والحضاري، وكان الحوار الإسلامي-المسيحي في قلب اهتماماتها. ولاحظت اللجنة أن لقاءات الحوار الإسلامي-المسيحي تظهر فيها نتائج الدراسات المعمقة والتنسيق المسبق في القضايا المطروحة للحوار من الجانب المسيحي، بينما تخضع مشاركة الجانب الإسلامي في الكثير من الأحيان إلى المبادرات الفردية والجهود الجزئية وغياب التنسيق بين المتحاورين من هذا الجانب. وقد انعقدت لجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك في القاهرة برئاسة المرحوم الشيخ/ جاد الحق شيخ الأزهر الأسبق، بتشكيل لجنة ضمت عددًا من الخبراء لوضع آلية للتنسيق في مجال الحوار وإبراز إيجابيات المشاركة الإسلامية فيه.

على أية حال، تواصلت جهود الحوار الديني وانضمت إليها جهود أخرى في الحوار الثقافي والحضاري بمبادرات من عدد من الدول الإسلامية، منها إيران، وتبني الأمم المتحدة للحوار الحضاري. وأصبح التواصل الإسلامي-المسيحي يأخذ مجالاً أوسع، بحيث اتخذ شكل

التواصل الإسلامي مع الغرب، وقد جاء ذلك كاستجابة لبعض الاستراتيجيات التي ظهرت بعد الهيار الاتحاد السوفيتي؛ وفي مقدمتها نظريات صراع الحضارات واستهداف العالم الإسلامي وكأنه العدو البديل بعد سقوط الشيوعية، ونظريات نهاية التاريخ وأنه ليس في الإمكان أبدع مما كان، وأن على الناس أجمعين أن يتركوا ثقافتهم وأديانهم ويلتحقوا بما سمي بالثقافة الجديدة والفردوس الموعود.

من هنا تنادى الناس والعلماء من الشرق والغرب لحوارات حضارية فيها الثقافة والدين والآداب لتطويق هذا التوجه الذي رأى فيه الكثيرون تهديدًا لهويتهم وشخصيتهم الثقافية. وبالتالي حفلت التسعينيات بهذا النوع من التواصل الحضاري الثقافي والديني، وكان للتواصل الإسلامي المسيحي فيه دور كبير.

ثم جاءت أحداث سبتمبر ٢٠٠١ المروعة، والتي أحدثت زلزالاً هائلاً في التواصل الديني والحضاري والثقافي، وخاصةً في التواصل بين الإسلام والغرب. وقد أدان العالم أجمع هذا العمل ورأى فيه إرهابًا ضد الإنسانية والحضارة المعاصرة والتقدم البشري. وجاءت هذه الإدانة من جانب كبار أئمة ورجال الدين المسيحيين والمسلمين -بالإضافة إلى الدول العربية والإسلامية- ورأى فيها الجميع تهديدًا للحوار الذي لا بديل عنه.

وقد تنوعت ردود الأفعال على هذه الأحداث؛ فهناك الحروب وهناك التهديدات وهناك التسلط الإعلامي الذي يشوِّه الإسلام -على اعتبار أن من قاموا بذلك العمل ينتمون إليه. ثم كانت هناك الكتابات في كل الأشكال التي توضح ما الإسلام، وأحيانًا تقدمه في صورة سلبية باعتباره يدعو للإرهاب والتخلف. وبالإضافة إلى ذلك، كانت هناك الكثير من الأصوات التي تدعو للحوار والتواصل بين الإسلام والغرب والأديان الأخرى، وتجددت الدعوة لمزيد من التواصل الإسلامي- المسيحي لتطويق الدعوة للعنف والصراع والهروب من الحوار والتفاهم والعيش المشترك.

وقد شهدت سنوات ما بعد ٢٠٠١ لقاءات كثيرة للحوار والتواصل، ليس فقط بين علماء الإسلام ورجال المسيحية، ولكن كانت هناك لقاءات شارك فيها أهل السياسة وأهل الاقتصاد وأصحاب الأعمال ورجال الأمن والمسئولين في الدول والمؤسسات والهيئات

غير الحكومية وهيئات المجتمع المدني. وكان لهذا أثره الإيجابي في نبذ العنف والإرهاب وشجب العدوان والحرب وتلمس طريق التعاون والعيش المشترك.

ولعل خطاب الأخ/ معمر القذافي في سبتمبر ٢٠٠٢ كان من العلامات البارزة على هذا الطريق؛ فقد قال بأننا كمسلمين نتفهم الغضب الذي انتاب الغرب، ولكن بعد عام كامل من الأحداث لابد لنا جميعًا من مراجعة شاملة ليتواصل التعاون العالمي. وإننا في العالم الإسلامي لم نتخذ قرارًا بهذه الهجمات الإرهابية، بل إننا سمعنا بها كما سمع الناس أجمعين. لذلك لابد للعالم الإسلامي أن يجتمع في شكل قمة إسلامية في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي تشارك فيها الحكومات وتشارك فيها أيضًا المنظمات والهيئات الإسلامية القائمة بالعمل الشعبي الإسلامي. وإننا في هذه القمة لابد أن ندين العنف والإرهاب ونعلن عن ثوابت الإسلام وحرصه على البناء والسلام، ونلتزم بهذه الثوابت على المستوى الرسمي والشعبي حتى لا تتكرر مثل هذه الأحداث.

وفي نفس الوقت، لابد أن نوجه خطابنا للذين يشوهون الإسلام ويشوهون المسلمين ويطلقون عليهم كل نعوت الشر والظلم بأن يكفوا عن هذا التوجه الذي لا يخدم السلام وإنما يخدم الإرهاب ومن وراءه.

لقد ذهبت أنا شخصيًّا للقاء سمو أمير قطر بصفته رئيسًا للقمة الإسلامية وقتها للدعوة لهذه القمة، وقد استجاب فورًا واتخذ الإجراءات اللازمة لذلك، وتم التنسيق مع الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي الذي تحمس للأمر وأرسل الدعوات وقام برحلات إلى قطر وطرابلس وعدد من العواصم العربية والإسلامية. وتم أيضًا الاتصال بالمنظمات والهيئات الإسلامية في داخل العالم الإسلامي وخارجه بالخصوص. وفي الوقت الذي كانت الاستجابة مُرحبًا بها على المستوى الشعبي، فإن بعض الحسابات السياسية حالت دون موافقة الجهات الرسمية على عقد القمة، ولكن الحوار رغم ذلك تواصل في داخل العالم الإسلامي وخارجه.

وفي إطار انعقاد المجلس العالمي للدعوة الإسلامية، وهو المجلس التنفيذي لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، تم اعتماد شعار هذه الدورة للمجلس ليكون حول تأكيد التعارف

بين الناس استجابة لقوله تعالي: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ سورة الحجرات (١٣). لذلك فقد تقرر أن يكون موضوع التعارف بين الناس هو محور الحديث والنقاش والمعالجة؛ وذلك لما يحتويه من تواصل وحوار وتفاهم مشترك حول وضع السلام والاستقرار الذي يفسح المجال للتعاون والعيش المشترك. وكان اختيار هذه الآية القرآنية أمرًا مقصودًا لأن الله لا يخاطب المسلمين من أتباع سيدنا محمد ولا المؤمنين من أتباع عيسى وموسى وإبراهيم فقط، ولكنه يخاطب الناس جميعًا، وأن مسألة الجعل الإلهي هي أيضًا قانون اجتماعي طبيعي يؤدي إلى التعارف، وأن الحكم على الناس من حيث كرامة الإنسان لا يكون بالتميُّز العرقي والثقافي وإنما بالتقوى ومحبة الله.

ولذلك فقد تمت دعوة عدد كبير من علماء الدين الإسلامي ورجال الدين المسيحي -بكل مدارسه- وعدد من أصحاب القرار السياسي من عدد من الدول المعنيين بالحوار والتواصل، وعدد من الهيئات التربوية والعلمية والثقافية على المستوى العالمي والإقليمي، مثل: اليونيسكو والفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي والكنيسة الأرثوذوكسية والكنيسة الإنجيلية، ومنظمة المؤتمر الإسلامي ومؤسساتها وعدد من الهيئات التربوية والثقافية المسيحية.

فكان هناك في الحضور:

- الرئيس أحمد بن بيلا –رئيس جمهورية الجزائر السابق.
- ونائب رئيس وزراء مالطا.
- ورئيس البرلمان في الفلبين.
- وممثل عن الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي.
- الأنبا باخوميوس.
- ومدير المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- ونائب وزير الداخلية الإيطالي؛ حيث كانت إيطاليا تترأس الاتحاد الأوربي.

- ومندوب الفاتيكان.
- ومندوب الكنيسة الإنجيلية والفاتيكان ومنظمة المؤتمر الإسلامي.

وقد تمت الإشارة في كلمة الافتتاح إلى أن الحوارات الكثيرة التي تمت بعد الأحداث أبرزت أمرًا مهمًا وهو إدراك الجميع بأن الدين هو جزء مهم في الثقافات الإنسانية وفي الحضارات الإنسانية. وأن الدين لابد أن يعرفه أهله لأن الجهل الذي قد يحدث لأتباع أي دين قد يؤدي إلى مشاكل لا يقتصر تأثيرها على أصحاب ذلك الدين أو تلك الثقافة، ولكن يتعداها إلى الأديان والثقافات الأخرى ويؤثر في العلاقات بين الشعوب وفي قضية السلام والعدل والاستقرار والتنمية على مستوى العالم.

ومن هنا جاء شعار "لتعارفوا" ليتناول الحوار ويتناول ما بعد الحوار: كيف نحيا معًا؟ كيف نحترم الثقافات الأخرى؟ كيف نحترم بعضنا بعضًا؟ لذلك لابد أن نؤصل الدين الذي ننتمي إليه والثقافة التي ننتمي إليها ونحترم هويتنا.

كل الأديان تدعوا إلى السلام والقيم الأخلاقية الفاضلة وتدعوا إلى التعاون والتسامح والمحبة. ومن هنا، فإن معرفتنا الحقة بديننا وثقافتنا تتيح لنا "التعارف" مع أهل الأديان والثقافات الأخرى، ومن ثم الاحترام لها والتعاون معها وهذا بحق هو طريق صنع السلام الحقيقي.

وفي خضم هذا العمل العظيم، يأتي التواصل الإسلامي–المسيحي في بؤرة الاهتمام؛ فنظرًا لما بين الدينين من تقارب في الزمان والقيم المشتركة، وما أبرزته اللقاءات الحوارية السابقة على امتداد أعوام معظم النصف الثاني من القرن العشرين، فإن جهود المسلمين والمسيحيين تأتي في قمة الاهتمام بدفع التعارف إلى الأمام وصنع السلام للجميع.

وقد عبر الرئيس بن بيلا في حفل الافتتاح قائلاً: "إن هذا اللقاء يمثل حدثًا في غاية الأهمية في نشر ثقافة السلام وتعزيز روح التعارف بين أتباع الديانات، بما يشكله من مضامين إنسانية تهم البشرية جمعاء". وقال: "إن الإنسانية وصلت لمرحلة من المدنية والتحضر ترفض معها الحرب، وما يسمى بالحروب المقدسة ولا تعترف إلا بقدسية السلام.

فالسلام هو المقدس.. إنني أدعو وبقوة لضرورة تأكيد وترسيخ قيم التعارف والتعاون والحوار بين المجتمعات الإنسانية، وإن هذا الملتقى هو خطوة صحيحة في الاتجاه الصحيح".

وقالت أناماريا كوسيجا (ابنة الرئيس الإيطالي السابق): "إنني حضرت نيابة عن والدي لأحيي السادة الحضور من الجانبين الإسلامي والمسيحي. إنني متفائلة وأعلق أهمية كبرى على هذا الملتقى الإنساني الذي يؤكد معنى الحرية والعدالة والتفاهم والسلام".

وقال السيد/ مونتوفانو (نائب وزير الداخلية الإيطالي ممثلاً للاتحاد الأوربي): "إننا نتفق مع فكرة هذه الدورة وهذا الملتقى والدعوة إلى تعميق الحوار وتعزيز التعارف المتبادل على المستوى الديني والثقافي الإيجابي بين الشعوب. إن التفاهم والحوار بين الديانات التوحيدية، هو السلاح الأفضل على المدى المنظور والمتوسط لمواجهة وعزل التطرف والمتطرفين".

وقال السيد/ خوسيه دي فينيسيا (رئيس البرلمان في جمهورية الفلبين): "إنني أؤمن بأن الحوار بين الحضارات والتعاون بين الثقافات وتبادل الأفكار هو الذي يقود إلى التعاون السياسي والاقتصادي والثقافي. وأؤمن بأن الحوار المسيحي-الإسلامي يجب أن يؤخذ كأمر جدي ومهم بين مختلف الشعوب وأن يكون سياسة ثابتة لكل الدول. نحن ضد التطرف من أي ناحية جاء ومن أي طرف كان. لقد أتينا إلى هنا لنؤكد على السلام الدائم بين المسلمين والمسيحيين، وأن قادتنا يستطيعون أن يضعوا حدًا للعنف عن طريق الحوار". وقال: "إننا نستطيع أن ننهي هذا الصدام بين الحضارات الذي "بشرونا" به، لأن المسؤولية تقع على صناع السلام ونحن صناع السلام".

وتحدث جون دالي (نائب رئيس الوزراء في جمهورية مالطا) فقال: "انضممت لهذا المؤتمر لأقول إنه ليست هناك حرب مقدسة، ولكن هناك سلام مقدس فقط... إننا نؤكد على التزام مالطا، وهي لديها تاريخ في هذا المجال، وفي النضال من أجل المساواة بين جميع الأديان".

وقال المدير العام للأليسكو (المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة) الدكتور/ المنجي أبو سنية: ""إن ما أصبح يُعرف خلال العقد الأخير بـ"الحوار بين الثقافات والحضارات" هو تجسيد للأمر الإلهي بـ"التعارف" الذي تضمنته الآية الكريمة، وهذا الحوار العريق فى ثقافتنا وحضارتنا العربية الإسلامية التي دعامتها وأساسها ديننا الإسلامي الحنيف"".

ومعروف أن الأمم المتحدة أعلنت ٢٠٠١ عامًا دوليًا للحوار بين الحضارات.

وقال الأنبا باخوميوس (مطران البحيرة ومطروح وشمال أفريقيا) ممثلاً عن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية: ""إن هذا اللقاء يجمع الأخوة من كل أمة وقبيلة وجنس تحت السماء. إنه أمر مفرح، فما أحسن أن يجتمع الأخوة معًا، فمن اجتماعهم تنبعث رائحة حب طيبة، هذا الحب الذي نحن بحاجة إليه في مجتمعنا. إنه يعني أننا قد اجتمعنا من ثقافات وأديان وأوطان ولغات، وأمم كثيرة تحت السماء، أتينا إلى هذا البلد، ليس لكي نتصارع، فلسنا ممن يؤمن بصراع الحضارات بل لأننا نؤمن بالحوار، وقد جئنا كي نتحاور"".

وقد شارك في هذا الملتقى الذي بدأ يوم ٩/٢٠ وحتى يوم ٢٠٠٣/٩/٢٢ ممثلون من أكثر من ١٣٠ منظمة وهيئة إسلامية ومسيحية من مختلف أنحاء العالم، إضافة إلى عدد من المنظمات الدولية والإقليمية ومسؤولي الكنائس الشرقية والغربية، ولفيف من الباحثين والمفكرين والمهتمين بقضايا الحوار بالإضافة إلى رجال الإعلام.

وكما جاء فى حديث الاختتام أننا فى هذا الندوة ""نواصل تفعيل ونشر هذه الروح الكريمة التي التقينا حولها، لم يطلب أحد منا أن يلغي أي إنسان أو أية مدرسة أو أي دين هويته أو صورته أو شخصيته، لأن ذلك ليس من مسؤولية هذه الديانات ولا هذه المدارس ولا هؤلاء العلماء. ولكننا أكدنا ونؤكد وأكدتم أنتم على أن تكون هذه الهوية بنّاءة تبني لقاءً حقيقيًا بين النفوس الكريمة على هذه الأرض بين البشر جميعًا الذين كرمهم الله سبحانه وتعالى، ويصبح احترام كرامة الإنسان بالنسبة لنا جميعًا هو الأساس في أي تعاون.

ونؤكد أننا سوف نخدم هذا الموضوع مع إخواننا في المدارس الدينية الإسلامية والمسيحية بكل إخلاص. وأؤكد أن هذا العمل سيكون بإذن الله، بتعاون الناس، عملاً ينقلنا جميعًا مسؤولين وجماهير، شبابًا ونساءً، وطلابًا وأساتذة، ينقلنا خطوة متقدمة على طريق تأكيد الكرامة الإنسانية لكل الناس".

وقد جاءت التوصيات لتؤكد على كرامة الإنسان واعتماد الحوار ونبذ التطرف والتعصب والإرهاب.

وجاء فى التوصية الأولى:

أولاً: التأكيد على التمسك بثقافة التعارف بين الناس انطلاقًا من القيم الروحية الإسلامية والمسيحية ومن المبادئ الإنسانية السامية.

ثانيًا: العمل على إبراز القيم الأخلاقية المشتركة التي يدعو لها الإسلام والمسيحية في نبذ العنف والتطرف والغلو.

ثالثًا: العمل على عقد لقاءات دراسية لتعميق مفاهيم التعارف في عدد من مناطق العالم.

وتنفيذًا لذلك، تم عقد الندوات التالية:-

- ندوة مدينة "وندرز" في بريطانيا بالتعاون مع منظمة "روح أوروبا الأنجليكانية" في الربيع/مارس ٢٠٠٤.
- ندوة موسكو حول التعارف للحوار مع الكنيسة الأورثوذكسية الروسية في مايو ٢٠٠٤.
- مؤتمر عمان حول التعارف، والذي افتتحه رئيس وزراء الأردن وذلك بين علماء الدين المسلمين ورجال الكنائس المسيحية ٢٥-٢٦ يوليو ٢٠٠٤ تحت عنوان: "نحو خطاب عربي إسلامي مسيحي مشترك للتعارف مع الآخر".

- لقاء "التعارف" بين الشباب المسلم والمسيحي بالتعاون مع الكنيسة الأنجليكانية، وذلك في جامعة لندن، وعقدت الجلسة الختامية في البرلمان البريطاني بحضور عدد من أعضاء البرلمان ومجلس اللوردات.
- لقاء الأئمة والأساقفة في "مانيلا" عاصمة الفلبين بحضور رئيسة الجمهورية ورئيس مجلس البرلمان وأمين جمعية الدعوة وأمين المجلس البابوي للحوار الأب "فتزجرالد"، وبحضور مندوب عن الجبهة الإسلامية لتحرير مورو والجبهة الوطنية لتحرير مورو.

لقاءات كثيرة تسارعت بعد لقاء "لتعارفوا" من طرف هيئات ومنظمات إسلامية ومسيحية وثقافية وجامعات ودول ومؤسسات اقتصادية ومنظمات المجتمع المدني.

وكان للأزهر دور، وأيضًا المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية كان له دوره، وكذلك مركز الحوار في جدة، ومؤسسة آل البيت في الأردن. بالإضافة إلى لجنة الحوار الإسلامي-المسيحي في لبنان، ومجلس الكنائس العالمي، والفاتيكان، والكنيسة الشرقية، والإيسيسكو، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، وبعض الدول الأعضاء فيها، ولا يتسع المجال هنا للحديث عن هذه اللقاءات، وقد حضرت وشاركت في العديد منها. والذي أسجله هنا هو أن الحوار الديني والتواصل الإسلامي-المسيحي كان دائمًا هو حجر الزاوية في تلك اللقاءات.

وفي الوقت الذي شهدت فيه الأعوام الأخيرة اهتمامًا إسلاميًا ومسيحيًا ودينيًا بكثير من شؤون الحياة والسياسة والاجتماع، مما مكن للتواصل أن يأخذ دوره، شهدت تلك الأعوام كذلك تشويشًا من الأطراف التي ترفض الحوار من الجانبين أو من خارجها عبر استراتيجيات معنية. ويُشكك البعض الآخر في جدوي الحوار من أساسه؛ باعتباره يبتغي مزيدًا من الاندماج في اللقاء بين أهل الديانتين على حساب ثوابت كل دين في بعض الأحيان. الأمر الذي أحدث نتائج عكسية أدت إلى التشكيك في أهمية الحوار وأنه قد يحتوي على أجندات خفية. وقد أدى هذا إلى أن قام علماء كل دين بالعمل على توضيح المبادئ الأساسية لكل دين. فمثلاً قامت بعض المؤسسات المسيحية بتوضيح الثوابت الدينية للمسيحية حتى يوفها ويلتزم بها المؤمنون المسيحيون ويحافظوا على عدم تجاوزها، وكذلك

الأمر بالنسبة لبعض المسلمين الذين تبهرهم العلمانية ويخلطون بينها وبين المسيحية ويعملون على دمجها مع المبادئ الإسلامية بطريقة تُشكِك في الثوابت الإسلامية. وبالتالي يتوجس الناس خيفة من الحوار خاصةً عندما يأتي ذلك من قبل مفكرين التزموا توجهات معينة نحو الإسلام وركبوا موجة الحوار عندما راجت سوق الحوارات في أوائل القرن الواحد والعشرين.

إلا أن الحوار أتاح للكثيرين من المشاركين فيه والمؤمنين بجدواه أن يكون بينهم نتائج ومفاهيم وتبادل الخبرات الدينية خارج قاعات الحوار وعلى هامش لقاءاته أحيانًا. ومن ذلك أنه عندما تمت ملاحظة أن بعض اللقاءات الحوارية العامة التي عُقدت في أوروبا كان هناك خلالها اختيار من طرف الغربيين لبعض الأشخاص من المسلمين الذين لهم معرفة متواضعة بدينهم وإعطائهم الفرصة للتألق في هذه المحافل عن طريق التلميح الإعلامي عندما يدفعون للتسليم على هذا أو الموافقة على كل ما قاله الآخر، قد تضمنت الأخوة في المؤسسات الدينية المسيحية التي رتبت لمثل تلك الحوارات العامة فأظهروا كل تفهم واحترام والتزام.

عالمنا الذي أصبح صغيرًا تموج فيه أحداث وتتفاعل فيه أنشطة متسارعة من كل الاتجاهات ويأخذ فيه الشأن الديني تأثيرًا كبيرًا في الحياة العامة بعد أن كان الدين قد وضعه العالم المتحضر ودعاة الحداثة على القاعدة الخلقية. ويأتي الإسلام في قلب اهتمامات كل الناس: من أهل السياسة، ودعاة السلام، ودعاة الحرب، وأهل الاقتصاد، والعولمة، إلى آخر ذلك من منطلقات الفعل الإنساني في عالم متغير.

تظهر مشاعر كثيرة بين الناس -مسلمين وغير مسلمين- من مشاعر الخوف والترقب ومشاعر الكبرياء والغرور ومشاعر اليأس والإحباط، والعامل المشترك بين ذلك كله قلق لدى الجميع وتوجس يكاد يكون عامًا.

تزكي هذه المشاعر أحداث استفزازية لرموز الثقافات والديانات مما يزيد من تأججها ويجعلنا أحيانًا عاملاً أساسيًا في العنف والعداوات، وفي هذا الجو الملبد بغيوم الشك والخوف والذي يبعث إلى الهروب من الآخرين والتوقع في زوايا كل ثقافة والتميز وراء

حواجز الكراهية والغضب ونبذ الآخرين، في هذه الأجواء لابد من التواصل والحوار. وحجر الزاوية في هذا كله هو التواصل الإسلامي-المسيحي، على الرغم من أن المشاركين في هذا التوتر ليسوا كلهم من أهل الأديان، وهذا ليس فقط من أجل إنقاذ ما تم إنجازه في الماضي بين أتباع الدينين ولكن من أجل إنقاذ العالم -كل العالم- من المتطرفين والمُشوِّهين والمُعتدين. وقد رأينا ذلك واضحًا في الأزمة الراهنة؛ من أمثلة ذلك إدانة الفاتيكان للإساءة للرموز الدينية، ورسالة الفاتيكان لي شخصيًا من قبل الأب "مرتيتليس" ممثل طرابلس، ورسالة الأنب بوخوميوس باسم قداسة البابا شنودة إلى الأخ معمر القذافي.

ولعل ما كتبه الدكتور/ جون اسبوزيتو مؤخرًا يعبر عن جبهة عريضة من حجج الحوار والتواصل بين المسلمين والمسيحيين غربيين وشرقيين، حيث قال معلقًا على الأزمة الأخيرة: "إن ما نشهده اليوم لا يمت للقيم الديمقراطية الغربية بصلة، فالإعلام الأوروبي يعكس اليوم مجتمعًا مصابًا بالإسلاموفوبيا (رهاب الإسلام) وكره الأجنبي، وإن الرسومات الأخيرة لهي أكبر دليل على الرغبة في الاستفزاز... فهي تستخف بأكثر الرموز قداسة في حياة المسلمين. والغريب أن كل ذلك الاستخفاف يحدث في ظل أسطورة حرية التعبير".

حيث أدان أهل الدين المسيحي (من كاثوليك وأرثوذكس وبروتستانت) الإساءة لنبي الإسلام عليه الصلاة والسلام.

لذلك لابد من التواصل، والتواصل الإسلامي-المسيحي؛ فهو عين الحوار مع كل الأديان والثقافات والحضارات. وما تم إنجازه جيد، ولكنه غير كاف ولابد من مزيد من بذل الجهد في التواصل لمواجهة الهموم التي تشغل الأفراد والجماعات وعلاقتها وصلتها بالبيئة وعناصر الطبيعة.

وقد تباحثت مع الوزير "فراتيني" (نائب رئيس المفوضية الأوربية لشؤون العدل والهجرة) من أجل التنسيق لعقد الدورة الثانية لندوة "لتعارفوا" هذا العام تحت شعار "تحقيق الكرامة الإنسانية". وفي لقاءنا مع رجال الإعلام كانت الأسئلة في أغلبها حول مسائل حرية التعبير والإساءة إلى الأنبياء، وأكدت الإجابات أن تجاوز ذلك إنما يتم بالحوار، وأن الحوار يرتكز على التواصل، وفي قلب ذلك كله التواصل الإسلامي-المسيحي.

أيها السيدات والسادة:

هذه إشارات سردية لبعض تجاربنا في جمعية الدعوة الإسلامية وهيئات ومؤسسات أخرى متعاونة معنا في مجال الحوار. هي تجارب صغيرة بالمقارنة بما قامت به هيئات إسلامية وغير إسلامية في العالم الإسلامي وفي الغرب في هذا الإطار، ولكنها تجارب حاولنا فيها أن نعمل من أجل التواصل -والتواصل الإسلامي المسيحي بصفة خاصة- كطريق للتواصل مع الموحدين ومع الناس أجمعين. أردنا منها تحقيق الفهم الصحيح الواضح لعناصر التواصل، وتعلمنا من تجاربنا ضرورة استخدام اللغة الواضحة الجلية التي تتضح من خلال معالم تعارف إنساني حقيقي بعيدًا عن الغموض والتوظيف وأدلجة الحوار الذي يستعمل أحيانًا بطريقة لا تكاد ترى فيها صورة هذا الدين أو ذاك عندما تختلط المفاهيم والمصطلحات أو توظيف المقاصد والمنطلقات لتغير التواصل والحوار.

نحن نتواصل بروح المؤمنين الذين يرجون دائمًا أن يكون عملهم خالصًا لوجه الله، ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾. وشكرًا على حسن استماعكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المناقشات

أ.ريهام صالح:

شكرًا على هذه المحاضرة القيمة. والحقيقة أنني أرى مجهودًا كبيرًا جدًا للتواصل الإسلامي-المسيحي، لكن في نفس الوقت نحن نرى احتكاكات تحدث من وقت لآخر، مثلما حدث في الدنمارك، أو الفتن التي تحدث في مصر كما حدث في الإسكندرية والأقصر. فما هي رؤية سيادتكم لمستقبل العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في ظل هذه التطورات؟

أ.لبنى السبيلجي:

أريد أن أتساءل عن سبب استمرار حدوث احتكاكات شديدة رغم كل الجهود المبذولة لوقفها. كما أؤكد على ضرورة التمكين لثقافة الحوار، وهي لن تأتيَ إلا عن طريق التنشئة والتربية من البداية، فنحن نفتقد كثيرًا ثقافة الحوار بشكل عام.

أما سؤالي الثاني فهو: هل عدم جدوى هذه المجهودات يرجع إلى عدم واقعيتها؟ وهل هذه الحوارات تحمل كثيرًا من التحفظات، وتبتعد عن الملفات الشائكة، مما يجعلها لا تضيف أي إضافة حقيقية؟ وهل هناك ملفات لا تُفتح، وبالتالي تظل هذه الملفات هي سبب استمرار حدوث المشكلات والاحتكاكات؟

أ.عبدالقادر كمال:

لماذا لا نرى دعوة إسلامية مناسبة؟ بمعنى أين وجود الدعاة الذين يتحدثون في وسائل الإعلام بوصفها أهم قنوات الاتصال في العصر الحديث؟ ولماذا لم نر دعوة تستدل بالبراهين العقلية والمادية على وجود الله عز وجل للرد على الملحدين ولبيان حقيقة الإسلام؟

أ.د. محمد الدسوقي:

في الواقع، إنني أحب أن أشير إلى قضية قد تكون هي سبب المشكلات التي نعاني منها. نحن كمسلمين ليست لدينا مشكلة، بمعنى أننا نؤمن بكل الديانات والرسل والكتب السماوية السابقة، وهذا الإيمان جزء من العقيدة الإسلامية. ولكن نحن لا نريد من الآخرين

أن يؤمنوا بما نؤمن به، فهذه مسألة أخرى، والله تبارك وتعالى حين ذكر في القرآن الكريم أنه ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، يمكن القول إنه لا يوجد في أي كتاب سماوي نص كهذا النص الذي يثبت احترام الإرادة الإنسانية في اختيار العقيدة التي يؤمن بها الإنسان.

ومن هنا، فهذا التواصل كيف له أن يتم إذا لم يكن هناك نوع من أنواع الإيمان – على الأقل– أو نوع من أنواع عدم الاعتقاد بأن المسلمين ليسوا على دين صحيح، وأن نبيهم (دعيّ) كما قال كثير من المستشرقين والمبشرين؟ كذلك ما تقوم به كثير من المحطات الفضائية من تشويه لصورة الإسلام والمسلمين، في حين أنه لا توجد دولة إسلامية واحدة بها محطة فضائية تقوم بمثل هذا الدور على الجانب الآخر.

فكيف يمكن أن تكون هناك ضوابط وقواعد علمية تنفي مثل هذا السلوك حتى يمكن أن يكون للتواصل النتائج الإيجابية التي تحقق الأمن والسلام بين المسلمين وغير المسلمين سواءً في داخل العالم الإسلامي أو خارجه؟ هذه قضية لابد أن نكون صرحاء في مواجهتها، فنحن نؤمن بكل الديانات والعقائد السابقة والآخرون لا يؤمنون بنا، وهذا أمر يعود إلى حرية العقيدة التي أرسى قواعدها الإسلام. ولكن لا يعنى عدم الإيمان ألا يكون هناك نوع من الاحترام وعدم الإساءة بأي شكل من الأشكال. وهنا لابد أن أذكر التاريخ وما قاله المستشرقون والمُبَشرون في الماضي، وما زالوا، وهذه كلها مواريث قديمة سببت في الأجيال الجديدة في الغرب موقفًا معاديًا للإسلام والمسلمين. فما هو الطريق العملي الصحيح الذي يجعلنا نتواصل فعلاً ويؤدي إلى احترام متبادل، وتعاون متبادل، وأخوة إنسانية متبادلة، وبذلك يعيش المجتمع الإنساني في أمن وسلام؟

أ.د. أحمد المهدي:

أقدم التحية للأخ الصديق د. محمد أحمد الشريف. وأنا شاهد على أن هذه الجمعية كانت لها جهود مشهودة في كثير من الدول الأجنبية، وقد رأيت هذا في زيارة لي لموريشيوس في جنوب القارة الأفريقية ثم في جزر المالديف.

وأزكّي كل ما قاله د. محمد الشريف في أن إحساسنا وفكرنا أن الحوار بين الإسلام وبين المسيحية أمر يسير مقبول، فقد تعايش الإسلام مع المسيحية في كثير من دولنا. القضية هي أن المسيحية لم تعد مسيحية في بعض الدول، فقد أفسدتها السياسة ووجود تيار

الصهيونية المسيحية الذي يهيمن ويتحكم في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية الموجهة لبلدان العالم كلها، وللشرق الأوسط بالذات. وهو التيار الذي اختلط فيه اليقين الديني بالأساطير السياسية، حيث يقول للناس أن العالم انتهى، وأن الآن هو وقت الحرب حتى يعود المسيح...إلخ. وهذا التيار المسيحي الصهيوني مصادره كلها من العهد القديم وليست من العهد الجديد، فكثير مما يقال مأخوذ من العهد القديم.

أ.د. أحمد شوقي الحفني:

شكرًا للدكتورة نادية مصطفى، وللدكتور محمد الشريف، ولمن لا يعرف د. محمد الشريف فهو أمين عام القيادة الشعبية الإسلامية العالمية التي تضم في عضويتها تنظيمات، وهذه التنظيمات يصل عددها إلى حوالي ٢٥٠ تنظيم، أحدها يبلغ أتباعه ما يقرب من أربعمائة مليون شخص في الغرب الأفريقي وحده. وهذه القيادة تُتمم عمل جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، لأن الرأس واحد، فيتم التنسيق بين الاثنين في الجهود. وأقول للدكتور الشريف: إذ العنوان هنا هو "التواصل الإسلامي-المسيحي"، وفي الواقع أرى أنه توجد شعبتين مسيحيتين: مسيحيو الشرق ومسيحيو الغرب، وكل منهما يختلف عن الآخر. وأريد أن أقول إنه بخبرتكم الواسعة في مسألة الحوار، وعلى المدى الطويل، ألا يجب أن يكون لنا أجندة أو استراتيجية للحوار المسيحي-الإسلامي من أجل التعايش الداخلي في الشرق تختلف تمامًا عن التحاور مع المسيحية الغربية التي تريد أن تتصادم؟ بمعنى أن يكون هناك حوار إسلامي مع مسيحيي الشرق من أجل التعايش المشترك، ومع مسيحيي الغرب بأجندة أخرى لمنع التصادم. وشكرًا.

أ.ميرنا محمد:

لماذا لا يكون هناك تفعيل أكثر لدور الدعاة في الدول الغربية؟ لماذا يكون هناك استغلال للدين الإسلامي لتحقيق مآرب وأهداف سياسية غربية؟ ولماذا لا يعمل المسلمون على إصدار قوانين من الأمم المتحدة تفرض احترام الدين الإسلامي؟

أ.إيناس محمد :

ما رأيكم فيما صدر عن الفاتيكان من تبرئة لليهود من دم المسيح؟ وكذلك في عدم الاعتراف بمحمد نبي الإسلام وبالإسلام كدين؟

أ.ديانا سند :

هل ترى سيادتكم أنه من الجيد أن يكون الرد على الإساءات للرسول ز هو حرق الكنائس في عدد من الدول ومقاطعة البضائع الدنماركية؟ مع أنه يجب أن يكون الرد بسيط ولا يشمل أعمال عنيفة؛ اقتناعًا بقيمة الرسول ز ومكانته، ومنعًا من حدوث تدهور في العلاقات الدولية بسبب قلة جاهلة لحقيقة الدين.

أ.د. أحمد عبدالكريم :

أنا أرى أن نستخدم مصطلح "حوار الثقافات" كبديل عن "حوار الأديان"؛ لأن حوار الثقافات أعم وأشمل من حوار الأديان، كما أن حوار الأديان سيتعرض لمفاهيم وجذور يصعب تغييرها. كذلك أفضل أن نقول: "حوار إسلامي-غربي" وليس أن نقول "حوار إسلامي-مسيحي"، لأن الإشكالية في الوقت الحالي تأتي عادة من مسيحي الغرب وليس من مسيحي الشرق، والدليل أننا في مصر في معظم الأحيان يكون بين المسلمين والمسيحيين تعايش، والمشاكل تكون في حالات استثنائية. كذلك لا يجب أن ننسى الجذور التاريخية، فـ"أزنار" (رئيس وزراء أسبانيا السابق) قال في تصريح له: إن الحرب على الإرهاب بدأت منذ عام ٧١١م (٩٢هـ)، وهذا تاريخ فتح العرب بقيادة طارق بن زياد للأندلس. كذلك لا يجب أن ننسى أنه حدث اعتداء كبير على الشرق فيما أطلق عليه "الحروب الصليبية". ونحن هنا نقدم النموذج المصري للتعايش بين المسلمين والمسيحيين، وعلينا تقديمه للعالم أجمع.

أ.د. حسن الشامي (رئيس منتدى الحوار الوطني وحقوق الإنسان) :

أود في البداية الترحيب بالدكتور محمد الشريف. ولي ملاحظة أساسية في البداية، فنحن دائمًا نقيم الحوارات مع من يعرفون ويفهمون حقيقة التواصل ووجوده، ولكننا لا نقيمها مع من هم غير ذلك. ونحن قمنا بدراسة عام ١٩٩٩ عن "صورة العرب والمسلمين على الإنترنت" ودرسنا فيها كيف ينظرون إلى العرب، وهناك ١٥ قضية بحثناها، وقد وجدنا

أن النظرة كالآتي: الإسلام كله إرهاب، العقل العربي ضيق وينظر تحت قدميه، الرجل العربي رجل شهواني، المرأة العربية مضطهدة ويجب حمايتها، الجماعات الإسلامية إما مضطهدة ويجب الدفاع عنها وإما أنها تُتخذ ذريعة للهجوم على الأنظمة الحاكمة. وإذا استبدلنا كلمة "الانترنت" في الدراسة بكلمة "الغرب" سنصل إلى نفس النتيجة. وتعود هذه النظرة إلى شيئين: الأول، منذ الحروب الصليبية وهم ينظرون إلينا كحضارة معادية، فالخلاف ليس بين الدين الإسلامي والدين المسيحي، الخلاف هو حول المصالح ورؤيتهم لنا كبديل يجب نفيه. أما الشيء الثاني، فهو وضع العرب والمسلمين الآن، فوضعنا متدني، وليس لنا إسهام في أي شيء، ونحن حضارة مُستهلِكة حتى للأفكار، وبالتالي النظر إلينا يكون باعتبارنا مجتمعات متخلفة. ولا يوجد إلا طريقة واحدة للتعامل معنا (وقد قال بهما صمويل هنتنجتون) وهي أن تُفرَض علينا الحضارة الغربية فرضًا وليس طواعية.

ولذلك على الجمعيات والمنتديات العربية والإسلامية أن تركز على المجهود الفكري وليس فقط على عقد الحوارات؛ فجميع الموجودين هنا مؤمنين بالحوار، وهم نفس الأشخاص الذين يحضرون كافة الحوارات، وليس الذي يهاجم المسلمين الآن هم المسيحيون، ولكنها المصالح والثقافة والسياسة التي تتخذنا عدوًا. وعليه فيجب أن نبذل مجهودًا فكريًا، وأن نُظهر واقعنا بصورة جيدة وبالتالي نغيِّر هذه الصورة السلبية للمسلمين في الغرب.

نيافة الأنبا باخوميوس (مطران البحيرة وشمال أفريقيا) :

في البداية، نشكر كلية الاقتصاد والعلوم السياسية لإعدادها هذه المحاضرة القيمة، ونشكر د.محمد أحمد الشريف على هذا المجهود، ونشكر جمعية الدعوة الإسلامية في ليبيا على المجهود الذي تقوم به. والواقع أن حديثي سيكون فيه إيجاز وتركيز. فعندما نتحدث عن مثل هذه الأمور يجب أن نُفرِّق بين المسيحية وسلوك المسيحيين الخاطئ. الأمر الثاني، نحن كمسيحيين نؤمن بالمسيحية الحقيقية، نؤمن باحترام الآخر ومحبته، فأبسط وصية في الكتاب المقدس: "من قال لأخيه يا أحمق، يكون مستوجب نار جهنم"، فما بالكم لو لصقت به بعض الكاريكاتيرات التي لا يقبلها إنسان. فنحن نستنكر هذا السلوك، وهذا ليس سلوكًا

مسيحيًا، وربما الذي صنع هذه الأشياء يكون له اسم مسيحي، ولكنه لا يؤمن بما قاله المسيح.

أريد أن ألفت النظر إلى بعض التعبيرات التي اعتدنا على قولها، فمثلاً عبارة "صراع الحضارات" مع أنه ليست هنا حضارة تؤمن بالصراع، الحضارة هي أن تبني الإنسان وأن تبني البشرية. هناك تعبير آخر نحن كعرب لا نقبله مثل "الحروب الصليبية"، فالصليب لا يؤمن بالحرب، ونحن نسميها "حروب الفرنجة". ونحن كأقباط أكثر من أُضير من تلك الحروب، ولا أريد الدخول في تفاصيل هذا الأمر، لكن يكفي أن أقول إننا مُنعنا من زيارة الأماكن المقدسة، والذي أعطانا الفرصة لنزورها من جديد هو صلاح الدين الأيوبي، وأهدانا مكانًا لكي ينزل فيه الأقباط ويسمى إلى هذا اليوم "دير السلطان". هذا يقودني إلى أمر مهم جدًا، أننا نحتاج إلى الحوار، والحوار ينبني على ثلاثة أسس رئيسية: أن يعرف كل منا الآخر، وأن يقبل كل منا الآخر، وأن يتعامل كل منا مع الآخر، وتلك الأسس الثلاثة ضرورية.

وإذا كان يتم الاعتداء على أي ديانة تحت مسمى الحرية، فنحن كمثقفين نعلم جيدًا أن الحرية يجب أن تكون في إطار النظام العام والآداب العامة. وأنا أرى حقيقةً أننا أمام مشكلة. ولكن المثقفين قاموا بالفعل بدور كبير حين جلسوا وتحاوروا، إلا أن رجل الشارع لم يشعر بهذا الحوار، وأنا أُحمِّل نفسي هذه المسئولية في أنني لم أنزل الشارع كرجل دين مسيحي ومعي رجل الدين المسلم لكي نُشرِك رجل الشارع معنا، فالمشكلة ليست بين المثقفين، المشكلة الآن نزلت إلى رجل الشارع. ولذلك نحن بحاجة لتنظيم صفوف تنزل إلى الشارع، وهذا يقتضي وجود رجل الدين الصديق للشباب الذي يجالسهم ويدرس معهم كل هذه الأمور.

نحن نشكر كل هذه الجهود المبذولة للحوار وسوف يكون الأثر قويًا عندما ننزل إلى رجل الشارع. ولست أدري ما إذا كان من الممكن أن توضع بعض الاقتراحات للنزول إلى رجل الشارع في الجامعة وفي العمل وفي الأماكن العامة، وهذا ما قد يوصلنا إلى حل لهذه المشكلة التي تواجهنا.

أ.د. أحمد عمر هاشم (رئيس جامعة الأزهر سابقًا):

يُعرِّف العلماء علم البلاغة فيقولون هو: "مطابقة الكلام لمقتضى الحال"، وأنا أرى أن هذه المحاضرة هي عين البلاغة؛ لأنها جاءت في توقيتها، وجاءت تتبدى في أهم وقت، فشكر الله لهذه الكلية العريقة ولعميدها أ.د/منى البرادعي وكذلك للأستاذة د/نادية مصطفى. والحقيقة أن مجيء أ.د/ محمد أحمد الشريف إلى هذا الملتقى يمثل عالمية هذه المحاضرة وهذا الموضوع وأهميته وضرورته؛ فالدكتور محمد الشريف -ولا نزكي على الله أحدًا- عرفته كواحد من الشخصيات المعدودة في عالمنا الإسلامي ممن أقتنع بفكره وبجهوده المخلصة. إنه أحد أفراد قلائل يظهرون في تاريخنا على أزمان متباعدة يعطي كل جهده وإخلاصه من أجل الدعوة ومن أجل الإسلام ومن أجل السلام، فشكر الله لسيادته هذا العمق وهذه الدقة واستحضار ما تم من حوار.

وأراني إذ أثني على هذه المحاضرة القيمة، أتطرق مع سيادته إلى ضرورة أن نقيم جسورًا متينة لهذا الحوار، فما صدمت به مشاعر المسلمين من تلك الرسوم المسيئة، كان أول نداء وجهناه أنه يجب أن يكون هناك قانون دولي يُلزِم إنزال العقوبة على من أساءوا إلى رسولنا ز، ومن يسيء بعد بذلك إلى أي من الرسل، لأننا لا نكون مسلمين إلا إذا آمنا بكل الكتب السماوية وكل الرسل، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ سورة البقرة (٢٨٥). هذا الإيمان العميق جعلنا في هذا التواصل الإسلامي-المسيحي نستمع إلى القرآن وهو يقول: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ سورة المائدة (٨٢)، واستمعنا للرسول ز وهو يدافع عن إخواننا من أهل الكتاب ويقول: "ألا من ظلم معاهدًا أو أخذ أو انتقص منه شيئًا بغير طيب نفسٍ أو كلفه ما لا طاقة له به فأنا خصيمه يوم القيامة". من أجل ذلك أستطيع أن أقول إن التواصل الإسلامي-المسيحي أخذ خطوة اليوم -بهذه المحاضرة- للتلاحم والتطبيق الذي نحب في جميع المرسلين: "إني أحب محمدًا وأحب كل المرسلين، ومحبتي للقبط مثل محبتي للمسلمين، جئنا الحياة فكلنا أبناء آدم أجمعين، فلنعبر الدنيا على حب وسلم مخلصين".

من أجل ذلك أقول لأبنائي الأعزاء الذين استمعنا من بعضهم ممن يحمل كلمة عن الدليل على وجود الله، وهذا أمر لا يحتاج إلى دليل، إن كان الأعرابي الذي لم يتعلم قــط، وفي البادية عاش ولم يرى إلا نوقه ومخلفاته قال: "البعرة تدل على البعير، وآثار السير تـــدل على المسير، أفسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج أفــلا تــدل علـــى اللطيف الخبير"، وابن عطاء الله قال: "متى احتجت إلى دليل يدل عليه، ومتى تكون الآثـــار هي التي توصل إليه".

إن الحوار يكون مثمرًا حين يعترف كل فريق بالآخر، وعندما تتقـــارب الأصـــول والجسور وتكثر هذه الحوارات. لأننا عندما قلنا إنه يجب إنزال عقوبة عن طريق القـــانون الدولي، قلنا أيضًا إنه من أهم الأمور الحوار الذي يُطلِع الآخر على هذا الدين العالمي السمح الذي بُعث به الرسول ز رحمة للعالمين. وهؤلاء الذين حاولوا ألا يعترفوا برسولنا ز هـــم في الواقع لم يعترفوا لا برسلهم ولا بكتبهم، ولئن اعترفوا برسلهم وبكتبهم لوجدوا أنها بشرت بسيدنا محمد ز.

أ.أحمد محمد سعد (مؤسسة جسور) :

إذا كنا نناقش موضوع التواصل فلنا أن نسأل: أين يوجد موقع الملحدين في هـــذه المنظومة الحوارية؟ علمًا بأن أوروبا الحالية تتمسك بالإلحاد كمنظومة حياتية مما يجعلها تنتهي إلى اللادين.

أ.د. نادية مصطفى : لا يمكن تعميم الإلحاد على قارة بأكملها، مثلما أننا لا نحب أن يعمم أحد الإرهاب علينا كمسلمين.

أ.فريدة محمد :

ما الحل المناسب لمشكلة الإساءة للأديان ورموزها كالرسول محمد ز؟ وهل كانت الردود حتى الآن ملائمة ومناسبة؟ وما هي أسباب هذه الإساءة؟ وما الهدف منـــها؟ وهـــل الأمر مرتبط بالدعاية للصهيونية وإساءتها للإسلام؟

أ. أحمد صلاح الدين:

كيف يمكن تفعيل الحوار بمعناه الحقيقي على المستوى الأكاديمي والرسمي والشعبي بين العالم الإسلامي والغرب؟

أ. ياسمين السيد هاني:

إن دعاة ومروجي الصدام بين الثقافات وبين الحضارات لتحقيق أهداف ومصالح سياسية -وهذا ثابت بالفعل- يجيدون تحقيق أهدافهم من خلال الأداة الإعلامية. وسؤالي هو: ما هو تقييم سيادتكم لتأثير هذه الأداة على جهودكم كرموز للحوار الثقافي والديني والحضاري؟ وما هي الخطة لمواجهة دور هذه الأداة؟

أ. سناء البنا:

ما هي رؤية سيادتكم للتواصل بين الإسلام والمسيحية في ظل التضييق الأمني الشديد على الدعاة خاصة في مصر؟ علمًا بأن لهم دورًا كبيرًا في نقل مفهوم ثقافة الحوار إلى طبقات الشعب الدنيا.

أ. مصطفى مبروك:

على الرغم من تعدد الحوارات الإسلامية-المسيحية وكذلك الحوارات الثقافية بصفة عامة، تستمر المشاكل التي تحدث بين المسلمين والمسيحيين، فهل هذا معناه أن تلك الحوارات ليس لها دور في القضاء على هذه المشاكل؟ أم أنها علاقة عكسية؟ وهذا بعيد عن المنطق. أم أن هناك خللاً ما في آلية الحوارات التي تنعقد؟ وقد يكون هذا الخلل نتيجة لشيئين: الأول هو الإصرار على الوقوف عند النقاط المشتركة بين الإسلام والمسيحية أو بين الإسلام والغرب... وهكذا. وهذا يحدث عادة، فلم أسمع ذات مرة بحوار دار حول نقاط الخلاف أو الملفات الشائكة أو غيره. فلماذا لا نخترق مرة هذا الحاجز ونرى النتيجة؟! فالسيد المسيح كان يعرف أن الرومان يبحثون عنه، وأن اليهود تآمروا عليه، ولكنه لم يختبئ وظهر في السوق وعرض نفسه أمامهم، وكانت النتيجة النهائية أن المسيحية انتشرت في العالم كله. الشيء الثاني، أن الحوارات تنعقد دائمًا بين النخب، سواء السياسية منها أو الثقافية، ولم تصل أبدًا إلى القاعدة الشعبية.

وسأذكر مثالاً من جنوب أفريقيا -لأنني عشت بها- فالشيخ "أحمد ديدات" كان يقيم حوارات كل شهر تقريبًا في "كيب تاون" مع كاثوليك وبروتستانت وهندوس وغيرهم. وفي نفس الوقت حتى الآن لم نسمع عن أي مشاكل ثقافية أو دينية أو حضارية هناك، لدرجة أنهم يطلقون على جنوب أفريقيا دولة "قوس قزح"، لأن نموذج التعايش هناك رائع جدًا، وأود التأكيد على أن تلك الحوارات هناك كانت تقوم على مناقشة نقاط الخلاف.

أ. رنا سلام:

مَن المسئول عن تحديد رجال الدين المسئولين عن الحوار؟ وذلك في ظل ضعف مؤسسة الأزهر وفي المقابل انتشار من يُعرَفون بالدعاة الجدد.

أ. أمير حسن:

ما هو التفسير للتباطؤ الذي شاهدناه من رد فعل الحكومات الإسلامية للإساءة التي وجهت للنبي ز؟ وهل وراء ذلك أسباب سياسية؟

أ.د. نبيل علي (رئيس شركة هندسة اللغة):

أولاً، أود أن أرحب بالدكتور/ محمد الشريف لأنه سبق واستضافني في جمعية الدعوة ووجدت فيه مثالاً عظيمًا لإيجابية الرجل النشط في دعم الإسلام والدعوة الإسلامية بمفهوم واسع، فقد وجدته وهو يعلم الداعية أصول الدين والثقافة، ويعلمه النجارة والالكترونيات وإصلاح الكهرباء، لأنه يريد أن يكون الداعية في الدول الافريقية صاحب مهنة -لذلك ما سمعناه اليوم من رؤية واضحة وإيجابية منفذة في مدينة عظيمة جدًا- وربما تكون المفاجأة، أنني عندما عدت من زيارتي استدعتني المخابرات المصرية وقالوا لي: "لماذا ذهبت إلى جمعية الدعوة الإسلامية؟"، هذا يدل على كيفية تدخل السياسة في تلك الأمور.

وأود اقتراح إعداد أجندة جديدة للحوار الإسلامي-المسيحي، وهذا أمر لابد منه، فيجب أن تكون هناك أجندة جديدة تنطلق من ثقافة عصر المعلومات، لأن القضايا التي ندرسها ليست هي فعلاً القضايا التي تشغلنا. يجب أن يكون هناك حوار ديني (أساسه الدين) عن التنوع الثقافي، وموقف الولايات المتحدة من ذلك التنوع. ولقد كُلِّفت بدراسة من جانب الأليكسو حول صورة الإسلام والحضارة الإسلامية ومصادر التشويه، وهالني الخلاف

الشديد بين فشلنا نحن في إقامة حوار إسلامي–مسيحي، ونجاح الحوار المسيحي–اليهودي في تصفية منابع عداء كثيرة جدًا. وذلك يرجع لسبب بسيط هو الإعداد الجيد والتجهيز وتنسيق الملفات، وأخطر من ذلك تنمية مهارات التفاوض الديني والثقافي التي اعترف أنها تنقصنا تمامًا. وأنا أطالب الأزهر بأن يقوم بعملية إعداد كوادر للحوار الثقافي، مثلما فعلت الكنيسة الكاثوليكية وكذلك الكنيسة الإنجيلية، لكي تلبي مطالب العولمة.

النقطة الثانية، نحن لدينا مجالات عديدة للحوار داخل أوطاننا نستطيع من خلالها تنمية مهاراتنا الحوارية وكذا قدرتنا على فهم المشاكل، فلدينا الحوار الإسلامي–الأرثوذوكسي والكاثوليكي والإنجيلي والماروني، وكذلك الحوار مثلاً بين المسيحي المصري والمسيحي اللبناني. كل ذلك سيؤهلنا في النهاية إلى أن نذهب إلى قمة الحوار المسيحي ونحن جاهزين معرفياً، ولتكن المعرفة الجديدة هي مدخلنا لإثراء هذا الحوار.

السفير/ نبيل بدر (مساعد وزير الخارجية للعلاقات الثقافية سابقًا) :

لقد سعدت باللقاء مع د.محمد الشريف من قبل في أستراليا، وتابعت جهوده في نقطة في المحيط الهادي اسمها "قالواتو"، ربما يحتاج كثيرون أن ينظروا لخرائط جغرافية عدة حتى يجدوها.

وامتدادًا للمحاضرة القيمة التي سمعناها، أود أن أقول إن قضية الحوار قضية ممتدة، ولها بداية ولكن ليس لها نهاية. والواقع يقول إننا بحاجة إلى تكثيف الجهد وإلى تبادل التجارب. وما تفضلت به سيادتكم بالقطع عظيم القيمة، ليس فقط في التعرف بما قامت به جمعية الدعوة الإسلامية، وهي غنية في الواقع عن التعريف بها، إنما كان هناك في الواقع سرد تفصيلي. ولكن أعود وأقول بالنسبة لقضية الحوار الممتدة، حبذا لو كان هناك منهاجية تكون أشبه بعملية ترتيب البيت من الداخل، بمعنى آخر، إذا كان هذا يتصل بالعاملين في حقل الحوار. مهما كانت المحافل التي ينطلقون منها، وسواء كانت إسلامية–إسلامية أو إسلامية–مسيحية شرقية أو إسلامية على المستوى العالمي.

وما نواجهه في تقديري في الوقت الحالي مشكلة "عويصة" أُتيح لي في سبتمبر الماضي في الأمم المتحدة أن أشارك في مؤتمر يتعلق بها، وهي منظومة القيم. فقد تكلمت سيادتكم عن إعداد ندوة تسعى إلى التعريف بالآخر، وأعتقد أنه التحدي الحقيقي الذي يواجهنا،

انطلاقًا من القضية التي بدأت والمطلوب أن تمتد من الحقل الأكاديمي إلى الشارع. أعود فأقول إن موضوع القيم هو البعد العالمي والترجمة العالمية التي تجمع بين الدين وواقع السياسة، وبينهما خيوط متشابكة. إذن دعونا نتفق على كلمة واحدة بخصوص منظومة القيم، وذلك لأن السياسيين يستغلون المواقف، ولأن ليس كل السياسيين ولا كل العالمين أخيار، فنحن لا نعمل معهم، بل نعمل بحقلٍ به كثير من الملوثات وكثير من المشاكل. إذن، الظاهرة التي يشكل الحوار الديني جزء منها تندرج تحت ما عُرِف بأنه حوار الحضارات أو حوار الثقافات (وربما الثانية تعتبر تعبيرًا أدق)، إذا سلطنا الضوء على هذا كجزء من الحوار الشامل، دعونا نتفق على هذا، ولدي اقتراح محدد هو أن نضع في الاعتبار التوصل إلى منظومة القيم، ويمكن أن يقوم بها ليس فقط رجال الدين ولكن كل المهتمين والمعنيين بهذا الأمر.

الأمر الثاني، سأتكلم من الناحية التنفيذية: فمن أين تأتي المبادرة، هل هذا المحفل الديني الثقافي الواسع الذي يحدد المنظومة يقوم بأخذ المبادرة، أم أن هذه المبادرة يتبناها ساسة يريدون سلامًا للعالم في ظروف أفضل؟ من يسبق الآخر؟ وكيف يتوافق الأمر؟

أ.د. آمال ثابت:

لقد عشت فترة من حياتي في الدنمارك، لذا أرى من واجبي أن أحدثكم عما رأيته بنفسي هناك من بعض المسلمين. للأسف الشديد قد يسيء مجموعة من الأفراد لدين بأكمله ولأمة بأكملها بل ولأمم، وهذا ما قد حدث هناك. ففي الدنمارك هناك حرية في اختيار الدين، وقد اختار كثير من الدنماركيين الدين الإسلامي بعد دراسة وعن اقتناع، وللأسف الشديد أتى مسلمون كثيرون من خارج الدنمارك ليقيموا بها، حيث إن بالدنمارك قانونًا يُرحب بمن هم مضطهدون في بلادهم ويواجهون السجن. فكانت النتيجة ذهاب مسلمين من الفلسطينيين ومن دول أخرى كثيرة إلى الدنمارك، وما كان من حكومة الدنمارك إلا أن رحبت بهم وأعطتهم شقق وكذا مرتبات تضمن لهم العيش الكريم. وكانت النتيجة أن بعض هؤلاء الأفراد خلعوا ملابسهم العادية، وارتدوا الجلباب القصير والقباقيب، وتحزموا بحزام به خنجرين، وأطلقوا لحاهم وارتدوا الطاقية، كما أنهم أصبحوا يسيرون في الشوارع بطريقة تستفز الغير، بالإضافة إلى كل ذلك أصدروا جريدة في صفحة واحدة مكتوب عليها "أمرت

أن أقاتل الناس حتى يؤمنوا ويشهدوا أنه لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله" منذ متى والإسلام يقوم على الإكراه؟!

للأسف هذا حدث، فلو وضعنا أنفسنا مكان الدنماركيين، ماذا كنا فاعلين؟ ولذلك يقول المسلمون الذين أسلموا عن اقتناع وعقيدة "لو كنا عرفنا الإسلام عن طريق بلادكم، لم نكن لنسلم"، لأنهم رأوا عندنا مظاهر للإسلام وليس جوهرًا له. ولذلك أشدد على ضرورة دراسة الدين على حقيقته، وعدم الاقتصار على الدراسة السطحية، وكذلك الاهتمام بالثقافة الحقيقية وليس بثقافة القشور الموجودة عندنا. وشكرًا.

الأب الدكتور/ كرستيان فان نسبن:

أريد فقط أن أعرض بعض الملاحظات حول ما أراه من إشكالية للحوار. أولاً، كثيرًا ما ألاحظ ازدواجية الخطاب في الحوار؛ بين ما يقول الفرد لمجموعة أخرى في الحوار، وبين ما يقوله داخل مجموعته ذاتها. ولذلك دائمًا أقول أن الخطر يكمن في وجود حوار دون لقاء، فإن أسمى الحوار لقاءً، وبدون لقاء حقيقي يصبح الحوار مجرد تجارة كلام.

ولذلك أيضًا أظن أنه من المهم جدًا سرد المشاكل بين الجماعات المختلفة والعمل على مواجهتها معًا. وهنا أظن أنه من المهم أن نبرز ما هو موجود عند الطرفين من مخاوف، ونوعًا ما نجد كثيرًا من الخوف من الآخر عند الأطراف المختلفة. أظن أيضًا أنه من المهم أن نرى القضايا المشتركة، فمثلاً قضايا التربية الحديثة من المهم أن تكون لها واجهة مشتركة، وكذلك القضايا الاجتماعية...إلخ، وكذلك ضرورة عدم التعميم، نظرًا لوجود الكثير من التعميم في النظرة للآخر.

أ.د. زينب عبد العزيز:

لي همسة عتاب للأنبا باخوميوس؛ فأنا أستاذة حضارة فرنسية، وقد تحدث سيادته عن مصطلح الحروب الصليبية، وفي الواقع هذا تاريخ معاش، والذي أعلن الحرب الصليبية، البابا "أوربان الثاني" وكان الجيش يلقب باسم "جيش يسوع"، وكان يفرض عليهم وضع صليب من القماش على ملابسهم، ولذلك نحن في حوار عن التواصل لا يجب أن نبدأ بتغيير التاريخ.

وحقيقةً لم يكن لأحد منا يد فيما حدث في التاريخ، ولابد من تناوله بموضـوعية. لذلك يجب ألا ننكر أنها كانت حروبًا صليبية. والدليل أن "بوش" عندما بدأ الحرب الصليبية الجديدة بعد ما أسند إليه مجلس الكنائس العالمي في يناير ٢٠٠١ مهمة اقتلاع الشر وهـو "الإسلام" —وفق زعمهم، ومن هنا حدثت مسرحية ١١ سبتمبر، وبدأ اقـتلاع الإسـلام، وحُدد لذلك عقد من ٢٠٠١ وحتى ٢٠١٠. ونحن بحاجة إلى أن نناقش موضوعات محورية، بدلاً من أن نكون كالقط حول إناء اللبن، نحوم حول الموضوع ولا نقترب من أساسياته.

أ.د. جعفر عبدالسلام (رئيس رابطة الجامعات الإسلامية):

كلمتي تتألف من قسمين: القسم الأول، هو شكر لهذا البرنامج الجيـد، وأشـكر أ.د.نادية على اهتمامها بمثل هذه اللقاءات. أما القسم الثاني، فهو تحية توجه إلى د.محمد أحمد الشريف، وهو بالطبع ضيف عزيز على مصر. وأنا أشكر أ.د.نادية التي دعـتني للحـضور للاستماع وللاستفادة منه. وأسجل أنني استفدت مما ذكره سيادته عن المـسيرة الطويلـة للحوار، وفيما يتصل بهذه المسيرة التي تدل على الاهتمام بقضية حيوية من قضايا عـصرنا، وأعتقد أن كلنا يهتم بالصفاء وبالمودة وأن يكون الخير بيننا. وشعار واضح لهذه الندوة هو الآية القرآنية ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ سورة المائدة (٨٢).

أ. مهند أحمد:

لقد أعجبني موضوع المحاضرة، كما أعجبني تنظيمها من جانـب برنـامج حـوار الحضارات. وأنا أود من إدارة البرنامج أن تستخدم كلمة التواصل بمعنى الوحدة؛ فالوحدة تعني أن يقف المسلم بجانب المسيحي في كل القضايا. وما حدث لنا اليوم، قد يحـدث لهـم غدًا، ونحن جميعًا نرفض إهانة المقدسات.

أ.د. نادية مصطفى:

قبل أن أنقل الكلمة للدكتور/ محمد أحمد الشريف للرد على المـداخلات، أود أن أقول: إنني أعتقد أننا في مثل هذه اللقاءات التي تجمع بيننا كمصريين وكعرب، ومـسلمين ومسيحيين، نؤسس لقاعدة الحوار بالفعل، الحوار البيني أولاً بين الاتجاهات المختلفة حـول

قضايا الحوار. وكما تفضل د.الشريف عندما قال إن هناك من يشككون في الحوار وجدواه، وهناك من يُشوِّشون عليه، وهناك من يقبلونه بدون أي ضوابط، وهناك من يرفضونه رفضًا كاملاً. لذلك ليس غريبًا على مثل هذه الملتقيات أن نسمع فيها اتجاهات مختلفة حول هذا الموضوع، ونحن بالطبع نحرص دائمًا على سماع هذه الاتجاهات. والآن أنقل الكلمة للدكتور/ محمد الشريف.

الأستاذ الدكتور/ محمد أحمد الشريف:

أولاً، أشكر كل العلماء وأبنائي الطلبة وبناتي الطالبات على مداخلاتهم الطيبة، وقد تعلمت الكثير من التعليقات التي ذُكرت. وكنت أتصور أنه ستكون هناك أسئلة أو تعليقات صعبة. لكن يبدو أن الحوار جمعنا والنفوس مفتوحة، وبالتالي ليس هناك أشياء ضخمة تقع في طريقنا. والآن سأرد ردودًا برقية على المداخلات:

** بالنسبة للطالبة التي تكلمت عن الاحتكاك بين المسلمين والمسيحيين في مصر مثلاً، باعتبار أن الحوار في الداخل جيد، فإن الأنبا "باخوميوس" -صديقي العزيز الذي ألتقي به أكثر من مرة في السنة- قد تحدث عن هذه النقطة. وأنا أود أن أعطيكم مثالاً من ليبيا: فالليبيون مسلمون بنسبة ١٠٠%، وإخواهم المسيحيين كلهم من الوافدين، وفي عام ٢٠٠٣ مُنحت جائزة القذافي لحقوق الإنسان للبابا شنودة تقديرًا له على عمله المتميز في كافة المجالات الدينية والإنسانية والروحية. وقد حضر البابا شنودة، وكنا قد طلبنا منه إلقاء محاضرة -قبل أن يستلم الجائزة- في كلية الدعوة الإسلامية، ولم نجد كرسي خالٍ في هذه المحاضرة (لكثرة الحاضرين). وقد استمع الليبيون لمحاضرة بلغة عربية جيدة، وتسائلوا بعدها عما إذا كانت المحاضرة عن الإسلام أم عن المسيحية؛ حيث إن البابا شنودة قد تكلم عن القيم الأخلاقية، والتي هي واحدة في الديانتين. فإذن نحن نعيش حوارًا فعليًا على أرض الواقع. وعودة لحديث الطالبة، فقد حاولنا أكثر من مرة النزول إلى الشارع، ولكنها محاولات مازالت مبدئية؛ فقد جمعنا مجموعة من الشباب المسلمين والمسيحيين وجعلناهم يعيشون معًا ثلاثة أسابيع في جامعة لندن، ثم عقدنا لقاء في البرلمان. وقد كانت تجربة في غاية الأهمية، وقد لاحظت وجود لقاءات مشابهة في مصر وفي بعض الأقطار العربية، ولكنها يجب أن تكون أكثر من ذلك لكي يكون هناك تواصل حقيقي.

** نقطة أخرى وهي ضرورة أن نحدد بعض النقاط الأساسية لكي لا يحدث لبس فيها، فمثلاً عندما تكلمت عن الحوار الذي حدث عام ١٩٧٦ كان حوارًا في غاية الجدية ولكن كان به بعض التشويش أحيانًا. فالفاتيكان أحضر شخصًا يدعى "سنوس" وعرفنا أنه كان مسلمًا ودخل في المسيحية، وهو من سوء تقديره للأمور تحدث بكلام خاطئ، وقام الكاردينال "سيرجيو بينيوبلي" بإسكاته، لأنه كان شخصًا لا يعرف الحوار، فالحوار قد يشوهه إنسان بتعصبه أو برؤيته الخاطئة. ونحن في ذلك الحوار تحدثنا عن الحروب التي تسمى الحروب الصليبية أو حروب الفرنجة كما أسماها العرب. والحروب الصليبية، بالمناسبة، تضرر منها الأرثوذكس أكثر مما تضرر منها بعض أمراء الشام الذين انضموا للصليبيين. وأنا في جامعة شيكاغو التقيت بالسيدة "نادية أبت" (وهي مسيحية من أصل عربي إنجليزي) وقالت لي إنها جاءت لجامعة شيكاغو عام ١٩٣٥ ووجدتهم يقومون بتدريس الحروب الصليبية بصورة خاطئة، وأنها قامت بتدريسها بطريقة علمية واضحة، وأوضحت دور صلاح الدين الأيوبي، وكذلك دور الأرثوذكس والمسيحيين. إذًا هناك دائمًا مبادرة من الإنسان الذي يريد الحوار.

** أما عن سؤال السيد/ عبد القادر كمال: "أين دور الدعاة الذين يتحدثون بأدلة عقلية؟" أقول له إن هذه هي المشكلة الرئيسية، ومن الممكن أن تسأل "أين الدعاة الذين لديهم عقول؟!" فهناك دعاة بدون عقول للأسف الشديد، وعندنا منهم الكثير وكذا عند إخواننا المسيحيين في مناطق أخرى. وقد كانت موجة منهم -قبل ١١ سبتمبر- تُموَّل، وكانت تبدأ في الحوار دائمًا بتكفير الطرف الآخر، وقد عانى من تلك الموجة دعاة كثيرون.

وقد حضرت لقاءات في الأزهر توضح أشياء أساسية في الإسلام، فمثلاً الأعرابي الذي جاء للرسول ﷺ وقال له: "يا محمد علمني الإسلام الذي تدعوا إليه"، فقال له النبي قواعد الإسلام، فقال الأعرابي: "أفعل ذلك ولا أزيد عليه" فقال النبي ﷺ: "أفلح إن صدق". وقد كتبت ذلك الحديث للدعاة الذين عندنا، فهي دعوة سيدنا محمد ﷺ لذلك الأعرابي الذي لم يره بعد ذلك. ونحن عندنا بعض العلماء الذين يُصعِّبون الأمور، وأنا أعرف واحدًا منهم كان يخطب في الناس قائلاً: "لا تعتقدون أن الصلاة سهلة، فبها خمسة وثلاثون ألف مسألة يجب الإحاطة بها، فالدين ليس سهلاً كما تعتقدون". وأنا قلت في مجلس الكنائس

العالمي إننا بحاجة لحوار إسلامي-إسلامي بين المسلمين، فقال الأمين العام للمجلس: "ونحن المسيحيون بحاجة لحوار مسيحي-مسيحي". والحوار يجب أن يكون مستمرًا، له بداية وليس له نهاية، داخل الدين الواحد، وبين الديانات، وبين الحضارات.

وأنا هنا فقط أُنبه على شئ، ففي الماضي كان ينظر أهل السياسة للدين على أنه جزء من الماضي، لكن الآن أصبح كل الناس يعرفون الدين، ونحن علينا عبء أكبر لأن الشريحة التي لها علاقة بالدين أصبحت أكبر. لذلك نحن نحتاج في موضوع الدعاة إلى أكثر من الأدلة العقلية، نحن نحتاج إلى أناس عقلاء يفهمون ثوابت الدين، ثم بعد ذلك يفهمون أن الاجتهاد الديني والإنساني تحكمه أشياء عقلية لكل إنسان، وليس للإنسان المسلم فقط، أو للإنسان المسيحي فقط.

** أما بخصوص ما قاله د.الدسوقي عن أن المشكلة هي عند المسيحيين، أما المسلمون فليس لديهم مشكلة. أود أن أقول إن هذه النقطة من الأشياء التي ناقشتها بكل صراحة في الحوار الأول، والمسيحي الذي قد لا يقبلك لديه الحق في ذلك، لأنه لا يعرف عنك شيئًا. ونحن المسلمون نقول إن المسيحيين عندهم نصوصًا تُبشِّر بسيدنا محمد ﷺ، وهذا أمر يُنَاقش بالفعل. لكن يجب أن تحترم أنت الإنسان الذي لم تأته معلومات في دينه تجعله يؤمن مثلك، ولكن عنده احترام إنساني لما تقول، وعنده استعداد أن يتفاهم معك، وعنده استعداد أن يحيا معك.

** أما ما قاله د. أحمد المهدي من أن المسيحية لم تعد مسيحية في بعض الدول، قاصدًا المسيحية الصهيونية، فأقول إن خطورة المسيحية الصهيونية تظهر في تربية النشء على الأخلاق المسيحية، وهذا يؤثر على العالم أجمع، وعليه أقول إننا نبدأ الحوار مع الذي يريد أن يتحاور ويريد أن يتعايش، ثم نستعين معًا على هداية من معنا من الغنم الشارد ومن معهم من الغنمات الشاردة.

** أما بخصوص المداخلة التي طالبت بتفعيل دور الدعاة في الغرب، فأقول إن هذا أمر مهم جدًا، ونحن عندنا كلية للدعوة الإسلامية اسمها "الكلية الإسلامية في لندن"، وكان عميدها د.بدوي، والذي انتقل إلى رحمة الله الشهر الماضي، وكان معه أساتذة جيدين يدرسون باللغة الإنجليزية، وتقوم الكلية بدراسات للماجستير وللدكتوراة عن الثوابت

الإسلامية، ويدرس فيها الناس الذين يأتون من الدين اليهودي أو المسيحي ومن المجتمع المدني.

وكان من بين الطالبات طالبة من أصل أفغاني، وكانت هذه الطالبة تريد أن تقوم بدراسة عن مساجد لندن، فكتب لها د.بدوي رسالة لتزور بعض المساجد، وقد حددت لها الكلية مواعيد، وذهبت الطالبة لأحد المساجد الشعبية وحضرت في الموعد، ولكنها وجدت باب المسجد مغلقًا فطرقته، فرد عليها إمام المسجد من وراء الباب، فعرفته بنفسها، فاندهش أن من كان ينتظره امرأة وقال لها "حرام أن تدخل المرأة المسجد". هذا الإنسان الداعية الذي ذهب إلى هناك، يكفر ويحلل، هو مشكلة للمسلمين قبل أن يكون مشكلة للمسيحيين. وهؤلاء الناس كانوا يأتون من بعض الدول التي لديها علاقات جيدة مع الدول الأوروبية، وكانت تعطي لهم تأشيرات لعشر سنوات، وفي المقابل عندما نأتي بعالم من الأزهر يسمحون له بحضور المؤتمرات لمدة ثلاثة أيام فقط حتى لا يؤثر في عقول الناس.

** أما الطالبة التي تكلمت عن القوانين في الغرب، وقانون تجريم الأعمال المعادية للسامية، وتبرئة اليهود من دم المسيح، وعدم الاعتراف بمحمد ز. هذه كلها معلومات عندنا وتحدثنا عنها، ولكن أود أن أقول وأؤكد على الطلبة أن يحصلوا على معلوماتهم من الكتب ومن الإنترنت، وألا يأخذوها من الشارع ويرددوها، فعلى العالم وعلى الطالب أيضًا أن يوثّق معلوماته دائمًا.

** أما ما قالته "ديانا سند" بخصوص عدم جواز حرق الكنائس، فقد قلت هذا الكلام، وكذلك قاله كل الأخوة، كما قاله الشيخ الزفزاف بالأمس. فهناك طرق حضارية للرد، ونحن عندما أصدرنا بيانًا، أكدنا على استخدام الطرق الحضارية السلمية للتعبير عن محبتنا للنبي محمد ز. ولكن هناك من خرج عن الطور الآدمي لأي سبب من الأسباب، وقام بما قام به، ولعل هذا مطلوب ممن يريدون ذلك، لكنه شيء لا يمكن أن نقبله، ويجب ألا يتكرر. ولقد أعجبتني مسيرة زاد عدد المشاركين فيها عن المليون شخص في استانبول، وقد عبروا فيها عن آرائهم بطريقة حضارية ومنظمة.

** أما بخصوص ما قاله د.أحمد عبد الكريم من أن حوار الثقافات أهم من حوار الأديان، والحوار الإسلامي-الغربي أدق من الحوار الإسلامي-المسيحي..إلخ. فأنا قد

حضرت بعض لقاءات ما يسمى بـ "حوار الحضارات"، وكل من فيها حتى الذين ليس لهم علاقة بالدين، يقولون إن الأصل هو الدين. فحوار الحضارات الآن، باعتراف الغالبية، يمثل الدين الطرف الأساسي فيه، أردنا أم لم نرد. فمثلاً من تحدث عن أن أوروبا كلها ملحدين، اتضح أن هذه الصورة غير صحيحة، فالملحدون هم نخبة صغيرة فقط، أما باقي الناس فتحركها مجموعات إعلامية أو سياسية مستغلة المخزون الثقافي الذي كان مخزونًا دينيًا في فترة معينة، مماثلاً للمخزون الديني الذي كان عندنا في فترة معينة.

لذلك أنا أعتقد أن أي حوار حضاري أو أي حوار ثقافي إذا لم يكن فيه تواصل إسلامي–مسيحي فهو لن يؤت أية ثمار إطلاقًا. وإذا كان اليهود استطاعوا أن يتقاربوا مع المسيحيين حول بعض النقاط، فنحن أقرب دينيًا للمسيحيين، والقرآن تحدث عن المسيح بكلمات عديدة كل منها له معناه ودلالاته فهو "رسول الله" و"كلمته" و"روح منه".

** أما بخصوص "أزنار"، فقد تكلم عن عظمة الإسلام وعظمة الحوار، وحقيقة لم أعرف ما إذا كان حديثه ازدواجيًا أم أن له أهدافًا سياسية، لكنني في النهاية شجعته؛ لأن الحوار هو الأساس. وأنا بوجه عام طرف في الحوار، وعلى أن أتلمس كيف يمكن دفعه إلى الأمام.

** أما من تحدث عن ضرورة وجود نموذج مصري وتصديره إلى الخارج، فأنا معه في ذلك، مع ضرورة النزول إلى الشارع، وإذا حدثت أشياء سيئة فيجب أن توضع في حجمها الحقيقي.

** أما د.حسن الشامي فقد تحدث عن حقوق الإنسان، وفعلاً الحوارات التي تحدث تكون بين أناس متفهمين، وبالطبع نحن عندما نتحاور فإننا نتحاور مع إنسان يقبل بفكرة الحوار معنا. أما بخصوص النظرة السلبية للغرب عنا، فهي قد حدثت منذ حروب الفرنجة، ولابد أن نركز على المجهود الفكري، وهناك مصالح غربية يهمها أن تهاجم المسلمين. كل هذا صحيح، لكن ما أحب قوله، إننا اتفقنا مع إخواننا المسيحيين أن نركز على من يحتاج الهداية في العالم أولاً، وألا نفعل كما يطالب البعض باستخراج النصوص التي تفيد الإسلام من المسيحيين وكذلك استخراج النصوص التي تفيد المسيحية من الإسلام، فهذا نوع من التبشير الإسلامي/المسيحي أو العكس.

** أما الأنبا "باخوميوس" فقد تحدث بكلام جيد. وأود أن أركز على ما قاله عن ضرورة التفريق بين المسيحية وسلوك المسيحيين، وهذا ينطبق على الإسلام والمسلمين، وقالها من قبل جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده.

** وبخصوص حروب الفرنجة، فبالفعل كنا نطلق عليها ذلك، وإن كان الصليب أساس من طرف آخر، ونحن نعرف أن الروم الأرثوذكس حتى الآن لم يوافقوا على مقابلة بابا الفاتيكان وتظاهروا ضده.

** كذلك أنا أؤيد الحوار على مستوى الشارع، ليس فقط في الدول التي بها مسلمين ومسيحيين، ولكن في كل مكان يجب أن ينزل الحوار إلى الشارع، لأن العالم الآن أصبح صغيرًا، والمسيح عليه السلام يقول: "الإنسان ليس جزيرة وحده"، فلا يمكن لإنسان أن يعيش بمفرده، ولا يمكن له أن يغلق الباب على نفسه ويُكفِّر الآخرين. ومشكلة التكفير هذه ظهرت علينا منذ النصف الثاني من القرن العشرين، ولابد أن يدرسها الشباب دراسة جيدة. لأنها هي التي أحدثت مشاكل في داخل العالم الإسلامي ومع العرب غير المسلمين.

** وأشكر د.أحمد عمر هاشم على الكلام الطيب، وأنا مع بناء الجسور، ولكننا الآن نطالب بقانون لحماية الرسل والرموز الدينية.

** أما بالنسبة لتساؤل أ.أحمد محمد سعد عن موقع الملحدين من الحوار: فأقول إن الحوار مع إخواننا المسيحيين أسبق وأهم.

** أما سؤال الطالبة فريدة عن الحل المناسب لهذه المشكلة: أقول لها إن الرد فيما قاله د.أحمد عمر هاشم.

** أما سؤال الطالب أحمد صلاح الدين حول كيفية تفعيل الحوار بمعناه الحقيقي: هذا ما نعمل فيه الآن.

** أما ما قالته الطالبة ياسمين السيد بخصوص دور الإعلام، فأؤكد على ذلك، فلقد أصبح الإعلام يُستخدم لنشر هذه الفكرة أو تلك، ولذلك يجب أن يسهم العالم كله في الإعلام، وألا يصبح التدفق من جانب واحد. وكانت هناك دراسة قام بها "أحمد مختار أمبو" مدير عام المنظمة، وكان نتيجة تلك الدراسة أن هوجم الرجل وقُطعت عنه المساعدات.

** أما عن التضييق الأمني خارج الفرق فهو موجود في كل دول العالم.

** وبخصوص الحوار على أسس نخبوية، وهذا ما قاله الأخ الذي كان في جنوب أفريقيا، فأنا كنت هناك في فترة مبعوثًا لـ"نيلسون مانديلا"، وأقول إن هناك علماء كانوا يكفرون من يشارك في الانتخابات، كما كان هناك علماء على مستوى جيد على الطرف الآخر، وقد لا أوافق على كثير مما قاله أحمد ديدات، لكن هناك تجارب يقوم بها شباب من المسلمين والمسيحيين جيدة.

** أما تساؤل الطالبة رنا سلام حول من يحدد من يشارك في الحوار، فهو يتوقف على الهدف، هل هو إحضار أفضل العناصر، أم إحضار بعض الوجوه للظهور في الإعلام؟

** وعن سؤال أمير سعيد حسن عن سبب تباطؤ رد فعل الحكومات على الإساءة للنبي ز، فأقول إننا يجب أن نشكر الله على ذلك، وقد كتب البابا شنودة ردًا قبل بعض الدول والمؤسسات الإسلامية وكذلك الفاتيكان. وأنا لو كنت مسئولاً سياسيًا، لم أكن لأوافق على حرق السفارات والسيارات، فلا بد أن يكون الرد والتعبير إسلامي، والإسلامي لا يخرب أي شيء.

** أما مطالبة د. نبيل على للأزهر بإعداد المفاوض المسلم، فأنا معه في ذلك، لكنني لست موافقًا على كلمة "مفاوض" بشكل كبير، فأنا أريد أن أتكامل مع الذي أمامي، فأنا لي مصلحة في ذلك وهو كذلك.

** وأؤيد السفير/ نبيل بدر في أن الحوار قضية ممتدة بالنسبة لمنظومة القيم يجب أن نهتم بها.

** كما أؤيد د.أمال ثابت فيما قالته.

** أما بالنسبة لما قاله د.كريستيان حول ازدواجية الخطاب، فنحن نسميها "نفاق"؛ والنفاق رذيلة يجب ألا تكون عند أهل الدين. كذلك أؤيد أن الحوار دون حدوث لقاء يكون غير مجدي، وكذلك أؤكد ضرورة حدوث حوار بين أهل كل دين.

** أما بخصوص همسة العتاب من د.زينب للأنبا باخوميوس، فهي قد بدأت من الجانب الآخر، فكان ممكن أن تقول إن حروب الفرنجة قد حدث فيها كذا وكذا. وأنا

علاقتي بالأنبا باخوميوس والمطران منير والأخوة المسيحيين وأصحاب الفكر والعقل علاقة محبة لأننا جميعًا في ظل الله سبحانه وتعالى ونعمل من أجل عمارة هذا الكون.

** وأشكر د. جعفر عبدالسلام على قاله.

** أما مهند حسن، فقد تكلم عن شيء مهم وهو قيمة الإصلاح، وهي بالفعل يجب أن تكون موجودة في الحوار.

أشكركم جميعًا وأشكر أ.د.منى البرادعي وأ.د.نادية مصطفى.

أ.د. نادية مصطفى:

أشكر الجميع، ولي كلمتان أذكرهما بشكل سريع. النقطة الأولى أننا في برنامج حوار الحضارات نهتم بالخبرات العملية. النقطة الثانية، أن البرنامج قد أسسَ على أهمية ودور الأبعاد الثقافية والدينية في العلاقات الدولية إيمانًا منَّا بأن هناك علاقة فعلية الآن بين الدين والسياسة. وأخيرًا، أذكر أنه في نطاق هذه الكلية، الحوار هو أداة من أدوات السياسة ولتحقيق أهداف سياسية، أردنا ذلك أم لم نرد.

وأريد أن أؤكد على ضرورة عدم التعميم، لأن هذه قضية منهجية مهمة جدًا. كما أن حرق السفارات وما سُمي بأعمال غير عقلانية، لا تقارن من حيث العدد ولا النطاق بتكرار نشر الرسوم بشكل مقصود على التوالي في عدة أماكن، لذلك أعتقد أن هذا نوع آخر من العنف الحضاري لا يقل خطورة عن العنف الذي جرى على أرض الساحة في الشارع الإسلامي. ولم يوصف ذلك الفعل بأنه غير حضاري رغم خطورته، فهو عنف مادي وعنف هيكلي وهو سبب ما حدث من رد فعل، وذلك جانب من جوانب عدم التعميم التي نريد تحديدها جنبًا إلى جنب مع جوانب أخرى من عدم التعميم أثيرت في هذه المحاضرة.

نشكر مرة أخرى د.محمد أحمد الشريف على وقته الثمين الذي أهداه لبرنامج حوار الحضارات، ونشكر أ.د.منى البرادعي على بقائها معنا. ونشكر الحضور من الأساتذة والعلماء والطلبة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

"الثقافات بين الصدام والمصالحة:
دور الإعلام والأكاديميا"

٧ مايو ٢٠٠٦

* تقديم الأستاذة الدكتورة/ نادية مصطفى.

* البروفيسور/ أندرياس فان أخت.

* الأستاذ/ السيد يسين.

* المناقشات.

تقديم

أ.د/ نادية مصطفى

الأستاذ البروفيسور أندرياس فان أخت، الأستاذ السيد يسين، الدكتور كورنيليس هولسمان، السادة الحضور من الدبلوماسيين والأكاديميين والإعلاميين، وأرى من بين الحضور الأستاذ الدكتور فؤاد رياض، وسيادة السفيرة منى خشبة (مساعد وزير الخارجية لشئون العلاقات الثقافية)، وسيادة السفير نبيل بدر (مساعد وزير الخارجية لشئون العلاقات الثقافية الأسبق)، والدكتور عبد المنعم أبو الفتوح (أمين عام اتحاد الأطباء العرب)، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أرحب بحضراتكم نيابةً عن عميدة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، كما أعتذر نيابةً عنها لعدم حضورها؛ نظرًا لارتباطات أخرى علمية بالكلية، وأرحب بكم أيضًا باسم برنامج حوار الحضارات ومركز التقارب بين العرب والغرب. وأشكر دكتور "كورنيليس هولسمان" على تعاونه في تنظيم هذا اللقاء الذي يتم على شرف زيارة البروفيسور "فان أخت" للقاهرة للمرة الثانية، وقد كانت المرة الأولى منذ أربع وعشرين عامًا. وهذا اللقاء أيضًا يشرفنا فيه بالحضور الأستاذ السيد يسين، وكان من المفترض أن يشرفنا الدكتور ممدوح البلتاجي ولكنه اعتذر لظروف صحية طارئة.

السادة الحضور...

يشرف ويسعد برنامج حوار الحضارات أن يلتقي بكم وبضيفنا، وهو رئيس وزراء هولندا الأسبق عن الفترة من ١٩٧٧ إلى ١٩٨٢، وهو شخصية سياسية وفكرية ذات مكانة مرموقة على المستوى العالمي. بعد حصوله على الدكتوراة سنة ١٩٥٥ من جامعة "نايميجن"، بدأ عمله كمحام، ثم التحق بالجامعة منذ ١٩٦٨ كأستاذ للقانون الجنائي بنفس الجامعة، ثم شغل منصب وزير العدل منذ ١٩٧١ حتى ١٩٧٧، ونائبًا لرئيس الوزراء أيضًا، ثم رئيس للوزراء في الفترة من ١٩٧٧– ١٩٨٢ ممثلاً عن الحزب الديمقراطي المسيحي في ثلاث حكومات متعاقبة. ثم عمل سيادته سفيرًا للاتحاد الأوروبي في اليابان والولايات المتحدة الأمريكية، وأستاذًا زائرًا للعلاقات الدولية في جامعة "كيوتو" باليابان. وإن برنامج حوار

الحضارات ليسعده أن يستضيف هذه الشخصية المهمة التي جاءت في زيارة إلى مصر في بجدول أعمال متعدد.

وقد شارك سيادته (مع عدد من الشخصيات السياسية البارزة والأساتذة والدبلوماسيين إلى جانب لفيف من ناشطي حقوق الإنسان) بمجهودات وبصفته نائبًا لرئيس ما يسمى "International Ethical Colloquium"، وهو ملتقى أُنشيء بغرض التصدي لتحديات ثلاثة تواجه العالم، وهي تحديات متصلة بالبيئة والتفاوت الكبير في توزيع الثروة في جميع أنحاء العالم، علاوة على أزمة الفكر التي تعوق التقدم الإنساني، وما يترتب على هذه الأزمات الفكرية من عنف وتعصب من طرف وآخر. وهذا الملتقى "International Ethical Colloquium" يتبنى موقفًا أخلاقيًا تجاه قضايا الإرهاب والفقر والتدهور البيئي. من المعروف أيضًا عن السيد البروفيسور "فان أخت" أنه من الداعمين للقضية الفلسطينية والمؤيدين لضرورة إقامة دولة فلسطينية إلى جانب دولة إسرائيل، كما يستنكر العنف من كلا الجانبين. هذه بعض الأمور للتعريف باختصار شديد بضيفنا واستطيع أن اتحدث عن الكثير فيما يتصل بهذا التعريف، ولكن اقتصر على هذا القدر.

وأعود مع حضراتكم في محاولة لتسكين موضوع هذه المحاضرة في نشاط برنامج حوار الحضارات، فنحن نلتقي اليوم لنستمع للدكتور فان أخت والأستاذ السيد يسين في موضوع مهم هو "العلاقة بين الثقافات ودور الأكاديميا والإعلام في هذه العلاقة نحو تصادم أو تصالح". وهو موضوع جد مهم انطلاقًا من طبيعة الإطار المحيط الذي نعيشه منذ عدة سنوات، ومنذ عدة أشهر بصفة خاصة، ومازال على نحو يطرح أزمة تصادم سياسية ثقافية، لعب الإعلام دورًا في تفجيرها وشاركته أحيانًا بعض الأوساط الأكاديمية في الدول الأوروبية، (التي تعطينا الدروس الآن في قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان والتي تدعو إلى حوار الثقافات والتسامح ونبذ التعصب).

ولقد مثّل اهتمام برنامج حوار الحضارات بهذه الأزمة تراكمًا على اهتماماته السابقة عبر أربع سنوات لرصد وتقييم حالة حوار/ صراع الثقافات والأديان كقضية سياسية

وخاصةً منذ نهاية الحرب. ولقد أفرز هذا الاهتمام والرصد والتقييم نتيجتين أساسيتين، أولهما: أن الحوار لم يعد عملية تلقائية ممتدة تشارك في "التثاقف السيّار"، ولكن تم تسييس هذا الحوار وأضحى أداة من أدوات السياسات الخارجية للقوى الكبرى. وثانيهما: أن مصداقية الحوار ودوره في التسويات السلمية أضحت تتآكل في نظر بعض مؤيديه نتيجة التراكم المستمر في سياسات الصراع باستخدام أدوات القوة الصلدة -القوة العسكرية الغاشمة- أو القوة المرنة من جانب الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، وبمساندة من جانب القوى الأوروبية في الوقت الذي يدعو فيه جميع الأوروبيين والأمريكيين إلى التسامح ونبذ التعصب والعنف.

ولقد لعبت بعض دوائر الإعلام الغربي والأكاديميا دورها في إثارة هذه الأزمات وخلق هذه الحالة، ولذا فإذا نظرنا نحن كمهتمين بالحوار بين الثقافات والأديان، فسنجد أنه منذ ما يقرب من العقدين، منذ نهاية الحرب الباردة وخاصةً منذ الحادي عشر من سبتمبر، هناك جدل مستمر بين مختلف الاتجاهات حول مصداقية وجدوى هذا الحوار من عدمه؛ نتيجة لطبيعة السياق الإقليمي والدولي المحيط الذي نقلنا من السياسات الإسرائيلية العدوانية الغاشمة على الشعب الفلسطيني والسلطة الفلسطينية منذ ما يزيد عن الأربعة أعوام بطريقة واضحة وجلية، إلى العدوان على العراق واحتلاله، وقبل هذا احتلال أفغانستان، وفي نفس الوقت الذي تستمر فيه وسائل ما يسمى الدبلوماسية العامة الأوروبية والأمريكية مستهدفةً الفكر والعقل في ساحات الحوار. كل هذا يحدث في الوقت الذي يتدهور فيه الوضع في العراق، ويتدهور الوضع أكثر في فلسطين مع بناء إسرائيل الجدار الفاصل العنصري، ومؤخرًا مع المواقف التي تتخذها الحكومات الأوروبية والولايات المتحدة تجاه حكومة الشعب الفلسطيني التي انتخبها بإرادته، وعلى نحو ينافي كل اعتبارات العدل وحماية حقوق الإنسان التي هي في صميم عمل المهتمين بالحوارات. ولهذا كله نستطيع أن نفهم لماذا تآكلت مصداقية الحوار في نظر البعض في دوائرنا العربية والإسلامية الفكرية منها والحركية نتيجة هذه السياسات المتعنتة الغربية وغير العادلة تجاه الشعب الفلسطيني وتجاه استمرار احتلال العراق.

أريد أن أتوقف هنا، لأن هذه الحالة القائمة من العلاقات بين العالم الإسلامي والغرب التي يسودها من ناحية سياسات صراعية تقودها القوى الغربية بأدوات شتى تجاه العالم الإسلامي تحت مسميات ومقتضيات الحرب العالمية على الإرهاب، ومن ناحية أخرى لم تخرج العلاقات بين العالم الإسلامي والولايات المتحدة وأوروبا أيضًا من أزمات ذات طبيعة ثقافية دينية شديدة الوضوح، آخرها وأكثرها إثارة كانت أحداث الرسوم الدنماركية، وسبقها قبل ذلك أمور لا تقل أهمية من حيث دلالتها، وإن لم تحظ بنفس الاهتمام والزخم، مثل قضية المصحف في "جوانتانامو" وتصريحات متعددة من قبل نخب سياسية ومثقفة تسيء للإسلام والمسلمين، وإصدارات من دور نشر عديدة ومجلات وصحف تشوّه بدورها صورة الإسلام والمسلمين وتسيء للرسول ز وللقرآن الكريم، فضلًا عن سن قانون تجريم معاداة السامية، ناهيك عن الكثير من الأوضاع وآخرها رفض ثلاث وخمسين دولة قرارًا في الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ٢٠٠٤، ومنها دول الاتحاد الأوروبي، لتجريم ازدراء الأديان.

كل هذه الأمور لا تجعلنا إلا أن نتساءل الآن: ماذا يجب على المسلمين والعرب أن يفعلوه؟ وخاصةً هؤلاء الذين يقدمون آلية الحوار على آليات العنف في محاولة لبناء جسور مع الغرب. اعتقد أن هذه المرحلة شديدة الأهمية؛ لأنها لا تتطلب فقط من المسلمين مزيدًا من الجهد لشرح إسلامهم وأوضاعهم، بل تتطلب مزيدًا من الجهد من الطرف الأقوى ماديًا (الأوروبي والأمريكي) في بذل مزيد من الجهد للفهم والحوار الحقيقي العادل والمتكافىء وليس حوار الطرشان. ومن هنا تأتي أهمية أن يستضيف برنامج حوار الحضارات بروفيسور "أندرياس فان أخت" لخبرته السياسية الواسعة ولمكانته في مجال حوار الحضارات والثقافات، بالإضافة إلى عدة اعتباراتٍ مهمة: أول هذه الاعتبارات أنه يركز على البعد الأخلاقي في حوار الثقافات والحضارات، وهو البعد الذي أحيانًا ما تُضيِّعه حماسة الدفاع أو رعونة المنازعات. ثانيًا، أنه يضع قضية العدل الاجتماعي كركيزة أساسية للتفاعل بين الثقافات والحضارات. وأخيرًا، أنه يبصر جيدًا الفروق والمشتركات (بخبرة واسعة في الحركة) بين ثقافات الغرب والشرق عبر عمله السياسي والأكاديمي.

كان لابد من هذا التقديم لبيان أهمية الاستضافة التي نستضيفها لبروفيسور فان أخت في برنامج حوار الحضارات، فهو بموضوعه الذي سيتحدث فيه معنا، سيُمثّل إضافة مهمة إلى

خبرتنا في هذا المجال. ويُزيد هذه الخبرة استكمالاً الأستاذ السيد يسين، الذي نستطيع أن نقول إنه رائد التفكير في مجال حوار الثقافات والحضارات في الدوائر المصرية والعربية والإسلامية وله زخم فكري وحركي كبير في هذا المجال، وهو من ضيوفنا وخبرائنا الأعزاء الذين لم يألوا جهدًا في دعم أنشطة برنامج حوار الحضارات عبر السنوات الأربع الماضية. لكل هذه الأسباب أشكر ضيوفنا، كما أشكر دكتور كورنيليس هولسمان مدير مركز التقارب بين العرب والغرب؛ لجهوده التي يقدمها في سبيل نقل وجهات النظر العربية والإسلامية بلغات أجنبية إلى القراء الغربيين مقدمًا بذلك مثالاً على الدور الإيجابي الذي يمكن أن يقدمه الأكاديمي والإعلامي المحايد الموضوعي المنصف لقضايا الحق والعدالة، وأشكره مرة أخرى على أنه أعطانا هذه الفرصة في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية لاستضافة بروفيسور فان أخت. وباسمكم جميعًا أوجه التحية للبروفيسور فان أخت.

الثقافات بين الصدام والمصالحة: دور الإعلام والأكاديميا*

أ.د/ أندرياس فان أخت**

شكرًا أستاذتي الدكتورة على هذا التقديم الودود، أنا أشعر ببعض الحرج من هذه المقدمة الرائعة حيث إنكِ قمتي برفع التوقعات حولي لأعلى مدى ولذلك أشعر بعبء كبير الآن، ولست أدري هل استطيع أن أفي بهذه التوقعات التي تحدثتي عنها أم لا؟ ولكنني سأبذل قصارى جهدي في هذا الصدد.

قد تشعرون ببعض خيبة الأمل عندما يقوم أحد الشخصيات هنا بالبدء باستخدام كلمة "كارتون". أنا استخدم أولى كلماتي كلمة كارتون بما أنها تم التعبير عنها كثيرًا وأثير هذا النـــزاع على الرسوم الكاريكاتورية الدنماركية، ولكن على الرغم من ذلك فأنا اعتبرها نقطة رحيل ونقطة بداية لبعض الاعتبارات التي لابد أن نبحث فيها بعمق، وأيضًا لتوضيح المزيد من المعلومات عن أوروبا الغربية وبلادي على وجه الخصوص (وهي هولندا التي تقع في غرب أوروبا).

إن الدنماركيين وغيرهم كانوا يجادلون كثيرًا طوال الوقت في أن نشر هذه الرسوم الكاريكاتورية كانت مجرد طريقة عادلة لاستخدام حرية التعبير التي مُنحت للدنماركيين، وللهولنديين أيضًا، وإن الكثيرين غيرهم يشعرون ويفكرون أن معظم البلدان الأوروبية تتمتع بحرية التعبير كما جاء في دساتيرهم. ولكن لابد أن أضيف على هذا أنه بينما يقول دستورنا إن حرية التعبير تعتبر حقًا أساسيًا لنا، إلا أنها ليست حقًا مطلقًا. لذلك دعوني أكون واضحًا مرة ثانية حول هذه النقطة؛ فعلى الرغم مما تم ازدراؤه أو رفضه في الغرب، فإنه لا يوجد، في أي دولة غربية أعرفها، أي حق لإلحاق الأذى بالغير. ولا يوجد أي حق للإهانة ولتوجيه السب والإهانة.. فهذا هراء!

---

*نص المحاضرة بعد تفريغها وترجمتها. ترجمة: وسام الضويني.

– نُشر النص الإنجليزي للمحاضرة في:

The Arab West Report, issued by the Center for Intercultural Dialogue and Translation, December 31, 2006.

** رئيس وزراء هولندا سابقًا.

أعتقد أنه من الأهمية بمكان أن أبدأ بهذه الطريقة، فلا يوجد أي حق يعطي الفرد الحق للإهانة أو لإزدراء الغير. إن حرية التعبير ليست بدون قيود. وكما تعلمون في بلادنا في أوروبا الغربية، ونفس الشيء يسري على الدول الكبرى حول المحيط، أنه لا توجد رقابة، ولا يوجد الحد الأدنى من السلطة في أيدي الحكومات لكي تمنع النشر أو لمنعه من الإصدار، أو من أن يلقى صداه أو مداه إلى الجمهور، ولكن نشر ذلك يمكن أن يؤدي إلى فرض العقوبات. على سبيل المثال، بناءً على القانون الجنائي يتم فرض هذه العقوبات بعد النشر، هذا هو الوضع القانوني.

والآن، كيف لرأي الجمهور في بلادي وفي الدول المحيطة أن تتفاعل مع هذا، وما هو رد فعلها تجاه هذه الأزمة؟ ليس من قبيل الدهشة أن ينقسم الرأي العام بشكل واضح جدًا، فليس جميع الأوروبيين أو الغربيين –الذين أعرفهم تمامًا– يفعلون ذلك، فلا يتمتعون برأى إجماعي أن حرية التعبير هي التشبث بالقول "دعونا ننشر ما نريده ودعونا نتحدث كما نريد وأن هؤلاء المحتجين يمكنهم أن يذهبوا إلى الجحيم"، هذا ليس الرأي الإجماعي في بلادي أو في البلدان الأوروبية. هناك فعًلا الكثير من الدول والبلدان التي تشعر باستياء وغضب شديد تجاه ما حدث، وتنتقد بشدة السلوك غير المسئول الذي صدر عن الصحفيين والمسئولين. ولا أقول ذلك لكي أتملقكم، لكنني أقول لكم فقط ما الذي يحدث في بلادي، في أوروبا الغربية، وأنقل لكم ما يحدث.

وكما قلت سابقًا، هناك بعض الناس الذين لازالوا يجادلون في أن هذه الرسوم الكاريكاتورية يجب ألا يتم توجيه الانتقاد إليها، ولكن آخرون، وعدد كبير منهم حقًا، يعبرون عن رأيهم، وليس فقط سرًا ولكن جهرًا أمام الناس، حيث يرون إن التصرف الوحيد السليم والصحيح هو أن تحفظ لسانك وتراعي ما تقوله انطلاقًا من الاحترام للآخر وليس فقط لأن القانون يمكن أن يلاحقك إذا ما تعديت وتجاوزت حدود القانون. ولكنها مسألة مبدأ، وانطلاقًا من احترام الآخرين واحترام دينهم وعقائدهم وشريعتهم العميقة. والآن ستفهمون فجأة أن بعض ردود الأفعال في العالم الإسلامي كانت شديدة وعنيفة للغاية، حتى أنها جعلت الأمر يزداد صعوبة على الحكماء بيننا في أن يستمعوا إليهم. أي

بعبارة أخرى، كان بالطبع هناك فقدان للتعاطف مع المسلمين، واعتذر على تعميم الكلمة التي أقولها الآن، بسبب طبيعة المظاهرات والعنف الذي صاحبها، وخاصةً أن الناس لم تدرك أن الوقت قد مضى على ذلك منذ نشر هذه الرسوم الكاريكاتورية في شهر سبتمبر ثم جاءت المظاهرات فيما بعد، لذا فإن الدوافع السياسية من قبل بعض المنظمين في بعض المظاهرات، كان من المفروض أن تكون وقت نشر هذه الرسوم.

دعونا الآن نحاول ونتعرف معًا على موقع العوامل الأيديولوجية في المجتمعات الأوروبية، وإذا كانت موجودة، فكيف يمكننا تعريف هذه العوامل الأيديولوجية؟ دعوني بدايةً أقول لكم، وهذا لن يعطيكم شعور بالارتياح الحقيقي والمواساة، لكن عليكم أن تعلموا أن هذه الرسوم الكاريكاتورية الدنماركية التي نشرت، لا نجدها في بلادنا تستهدف الإسلام فحسب.

اعتقد أنه من الأهمية بمكان أن نقول –وأن تقبلون– وأن نتعلم أن هذا النوع من النشر لا يستهدف بشكل قصري الإسلام أو المسلمين. ففي بلادنا نجد هناك مرارًا وتكرارًا منشورات ومقالات تسخر من الدين المسيحي ومن الاعتقاد المسيحي ومن مذاهب الدين المسيحي كذلك، فأرجوكم تَذَكروا هذه النقطة. دائمًا ما تتعرض المسيحية إلى السخرية والاستهزاء، بما في ذلك الطقوس والعبادات والقيم، حتى القيم المسيحية تتعرض للسخرية، وليس بشكل نادر الحدوث، حتى أن يسوع المسيح نفسه يوصف أو يتم الحديث عنه بأسلوب ساخر واستهزائي. أنا أتحدث عن السخرية والاستهزاء بالمذاهب أو العقائد الدينية وبلُب العقيدة المسيحية.

دعوني أعطيكم مثالاً على ذلك، إن قدسية الزواج هي شيء مهم جدًا في العقيدة المسيحية، ولذلك فالمسيحيون كثيرًا ما يتعرضون للسخرية لأنهم يرفضون زواج المثليين، وكثيرًا ما يوجه لهم السخرية والاستهزاء على اعتراضهم على قانونية الإجهاض أو القتل الرحيم للحيوانات، والاستهزاء بكون المسيحيين ضد التلاعب بالحياة الإنسانية مثل التخصيب الصناعي. كل ذلك يرتبط بقدسية الحياة التي ليست من الأشياء التي نمتلكها أنفسنا، ولكنها هبة من الله، ونحن مدينون بها لله. وهذه المبادىء الأساسية والجوهرية يتم

توجيه السخرية لها بعمق في الصحافة وفي جهات النشر الأخرى بشكر مطرد ليس فقط في الإعلام فحسب، ولكن في كافة أنحاء أوروبا الغربية.

دعوني أضيف هنا أن جهودًا كبيرة تُبذل لمنع السخرية من العقائد اليهودية، والديانة اليهودية ومبادئها وعاداتها وتقاليدها. ستفهمون ذلك ببساطة لأن معظم الناس في أوروبا يخجلون بعمق من معاداة السامية التي كانت تستحوذ بقوة على الأوروبيين عبر عقود مضت بدأت من القرن التاسع عشر، وفي النهاية انتهت في أحداث الهولوكوست عام ١٩٤٠ وحتى عام ١٩٤٥. وكان رد الفعل تجاه ذلك هو أن الناس كانوا يتوخون الحذر الشديد في انتقادهم لأي شيء يهودي.

لكن الآن هناك شيء أعمق من ذلك يرتبط بما قلته سابقًا، ألا وهو ثقافة التطور. إن التطور الثقافي الذي نتج ونشأ بنهاية ستينيات القرن الماضي، وحدث ذلك في الولايات المتحدة وألمانيا وفرنسا وكذلك في بلادي الصغيرة (هولندا)، فنحن لازلنا نعيش في أعقاب وتبعات هذا التطور الثقافي. لكن ماذا كان يطرحه هذا التطور الثقافي؟ كان يتحدث عن توجيه النقد وإزاحة والتخلص من أي سلطة، كان نوعًا من التمرد ضد السلطة. لم يكن موجهًا ضد السلطة السياسية فحسب ولكن ضد أي سلطة؛ سلطة دينية، سلطة الأسرة، حتى سلطة الأب في أسرته، سلطة المدرسين والمعلمين، وما إلى ذلك. كان تمردًا ضد السلطة، وكان التمرد في نفس الوقت ضد القيم التقليدية السابقة. وقد نتج عن ذلك، ما أسميه أنا — وقد لا يوافقني في ذلك كل الناس– درجة عالية من عدم التوجه الأخلاقي أو التيه الأخلاقي في بلادي "الضلال الأخلاقي". ومثال على ذلك، الكم الهائل من صور الإنحلال الأخلاقي التي تظهر على شاشات التليفزيون في بلادنا. فأحيانًا نشاهد مظاهرات مستفزة، وأحداث جماهيرية ومظاهرات واحتجاجات، البارزة منها التي تحدث كل عام في امستردام والتي ينظمها المثليون، وأشياء من هذا القبيل. وكنا لم ندركها أو نسمع عنها قبل نشوء هذا التطور الثقافي. لذا لكي أوجز ما أقول، فما نشأ ونتج كان نموذجًا جديدًا من الحرية غير المقيدة وهذا معناه حرية بدون مسئولية، وكل ذلك يأتي وراء الرسوم الكاريكاتورية

الدنماركية. فما حدث هو أحد صور التعبير عن ذلك والكثير من هذه الأمور تحدث وسوف يتبعها المزيد والمزيد.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن، ألا يوجد ازدراء أو رأي مع أو ضد الإسلام؟ هذا ليس بأمر غائب. ولكن قبل أن انطلق إلى هذه النقطة، دعوني أكرر مرة ثانية أن الأمر الأول الذي لابد أن نأخذه في حساباتنا هنا هو ما أسميه ازدراء واحتقار كافة الأديان وليس فقط الإسلام. ربما في وقت لاحق، يمكنني أن أوضح هذه النقطة أكثر. أنا أشير الآن إلى الحوارات شديدة العدائية والهمجية عن الخلق والتطور ونظرية التطور التي قادها داروين.

هل هناك رفض للإسلام؟

أولاً، هناك معرفة قاصرة جدًا عن الإسلام، هذا أمر مؤكد. وهذا وصف منمق لظاهرة غير طيبة، أحيانًا لا يكون هناك معرفة على الإطلاق أو معرفة مشوهة وآراء مشوهة ضد الإسلام. على أية حال، إن الحركات المتطرفة والراديكالية والأصولية داخل العالم الإسلامي هي تعتبر دائمًا ممثلا للإسلام. وأنتم تعلمون أن الصورة التي تعيش في خيال وعقول الكثير من الأوروبيين، وبالتأكيد الأمريكيين، هي الصورة التي خُلِقت أو عُزِّزت من قبل الأقاويل والتصريحات والأفعال التي يقوم بها أكثر الحركات راديكالية في الإسلام (القاعدة)، فالناس يقولون "هذا هو الإسلام!".

هناك ثمة نقطة أخرى ينبغي عليّ الإشارة لها: لماذا لا يوجد رأي واضح حول الإسلام؟ ولماذا يتم تجنب الإسلام؟ هذا يرتبط بمثالين؛ أولهما، المساواة في النوع الاجتماعي والذي يأتي على قمة قائمة الأمور التي لابد أن يتم إدراكها في بلادنا. لقد استشعرناها وعرفناها، لكن لابد من تعميق هذه النظرة ومعرفة المساواة في النوع الاجتماعي وأي شخص يعارض هذا فيعتبر سيء. والغربيون يفكرون في الإسلام على أنه لا يدعم المساواة في النوع الاجتماعي، ومن ثم "فالإسلام سيء" –بحسب زعمهم– وهذه نقطة غاية في الأهمية. هناك الكثير من الأحاديث حول سوء المعاملة والتحرش الجنسي اللذين تتعرض لهما المرأة وما إلى ذلك من الأمثلة، وأن المرأة لا يُسمح لها باختيار شريكها في الزواج بينما الرجال يُسمح لهم، ومن ثم فإن هذا ضد مبدأ المساواة في النوع الاجتماعي. ومثالي الثاني الذي أضربه يرتبط بالمثلية

الجنسية. فبالتأكيد أنه ما لم ترونه في أوروبا الغربية –وليس في أمريكا– منذ أكثر من ثلاثين أو عشرين عامًا مضت والذي كان يصعب علينا إدراكه في ذلك الوقت، فالمثليون اليوم قد جاءوا في الصدارة ويتمتعون بالمساواة الكاملة بينهم وبين غيرهم من الأسوياء جنسيًا. وهذا يعتبر خطيئة خطيرة، ألا نتقبل فكرهم ومع ذلك يُسمَح بتطبيقه. الزواج من نفس الجنس يعتبر أحد الأمثلة أو الحالات التي أشير لها هنا.

ولكن لا تعتقدوا أنه لا توجد مساحة في مجتمعاتنا للمسلمين، دعوني أقول لكم بصفة عامة إن عمدة مدينة المدن في هولندا (عمدة مدينة امستردام) له أصل يهودي ومنحدر من سلالة يهودية، ونائب عمدة امستردام له أصول مغربية ومسلمة. لذا لا تبالغون في رد الفعل ولا تعتقدون أن المسلمين لا يتم الترحيب بهم أو أنهم يُنبَذون ويُكرَهون من قبل المجتمع فهذا غير صحيح.

لدي بعض الملاحظات حول التاريخ، وهي موجزة جدًا. القليل جدًا من الناس يعلمون عن العصر الذهبي للإمبراطورية العربية وأن أبرزها حالة السلام والتوافق والتصالح الكامل التي وجدت لفترة طويلة من الزمن خاصة في قرطبة في أسبانيا؛ حيث كان اليهود والمسيحيين والمسلمين يعيشون جنبًا إلى جنب في سلام شامل وكامل، وهو بحق مثال يضرب اليوم، لا يعرف ذلك سوى قلة من المفكرين. الناس في العالم الغربي لا يعلمون الكثير عن الحروب الصليبية، وبقدر ما يعرفونه فهم يرون أنها كانت أمرًا جيدًا. عندما كنت صغيرًا وأدرس بالمدرسة أخبروني أن هؤلاء الصليبيين ذهبوا بشجاعة من أجل غرض وقضية مقدسة، وأنهم أناس لابد أن نعجب بهم وهم مثار إعجاب الأجيال اللاحقة.

الأمر الآخر، نقفز الآن إلى مثال من التاريخ الحديث، مَن في العالم الغربي يتذكر ويعلم عن الاحتلال واستعمار القوى الأوروبية في شمال أفريقيا والشرق الأوسط؟! وأنه كان من قِبل الفرنسين والبريطانيين، ليس من قبل الألمان. هو شعور سيء جدًا لازال يستحوذ على قلوب الشعوب العربية متعلق بما حدث حتى العام ١٩٤٥ أو على الأقل حتى العام ١٩١٨. من كان يدرك كل هذه الأمور؟!

ولكن الناس لابد أن يدركوا قضية فلسطين وهذا ما يحدث اليوم. ولكن حتى فيما يتعلق بهذه القضية فإن تأثير الشعور بالذنب في بلدان أوروبا الغربية يعمل بنشاط وجهد على عقول الناس. حدث الهولوكوست في أوروبا والناس في البلدان المحتلة لم يبذلوا الجهد الكافي لوضع حدود لهذه الكارثة. لذلك فهم يشعرون بمشاعر متفاوتة من الذنب تجاه ما حدث وولّد ذلك لديهم عقدة الذنب؛ وهي كامنة على السطح ولكنها نشطة في ذات الوقت، ففي العقل اللاواعي يشعرون بعقدة الذنب هذه، وأيضًا –كما تعلمون– أنه يوجد في بعض دوائر الفكر المسيحي الأفكار المرتبطة بأرض الميعاد وشعب الله المختار والمفضلين لدى الرب والأرض التي يعدهم الرب بها. وهذان العاملان، عقدة الذنب التي ترتبط بأحداث الهولوكوست أو محرقة اليهود، وليس فقط في ألمانيا ولكن في شتى أنحاء أوروبا، إضافة إلى التفاسير المشوهة للإنجيل، يؤثران بشكل سيء على فهم الأوروبيين للقضية.

وأيضًا ثمة نقطة أخرى ألا وهي أن الناس في الغرب لا تصلهم معلومات جيدة حول ما يحدث في المشكلة الفلسطينية والإسرائيلية، وأشير إلى ما قالته الدكتورة نادية مصطفى في مقدمتها في هذا السياق. ليس من زمن طويل كان هناك في إحدى الصحف الأمريكية مقالة عنوانها الرئيسي كالتالي "إن الفلسطينيين لن يتم نزع سلاحهم فقط، ولكن سيتم طردهم بالقوة"، وأن الرسالة التي تتحدث عنهم رسالة غير صائبة. إن المعلومات التي تدور في أمريكا وأوروبا وتنتشر هي منحازة إلى أبعد الحدود، وهذا في جزء منه يتعلق أو يرتبط بآلية الدعاية الإسرائيلية الفجة، الرائعة من ناحية فنية، فهي تلقى الإعجاب الشديد من كافة أنحاء العالم. إن الآراء حول ما يحدث على أرض فلسطين مشوهة إلى أبعد الحدود، وستعلمون حالاً أن هناك حديث متكرر عن الانتحاريين الذين يفجرون أنفسهم، ولكن لا يوجد نفس القدر من الحديث عن كل أعمال العنف التي تُرتكب من قِبل الجيش الإسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني. ولكن من يعلم ذلك في أوروبا الغربية؟ إن عدد الضحايا بين الفلسطينيين أضعاف وأضعاف عدد الضحايا التي تقع من الانتحاريين، من يعلم ذلك؟ إنهم حفنة قليلة من البشر..!

مرة أخرى، حتى يتسنى لي وحتى أحاول أن استثير الأسئلة في أذهانكم، سأقول لكم ما الذي سأنهي به خطابي، فإذا ما كان الوقت يسمح لي لكنت قدمت لكم بعض الملاحظات عن نقص التعريفات في عالم اليوم والعمل السيء الذي يوجد في كل مكان، ونقص التعريف المحدد لكلمة "الإرهاب". ما الإرهاب؟ الكل يتحدث عنه، ولكن لا يوجد تعريف، وذلك لسببين سأذكرهما إذا ما طلبتم مني ذلك. قد يبدو كلامي عامًا لكني أقول: لا العالم الإسلامي ولا الغرب يستطيعون وضع تعريف محدد. إنه من التبسيط الشديد أن نتحدث عن "العالم الغربي" وعن "الغرب". وكما تعرفون ذلك أنا لا أشير فقط إلى العراق وغدوها إلى الكويت وعن معاملة الأكراد ومعاناتهم في البلدان العربية، بحجة أنهم ليسوا عربًا. أما فيما يتعلق بالغرب فمن الواضح جدًا أن الفجوة بين الولايات المتحدة وأوروبا تتسع هذا أمر مؤكد، وقد رأيتم بدايات هذه الفجوة وهذه الهوة بصورة صادمة عندما قرر الأمريكان أن يقوموا باحتلال وغزو العراق، فأوروبا انقسمت في الرأي ولكن الدول الأوروبية المهمة رفضت الأمر. ولكنها ابتعدت وتنحت عن اتخاذ أي موقف قانوني، مثل ألمانيا وبعض الدول الأخرى، ولكن هذا لم يكن موقف بلدي مع الأسف.

يتعين علي أن أختتم قولي الآن وأن أعرض عليكم بعض التعليقات لمركز التقارب بين العرب والغرب. إن مركز التقارب بين العرب والغرب يهدف إلى خلق الفهم والتقارب بين العالم العربي والغربي من خلال تقديم معلومات وتوثيق والدعوة إلى احترام الآراء والاعتقادات المختلفة. وبالتالي، هناك العديد من التفاوتات والتباينات في الآراء في العالم العربي وداخل الدوائر الغربية أيضًا. وعملية رفع التقارير المشوهة أو إصدار معلومات مشوهة، أحيانًا تكون عمدية وقصدية من ورائها دوافع سياسية، ولكن كثيرًا ما يكون ذلك ناتجًا عن سوء الفهم من كلا الجانبين. والوضع يتفاقم بسبب أن معظم الغربيين لا يعلمون اللغة العربية. نحن لدينا خلفية قليلة جدًا في ثقافاتنا عن المنطقة، ومن ثم، ففي هذا المناخ هناك حاجة ماسة لتأسيس مركز ليس مصريًا أو مسلمًا أو غربيًا أو مسيحيًا فقط، دينيًا أو لادينيًا، إنه مركز لابد أن يبني جسرًا ويستخدم هذا الجسر بين الثقافات.

إن مركز التقارب بين العرب والغرب هو بمثابة منظمة غير حكومية مصرية في نشأته وصناعته، وهو يهدف إلى الارتقاء بالفهم بين الثقافات والحضارات عن طريق تقديم معلومات مستقلة ودقيقة كما وردت في سياقها في كل الموضوعات المرتبطة بالعرب والمسلمين، المسلمين والمسيحيين، والفهم بينهما. إن هذا المركز هو جهة مستقلة ليست سياسية، فلا يعتبر سياسيًا حتى في أدنى معانيه، هو حركة غير حزبية يمثل ويقدم العديد من الأفكار، ويعمل كمنتدى لتبادل الآراء ولا يدعو إلى آراء سياسية أو دينية معينة. يقوم هذا المركز بنشر صحيفة إلكترونية أسبوعية تغطي الأفكار العامة في الإعلام العربي ومترجمة إلى اللغة الإنجليزية خاصةً الموضوعات المرتبطة بالفهم بين العرب والغرب، والمسلمين والمسيحيين. وهذه الصحيفة الأسبوعية تسمى "التقرير العربي-الغربي" يوفر للجمهور والأكاديميين والصحفيين كل المعلومات الدقيقة غير الانحيازية التي تؤخذ من الإعلام العربي. وفي النهاية، سيكون لديه مركز توثيق عربي لكي يسمح للباحثين والصحفيين والجمهور العربي سهولة الحصول على المواد الإعلامية المنشورة، والنقد الأكاديمي للمقالات التي تُستَقى من المصادر. هو مركز في مصر وهذا يوضح للجمهور الغربي أن رغبة إقامة الحوار والفهم المتبادل موجودة بقوة في مصر، وأن مصر هي أرض السلام. كما يقوم المركز الآن ببناء مكتبة إلكترونية فريدة بها مترجمات من التقارير العربية والإعلامية. بالطبع هذا له أهمية كبيرة للإسهام في إفادة الفهم والتقارب الثقافي، فمن الضروري للناس أن يحصلوا على معلومات متكاملة عن الفكر والتطور الثقافي على الجانب الآخر من العالم. وعلاوة على ذلك، فإن هذا المركز له نفوذ كبير على الأكاديميين. دعوني أقول لكم إن مذكرات التفاهم تم توقيعها بين إحدى الجامعات في بلادي "سيداشن"، أيضًا هناك بعض الوعود بتوقيع برنامج حوار الحضارات مع جامعة القاهرة، وهذا رائع. اعتقد بعد أن ذكرت هذا فهذه هي اللحظة الحاسمة لكي أتوقف عن خطابي.

الأستاذة الدكتورة/ نادية مصطفى :

أشكر البروفيسور فان أخت شكرًا كبيرًا، والحقيقة أنه كان عند توقعاتنا في حديثه. وننتقل الآن مباشرةً إلى كلمة الأستاذ السيد يسين الذي أرحب به مرة أخرى وأشكره على تشريفنا بالحضور.

كلمة الأستاذ/ السيد يسين***

أود في البداية أن أوجه عميق شكري للدكتورة نادية مصطفى على دعوتي للمشاركة في هذه الندوة، وأعرب عن سعادتي لإتاحة الفرصة لي كي أقابل أستاذ بارز في القانون وسياسي كبير البروفيسور أندرياس فان أخت.

بادئ ذي بدء، أود أن أقول لكم إنني أفضل مصطلح "حوار الثقافات" على "حوار الحضارات"؛ لسبب بسيط أن هناك العديد من الدارسين والعلماء يؤمنون بأننا نعيش الآن في ظل حضارة واحدة تتميز بالعلم والتكنولوجيا والاتصال، ولكن هناك الكثير من الثقافات في العالم.

ما الذي تختص به ثقافة دون أخرى؟ هذا سؤال غاية في الأهمية. ما الذي تتصف به ثقافة هو التحليل الثقافي الذي يسمى "Vision du Monde" وهي تعني الاتجاه نحو المجتمع الكوني والإنسان. هناك العديد من الاختلافات في كل ثقافة فيما يتعلق برؤية العالم أو "Vision du Monde" وهذا سيؤدي بنا إلى مفهوم الخصوصية الثقافية. كل ثقافة لديها خصوصيتها الثقافية التي لابد وأن تُحترَم حول العالم أجمع. ولا أتحدث هنا عن الخصوصية الثقافية كنظام مغلق على ذاته من الأفكار ولكنها نظامٌ مفتوح منفتح، ويعني هذا أن كل ثقافة لابد أن تتفاعل مع الثقافات الأخرى وتستفيد من النقاط الإيجابية الموجودة في الثقافات الأخرى. وهنا يأتي الاختلاف بين الثقافة العربية الإسلامية وبين الغرب.

*** المفكر المصري المعروف ومستشار مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية.

– نص تفريغ الكلمة بعد تحريرها.

إن الغرب بسبب تطوره الثقافي، كما ذكره ضيفنا العزيز، في الستينيات، كان لديه تاريخه الثقافي المحدد وهذه الثقافة مختلفة عن إدراكنا. على سبيل المثال، إشارته إلى وضع المرأة في دولنا ومجتمعاتنا العربية والإسلامية، هناك جهل ومبالغة حول وضع المرأة في مجتمعاتنا. إن الفكرة الغربية حول هذا الوضع ليست صحيحة أو موضوعية. ومن وجهة نظر أخرى، وباسم العالمية، يحاول الغرب أن يهاجم خصوصيتنا الثقافية. البروفيسور "فان أخت" ذكر مشكلة المثلية الجنسية وحقوق المثليين في الغرب، ونحن نعلم أن تطور الغرب في هذه النقطة بالذات هو الآن أمرًا مقبولاً قانونيًا (أن يستطيع الرجل أن يتزوج رجلاً وان المرأة تستطيع أن تتزوج امرأة) فنحن نرفض ذلك من وجهة النظر الثقافية والإسلامية على حدٍ سواء، ولكن الغرب يحاول أن يفرض هذا علينا فرضًا باسم حقوق الإنسان. هذا نفاق ! ونحن نعتبر ذلك عدوانًا على خصوصيتنا الثقافية. إن كل ثقافة لديها حقها في أن ترى وتدرك العلاقة بين الرجل والرجل والمرأة والمرأة. هذا مجرد مثال على الاختلافات بين الثقافات وأهمية الحوار الثقافي؛ أن كل جزء لابد له أن يصف ويحلل ويقدم ثقافته بأسلوب موضوعي.

وسوف أتحدث الآن عن دور الأكاديميا في حوار الثقافات، فمن وجهة نظري الخاصة أحاول أن أعرض لكم نظرية عامة، وهي أن نتخيل الحوار الثقافي العام بين العرب والمسلمين من جانب والغرب من الجانب الآخر مع الافتراض أن هناك حوار ثقافي بين الأكاديميين العرب والغربيين. فما هو دور الأكاديميا في هذا المضمار؟

من وجهة نظري الخاصة هناك أربع نقاط:

أولاً: النقد الذاتي

لا يوجد أي حوار ثقافي دون نقد ذاتي، كل طرف لابد أن يبدأ في نقد ثقافته الخاصة. هذا الأمر غاية في الأهمية، وقد تم ذلك بأسلوب ذكي جدًا قام به ضيفنا العزيز عندما انتقد تلاعب الإعلام الصهيوني في الغرب الذي يقوم بالمبالغة في وصف ما يقوم به الفلسطينيون دون أن يذكروا ما الذي يقوم به الإسرائيليون تجاه الشعب الفلسطيني.

ثانيًا: التحليل الخطابي

أي القدرة الإبستيمولوچية لكل طرف في هذا الحوار، والهدم الإبستيمولوچى لخطاب الآخر بأساليب علمية بحتة. على سبيل المثال، أنا استطيع أن أهدم الخطاب الغربي بأن استخدم طريقة علم اجتماع المعرفة: ما أساس هذا الخطاب؟ ما وظيفة هذا الخطاب؟ ما هيكل هذا الخطاب؟ والعكس صحيح. إن الأكاديميا الغربية لابد أن يكون لها القدرة على هدم الخطاب الإسلامي والعربي، وهذا أمر مهم جدًا.

ثالثًا: البحث العلمي حول العديد من الظواهر سواء الظواهر العلمية الغربية أو الإسلامية.

رابعًا: التنوير ومشاركة الأكاديميين في تنوير الجمهور العام:

هذه تعتبر مسألة مهمة جدًا. وسأذكر لكم دورًا مهمًا لهم كوسطاء في تبادل الأفكار في المجتمع العالمي.

الآن لو افترضنا معًا أننا لدينا هذا الحوار التقاربي بين مجموعة من المفكرين العرب المسلمين والغربيين، ما الذي علينا أن نفعله في ضوء هذه الوظائف الأربعة التي ذكرتها؟

بدايةً سأتناول الجانب العربي: إن الجانب العربي لابد أن يمارس نقد الذات لثقافته الخاصة. وهذا يتطلب شجاعة أدبية كبيرة من الجانب العربي، علينا أن ننتقد هيمنة الأفكار الدينية المتطرفة على مجتمعاتنا العربية الآن، وإخفاقنا وفشلنا في أن نواجه الإرهاب الفكري الذي أدى إلى ظهور الإرهاب. أنا لا أعمم، أنا أتحدث عن غلبة الفكر والآراء الدينية المتطرفة والتي تشكل أساسًا للإرهاب. لقد رأينا الجماعة الإسلامية في مصر التي نشرت نقدًا ذاتيًا عن نفسها وكيف قاموا بقلب تفسير النصوص المقدّسة للإسلام. هذا مهم جدًا.

علينا أيضًا أن ننقد ذاتنا فيما يتعلق بهيمنة البطالة والفقر في مجتمعاتنا، وضياع الآفاق أمام الشباب، وانتشار واستشراء الفساد ونقص الديمقراطية. هذا لابد أن يتم التعبير عنه منذ البداية. وهذا التعبير من الجانب العربي سوف يعطي القدرة على هدم خطاب الآخر عن طريق نقد الذات لنفسها. كما يمكننا أن نمارس النقد الذاتي الموجه نحو السياسات، وغياب السياسات الثقافية الفعالة من قبل الحكومات لتشكيل وصياغة خطاب ديني متنور بين الجماهير.

يتعين علينا أيضًا أن ننتقد التعميم الكاسح عن الغرب. فلا يوجد شيء يسمى "الغرب" ولا يوجد ما يسمى بــ"العالم الإسلامي"، لابد لنا أن نُفرِّق ونقوم برسم ما أسميه خريطة ثقافية للتفرقة بين الأيديولوجيات والأفكار المختلفة في الغرب، هناك أفكار عنصرية في الغرب، ولكن هناك أيضًا قوى تقدمية في الغرب تدافع عن القضية الفلسطينية كما قام بذلك ضيفنا الكريم. هذا التعميم الكاسح في الخطاب العربي يقع في أخطاء كثيرة، وأيضًا في الخطاب الغربي عندما يتحدثون عن الإسلام بوجه عام أو عن العرب بوجه عام. هذا تعميم أعمى، ولابد أن ننتقد ذاتنا في هذه الناحية.

العالم الدارس العربي والغربي في هذا الحوار والتقارب لابد أن يكون لديه القدرة الإبستيمولوچية لهدم خطاب الآخر. السؤال الأول، لماذا تظهر العنصرية الجديدة في أوروبا؟ لابد أن تكون لنا القدرة أن نفهم أسبابها كدارسين وعلماء ومفكرين عرب. لماذا ظهرت كراهية الغرب؟ لابد أن ندرس هذه الظاهرة بعناية وهذا يتضمن حرية التعبير، كما ذكر البروفيسور، قصة الكرتون التي لم تعجبنا، هم ادَّعوا أن هذا هو تقليدهم وأسلوبهم في ممارسة حرية التعبير بشكلها الكامل. وكما قال ضيفنا، لا توجد حرية مطلقة في العالم، فهم ليسوا أحرارًا في إهانة أو الهجوم على أديان وثقافات وقيم الآخر. ولابد أن نتمتع بالقدرة كمفكرين عرب على أن نفهم إزدواجية المعايير المنتشرة في الغرب. إذا كانت حرية التعبير كاملة كما يزعمون، فلماذا في المجتمعات الأوروبية الغربية لا يستطيع أحد توجيه النقد للهولوكوست؟ ولماذا هناك تشريعات تجريمية في أوروبا –وفرنسا على وجه الخصوص– تُجرِّم أي مفكر يُشكِّك في عدد ضحايا الهولوكوست أو يُفنِّد الهولوكوست. وهناك مؤرخ فرنسي طُبِّق عليه هذا التشريع وتم تجريمه، هذه ازدواجية في المعايير. فإذا كنت تشعر أنك حر في انتقاد الإسلام، لماذا تشعر بالخوف من مهاجمة المبالغة في صناعة الهولوكوست فهي صناعة صنعها الإعلام الصهيوني في الغرب؟!

فلنفترض مثلاً أننا نتحدث عن الجانب الغربي في هذا الحوار الثقافي، لابد من ممارسة نقد الذات بالنسبة للتعميمات الغربية عن العرب والمسلمين. هم يقولون إن الإرهاب صناعة إسلامية وهذا ليس صحيحًا، هناك العديد من التيارات الفكرية في المجتمعات؛ هناك مسلمين

متعصبين ومتوازنين كما يحدث في كل أنحاء العالم، ولكن هذه التعميمات العمياء خطيرة جدًا في الحوار.

أيضًا، المفكر الغربي لابد أن يكون لديه القدرة على نقد الذات فيما يتعلق بانتشار العنصرية الجديدة في أوروبا. لدي مثال جيد عن مفكر غربي قام بذلك بأسلوب ذكي للغاية وهو كتاب كتبه "دافيد ج. ولبرج" بعنوان "الثقافة العنصرية: الفلسفة وسياسة المعنى" وهو أحد الدراسات الموضوعية الممتازة التي قام بها هذا المفكر حول سبب ظهور العنصرية في أوروبا. في الفصل الثاني من هذا الكتاب: يتحدث عن عنصرية الخطاب، خطاب العنصرية والعنصريين، وعن التقارب الاجتماعي مع العنصرية، عنصرية الخطاب السياسي، العناصر الفكرية وكيان العنصرية. هذا مثال يوضح كيف أن الأكاديميين، سواء من العرب أو الغرب، عندما يتحلُّون بالموضوعية الكافية يستطيعون أن ينتقدوا تلك الأفكار.

نحن في مصر في المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية قد أجرينا بحثًا مهمًا جدًا عن الإسلاميين المتشددين. وقد رفض الأستاذ أحمد خليفة –الذي أسس هذا المركز– أن يتم استخدام كلمة: "المتعصبون" أو "المتطرفون"، وقال: "المتشددون" حتى لا يُعطي بذلك حكمًا عنهم، والكتاب من جزئين وهو كتاب مهم جدًا. وهناك الكثير من المفكرين المستنيرين قد شاركوا في هذا العمل الوجيه.

وهذا مثال يوضح كيف يمكن للإعلام الغربي أن ينتقد غياب السياسات الاجتماعية في أوروبا. لقد علمتم ما حدث في باريس، وكيف أن الجالية المسلمة هناك مهمشة ولا يوجد سياسات اجتماعية ينطلقون منها، كل هذا لابد أن يتم تحليله وانتقاده. لابد أن يكون لدى المفكر الغربي أيضًا القدرة الإبستيمولوجية على هدم بعض الخطابات الإسلامية، ولكن هناك حواجز بالنسبة الغرب وهي الجهل باللغة العربية وبالإسلام، كما قال ضيفنا. لابد أن نُفرِّق بين مختلف الخطابات في العالم الإسلامي، ونحن لدينا العديد من الأمثلة للمفكرين الغربيين مثل: "جيل كيبل" في فرنسا، وأيضًا "ماكسيم"، وغيرهم من الذين قاموا بإجراء دراسات موضوعية عن الإسلام والمسلمين.

ما الهدف النهائي للحوار بين الثقافات؟

هناك مفكر ألماني يدعى "مولر Müller" قام بنشر كتاب باللغة الألمانية وتُرجِم إلى اللغة العربية وعنوانه "التعايش بين الثقافات: مشروع ضد صمويل هنتنجتون". وذكر فيه: كيف نستطيع أن نبني الثقة بين المجتمعات والثقافات؟ كيف يتأتى لنا أن نعطي الدعم للدول النامية والمتخلفة؟ كيف نجده سبيلاً لحل مشاكلنا مع العالم الإسلامي؟ كيف نصيغ أهداف وظروف عادلة للمعاملة الاقتصادية لدول العالم النامي؟ كيف نستطيع أن نعزز ونقوي المنظمات غير الحكومية في هذا المضمار كيف نستخدم ونستفيد من عالم المعلومات والاتصالات؟

أودُّ أن أنهي ملاحظاتي الموجزة بالإشارة إلى مفهومين؛ وضع خريطة ثقافية وهي مهمة جدًا. لقد استخدمت مفهوم "Cultural Cognitive Maps" أو الخريطة الإدراكية الثقافية؛ هو مفهوم يستخدم الآن في علم السياسات المقارنة وقد قام أحد أساتذة الكلية (الدكتور محمد السيد سليم) بكتابة رسالة الدكتوراة الخاصة به في إحدى جامعات كندا عن الخريطة الإدراكية لجمال عبد الناصر وانعكاساها على قراراته السياسية، ودون رسم خريطة ثقافية لن نتمكن من التمييز بين الأفكار والثقافات المختلفة، فهذا المفهوم يساعدنا على أن نصف ثقافتنا وثقافة الآخر، الأمر الذي بدونه لن يوجد حوار إيجابي بين الثقافات.

النقطة الثانية والمهمة جدًا، أنني قرأت مقالة مهمة جدًا كتبها "توماس أوسبرن" وعنواها "الوسيط بين المفكرين في العالم الحديث" وفي هذه المقالة الرائعة كان "أوسبرن" يحاول أن يبني على بعض الأفكار التي تحدَّث عنها "ميشيل فوكو" وهو يتحدث عن أربع وظائف لابد للمفكرين أن يلعبوها: وظيفة التشريع، وظيفة الخبرة، وظيفة التفسير، ووظيفة الوساطة. أعني بالتشريع هنا أن الأكاديميين –خاصة فلاسفة القرن العشرين– يستطيعوا أن يضعوا نظريات قوية جدًا. نحن نعلم أنه في فترة ما بعد الحداثة، الهارت الأفكار المنغلقة ونحن الآن ننفتح على الأفكار، ولابد من ممارسة هذه الوظيفة وهناك الكثير من الأكاديميين الذين يستطيعون القيام بذلك. أما الخبرة فهي تعني أن الأكاديمي يستطيع أن يمنح خبراته للحكومة كمفكر. والتفسير يعني أن الأكاديمي بإمكانه أن يحلل بعض النصوص. أما الرابعة فترتبط

أساسًا بحوار الحضارات، وهي الوساطة. إن الأكاديمي كوسيط لابد أن يلعب دور الوسيط لأنه سيستهدف ويصف ثقافته الخاصة وثقافة الآخر، وهنا يأتي دور الوساطة في قلب الحوار بين الحضارات أو الثقافات.

عقدت المنظمة العربية للعلوم والمعلومات اجتماعًا مهمًا في أبو ظبي وقد طلبوا مني أن أكتب بحثًا حول الوضع العربي الإسلامي فيما يتعلق بالحوار بين الثقافات. هذه الورقة قد تمت مناقشتها بشكل نقدي من قبل مجموعة من الخبراء العرب، وبعد انتهاء الاجتماع أعلنًا عدة توصيات لكي يتم تقديمها في اجتماع وزراء الثقافة العرب، وهذه الوثيقة نُشرت باللغة العربية وبها مبادىء مهمة حول حوار الثقافات: ماهية الحوار، ما مبادىء الحوار الإسلامي والعربي مع الآخر، ما مستويات الحوار، ما أهداف الحوار العربي والإسلامي في عصر العولمة، وأيضًا ما منهاجية وأخلاق الحوار. اعتقد أنها وثيقة مهمة جدًا حيث إنها تركز على الكثير من الدراسات العربية التي أجريت في العشرين عامًا المنصرمة.

وأشكركم على حسن استماعكم لي.

المناقشات

الأستاذة الدكتورة/ نادية مصطفى:

أشكر الأستاذ السيد يسين على مداخلته القيمة والآن نفتح المجال للمناقشة.

السفير/ نبيل بدر (مساعد وزير الخارجية الأسبق للعلاقات الثقافية):

بدايةً أود أن أشكر المتحدثين على هذه العروض القيمة. هذا هو شكل النقاش والمناسبة التي استطيع أن أقول إنها علامة صحية ومبشرة ولا يوجد نهاية لها. وهي صحية بمعنى أننا بحاجة لنرى المزيد والمزيد منها. ربما يأتي التعليق هنا: هل سنواصل بإتباع نفس النظام أم أن الوقت قد حان لكي نتحدث عن أسلوب عملي ملموس نستطيع من خلاله تحقيق الأهداف التي نتطلع إليها جميعًا؟

في هذا السياق، لاحظت ثلاثة أمور؛ الأمر الأول، الحاجة الماسة والمتنامية لهذا الحوار ليس فقط كهدف أفلاطوني للفهم الأفضل ولكن كحاجة أساسية لتأمين الأمن والسلام حول العالم. الثاني، أن الكثير قد تم الحديث عنه، وكان ينطوي على النية الطيبة، وأحيانًا كان يتم تخريبه وتشويهه من قبل السياسيين. معظم المتحدثين أحيانًا يتملقون وأحيانًا يكون حديثهم مثيرًا للجدل. وأشير إلى عبارة "فون كلاوس"، عندما كان الأمين العام للتحالف الأطلنطي الشمالي، عندما قال: إن الوقت قد حان لبذل الجهود لمواجهة التهديد الإسلامي، وفي الوقت ذاته كنا نتحدث ونجري هذه الحوارات بشكل وأسلوب آخر. بالطبع لا يوجد عذر للسياسيين، وهناك قائمة منهم، في استخدام بعض التضمينات والتصريحات أو التلميحات الضمنية أو الصريحة المشينة، وأحيانًا يستخدمون كلمة العولمة على أنها سوف تُصلِح الوضع المتدهور في هذا الجزء من العالم أو اللجوء في العديد من الأحيان إلى المبالغة في التبسيط، وتكون الرسالة من وراء ذلك "اتبعونا سوف تنجحوا، وإن لم تتبعونا فهناك أمر سيء سيحدث".

بعدما قلت ذلك، دعوني اقترح ما يلي: لابد أن يكون هناك إطارًا أو قانونًا أو مدونة سلوكية أخلاقية عملية تستطيع من خلالها هذه الحوارات بين الثقافات أن تجرى في هذا الإطار.

ثانيًا، لقد حان الوقت، كما ذكر من قبل الأستاذ السيد يسين، للقيام بالنقد الذاتي؛ وهذا مهم جدًا للطرفين. وبهذا النقد الذاتي يأتي مصطلح "دعونا نتجنب التعميمات الجوفاء" هذا مهم جدًا لابد ألا نعمم لأن التعميم يعني الأذى والضرر. ثالثًا، هل حقًا نستطيع أن نناضل من أجل أن يكون لدينا نظام دولي نستطيع من خلاله تقييم قيمنا؟ نحن نتحدث كثيرًا عن العديد من الأمور التي لها انعكاسات وتضمينات على القيم، سواء على مستوى الثقافات أو فيما يتعلق بالأديان أو أي شيء يعتبر مقدسًا. فهل نستطيع أن ننطلق من تقييم نظام أخلاقي يلقي الضوء على ممارساتنا؟

أنا لا أتخيل الأشياء ولا أوحي أو اقترح أن الجميع سوف يوافقون على هذا النظام أخلاقيًا أو دينيًا، ولكن على الأقل دعونا نتفق على الحد الأدنى؛ إذا اختلفنا على الأقل نحترم بعضنا البعض، يجب ألا يكون هناك فرض لنظام أو مجموعة من القيم تحت اسم أحيانًا يكون العولمة أو مصطلح حقوق الإنسان أو أيًا كان المصطلح المستخدم. ليس لأننا ضد حقوق الإنسان أو ضد الديمقراطية بالطبع لا، ولكن أحيانًا تفسير الحدود أو القيود لا يتم بشكل صحيح. فعلى سبيل المثال، لكي أثبت ذلك لقد تحدثتم عن المثال الدنماركي حتى مع حرية التعبير هناك حقوق. وتحت قانون العقوبات يأتي مصطلح التشويه أو الإساءة أو السب.

أ.د. فؤاد عبد المنعم رياض (أحد الرموز المهمة في مجال القانون وعضو المجلس القومي لحقوق الإنسان):

أود بدايةً أن أرحب بضيفنا العزيز، لقد عشت في بلادكم لمدة سبع سنوات كمحكّم دولي في محكمة العدل الدولية. وأنا أعلم كيف أن بلادكم تقبل الاختلافات وقد وصلت إلى درجة عالية جدًا من احترام حقوق الإنسان.

واعتقد أن أزمةِ الرسوم الكارتونية هي حقًا نتاج مسئولية مشتركة بين العالم الغربي والعالم العربي والإسلامي. أولاً، فكرة أن هناك حرية غير مقيدة تعد غير مقبولة، أنا كنت أدرس القانون لمدة نصف قرن، وأنا لا أعلم أي حق ليس وراءه قيود، لذا لن أناقش هذا الأمر ولن أخوض فيه. ولكن من الواضح أنك شرحته، إن الحرية أصبحت دين بالنسبة للغرب، والتعبير عن الحرية لابد ألا يتم إيقافه أو وضع حدود له على الإطلاق حسبما يرون، واعتقد أنه في الأساس نحن جزء من هذا العالم ونحن المسئولون عن أننا نسمح باستفزاز أو إثارة سب أو ازدراء وسخرية الإسلام، لأنني عشت في الغرب ولا أوافق على

سلوكيات المسلمين في الغرب بدءًا بهؤلاء الذين يعيشون في هولندا. لذلك اعتقد أننا لابد أن نبدأ وأن ننتقد ونتحدث عن مسئوليتنا في أن يرانا الآخر في هذه الصورة المزرية في الخارج.

صديقي العزيز وأستاذي الكبير السيد يسين تحدث عن النقد الذاتي. بالطبع لابد أن أضيف أمرًا غاية في الأهمية، كان سؤال قد طرحه الدكتور فان أخت، لماذا يأتي رد فعلهم بعد شهر؟ كثير من الأمور قد تبقى قرونًا من الزمن دون الرد عليها، ولدي خبرات تقاضي في محكمة العدل الدولية منها على سبيل المثال أن أدرك أن الصرب بدأوا في قتل المسلمين بعد ٥٠٠ عام من قتل الأتراك ملكهم، وكان هذا هو السبب الذي دفعهم لذلك. لذا يمكن للإهانة أن تبقى مدة طويلة للرد عليها خاصة إذا كانت معقدة. توجد عقدة دونية كبيرة في عالمنا اليوم بسبب الاستعمار، فلم يعاملنا الغرب يومًا على قدم المساواة. واعتقد أن العديد من الباحثين سوف يتفقون على أن هناك نظرة دونية كامنة في تعامل الغرب مع العالم الإسلامي.

ما يحدث في فلسطين الآن هو نفس الشيء الذي حدث في يوغوسلافيا، ولكن الغرب يدير ظهره، فما يحدث في إسرائيل الكل يباركه بدءًا من الولايات المتحدة الأمريكية. لذلك أشير إلى أحد المفاهيم التي ظهرت وهو "أبناء رب أدنى" فنحن بالنسبة لبعض الغربيين يتم اعتبارنا أبناء لإله أدنى من إلههم. هذا لابد أن نتغلب عليه؛ سواء عقدة الدونية التي تطورت عبر عصور وقرون من الاحتلال والاستعمار، أو عقدة الاستعلاء التي يحملها البعض بسبب التطور التاريخي. هذا رأيي الشخصي فيما يتعلق بالرسوم الكارتونية.

اعتقد أن أمرًا مهمًا جدًا يتعلق برؤية العالم (Weltanschauung) التي ذكرها السيد يسين، اعتقد أنه يتعين علينا أن نطبق النصيحة التي أداها لنا السيد "يوساند" الأمين العام عندما تحدث مع الناس في الجمعية العامة عندما قال لهم: "دعونا نتمتع باختلافاتنا" لذا اعتقد أن الحديث عن رؤية العالم (Weltanschauung) ثري، ويمكن أن يثري موضوعنا. لن أتحدث فقط عن حوار الحضارات، لكن سأضيف كلمة قوية وأقول "لهجة الثقافات"، لأنه لا يمكننا التوصل إلى شيء دون أن نوحده. هذه الوحدة هي وحدة كافة الحضارات، وسوف نترك لكل جانب فولكلوره الخاص. هناك جزء من الثقافات فولكلوري ولا يضير ذلك في أي شيء أو أي طرف.

تحدثتم عن الإرهاب وأنك لا تريد أن تنخرط في هذا الموضوع، اعتقد أن الصعوبة الجمة في مسألة الإرهاب هو أن هناك ما يسمى إرهاب الدولة، وقد أشرتم إليه إشارة بعيدة. الإرهاب الدولي يمكن أن يقتل ملايين في ثانية، بينما الإرهاب الشخصي يقتل فرد أو فردين. وبما أننا لا نستطيع أن نُضمِّن ما تفعله إسرائيل كإرهاب دولة في تدمير القرى والأراضي وما إلى ذلك، فلن نستطيع أن نصل إلى أي تعريف للإرهاب.

د. عصمت عز :

لا أعلم ما الذي أقوله بعد الخطاب الذي تحدث عنه أستاذنا البارز الأستاذ يسين. أود أن أشكر ضيفنا الذي قال إن الغرب مهتم جدًا بالمساواة في النوع الاجتماعي. واضح جدًا في هذا المعهد الكثير من النساء والسيدات، زوجتي على سبيل المثال أستاذة في كلية الطب ورئيسة قسم. إذن ما المقصود بالمساواة في النوع الاجتماعي الذي يريدونه؟ أن يكون لها الحق في أن تعيش من غير أن تتزوج؟ اعتقد أننا لا نوافق على ذلك. إذا شعر البعض أن المساواة في النوع الاجتماعي هي أن تتزوج المرأة امرأة أخرى، فنحن نرفض ذلك. هذه الأمور ليست مقبولة في بلادنا، فليفعل الغرب ما يريد، لكن دون أن يؤثر على حياتنا وثقافتنا الهيكلية. أيضًا ذكرتم أن في الغرب هناك عقدة، لا أعلم هل تعتقد يا سيدي أن الذي يحدث في فلسطين من قتل العاجز والمعوق في كرسيه المتحرك، هل هذا إرهابي أم لا؟ هل هذا مقبول أم لا؟!

ومرة ثانية، عندما ذكرت يا سيدي أن الانتحاريين يقتلون الأبرياء المدنيين، وعندما كانت الطائرات تهجم على المدنيين وتقتلهم أليس ذلك إرهابًا؟ لم تذكره أبدًا لا أعلم لماذا. لذلك في إحدى الاجتماعات في "سان دييجو" قلت لهم "إذا نظرتم إلى الانتحاريين على أنهم يقتلون المدنيين، إذن فلابد أن تجرِّموا الذين يطيرون بالطائرات الأباتشي ويقتلون الأبرياء أيضًا".

نحن نشعر أن الثقافة الغربية في أن نقول شيء ونفعل شيء آخر غير سليمة، فلابد من المساواة في التعامل. تريدنا أن نحترم الغرب بينما هذا الغرب لديه ازدواجية في المعايير، اعتقد أن هذه الازدواجية غير صحيحة.

أ.د. عبد المنعم أبو الفتوح (سكرتير عام نقابة اتحاد الأطباء العرب):

بسم الله الرحمن الرحيم. لا شك كما علّق الضيف العزيز، الذي نرحب به كما نرحب بالأستاذ السيد يسين، أن الحوار مهم. لكن أجد أن أكبر عقبة كؤود أمام الحوار والتواصل بيننا كعرب ومسلمين وبين الغرب هي السياسيين الغربيين حين يمارسون بعض الممارسات التي تريد أن تفرض بعض ثقافات الغرب علينا. أنا غير قادر على أن أفهم أو استوعب ما هي خطورة أن يكون للشرق ثقافتهم أو للصينيين ثقافتهم، ثم للغرب ثقافتهم؟ ما هي خطورة أي ثقافة على الأخرى؟ لماذا لا نحترم ثقافات بعضنا البعض؟ ولماذا يريد السياسيون أن يفرضوا ثقافاتهم علينا؟ وهذا ضد كل معاني حقوق الإنسان وضد العقلانية وضد المنطق.

الخطورة الأخرى التي يشكلها السياسيون الغربيون تتمثل في حجب المعلومات الصحيحة عن شعوبهم. فنظم الحكم الغربية، وأنا أعمم هنا وهذا بالطبع لا ينطبق على كل الغربيين، تقوم بحجب المعلومات والمفاهيم الصحيحة عن عالمنا العربي والإسلامي من الوصول لشعوبهم. فعندما يُصوَّر "بن لادن"، وهو شخص هارب لا وزن له ولا قيمة، على أنه أُخطبوط خطير جدًا، على الرغم من أن غالبية المسلمين ضد مفاهيمه وأفكاره وممارساته بهذه الصورة، في الوقت الذي يحجب عن العالم الغربي والأمريكي الممارسات المختلفة. فهذه هي العقبة، فما هي كيفية إزالتها؟ كيف نزيل هذه العقبات التي يضعها السياسيون بيننا وبينكم من أجل أن نتواصل ونتحاور ونتفاهم؟ لأنني مدرك لأهمية الحوار من أجل إزالة سوء الفهم. ونتيجة الممارسات الظالمة للغرب وازدواجية المعايير، فبعض المسلمين والعرب أحيانًا ينفد صبرهم ولا يرون فائدة من وراء الحوار.

أنا أدعو الجميع إلى الصبر على الحوار وأن نناضل ونقاتل من أجل الحوار –إذا جاز استخدام هذا التعبير– لأننا في النهاية سنستطيع أن نقنعهم بآرائنا وأفكارنا مادامت عادلة وصحيحة وتحترم الآخرين.

أ. مختار قاسم:

ذكر الدكتور فان أخت أن نائب رئيس عمدة امستردام هو شخص من أصول مغربية مسلمة. اعتقد أن هذا هو نوع من التبسيط المخل؛ فما الذي يستطيع أن يفعله شخص أو

فرد في مؤسسة. لابد من الاعتراف أن هناك سياسات تمييزية في الغرب من البداية. نستطيع أن نقول ما قاله الرئيس بوش أن هناك حربًا صليبية. إن الغرب يقدم لنا أحيانًا نموذجًا استثنائيًا غير قابل للتكرار على أنه دليلاً للمساواة. لابد من الاعتراف بالمشاكل ومسئولية المؤسسات الغربية الحاكمة في تلك المشاكل.

وفيما يتعلق بالرسوم الدنماركية، إذا أردنا أن نمارس نوعًا من النقد الذاتي، كان هناك دور لعبته الحكومات العربية في إثارة وتصعيد هذه الأزمة، واستدرجوا إليه الحركات الإسلامية. ولكن استطيع أن أقول إن المتعصبين المسلمين الذين هم مسئولون عن الفجوة بين الغرب والإسلام هم الآن في السجن، ولكن المتشددين الغربيين واليمين الغربي هو الذي في الحكم الآن! تلك هي المشكلة.

المستشار/ عبد الرازق عبد العزيز:

عندي سؤالان للبروفيسور أندرياس فان أخت: السؤال الأول، لقد ذكر أن الإرهاب لم يُعرَّف حتى الآن، وأنا أطلب منه توضيح الأسباب وراء ذلك الأمر. السؤال الثاني، يتعلق بقانون مناهضة معاداة السامية الذي اعتمده مجلس الشيوخ الأمريكي، أريد أن أعرف رأي سيادتكم في هذا القانون، ألا تعتبر أنه تكريس ليس ضد الإسلام فقط، ولكنه ضد جميع الأديان؛ بدليل أنه ليس قانونًا ضد معاداة الأديان أو اليهودية. ما رأيكم في هذا القانون الذي يتجنب الكثيرون الحديث عنه رغم أننا أيضًا ساميون؟

أ.د. نبيل على (رئيس شركة هندسة اللغة):

شكرًا جزيلاً للبروفيسور أندرياس فان أخت على وجهات نظرك عن هذه القضايا الحساسة جدًا في هذا المضمار. وأود أن أشير إلى المقدمة التي عرضتها الأستاذة الدكتورة نادية مصطفى والتي أكَّدت فيها على أن منظمتكم تتولى النواحي الأخلاقية في إدارة هذا الحوار. سؤالي لكم: هل نستطيع أن نعتبر العدل الأخلاقي عاملاً محددًا في الشئون الأيديولوچية والاقتصادية والسياسية؟ لأنني لازالت اعتقد أن رد فعل الأوروبيين تجاه هذه الرسوم الدنماركية قد استفزها عوامل اقتصادية أخرى مثل أسواق العمل في أوروبا، وأيضًا رفض وكراهية الأجنبي كما قال الأستاذ يسين.

أيضًا، أنا على ثقة أنك لا تعني أبدًا بمناهضة التطور أننا نكون سلبيين جدًا في تلقي النتائج، لأنك ذكرت أن هذا قدَّم نوعًا من التضليل في العقول الأوروبية، ونحن لا نقبل ذلك كقيم على أرض الواقع أو مفروضة لأن هذا سيكون عدوانًا ثقافيًا، من جانب ما بعد الاستعمارية والمركزية الأوروبية، ونحن لا نستطيع أن نقبل هذ النوع من الفكر. أما فيما يتعلق بهذه البذور الأيديولوچية التي ذكرتها، لابد لنا أن نذهب أعمق من ذلك في مناهضة التطور لأننا لو اقتفينا أثر عقلية وفكر الأوروبي، الذي تطور من خلال الفلسفة وعلم الاجتماع، يمكننا أن نشير إلى ماكس فيبر وكارل ماركس اللذين اعتبرا أن الشرق لن ينضم إليهم، وأنهم بالتعريف خارج ركب الحضارة. هذا النوع من التفكير والفكر تقييدي جدًا ولا يُسهِّل إقامة الحوار.

في هذا الوقت، ينظر مفكرو ما بعد الحداثة إلى الإسلام وإلى كل المفكرين الإسلاميين على أنهم مجرد روائيين، ولا يدركون أن النص الديني هو الذي يربطنا بثقافتنا ويربطنا بالعالم.

أ. عزيزة:

أشكر الأستاذ السيد يسين لأنه وضع نقاطًا مهمة جدًا، ولو استطعنا السير على هذا المنهج سوف تعم فائدة كبير. النقطة الأولى التي أريد أن أتحدث عنها هي مسألة الرسوم الكاريكاتورية الدنماركية. أنا أرى أننا، أي العرب والمسلمين، نكيل بمكيالين. لأنه عندما حدث تدمير لجزء كبير من مدينة جنين في فلسطين، لم يخرج العرب في مظاهرات. وكان من الأولى لهم أن يخرجوا في هذه المظاهرات ليعبروا عن استنكارهم لما حدث، أما الرسول ﷺ عندما جاءه اليهودي، وكان يضع المهملات أمام منزله لم يهتم بذلك، بل وعندما لم يجدها ذهب إليه ليسأل عنه وعن صحته.

النقطة الثانية، أنا حضرت منذ أسبوع مؤتمر للأمم المتحدة حول "مساعدة الفلسطينيين" بعد انقطاع المساعدات من أوروبا وأمريكا، لأن الشعب الفلسطيني اختار منظمة حماس أن تتولى الحكم بالديمقراطية وبالانتخابات الحرة النزيهة أمام العالم، هذا كان اختيار الفلسطينيين وهم يعاقبون من جراء هذا الاختيار الديمقراطي. وهنا نرى الكيل بمكيالين من قبل الغرب. مما دفع بممثل الاتحاد الأفريقي في هذا المؤتمر للقول: "انتبهوا أيها

الغرب! هناك هولوكوست جديد في فلسطين نتيجة ما نفعله جميعًا (العرب والغرب ضد الفلسطينيين)".

النقطة الثالثة، أنا اعتقد، وقد أكون مخطئة، أننا لسنا في حاجة لتعريف الإرهاب. نحن نعيش في عالم يؤمن بقانون القوة، فإذا استطعنا أن نضع مفهومًا للعدالة الاجتماعية في العالم والسيادة الحقيقية للدول -وليست فقط السيادة النظرية وهيمنة الأمريكيين والأوروبيين- نستطيع أن نقضي على الإرهاب. وكما قال الأديب الكبير نجيب محفوظ "إن الإرهاب في العالم سببه انعدام العدالة"، وأننا إذا استطعنا أن نصل إلى نوع من العدالة، يمكننا القضاء عليه.

أ. مانواتا :

أنا طالبة دكتوراة، ودراستي تدور حول الحوار بين الثقافات، ويرتبط بحثي بالكثير من الأفكار عن العدالة في النوع الاجتماعي في مصر. وأنا لست خبيرة، ولكن حضرت الكثير من الحوارات. ما قاله د/ فان أخت يوضح الكثير -وبشكل جميل- صعوبة الحديث عن هذه الموضوعات لأن هناك الكثير من الأجندات المخفية. عندما تتحدث عن هذه الموضوعات، يرفض الغرب، على سبيل المثال، إمكانية أن تكون المرأة التي ترتدي الحجاب امرأة قوية أو أن تكون قوية في عملها. وعلى الجانب الآخر، الناس هنا يعتقدون أننا عندما نتحدث عن المرأة نحن نتحدث عن خضوعها الجنسي. نحن لا نتحدث عن أن المرأة تقوم بشيء ضد أي شيء ولكن أن يكون للمرأة قضية، أن يكون لديها القدرة في أن ترفض أن تُضرَب من زوجها، أن تحصل على الطلاق، وأن يكون لها الحق في أطفالها. هذه أمور حقيقية وواقعية. كثير من النساء من الجمهور هنا لديهن حرية في التعبير وانفتاح في العقل، لا نريد أن نخفي حقيقة أن كثير من النساء لا يخترن مستقبلهن أو حياتهن. وإذا حددنا ذلك أو قيدناه إلى مسألة الجنس، فاعتقد أن هذا تبسيط وأننا لا نأخذ المشكلة على وجه الجدية.

أ. افتكار البنداري :

هل يمكن على ضوء خبرتك أن تحكم أيهما أكثر استعدادًا للحوار مع الآخر؛ الغرب أم العرب؟

أ.د. منير عبد المجيد السيد (مستشار منظمة اليونسكو السابق):

العلماء المتخصصون في العلوم الشرعية أكثرهم لا يعرف أي لغة أجنبية حتى يستطيعوا أن يوصلوا المفاهيم الإسلامية إلى هذه الشعوب التي تتكلم الإنجليزية أو الفرنسية أو غيرها. في الواقع، كان الإعلام في السنوات الأربعين السابقة موجهًا إلى المسلمين، ولم يوصل مفاهيم الإسلام إلى غير المسلمين. لعبت الجامعة الأمريكية مشكورة دورًا في هذا الصدد لأنها عملت في الأربعين سنة الماضية على نشر قصص نجيب محفوظ ويوسف الشاروني، فعلم الغرب في أوروبا وأمريكا عن هؤلاء وعن تفاصيل قصصهم. ولكن لم يجدوا أي منشورات عن الإسلام تُعرفهم بالإسلام وتعاليمه. أحد أساتذة الجامعات في أمريكا سألني مرة "ما الفرق بين المسلمين ومن يؤمنون بمحمد؟" فهو يتصور أن أتباع محمد لهم دين والمسلمين لهم دين آخر. في أمريكا هناك مجموعة من الأمريكيين السود يطلقون على أنفسهم Black Muslims. وهم مجموعة من اللصوص والمجرمين والخارجين عن القانون، وللأسف الشديد يقوم الأمريكيون بالتعميم، ويعتبرون أن جميع المسلمين يتصفون بهذه الصفات.

في إحدى المرات، عرضت بعض الصور عن الحياة في مصر أمام الأمريكيين، كلما تظهر صورة لأحد شوارع القاهرة يقولون "هذه فلوريدا"، وعندما ظهرت الأهرامات والجِمال، يقولون "هذه حقًا مصر". نحن نفتقد مهارة الحوار، فلا يوجد حوار على مستوى المدارس الابتدائية والثانوية ولا في الجامعات، حتى على مستوى الراشدين، من يعلو صوته هو الذي يحسم النقاش بلا منطق.

أ. محمد سامي:

بدايةً أود أن أذكر ما يرتبط بما طُرح في إحدى المداخلات السابقة عن أن الرئيس الأمريكي يتحدث عن الحرب الصليبية ضد الإسلام والمسلمين بعد ٢٠٠١، اعتقد أنه خطاب لا ينطوي على عقلانية أن يتحدث على حرب صليبية على الإسلام. وإلا ما هدف هذه الندوة؟

النقطة الثانية تتعلق بما ذكره الأستاذ السيد يسين عن النقد الذاتي، قال إنه من الصعب جدًا أن نجري حوارًا ناجحًا بين الثقافات قبل أن ننقد ذاتنا بداية، ولكنّي أريدكم أن توضحوا ما هي الخطوات المنضبطة لهذا النقد الذاتي؟

أ. محمد الشريف:

تكلم ضيفنا عن التاريخ ومن الواضح أن سيادة الدكتور قاريء جيد للتاريخ، وتكلم عن قرطبة. وذكر أن اليهود والمسيحيين والمسلمين كانوا يعيشون معًا في ود وتوائم، ولكنه نسي أصلاً أنه عندما اتفقت "مملكة قشتالة" و"مملكة أراجون" وكونوا مملكة أسبانيا، ووقعوا المعاهدة التي جاء فيها "إن الرب أرسلنا لكي نحرركم من الكفرة"، كما وقعتها ممالك أخرى مجاورة فيما بعد، وتم اعتبار المسلمين كفارًا. وقاموا بذبح أربعة مليون مسلم من الأندلس، ومرَّ المسلمون بمرحلة استئصال بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

أنا اتسائل عن الحرية في الغرب، وأدَّعي أن الغرب قد أصبح دكتاتوريًا أكثر من الشرق والمناطق العربية. ومن الشواهد على ذلك أن تقام حفلة "لاتوما" السنوية في أسبانيا احتفالاً بخروج الإسلام والمسلمين من الأندلس، والحفلة السنوية في "مدريد" احتفالاً بخروج الإسلام، وعندما بُني أول مسجد في غرناطة عام ٢٠٠٣ وعندما تم افتتاحه وجدنا في اليوم التالي أن الساحات في غرناطة مُلئت بكتابات: "اخرجوا أيها المسلمون العرب من أسبانيا"، وأن مركز البحوث والدراسات الإحصائية في أسبانيا ومقره مدريد نشر في آخر إحصائية له مؤخرًا أن ٥٠% من الأوروبيين يعادون العرب والمسلمين.

نحن نتكلم عن الحرية وعن الحجاب، أنا اتساءل ما دخل المحجبات في الإرهاب؟!

الأستاذ الدكتور/ كورنيليس هولسمان (مدير مركز التفاهم بين العرب والغرب):***

إن الوقت قصير جدًا لمناقشة كل القضايا والتساؤلات. الأمر الأول هو أنه لا يوجد صراع بين الحضارات، ولكن هناك صراع بين الأشياء المتطرفة في كل ثقافة. هذا ما نتحدث عنه، ومن المناقشات تحدثنا بالفعل عنه. عندما نؤكد بصفة مستمرة على التباينات

*** نص تفريغ الكلمة بعد ترجمتها.

والاختلافات تصبح قضية في لحظة من اللحظات، عندما أركز على الناس الذين يرتدون مثلاً نظارة بحروف ذهبية، يبدو ذلك أشبه باختلاق قضية من لاشيء.

الأمر الثاني، أود أن أعقب على ما قاله الدكتور فان أخت، إن مبادرة مركز التقارب بين العرب والغرب كلها بدأت من قبل المصريين وليس من قبل الهولنديين، ووراء هذه المبادرة كان هناك سيدات منهم زوجتي وهي مصرية وفخورة بذلك، وقد حزنت حزنًا شديدًا لما نشر وما كتب. وقالت إننا لابد أن نفعل شيئًا حيال ذلك، هي ليست متحدثة رسمية ولكنها تقف وراء هذه المبادرة. نحن نبدأ مركز التقارب بين العرب والغرب الذي بدأ بامرأة مصرية لذا نقول إننا يمكن أن نفعل هذه المبادرة!

أيضًا، أنا الأمين العام لجمعية الصحفيين الأجانب، وأنا لا أتحدث بالنيابة عنهم ولست قادرًا على الحديث بالنيابة عنها، ولكني أستاذ علم اجتماع ودخلت مضمار الصحافة بعد ذلك. وأنا أشعر بخيبة أمل كبيرة في الكثير مما رأيته في الصحافة. هناك الكثير من الصحفيين يقومون بعمل كبير ومهم، وهناك آخرون لا يقومون بهذا العمل الجيد سواء بصورة عمدية أو غير عمدية. توجد ثمة أشياء عديدة لا تسعدني فيما يتعلق بالإعلام. وهذا يُمثّل سببًا آخرًا لتواجد مركز التقارب بين العرب والغرب. لا نستطيع أن نقوم بذلك وحدنا، فنحتاج إلى المؤسسات الأكاديمية. ولذلك دكتور/ أخت كنت تتحدث عن التعاون مع برنامج حوار الحضارات الذي ترأسه الدكتورة نادية مصطفى لبدأ إقامة الحوار. نحن بحاجة ماسة إلى ذلك النوع من التعاون. لابد أن نربط بين الأكاديميا والإعلام. والمشكلة كما استمعنا إليها هذا الصباح هي في التعميمات المكتسحة.

هناك تعليق واحد أريد أن أبديه على ما قاله الأستاذ السيد يسين. عندما كنت تتحدث عن الإعلام الصهيوني، هناك الكثير من الإعلام في الغرب يتأثر بالدعاية التي تأتي من المؤسسات الصهيونية المتطرفة هذا أمر حقيقي للغاية، ولكن الأمر يرتبط أيضًا بالجانب العربي وهذا ما أريد أن أؤكد عليه: أن العرب لم يبذلوا الجهد الكافي لعرض وجهات نظرهم. وقد دخلت في مناقشات في العديد من الجامعات وما يحدث هو أننا نقوم بحوار رائع كله باللغة العربية لا يوجد أي أجانب أو غير عرب يحضرونه، وهذا حوار المفروض أنه بين الحضارات، كيف يمكن ذلك؟! لذلك لابد أن نبذل المزيد والمزيد من الجهود لكي تعرضوا وجهة نظركم إلى الجمهور الغربي حتى يستطيع أن يتفهمها باستخدام أسلوب الجدل الذي

يفهمه الغرب. نحن نتعامل مع تعميمات عمياء وجوفاء ليس فقط في الإعلام، ولكن هناك الانتقائية في رفع التقارير، ومنها الكثير من الأمثلة التي أبداها البروفيسور أخت.

بالإضافة إلى ذلك، فهناك المشكلة في الأكاديميا؛ على سبيل المثال يوجه إلينا انتقادات عن الدستور المصري ولا يوجد منها أي انتقاد يأتي من العرب، كل الانتقادات تأتي من الغرب الأجانب. أيضًا لا يوجد ما ينشر بما فيه الكفاية باللغة العربية. إذا لدينا مشكلة اللغة وأيضًا لابد أن تُقدَّم الكثير من الشروحات والتوضيحات لسد هذه الفجوة.

وكأكاديميين لا نستطيع أن نتلمس طريقنا في العالم اليومي، فكل ما نحصل عليه هو تقارير ورقية فقط، ويمكن أن نرتكب أخطاءً أيضًا.

يسعى هذا المركز في أن يكون بمثابة محفل أو ملتقى. أتفق تمامًا مع الدكتور "فان أخت" حينما تحدث عن أنه ليس هناك حرية لإهانة الآخر أو شتمه أو ازدراءه، لكن إذا حدث ذلك كيف يمكننا أن نرد؟ كيف نستجيب لذلك؟ أنت لا تستطيع أن ترد بالمظاهرات بأسلوب عدواني، لابد أن ترد بأسلوب يجعل الجمهور الغربي يفهم أن شيئًا ما سيء يحدث. حاول أن تستميل هؤلاء من الغرب الذين يشعرون بالتعاطف تجاه العالم العربي لكي يشعرون بالمزيد من التعاطف بدلًا من أن ينحون بأنفسهم من الساحة كلها. لذا لابد أن نتعلم طرق الرد.

أيضًا مشكلة المعايير المزدوجة بالطبع مشكلة كبيرة، فأن نحترم مجموعة معينة من القيم ولا نوجه نفس القدر من الاحترام للمجموعة الأخرى. وقد حللنا ذلك وقمنا بعروض رائعة في هذا الصدد. أما الترجمة فتمثل مشكلة أخرى؛ أي ترجمة النصوص العربية الإعلامية التي تُظهر تباينًا في الأفكار والآراء للعالم الأوروبي، لأن مشكلة الإعلام الغربي أنه يتم إلقاء الضوء على شيء واحد ويظهر على الإعلام على أنه السمة السائدة في العالم العربي. هناك الإعلام الشرق أوسطى الذي يدعمه الإسرائيليون، وضباط الأمن في إسرائيل يعرضون لهذه الآراء المجحفة ويرسلون عشرات الآلاف من الرسائل إلى البريد الإلكتروني في الغرب لتشويه صورة العرب. لابد أن يكون هناك ترجمات دقيقة. إن المترجمين يقومون بعمل جيد، ولكنهم انتقائيون للغاية وبشكل شديد، ينتقون المقتبسات والمقالات بشكل معين حتى يعزّزوا المفاهيم الحالية ضد العرب. ويحاولون تقديم العرب بالصورة التي يريد الغرب أن ينظروا إليها. على سبيل المثال، صحيفة الجارديان قد أثارت تعليق على ذلك، كيف يمكن لمجموعة

من الصحفيين والإعلاميين العرب ومن صحيفة الجارديان وغيرهم من الصحف ان يجتمعوا معًا لتقديم وجهات نظر مختلفة، هذا لم يحدث بعد. نود أن نتعامل مع الإعلام العربي، ولكن لابد ألا نعمم وألا نضع أفكارًا نمطية.

السياق أيضًا غائب، عندما تعرض لحادثة معينة؛ حيث إن الحوادث تقع وللأسف تحدث في جميع البلدان، لكن عندما يُسلَّط عليها الضوء فإن الناس في خارج مصر لا يعلمون ما خلفية هذا الحدث، ويبدأون في تفسيرها بطريقتهم الخاصة. لا تستطيع أن تفعل ذلك، عليك أن تعرض تقارير خلفية تقدمها للإعلام الغربي والأكاديميا الغربية وتعطيهم الخلفية عن كل شيء. الدكتور فان أخت ونحن جميعًا نستطيع أن نبذل مجهودًا كبيرًا لأننا عشنا في الغرب ونعرف طبيعة مشاعر الغرب وطبيعة مشاعر العرب أيضًا. إن الإعلام له نظرة نقدية جدًا، فهو يعرض حقائق خارجة عن سياقها. لابد أن تقوم وكالات الأنباء بدور كبير حيال هذا الأمر وأن تعرض وجهة نظر صحيحة والسياق الصحيح للحدث.

هناك بعض المتدربين الذين يأتون إلى مركزنا، ونحن بمثابة منظمة غير حكومية تحت التسجيل. لا يوجد متدرب واحد ترك المركز دون أن يعمل بمثابة سفير لمصر أمام العالم. لابد أن نربط المنظمات التي لديها نفس الأهداف.

في أحد المؤتمرات الإعلامية، نوقش هذا الأمر مع وزارة الخارجية الألمانية ومع الكثير من الجمعيات، كيف نستطيع أن نضع مبادىء غربية مشابهة للإعلام الغربي والعربي؟ لابد أن تجمعنا مبادىء واحدة، أن نحترم الاختلافات وأن نعترض على الانتقائية التي نجدها في رفع التقارير، ونعترض على التعميمات الجوفاء، ونعترض على كل أنواع التشويه الذي يقوم به الإعلام لأن الناس عندما يحصلون على معلومات مشوهة، ماذا تتوقع منهم أن يفعلوا وهم لا يعرفون شيئًا عن الأمر؟ ونحن نتحلى بالمسئولية في أن نزود الجمهور بالمعلومات التي في سياقها والدقيقة من مختلف الثقافات.

الأستاذة الدكتورة/ نادنة مصطفى:

نحن نشكر الدكتور كورنيليس هولسمان، وما قاله مهم جدًا. ونحن نهتم بالتعاون معه ومع غيره من الجهات لتدعيم هذه المبادرة وهذا الجهد. الكلمة الأخيرة الآن للبروفيسور فان أخت بعد كل هذه الآراء الكثيرة التي استمعتم إليها، نودُّ الاستماع إلى كلمته الأخيرة في هذه الندوة.

الأستاذ البروفيسور/ أندرياس فان أخت:

شكرًا جزيلاً. اعتقد أن الملاحظة المبدئية لي أنه من المستحيل حقًا أن أجيب عن كل الأسئلة وردود الأفعال التي أُلقيت. أما النقطة الثانية، إذا أردت أن أكون صريحًا، لم تسعدني بعض ردود الأفعال التي استمعت إليها خاصةً للسبب التالي: في بعض المداخلات التي ألقيت كان هناك نقص وغياب للتفرقة والتمييز بين الأمور. لا أريد أن أتحمل مسئولية الغرب وحدي، إن الغرب لا يوجد هنا. أنا لست مسئولاً عن الولايات المتحدة الأمريكية، هذا ليس من شأني، والكثير من الأوروبيين سوف يعتقدون ذلك. وأنا حتى لا أريد أن يتم تعريفي وأدخل ضمن "الأوروبيين"، فهناك الكثير من الآراء والأفكار المتباينة داخل أوروبا نفسها كما يوجد داخل العالم العربي. لذا، هذا يجعل الأمر صعبًا علي للغاية في أن أعطي إجابات واضحة ومباشرة لبعض المداخلات التي استمعت إليها هنا.

** لكنني أذكر مثالاً على ذلك، وهو أمر لطيف فأحد الأشخاص اقترح سؤالاً: كيف تشعر تجاه قانون معاداة السامية وما يحدث في واشنطون؟ حتى أضاف في سؤاله كلمات "المتحدث قد تجنب الحديث عن هذا الموضوع". سيدي، أنا لم أتجنب أي شيء من هذا النوع، أنا لست مسئولاً عن الكونجرس وأنا لا أعلم ما هو محتوى هذا القانون. وقبل أن أعرف ذلك، أنا بالتأكيد ليس لي قدرة للتعليق على نص لا يوجد أمامي الآن.

** ثم كان هناك شخص آخر لطيف كان يتحدث بغضب شديد ويشير إلى ١٤٩٢ هل أنا نسيت هذا التاريخ يا سيدي؟ لا لم أنساه. كيف لي أن أنسى عام ١٤٩٢ بعد أن تحدثت بمنتهى الإيجابية عن قرطبة، وعن هذه الفترة كلها التي انتهت بشكل مأساوي دراماتيكي في هذا العام. وبالطبع هذا حدث محزن ومؤسف جدًا في التاريخ، أنا أشعر تجاهه بالأسف كما تشعر به أنت. أشعر أنني قد أوضحت توضيحًا كافيًا عن انتقادي عما يفعله الغرب الآن، وانتقد أيضًا الكثير من الأمور التي ارتكبت، وأنا أشعر بالأسف الشديد من قبل المسيحيين فيما يسمى الغرب منذ قرون، أنا انتقد واستهجن هذا.

** صديقي الذي يجلس بجانبي اليوم (أ. السيد يسين)، والسيد المحكم السابق في محكمة العدل الدولية (أ.د. فؤاد عبد المنعم رياض)، لقد أثرتما مسألة التطورات الثقافية في أوروبا، وكان أبرزها ظهور الحرية، ما سميته في خطابي "حرية بدون مسئولية" هذا هو التعبير الحقيقي لها. دعوني أقول لكم الآن إنني انتمي لمنظمة تتكون من الرؤساء السابقين

للحكومات والدول، وقد اجتمعت منذ بضعة أيام في عمان (الأردن) وهذه المنظمة منذ عشر سنوات قامت بتدشين مشروع يسمى "الإعلان العالمي للمسئولية الإنسانية". هذا الإعلان قد تم إرساله إلى مجلس الأمن بالأمم المتحدة، وقبل ذلك إلى الجمعية العامة بالطبع.

كان من بين من قاموا بصياغة هذا الإعلان والانتهاء منه، والذين تولوا مسئولية اتخاذ القرار بإرساله إلى الجمعية العامة، عدد كبير من الأوروبيين يرأسهم "هلمت شميدت" وهو المستشار السابق لألمانيا. هناك الكثير من الحكماء من الرجال والنساء في أوروبا يعون ويدركون بشكل كبير الخلل الثقافي الذي أصبح جزءًا لا يتجزأ من الثقافة السائدة التي نعيشها الآن، وفي هذا الجزء من العالم.

فيما يتعلق بالإعلام، لدي هنا وثيقة اقتبس منها التالي: إحدى مقالات أو بنود الإعلان العالمي هذا ينص على أن حرية الإعلام تتضمن تحمُّل المسئولية أيضًا لرفع تقارير حقيقية ودقيقة. وأنه لابد من تجنب أي مقالات تثير الرأي العام. أيضًا رجال الدين عليهم المسئولية، دون تمييز بينهم، في ألا يقوموا بتشريع الكراهية والعنصرية والحروب الدينية. هناك مادة تخاطب القادة السياسيين والعلماء والكتاب والفنانين. ما من أحد منهم معفى من المعايير الأخلاقية!

بالنسبة لي هذا شيء مهم جدًا ويظهر لكم جميعًا من لديهم تفكير نقدي ولديهم بصيرة في الغرب والشرق. بعض الناس تكلموا عن فرض القيم الغربية، أنا لا أرى أي فرض. نحن لا نحاول أن نجعل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن الأمم المتحدة مطلقًا ونقول إننا نُشرِّع زواج المرأة من المرأة والرجل من الرجل. أنا لا أعلم ما هي الحقوق الإنسانية التي يستند إليها المثليون، ولكننا لا نحاول فرض هذه الثقافة. ولكن ما أراه يمثل جزءًا مهمًا جدًا من الرأي العام الذي تطور عبر السنوات في الغرب، ذلك الرأي العام الذي يرى أن المثليين لابد أن يعاملوا معاملة مساوية لغيرهم من الأسوياء جنسيًا، بما في ذلك الزواج، وهذا رأي ظهر ونشأ في العشرين عامًا الماضية. هذا رأي ووجهة نظر، وأضيف على ذلك أنهم لا يفرضون هذا الرأي، وأنا حتى لا أشاركهم هذا الرأي. ولكن لا أحد يفرض هذا الرأي في الواقع. هناك صفة نراها في الغرب كثيرًا وهي إحساسنا بالتفوق، وهو الإحساس السائد في الغرب أننا نعلم الأفضل، "نحن قد تقدمنا في التاريخ والآخرون كانوا

يتخلفون وراءنا" لابد من ذكر ذلك. ولابد أن يوجه إليه النقد كما أفعل الآن. ولكن المسألة ليست مسألة فرض رأي على آخر.

** وانتقل إلى السؤال الخاص بمشكلة أو صراع الفلسطينيين والإسرائيليين، وما أراه هو الآتي:

في العقود الماضية، كان هناك قانون دولي تطور عبر السنوات الماضية ومن ضمن ذلك قانون حقوق الإنسان. وعندما تنظرون إلى ما يحدث في فلسطين تلحظون أن الأمر يبدو وكأن القانون الدولي يطبق ويسري على الجميع في العالم كله لكنه لا يطبق على الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها اليوم. لا أرى أن الغرب يفرض قيمه، لكن ما أراه هو أن الولايات المتحدة على وجه الخصوص تسلك سلوكًا وتتصرف وكأن قيمها يجب أن يحترمها العالم كله. أما فيما يتعلق بالقانون الدولي فالأمر جلي وواضح، مأساة فلسطين هي أساسًا مسألة التحايل على القانون الدولي. دولة يعترضون عليها لمدة أربعين عامًا على الرغم من إصدار ثلاثين قرارًا من الأمم المتحدة. هذا يعد انتهاكًا للقانون الدولي، ويستمر بناء المستوطنات خاصةً في القدس الشريف والضفة الغربية. فهناك ٤٠٠,٠٠٠ مستوطنة مستعمرة على الأراضي المحتلة. هذا بمنتهى الوضوح يمثل انتهاكًا لاتفاقية جنيف ١٩٤٩ وللقانون الدولي. نفس الأمر فيما يتعلق ببناء الجدار العازل حيث بدأ الإسرائيليون في بنائه و٨٠% منه يقع على الأراضي الفلسطينية. إن الفلسطينيين وجدوا الجمعية العامة للأمم المتحدة تطلب رأي محكمة العدل الدولية حول هذا الموضوع، ومحكمة العدل الدولية أصدرت حكمها في ٩ يوليو ٢٠٠٤ والحكم كان واضحًا وضوح الشمس ولا يحتمل أي غموض وقد نص على الآتي:

"أن هذا الجدار غير قانوني ولابد من إزالته، والفلسطينيون لابد أن يتم تعويضهم عن كل الخسائر والضرر الذي لحق بهم من جراء إنشاء الجدار العازل". وفي نفس اليوم سمحت إسرائيل –بموافقة واشنطون– للعالم كله أن يعلم أنها لن تعبأ بأي شيء تصدره محكمة العدل الدولية من قرارات. أكرر، مرة ثانية، أن هذا أمر غير مقبول نهائيًا واعتقد أن لب المشكلة هنا أن إسرائيل تتهرب من الموضوع ومن أي شيء تقوم به، بفضل الدعم الذي لا يتذبذب من قبل الولايات المتحدة الأمريكية.

** الآن انتقل إلى النقطة الأخرى بالنسبة للمساواة في النوع الاجتماعي، قيل لي ما الذي تتحدث عنه في النوع الاجتماعي. أنا لا أدافع بأنني آتي لكم بهذا الازدراء الذي يقول به البعض وهذه الترديدات، ومن ثم فأنا كنت أحاول فقط أن أجعلكم تتفهمون التطورات الثقافية التي تحدث في المجتمع الغربي وأنقلها لكم كما يحدث في مجتمعي ومجتمعات أخرى سواء أعجبكم الأمر أم لم يعجبكم. أنا كنت أسرد عليكم حقائق. بالنسبة للنوع الاجتماعي، لكي أعطيكم مفتاحًا عما يحدث في أوروبا ولأوضح لكم لأي مدى قد ينطبق ذلك، ربما قد لاحظ البعض منكم المقترح الأخير من قبل الحكومة الأسبانية الذي طبقًا له وبمجرد أن يتم سن هذا القانون، فإن ٤٠% من جميع المناصب السياسية بما في ذلك أصحاب الشركات سيتم شغلها من قبل النساء. الآن نحن بعيدون جدًا عن تحقيق ذلك حتى في أوروبا ولأي مدى تبعدون أنتم عن تحقيق هذا الهدف، لكن هذا يُظهر لكم ما الذي يحدث في أوروبا؛ ولكي تعرفون ما الذي يحدث لابد من متابعة الوضع والموقف. إن الحقيقة هي أن الأمر "معدي"، وقد تعذروني في استخدام هذا اللفظ، ولكن هل هذا الأمر سيعديكم وتطبقوا أمرًا مثله أم لا؟

** لقد ذكرت حقيقة أخرى، وليست تبسيطًا ولكنها حقيقة مجردة، أن نائب عمدة امستردام هو مسلم من أصول مغربية. أولاً هذا ليس بتبسيط كما قلت، وثانيًا أن الأمر مهم حقًا أن المدينة الثانية بعد عاصمة الدولة أنا أطلعكم على شيء جيد يحدث فيها، وهذا لا يلغي كل ما يحدث ولكن من العدالة أن نذكر نقطة إيجابية وحيدة وليس من العدل أن تنتقدني على هذه النقطة.

** النقطة التالية، هي تعريف الإرهاب. لقد أثرت هذا السؤال بنفسي، لأنه لا يوجد تعريف للإرهاب في كافة الخطابات الدولية ولا في الأمم المتحدة ولا غيرها من التجمعات الدولية. هناك حديث وحديث عن الإرهاب ولا أحد يعرف ما الإرهاب وماذا نعني به؟ لكن على أية حال دعوني أتحدث عن نقطتين هنا فيما يتعلق بالتعريف: إن مصطلح الإرهاب يستخدم اليوم لتضييق شيء وتوسيع شيء آخر؛ لتضييق معناه أنه في الخطاب العام في الغرب وفي الحوار الشائع لا يوجد أي تضمين لما يسمى بإرهاب. إن الإرهاب كان دائمًا يلصق بمجموعة من الأفراد أو المنظمات الفردية، ولكنه لم ينسب إلى الجيوش المنظمة الرسمية للدولة أبدًا، هذه هي النقطة الأولى. أما الثانية فإنه يستخدم بصفة موسعة بشكل يسمح بإجراء المناقشات لكي نجعل المناقشات محتدمة وغير واضحة وغير عادلة وهوجائية لأن

النضال من أجل الحرية كثيرًا ما يوصم بالإرهاب، حتى أن الفلسطينيين في أراضيهم المحتلة عندما يقتل فلسطيني شخصًا عسكريًا إسرائيليًا من الجيش المحتل أو يدمرون دباباتهم وما إلى ذلك. هذا يسمى إرهاب، ما هذا الهراء؟! إنه ليس بإرهاب على الإطلاق؛ إنه الحق الأساسي الذي يمارسه الشعب المحتلة أرضه أن يناضل ويكافح المحتل حتى ولو كان باستخدام العنف ضد الاحتلال. ولكن دعوني أقول ذلك بصيغة سؤال اقتراحي: هل علينا أن نعطي الفلسطينيين دبابات ومدفعية وسفن حربية وقنابل وأسلحة حية وزخيرة ولن يكونوا إرهابيين؟ لا، أنا اتفق معك مئة في المئة.

الآن لدي المزيد لأتحدث عنه عن سجن أبو غريب وجوانتنامو ونقاط التفتيش، دعوني أترك المجال عند هذه النقطة لقد تعلمت الكثير خلال هذا الاجتماع. أحيانًا أشعر بالغضب والاستياء من بعض المداخلات لكن أنا أحبكم جميعًا على أية حال.

الأستاذة الدكتورة/ نادية مصطفى:

في الحقيقة، إن المحاضرة في الجزء الذي جاءت فيه تعقيبات الدكتور فان أخت كانت أكثر سخونة من كلمته نفسها. نسعد حقًا بوجوده معنا، لأنه قدَّم لنا صورة عن جزء من الغرب، من أوروبا التي بمقدورها أن تفهم قضايا العرب والمسلمين وتقف إلى جانبها. لقد نقلت أسئلتكم إليه رؤيتنا عن مواقف قطاعات أخرى من الغرب ومن أوروبا أقل فهمًا وتقديرًا لقضايانا، ولذا نأمل أن تكون هذه المحاضرة بيننا وبينك بروفيسور فان أخت وسيلة لتبين لك بعد ٢٤ عامًا من عدم لقائك بالمصريين كيف ننظر نحن إلى أجزاء أخرى من الغرب ربما أكثر نفوذًا وتأثيرًا على مصير المنطقة العربية والإسلامية بالمقارنة بالقطاع أو الرأي الذي تمثلونه. فنتمنى أن يعلو صوتكم أكثر وتتمكنون من مساندة قضايانا والتأثير في القطاعات الأخرى من الرأى العام الأوروبي الرسمي وغير الرسمي لنحقق بالفعل حوارًا عادلاً متكافئًا.

وأنا سعيدة الحقيقة بطبيعة ردود الفعل التي جاءتكم، وكنتم شديدي البأس في الرد عليها ومناقشتها. ونشكرك كثيرًا على حضورك وعلى ما قدمته لنا، ونأمل أن تقدم أكثر لنا ونتعاون معكم في تقديم فهم متبادل أفضل بيننا وبين الغرب.

"دور الإعلام في العلاقة بين الحضارات"

١٨ مارس ٢٠٠٧

* كلمة الأستاذة الدكتورة/ نادية مصطفى.

* تقديم الأستاذة الدكتورة/ منى البرادعى.

* الصحفي الأستاذ/ روبرت فسك.

* المناقشات.

كلمة الأستاذة الدكتورة/ نادية مصطفى:

بسم الله الرحمن الرحيم. أهلاً بحضراتكم في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بضيافة برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات. أرحب بكم في هذه المناسبة الهامة بالنسبة لأنشطة البرنامج حيث يشرفنا استضافة "روبرت فسك" الصحفي والمفكر البريطاني الشهير. وبدايةً أحب أن أنوِّه إلى أنه ما كان يمكن لكلية الاقتصاد أن تتمتع بهذا اللقاء اليوم بدون مساعدة وتنسيق مع مكتبة الديوان، فنشكرهم جزيل الشكر على التنسيق معنا من أجل عقد هذه المحاضرة حيث أنهم الجهة المنظمة لزيارة روبرت فسك إلى القاهرة.

لا أريد أن أطيل في هذه الكلمة الافتتاحية للترحيب بحضراتكم وبه حيث أن الوقت المتاح لدينا محدود ونحب أن نستثمره في الاستماع إليه ولطرح الأسئلة والنقاشات من جانب حضراتكم، ولكن اسمحوا لي أن أقول عدة ملاحظات سريعة؛ استضافة برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات لـــ "روبرت فسك" اليوم تُمثِّل إضافة وتراكمًا مهمًا إلى أنشطة البرنامج منذ أن تم تأسيسه في محاولة للاستماع والتفاعل المباشر مع نماذج فكرية وسياسية وإعلامية عالمية تأتي إلى القاهرة، ومن ثم فإن استضافتنا له اليوم هي إضافة حقيقية لسجل أنشطة برنامج الدرسات الحضارية وحوار الثقافات. الأمر الثاني الذي أحب الإشارة إليه سريعًا هو أن الموضوع الذي سيتحدث فيه اليوم، وهو عن دور الإعلام في تشكيل العلاقة بين الحضارات، هو موضوع مهم؛ فبدون الإعلام وبدون التعليم والتربية لا يمكن الحديث عن علاقة صحية بين الثقافات أو بين الحضارات. فلا يكفي على الإطلاق عقد الحوارات رفيعة المستوى في الغرف المغلقة بين الساسة والأكاديميين والمفكرين، ومن ثم فروبرت فسك يلمس اليوم عصبًا مهمًا في إشكالية العلاقة بين الثقافات المختلفة في عالم العولمة.

الأمر الثالث والأخير، اعتقد أننا لسنا في حاجة إلى تعريف "روبرت فسك"، فهو غني عن التعريف، ولكني اعتقد أن مواقفه الفكرية والسياسية تجعلنا نأمل في مستقبلٍ نبحث فيه عن فضاء مشترك يجمع بين كل الداعين إلى الحرية والعدالة وحقوق الإنسان وإلى كل المناهضين للظلم وللعدوان والتخلف والفقر مهما اختلفت الأوطان والأجناس ومهما

اختلفت الألوان والأديان فإسهامه وإسهامنا وإسهام غيرنا يُكوِّن ويُشكِّل هذا الفضاء الرحب الذي نود جميعًا أن نعمل بإخلاص وجد ليتسع ويتحول إلى برامج فعلية لمناصرة الحرية والعدالة وحقوق الإنسان أينما كانت.

أشكر حضراتكم على الحضور مرة أخري، وأشكر العميدة الدكتورة/ منى البرادعى على تشريفها هذه الجلسة، ومجددًا أشكر مكتبة الديوان والقائمين عليها ومعنا اليوم الأستاذ/ علي الدسوقي فأهلاً به. وأرحب باسمكم جميعًا وباسم كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بـــ "روبرت فسك" الصحفي والمفكر المعروف الذي صدر له مؤخرًا كتاب مهم بعنوان "الحرب الكبرى تحت ذريعة الحضارة: غزو الشرق الأوسط" (The Great War for Civilization: The Conquest of the Middle East) والذي عُلِّق عليه بواسطة الفاينانشال تايمز بالقول بأنه ‘‘أحد المراسلين البارزين لهذا الجيل كمراسل حرب ومنافس قوي’’، باسمكم جميعًا أرحب بـــ "روبرت فسك".

الكلمة الآن للدكتورة منى البرادعى قبل أن ننتقل إلى ضيفنا لنستمع إليه، ويعقب ذلك الأسئلة والمناقشات من السادة الحضور.

كلمة الأستاذة الدكتورة/ منى البرادعي :*

بسم الله الرحمن الرحيم. أرحب بحضراتكم وتتشرف كلية الاقتصاد والعلوم السياسية اليوم باستقبال "روبرت فسك" الصحفي بصحيفة الاندبندنت البريطانية والمراسل الصحفي المعروف في الشرق الأوسط، وهو يعيش في بيروت –لبنان– منذ ما يزيد على ثلاثين عامًا. ووصفته صحيفة النيويورك تايمز أنه ربما يكون أشهر مراسل أجنبي في بريطانيا، فلديه خبرة تزيد عن ثلاثين عامًا في التقرير الصحافي الدولي بدءًا من بلفاست في السبعينيات، إلى البرتغال أثناء ثورة القرنفل عام ١٩٧٤، الحرب الأهلية اللبنانية من ١٩٧٥–١٩٩٠، الثورة الإيرانية ١٩٧٩، الحرب العراقية الإيرانية ١٩٨٠–١٩٨٨، والاجتياح السوفييتي لأفغانستان ١٩٨٠، وحرب الخليج ١٩٩١، انتهاءً بغزو العراق ٢٠٠٣، فهو أكثر المراسلين الأجانب في العالم تقديرًا لحصوله علي العديد من الجوائز بما فيها الجائزة البريطانية للصحافي الدولي لهذا العام ٧ مرات.

فيما يتعلق بالتقاليد الصحفية للمراسل الأجنبي في بريطانيا، فإن "فسك" صاحب مدرسة خاصة في تحليل الشئون الخارجية بتغطيته وتحليله اللذين يصاحبهما نقدًا لاذعًا للحكومة البريطانية وحلفائها، الأمر الذي يعتبره معجبوه دليلاً على غزارة معرفته بينما يأخذ منتقدوه عليه ذلك علامة على انحيازه الواضح.

يلقى فسك الكثير من المديح والانتقاد لإدانته العنف ضد المدنيين ولما يراه معجبوه من تقرير صحافي شجاع ولاستعداده لتحدي ما تقوله الحكومات، وروبرت فسك هو مؤلف: "ويلات وطن (لبنان) في حرب"، "الحرب والصحافة والشرق الأوسط"، "الحرب الكبري تحت ذريعة الحضارة" ٢٠٠٦ الذي تُرجم إلى العربية.

أنا لن أطيل على حضراتكم، فقط أريد أن أرحب بالسيد "روبرت فسك" وأرحب بحضراتكم جميعًا، وأشكر الأستاذة الدكتورة/ نادية مصطفى ومكتبة الديوان على تنظيمهما لهذا اللقاء.

* عميد كلية الاقتصاد والعلوم السياسية سابقًا، جامعة القاهرة.

دور الإعلام في العلاقة بين الحضارات*

الصحفي الأستاذ/ روبرت فسك**

أشكر الأستاذة الدكتورة/ منى البرادعي، وشكرًا لكم على دعوتي هنا. في البداية، أود أن أوضح أنني لست هنا لكي أروج لكتابي "الحرب الكبرى تحت ذريعة الحضارة: غزو الشرق الأوسط"[1] حتى تشتروه – ويبلغ عدد صفحاته ١٣٠٠ صفحة في النسخة الإنجليزية و٢٠٠٠ صفحة في النسخة العربية- ولكن أقول أن هذا الكتاب يحوي خبرة كبيرة من حياتي، وقدرًا من وقتي الذي خصصته لنفسي وليس لجريدة الاندبندنت.

وسأقول لكم ما الذي تعلمته من تأليف هذا الكتاب الذي لا يعد سردًا متسلسلاً لتاريخ الشرق الأوسط؛ فالكتاب يبدأ من اجتماعاتي الثلاثة مع أسامة بن لادن في كل من السودان وأفغانستان، ثم الاجتياح السوفييتي لأفغانستان، وينتقل إلى الثورة الإسلامية في إيران، والحرب العراقية الإيرانية، ثم أعود للحرب العالمية الأولى، فالقتل الجماعي في أرمينيا عام ١٩١٥ حيث قُتل مليون ونصف أرميني على يد الأتراك العثمانيين. ثم أتناول في الكتاب بعد ذلك الحرب الأهلية اللبنانية، ثم محاربة العراق واستخدامها لليورانيوم المخصب والعقوبات التي فُرضت على الشعب العراقي والتي عانى منها العراقيون كثيرًا، ثم غزو العراق للكويت، وأنتهي إلى الكارثة التي أصبحت عليها العراق اليوم.

كان أبي جنديًا في الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ وكان عمره في ذلك الوقت ١٩ عامًا، وتم إرساله إلى فرنسا حيث حارب في الثلاثة شهور الأخيرة من الحرب. وما كان مهمًا بالنسبة لي تحديدًا هو أن والدي عندما تقدم في السن أصبح من ذوي الاتجاه اليميني المحافظ؛ فأصبح يؤمن بأهمية عقوبة الإعدام والبوليس السري، وما إلى ذلك. وعندما كان يحتضر لم أذهب لأراه. وبعد وفاته، ورثت عنه أوراقه وملفاته، وفوجئت بأنه كان شخصًا مختلفًا تمامًا في شبابه.

---

* نص المحاضرة بعد تفريغها وترجمتها. ترجمة: وسام الضويني.

** الصحفي البريطاني المشهور ومراسل صحيفة الاندبندنت في الشرق الأوسط.

[1] Robert Fisk, "The Great War for Civilization: The Conquest of the Middle East", (London: Harper Perennial, 2006).

ففي عام ١٩١٨، تلقى والدي أمرًا بإعدام جندي أسترالي كان في مثل عمره تقريبًا وكان قد قتل شرطيًا بريطانيًا في باريس. ورفض والدي إطاعة الأمر، فهذا الرجل الذي كان في أواخر عمره حريصًا جدًا على القانون والنظام، رفض أن يطيع هذا الأمر من الضابط المسئول عنه. وبالطبع تم إعدام هذا الجندي الأسترالي على يد جندي آخر، لكن على الأقل كان لدى والدي الحد الأدنى من المعرفة لكي يطيع ما يمليه عليه ضميره وليس ما يمليه عليه الجيش. واعتقد أن جزءًا مهمًا من عملنا كصحفيين هو أن نرفض الخضوع للأوامر، وأن نرفض أن نعترف بما يمليه علينا الآخرون وما يريدونا أن نصدقه، وأن نتحدى الحكومات ولا نكون متحدثين رسميين لها.

وكما اكتشفت، فإن والدي قام أيضًا بحمل كاميرا معه إلى الحرب، وهذا يخالف كل قوانين الجيش وأوامره، وأخذها معه إلى الخنادق في الحرب العالمية الأولى، ولهذا السبب فإن لدي سجل فوتوغرافي له في الحرب؛ فاستطيع أن أراه في الخنادق مع زملائه ومعه بندقيته، حتى أنه التقط صورة سريعة لأحد الصفوف الأمامية في الحرب. ثم أرى صورًا له مع فتاة فرنسية، حيث أنه قضى عامًا كاملاً في فرنسا بعدما انتهت الحرب، وكانت هناك صور لبعض النـــزهات التي قام بها في فرنسا. وقبل حلول عيد الميلاد لعام ١٩١٩، عاد أبي إلى منـــزله في "بيركن هيج" لكي يصبح محاسبًا بسيطًا في مكتب تابع لوزارة المالية. وما كان مدهشًا جدًا بالنسبة لي، هو أنه عندما توفي ورثت عنه ميداليته التي نالها لانضمامه للحرب –كباقي الجنود البريطانيين في الحرب العالمية الأولى– وكان مكتوبًا عليها من الخلف "الحرب الكبرى من أجل الحضارة"، ولهذا قررت في هذه اللحظة أن هذه الجملة لابد أن تكون عنوان كتابي القادم. أنا بالطبع استخدمها بشكل ساخر، ولكن أبي كان يؤمن بأنه يحارب من أجل الحضارة مثلما أقنعوا باقي الجنود البريطانيين. لاحقًا، أصبح أبي يعتقد أن هذا الأمر ليس صحيحًا ولكنه على الرغم من ذلك احتفظ بالميدالية.

ومن الناحية السياسية، فإن ما توصلت إليه عن طريق رجوعي إلى التواريخ في تلك الفترة هو أنه في خلال السبعة عشر شهرًا التي أعقبت الحرب العالمية الأولى، كان المنتصرون (البريطانيون والفرنسيون) قد رسموا حدود أيرلندا الشمالية ويوغوسلافيا ومعظم حدود

الشرق الأوسط. وأنا أمضيت حياتي المهنية كلها كمراسل أجنبي، وكنت أرى الناس في بلفاست وبلجراد وبغداد وبيروت وهم يعانون كثيرًا من هذا التقسيم. إذن، أنا أربط ما بين الحرب التي خاضها أبي وتلك الحروب التي شهدْتـُها في الشرق الأوسط.

وفي الحقيقة، فإن كتابة هذا الكتاب مثّلت بالنسبة لي تجربة صعبة ومرهقة جدًا؛ فأنا كصحافي أسافر وأذهب إلى الحرب العراقية الإيرانية وأمضي ثلاثة أسابيع على الجبهة ثم أعود في أجازة إلى بيروت لأرى عائلتي، ثم أعود مرة أخرى إلى الحرب. لكن في الكتاب يستبعد المرء كل شيء ثانوي ويركز على الوقائع، وعندما نجمع تلك الحقائق مع بعضها ندرك حينئذ مدى المعاناة الهائلة التي مرت بها شعوب الشرق الأوسط عامًا بعد عام وعقدًا بعد عقد. وكما قلت في مانهاتن في نيويورك بالقرب من مركز التجارة العالمي منذ أسبوع، أنني قد دهشت كثيرًا أنه بعد كل هذا التاريخ الذي كتبته من التعذيب والبربرية والبوليس السري والمستبدين والخائنين والغزو الأوروبي والغربي لهذه الدول كيف كان المسلمون مراعون تجاهنا نحن الغربيون! وأعقب قولي هذا لحظة صمت كبيرة في مانهاتن، ولكن مع ذلك فهذه هي الحقيقة.

كيف أصبحت مراسلاً أجنبيًا ؟

في سن الثانية عشر شاهدت فيلمًا اسمه "المراسل الأجنبي" من إخراج "ألفريد هيتشكوك" وكان يتحدث عن صحفي في النيويورك دايلى جلوب New York Daily Globe، وقد قام بهذا الدور الممثل "جوى ماكرى"، حيث ذهب إلى أوروبا قبل بداية اندلاع الحرب العالمية الثانية، وكان يعمل كمراسل جرائم يكتب لصحيفة نيويورك دايلى جلوب، ولكن كانت تراقبه وتلاحقه فرقة إرهابية قامت باغتيال أحد الساسة الأوروبيين، واستطاع البطل القبض على أكبر جاسوس ألماني في لندن. ولكنه بعد ذلك أُمسك به ثم أُرسِل على سفينة عبر الأطلنطي، وكتب عن خبرته، ثم ربح أجمل بنت في الفيلم. وبالتالي قلت هذه حياة مشوقة وسأعمل في تلك الوظيفة!

كنت أجلس على شاطيء في البرتغال حيث كنت أغطي أحداث الثورة البرتغالية كمراسل "التايمز" في لشبونة، وتلقيت خطابًا من المحرر في صحيفة التايمز اللندنية "لويس

هاريت"، وعندما فتحت هذا الخطاب وجدت فيه ''إن مراسلنا في بيروت قد تزوج بليونيرة ألمانية وهي لا تريد أن تقضي باقي حياتها الزوجية في الحرب الأهلية'' -وكان هذا في عام ١٩٧٦- وهكذا تم إرساله إلى باريس، وهنا قال لي لويس هاريت: ''يا روبرت إني أعرض عليك الشرق الأوسط، اذهب إلى هناك!'' وفكرت أن الأمر سيكون أشبه بالملك فيصل عندما عرض عليه ونستون تشرشل العراق بعدما جاء الفرنسيون إلى دمشق. وأسوأ ما جاء في الخطاب أنه قال لي: ''روبرت لو أصبحت مراسلاً للشرق الأوسط فسوف تستمتع بالعديد من المغامرات وبالكثير من الشمس!'' وتخيلت كيف وصف لورنس العرب الشمس والسيف في الوطن العربي، وكان محقًا في ذلك.

وعلى أية حال، فإن كتابة هذا الكتاب كانت تجربة مؤلمة جدًا بالنسبة لي، في صفحة ٢٤٠ من الكتاب توجد آخر القصص المضحكة. يعرف بعضكم "جون سنو" وهو شخص مشهور جدًا في القناة الرابعة في التليفزيون البريطاني وهو كان مثلي مجرد مراسل بسيط، ولكنه أصبح مهمًا جدًا فيما بعد. وكنا معًا من قبل على نهر شط العرب خارج البصرة، حيث كانت هناك سفينة بريطانية قد انحشرت في المجرى، وحولها تُطلَق صواريخ من العراقيين والإيرانيين، وكان الكابتـــن البريطاني يريد من "جون" أن ينقذهم. إذن ذهبنا بالطبع إلى الجيش العراقي وكنا نعتبرهم حلفائنا الطيبين في تلك الأيام. فكنا نحب صدام في هذا الوقت وكنا سعداء جدًا لأنه هاجم إيران، وكان صدام بمثابة "الدكتاتور المقرب لنا". ما حدث هو أن الكوماندوز العراقيين وافقوا على اصطحاب"جون" على ظهر قارب مطاطي إلى شط العرب لكي يذهبوا إلى السفينة البريطانية، ويُنـــزلوا قوارب النجاة وينقذوهم إلى الشاطئ. أما أنا فقد كان عليَّ أن أقف على جانب الجزيرة وأجذب قارب النجاة بالحبل على شط العرب في الوقت الذي كان الإيرانيون يضربون قنابل مضيئة في الظلام. لكن للأسف كان في الجزيرة -واسمها "أم الرصاص"- الكثير من الكلاب الضالة، وكلما تحركت كانت الكلاب تعوي ويُطلَق الرصاص نحوي.

وسحبنا القارب عبر الجزيرة إلى الشاطئ، وقد كان معظم الناس على السفينة البريطانية من سيريلانكا والهند وباكستان. وكان أسوأ شيء بالنسبة لي أني قد اضطررت

لسحبهم لمسافة ميل كامل عبر الجزيرة، تحت ضرب النار، لكي يصلوا إلى الأمان. وفوجئت بأنهم يحملون معهم تليفزيونات ملونة وثلاجات ومعدات إلكترونية جاءوا بها من دبي، فكان علي أن آخذها مرة ثانية وألقيها في النهر. وكان هؤلاء أكثر الناس استعصائًا على الإنقاذ ممن رأيتهم في حياتي! في تلك الليلة، أخذت فيلم "جون" وذهبت إلى الكويت ثم استقليت الطائرة إلى عمان حيث لم توجد أية تليفونات محمولة أو أقمار صناعية في ذلك الوقت بعد. وانتظرت حتى أُرسل المعلومات، وكان لدي ٢٠ دقيقة فقط للبث، وبعد أن تمكنت من إرسال قصتي للـ"التايمز" حول شجاعة "جون" وإنقاذنا لهم، ذهبت إلى حجرتي ونمت ١٢ ساعة كاملة واستيقظت في اليوم التالي لأجد تحت الباب "تليكس" من لندن. فتحت الرسالة، وكنت متعبًا جدًا، وجاء فيها: ""فسك، تلقيت رسالتك، ولكن لماذا لم تعم أيضًا في نهر شط العرب المليء بأسماك القرش؟""

وعندما قلت هذه القصة لصديقة عزيزة لدي، أنه لا يوجد شيء آخر مضحك في الكتاب أي بعد الصفحة ٢٤٠""، قالت لي: ""هذه نهاية القصص الجميلة!"". وهذه الكلمات هي ما بدأتُ به الفقرة التالية في الكتاب، لأن ما تلى تلك القصص هو سرد لحقبة من البربرية والمعاناة؛ فهو ليس كتابًا عبَّر لي الكثير من الناس عن استمتاعهم بقراءته، وأنا أقدر ذلك، وأنا شخصيًا لم استمتع بكتابته.

في آخر مرة قابلت فيها بن لادن، وكان ذلك في إحدى معسكرات التدريب التي كانت بالطبع تابعة لوكالة الاستخبارات الأمريكية في أفغانستان، كانت آخر الكلمات التي قالها لي هي: ""السيد روبرت، لقد تمكنا من هزيمة الجيش السوفييتي من فوق هذا الجبل الذي نجلس عليه ودمرنا الاتحاد السوفييتي"" (هذه مبالغة كبيرة بالطبع ولكنهم كانوا يؤمنون بها في ذلك الوقت). لقد قال لي في السودان ذات مرة عندما سألته عن دلالة توقيته في محاربة الروس، حيث أنني اعتقد أن معرفة هذا الأمر مهمة من أجل فهم تفكير بن لادن، فذكر لي أنه كان يهاجم قاعدة عسكرية روسية في مقاطعة نانجاهار (عاصمة جلال أباد)، وبينما كان يتقدم هو ومؤيدوه نحو تلك القاعدة سقطت عبوة ناسفة بالقرب من مقعده، وقال ""لقد كنت أنتظر الموت في تلك اللحظات"". ولكن هذه العبوة لم تنفجر، وربما يتمنى

العديد من الأمريكيين أن تنفجر تلك القنبلة، ولكن لم يحدث هذا. وقال بن لادن ''في تلك اللحظة شعرت بفترة من السكينة والهدوء'' وكان من الواضح –من خلال حديثي معه– أن هذا الحدث كان له تأثير كبير على حياته، فقد أدرك بن لادن أن الموت كان غير ذي معنى بالنسبة له. ثم استكمل بن لادن حديثه معي وقال ''أنا أدعو الله يا سيد روبرت أن يُمكّننا من أن نجعل أمريكا ظلاً لنفسها''. وعندما كنت أقوم ببحثي الخاص بهذا الكتاب، رجعت إلى ما يقرب من ٣٠٢٨ ملف ومستند وصحيفة وقصاصات وصور. وفي إحدى تلك القصاصات وجدت أنني قد كنت قد وضعت خطين حول كلمة "تراجع".. وكنت مخطئًا!

وفي الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، كنت أعبر المحيط الأطلنطي على متـن طائرة متوجهًا إلى الولايات المتحدة، وعندما أقلعت الطائرة، اتصلت بمكتبي في لندن من خلال تليفون الطائرة لكي أتابع معهم ما الجديد، ثم قالوا لي: ''ألم تسمع بما حدث في نيويورك؟'' وأخبروني عما حدث في نيويورك أن طائرة اصدمت بمبنى التجارة العالمية، وبعدها طائرة أخرى. وعلمت في هذا الوقت أن هذا هجوم مخطط وليست حادثة مأساوية، ثم بطبيعة الحال انهالت علي الأخبار من لندن حول الحدث. وقالت لي المضيفة ''من الأفضل أن تعرف ما يحدث وأن تُبلغ الطيار بذلك'' وبالفعل أبلغت الطيار وأعطاني قائمة من الأسئلة لأحاول أن أعرف إجاباتها فاتصلت بلندن مرة ثانية، وعلى هذا تحركت الطائرة باتجاه الرجوع إلى لندن. وحين كنت أتحدث معهم قالت المضيفة ''من أين جاءت تلك الطائرات؟'' وبالطبع كانت تلك الطائرات من داخل الولايات المتحدة من نيويورك وبوسطن. ولكننا لم نكن نعرف ذلك حينئذٍ، فكنا نُفكّر أنه من المحتمل أن تكون أتت من جنوب أفريقيا أو أوروبا. ثم مشيت بعدها مع المضيفة عبر الطائرة ننظر إلى أي مسافرين لا نحبهم –ربما يكون معهم قنابل على متـن الطائرة– ووجدت ١٣ شخصًا أشتبه فيهم في درجة رجال الأعمال ووجدت المضيفة ١٤ شخصًا، وكانوا كلهم مسلمين بالطبع؛ كان جلدهم أسمر وشعرهم أسود ويقرأون القرآن أو يتلون بعض الآيات أو حتى ينظرون إلي بشكل غريب لأني أنظر إليهم بشكل غريب! وعندما عدت إلى مقدمة الطائرة أدركت أنه في غضون دقيقتين فقط تمكّن بن لادن ورفقائه من تحويل روبرت فسك الطيب الليبرالي إلى شخص عنصري. لقد كنت أصنف زملائي المسافرين بشكل عنصري، واعتقدت في تلك

اللحظة أن تأثيرات الحادي عشر من سبتمبر لم تقتصر على التمييز بين المسلمين وغير المسلمين (وأقول غير المسلمين لأنه لم يعد هناك العديد من المسيحيين المخلصين في وقتنا هذا) ولكنها أدت بنا إلى التمييز بين شخص برئ وآخر برئ أيضًا، وخاصةً –في ظل تداعيات الحدث– إذا قال شخص ما في السلطة بأن: "هذا هو ما غيَّر وجه العالم إلى الأبد". إذا ما قلت هذا، فإنك من الممكن أن تغير كل التشريعات التي تحمي البشر، وأن تمزق كل بروتوكولات الصليب الأحمر الدولي وكل مواثيق الأمم المتحدة التي تحمي حقوق الإنسان ضد التعذيب وسوء المعاملة، ونحن نعرف بالطبع ما الذي حدث بعد ذلك..

عندما عادت الطائرة عبر الأطلنطي، لأن الأمريكيين أغلقوا مطاراتهم بالكامل، عدت إلى منـــزلي وفتحت التليفزيون، رأيت مرة تلو الأخرى صورة للبرجين يتساقطان بشكل ملحمي والنيران والرماد ينتشران عبر مانهاتن. لم أظن أبدًا أن هذا من الممكن أن يحدث، فقد أصبحت نيويورك في تلك اللحظة ظلاً لنفسها!

وقد ظل تليفوني المحمول يرن طوال الليل فتلقيت اتصالات من قناة CBS وCNN وBBC والراديو الأيرلندي والتليفزيون الإيطالي، وكان من المثير للانتباه أن جميعهم كانوا يريدون أن يسألوني: كيف تصورت أن هذا الأمر حدث؟ ومن الذي فعل هذا؟ ولم يسألني أحد "لماذا حدث هذا؟"، لم يكن هذا سؤالاً يريدون طرحه. إذن، كيف حدث هذا؟ هذه بالطبع طائرات حطمت البرجين. من الذي قام به؟ ١٩ عربي قيل أنهم مسلمون، ولكن التساؤل "لماذا" لم يُطرح، ولم توجد إجابة لهذا السؤال. كانوا الجميع مضطربين وقلقين، ولم يريدوا أن يسألوا لماذا حدث هذا؟

وعندما استضافوني على الراديو الأيرلندي في بث مباشر مع "آلان دورشوفتش" –الأستاذ بجامعة هارفارد– فمجرد ما طرحت التساؤل "لماذا" قال لي: "أن يسأل فسك لماذا فهذا يعني أنه شخص خطير وأنه يؤيد الإرهابيين، وهذا بالتالي يعني أنه معادي للسامية وضد الأمريكيين" وكانت هذه هي كلماته بالضبط! وكان من المهم جدًا أن نرى ما يحدث، فإذا طرح أحد التساؤل "لماذا" فهذا معناه أنه شخص نازي. مازلت أتلقى حتى الآن من أمريكا –التي أحاضر فيها كل ثلاثة أسابيع– بطاقات بريدية تقول أن "والدتي كانت ابنة لأدولف

أيخمان (أحد مرتكبي الهولوكوست التي قُتل فيها ستة ملايين يهودي)"، ولكن الحقيقة أن والديّ كانت في قوات الحرب العالمية تعمل في إصلاح الراديو للطائرات البريطانية التي كان يتم إسقاطها بواسطة الألمان في الحرب العالمية الثانية، وبالرغم من أني أحتفظ ببعض الإيميلات التي يرسلها الناس ضدي، لكني أُلقي بهذه البطاقات البريدية كلها في صفيحة المهملات.

على أي حال، هذه ظاهرة غريبة جدًا؛ فحين تحدث جريمة في القاهرة أو لندن أو في أي مكان في العالم أول ما ستبحث عنه الشرطة هو الدافع: لماذا حدث هذا؟ ولكن عندما تحدث جريمة دولية ضد الإنسانية في نيويورك وواشنطون وفيلادلفيا، فنحن غير مسموح لنا أن نبحث عن الدافع، هذا شيء غريب جدًا! فمن السهل أن نتسائل: ""كان هناك ١٩ عربي، إذن هذا معناه أنهم يأتون من الشرق الأوسط، فهل هناك خطب ما في الشرق الأوسط؟"" ولكن هذا كان سؤال غير مسموح لنا أن نسأله، وليست هذه هي الطريقة الصحيحة لتحليل ما حدث.

ما حدث هو أنه خلال اليومين التاليين، في الصحيفة التي أعمل بها، حاولت الإجابة على التساؤل "لماذا"، فعدت إلى "لورنس العرب" وإتفاقية "سايكس بيكو" و"وعد بلفور" وما إلى ذلك. وعرفت أنه بالنظر للتسجيلات الصوتية والمرئية التي أصدرها بن لادن خلال السنوات التالية نجد أنها تدل على ولعه بالتاريخ؛ فيشير إلى معاهدة "فرساى" وإلى نهاية الخلافة وضرورة إستعادة الخلافة (لن أحب بالطبع أن أعيش فيها ولكن هذا كان تفكيره)، وكانت هذه هي الأشياء غير المنطوقة. والأمر الأكثر من ذلك، أنه كلما استمر بن لادن في الحديث إلينا من خلال الفيديو والتسجيلات الصوتية، كانت التغطية الأمريكية لتسجيلات بن لادن غريبة جدًا، فكانوا يرون في البداية صورة بن لادن في الشريط ثم يقولون "هل هو حي؟"، ثم يسألون "أين تم إنتاج الشريط؟"، "هل هذا هو صوته؟" وهذا هو كل ما يهتمون به، ولكن لا أحد يهتم بما قاله ومحتوى كلامه.

على سبيل المثال، قبل غزو العراق بثلاثة أسابيع كان هناك تسجيل صوتيّ لبن لادن لم يحلله أحد ولم يهتم به أحد على الإطلاق، ولا حتى العاملين في وكالة الاستخبارات

الأمريكية (CIA) بحاسوباهم العملاقة وعملائهم المنتشرين في كل مكان. وفي هذا التسجيل، كان

بن لادن يخاطب شعب العراق، ويدين صدام حسين كمجرم، ولكنه قال لهم "تذكروا أن صحابة الرسول اتفقوا مع الفرس –ولم يكونوا مسلمين وقتها– من أجل أن يحاربوا الصليبيين. وهكذا يمكنكم أن تفعلوا مع البعثيين". بعبارة أخرى، كان بن لادن يدعو مؤيديه من المسلمين في الشرق الأوسط إلى تأييد ومساندة البعثيين –وهم غير مؤمنين طبقًا لتوصيفه– الذين سيحاربون الأمريكيين أو من يسميهم "الصليبيين". كانت تلك اللحظة التي بدأت فيها آمال وتوقعات بن لادن تتحقق بهذه النقطة، نحن لم نقرأ أو نستمع إلى ما قاله بن لادن في هذا الإطار.

إذا كنت في حرب أيديولوجية، مثل تلك الحرب التي خضناها في العراق في ٢٠٠٣، فأنت تستمع فقط لما تريد أن تسمعه وتستبعد تمامًا من لا تحبهم ومن لا تريد أن تستمع إليهم عادةً. هذا هو ما حدث بالضبط للغربيين، لقد كذبنا بشأن هذه الحرب؛ كانت أسلحة الدمار الشامل كذبة، وكذلك كان الحديث عن العلاقة الخفية بين القاعدة وصدام حسين كذبة أخرى. وقد كنت أكتب دومًا في صحيفتي أنها العلاقة الوحيدة التي لا يمكن أن تجدوا لها أساسًا لأنها موجودة في خيالهم فقط! كانت هذه حرب يديرها أصحاب الخيال المريض في أمريكا، ولكن كان هناك شخص آخر ذو خيال غريب في بغداد وهو "صدام حسين" الذي كان يظن أنه سينتصر، وهذا كان خطئًا فادحًا. وفي النهاية، فالعراقيون ينتصرون أو على أقل التقديرات فإن المقاومة تنتصر –وسوف أتطرق لهذه النقطة لاحقًا.

أحد الأشياء التي أدهشتني كثيرًا هي الارتباط الموجود بين الواقع والبحث فيه وبين التاريخ، فأنا دائمًا أقول أن الصحفيين يجب أن يكون لديهم مذكرة في الحرب، ولكن لابد أن يأخذوا معهم كتاب تاريخ أيضًا ويقرأوه، لأنه بدون التاريخ نحن نذهب ببعض القصاصات وننظر للحرب وكأنها مباراة كرة قدم ونعطي وقت لكل فريق، وبهذا تصبح الحرب عرض مُختَزَل وممل ومنحاز.

عندما كنت أؤلف كتابي هذا، عدت إلى تاريخ العراق تحت الاحتلال البريطاني. فكما تعلمون نحن البريطانيون غزونا العراق في عام ١٩١٧، وعندما وصل الجنرال "أنجس مور" إلى العراق وضع إعلانًا كبيرًا على الحائط؛ وهو بيان لكل العراقيين جاء فيه: ''إلى شعب بغداد.. نحن البريطانيون لم نأت كغزاة بل جئنا كمحررين من أجل أن نحرركم من عصور من الطغيان''. هل هذا يبدو مألوفًا لكم؟ إن هذا ما يقوله جورج بوش الابن الآن! وكان نابليون أيضًا يستخدم هذه الكلمات؛ فقد قدم بيانًا إلى شعب القاهرة في أثناء الحملة الفرنسية على مصر قال فيه: ''جئنا لنحرركم من الباشوات في القاهرة''، أترون؟ نحن دائمًا نقول أننا نأتي إلى بلادكم لنحرركم ونمنحكم الديمقراطية، وأنكم لابد أن تكونوا ممتنين لنا. وبعد تلك الشعارات، تبدأون في رؤية العربات والمدرعات والطائرات والدبابات والخيول والسيوف وكل أنواع الأسلحة في الشوارع، ونحن لا نأتي أبدًا لنحرركم من دون هذه الأسلحة! لقد قمت من قبل بعمل إحصائية لمجلة في "الصنداى نيوز" منذ عدة أشهر، وقدَّرت أن لدينا ٢٢ ضعف من الجنود الغربيين في العالم الإسلامي أكثر مما كان عليه الحال في الحروب الصليبية (قبل معركة حطين ١١٨٧)، ولازلت أتسائل "لماذا؟".

على أي حال، في عام ١٩٢٠، عندما بدأت المقاومة ضد الحكم البريطاني، بدأت بمقتل ضابط بريطاني على يد العراقيين بالقرب من سجن أبو غريب –الذي تعرفونه جيدًا الآن– وأعرف النقطة التي قُتل فيها الضابط البريطاني تحديدًا، وشهدت أيضًا مقتل أول جندي أمريكي بقنبلة على الطريق ما بين بغداد والفلوجة. وذهبت إلى الموقع لأتحدث مع العراقيين وأسألهم عما رأوا هناك "هل رأوا القنبلة تنفجر؟" "وماذا فعل الأمريكيون؟"، وكانت ماتزال هناك بقايا دماء وأشلاء على الأرض. وبالفعل بدأت أتحدث مع بعض العراقيين –وقد يكون منهم من أطلق القنبلة..أنا متأكد من ذلك– وبعد أن تحدثنا لمدة خمس أو ست دقائق، جاء شاب صغير وقال "من أين أنت؟" فقلت "في الحقيقة أنا من لندن"، فقال لي "لقد قتل جدي "تاوزاند" هناك!". إذن، أول جندي بريطاني يُقتل في العراق في عام ١٩٢٠، قُتل على بعد ٢٠ متر من نفس البقعة التي قُتل فيها أول جندي أمريكي في عام ٢٠٠٣.

ماذا فعل البريطانيون في عام ١٩٢٠؟ حاصر البريطانيون الفلوجة حصارًا شديدًا، وحاصر الأمريكيون النجف، واعتقل البريطانيون وقتها رجل دين شيعي يدعى "بدر" كما أن الأمريكيين سعوا لاعتقال "مقتدى الصدر". وأرسلت المخابرات البريطانية في بغداد رسالة إلى لندن، في عام ١٩٢٠، تقول فيها إن الإرهابيين كانوا يعبرون الحدود إلى العراق من سوريا -بالطبع يقولون سوريا حيث أنها المتهمة دائمًا- وتحدث اللورد چورچ (رئيس الوزراء البريطاني في ذلك الوقت) في مجلس العموم وقال "إذا ترك الجيش البريطاني العراق الآن، فستكون هناك حرب أهلية وانعدام للسلطة وفوضى"، وهو نفس الشيء الذي يقوله الأمريكيون الآن بالضبط "إذا انسحب الأمريكيون من العراق ستكون هناك حرب أهلية وفوضى". والاختلاف الوحيد هنا أنه عندما احتلت بريطانيا العراق، استغرقت المقاومة ما يقرب من الثلاث سنوات لكي تظهر، أما في العراق الآن، فإن أول هجوم حدث بعد دخول الأمريكين إلى بغداد كان على يد امرأة تحمل قنبلة يدوية قتلها الجنود الأمريكيون، وكان ذلك بعد ٦ ساعات فقط من الغزو الأمريكي لبغداد.

إن هذه المقارنات والتوازيات التاريخية هي حقًا جديرة بالنظر، لأننا من خلالها نرى كيف أن الصحفيين والساسة منذ ٦٠ أو ٧٠ عامًا مضت كانت لديهم فكرة عما سيحدث في المستقبل.

ففي الحرب العالمية الثانية في ١٩٤١، قبل أن تغزو ألمانيا الاتحاد السوفييتي عندما كان البريطانيون يتوقعون غزوًا ألمانيًا لجنوب انجلترا، عقد "ونستون تشرشل" اجتماع وزاري في لندن ليخطط لوضع حكومة ما بعد الحرب في ألمانيا المحتلة! وقد قام بذلك في الوقت الذي لم يكن أي شخص إنجليزي عاقل يعتقد أن بريطانيا ستنتصر في الحرب، فقد كان البريطانيون يتوقعون أن تحتلهم ألمانيا. وبالفعل في عام ١٩٤٥، عندما دخلت القوات البريطانية إلى "كولن" في ألمانيا، دخل الإداريون البريطانيون مدججين بالأسلحة إلى مجلسي الشعب والشورى ليحلوا محل الذين يحكمون في الحال. أما في العراق، فلم توضع أي خطط جدية عما سيكون عليه الحكم في العراق بعد الحرب. وأحد الأسباب وراء ذلك أننا لا نهتم بالعراقيين، ولا نهتم بكل ما يحدث لشعوب منطقة الشرق الأوسط بوجه عام.

كان تشرشل يعي تلك الأمور جيدًا. وسأقرأ لكم جزء من مقالة كتبها تشرشل في عام ١٩٣٧، في وقت لم يكن أحد يهتم بالشرق الأوسط سوى البريطانيين وشعوب تلك المنطقة، وفي هذا الوقت، لم يكن أحد يتوقع ما سيحدث في الشرق الأوسط. في عام ١٩٣٧، أي قبل ١١ عامًا من إنشاء الدولة الإسرائيلية والقيام بعملية تطهير عرقي لـ ٧٥٠,٠٠٠ فلسطيني في عام ١٩٤٨، كتب "ونستون تشرشل" في مقالة غير معروفة يتنبأ فيها بمستقبل فلسطين جاء فيه:

"إن الدولة اليهودية الغنية المزدحمة والمتقدمة سوف تقع على تلال وأرض فلسطين وتطل على البحر، وحولها في التلال والمرتفعات، توجد صحراء لا نهاية لها، وسوف يقوم العرب من سوريا والأردن والعراق والجزيرة العربية بخوض ويلات حرب لا طائل لها. ولكي تحافظ الدولة اليهودية على نفسها يجب أن يتم تسليحها لأقصى درجة ممكنة وتكوين جيش كبير من كل شخص فيها. ولكن إلى متى ستسمح الشعوب العربية الكثيرة في العراق وفلسطين باستمرار هذا الأمر؟ هل من المتوقع أن يقف العرب مكتوفي الأيدي أمام الدولة اليهودية في الوقت الذي تصعد وتنمو وتبني نفسها بالثروات والموارد، وتتسلح بأعتى أسلحة الحرب حتى تصبح قوية للحد الذي لا تخاف معه من العرب جميعًا؟"، "ولو وصل الجيش اليهودي إلى هذه القوة في يوم من الأيام، من سيضمن أنهم سيبقون في هذا الحيز الضيق الذي يتكدسون فيه ولن يقوموا باقتحام الأراضي المحيطة بهم؟"

هذا ما كتبه "ونستون تشرشل" في عام ١٩٣٧ عن أحداث وقعت في عام ١٩٦٧! لم يعد يوجد الآن صحفيون مثل ونستون تشرشل..!

لقد تناقشت منذ سنتين مع الصحفية الإسرائيلية اللامعة "أميرا هاس" من هارتز عما يجب أن تكون عليه وظيفة المراسل الدولي. أنا –كوني بريطانيًا– قلت إن مهمتنا كمراسلين دوليين هي أن نكون أول شهود على التاريخ؛ فنحن شهود مستقلين على الحروب والمجازر التي تُرتكب. ولكنها قالت لي: "لا يا روبرت إنك مخطىء. إن وظيفتنا كمراسلين دوليين هي أن نراقب مراكز القوى وأن نتحدى السلطات أينما كانت، خاصةً عندما تريد الحكومات أن تشن الحروب وتكذب حيالها ويُقتَل الناس بسبب ذلك". واعتقد أن هذا هو

أفضل تعريف لعمل المراسل الدولي وما يجب عليه القيام به، وليس هذا هو حال المراسلين الدوليين الآن.

في الولايات المتحدة بالتحديد، وصل المراسلون إلى أدنى مستوى لقدراتهم في كتابة التقارير حول الشرق الأوسط. إن االمدرسة الأمريكية للصحافة تعلمك أن تعطي وقتًا متساويًا لكلا الطرفين وأن تكون حذرًا، وكذلك أن تكون خلافيًا كما هو الواقع. وبالتالي، فإن الصحفيين خاصةً في أمريكا –وأيضًا في أوروبا– ينــزعون المعنى عن الصراع بين الفلسطينيين والإسرائيليين.

كيف يستطيعون أن يفعلوا هذا من خلال الكلمات؟ إنهم لا يعرضون الحائط الإسرائيلي على أنه "حاجز أمني" ولكنهم يقولون أنه "سور أمني" وكأنه سور حديقة! وكلنا طبعًا نتذكر "سور برلين" وكان الألمان الشرقيون يسمونه "حائط أمني"! وهم لا يتكلمون عن "الأراضي المحتلة" بل إن كولن باول عندما كان وزيرًا للخارجية الأمريكية قال للدبلوماسيين العرب أن يشيروا إلى الأرض المحتلة باعتبارها "أرض متنازع عليها"، ومعظم الصحفيين الأمريكيين يستخدمون هذا المصطلح "أراضي متنازع عليها" بدلاً من "الأراضي المحتلة". وبالرغم من أن الصحفيين الفرنسيين يشيرون إلى "المستعمرات اليهودية على الأراضي العربية"، فإن البريطانيين والأمريكيين يصفونها بكونها "مستوطنات" أو "أحياء" أو "مناطق سكنية"، وهذه هي المشكلة! أنا بالطبع ضد أي عنف، لكن إذا ألقى فلسطيني حجرًا، وإذا قيل لك أن هذا هجوم على "سور" أو أن مكان مثل هيلوبوليس أو المهندسين هي "أرض متنازع عليها" ويمكن أن تُحل مشكلتها باللجوء إلى المحكمة أو عبر التفاوض، وإذا ألقى شخص ما حجرًا في ظل هذه الظروف فهذا معناه أن الفلسطينيين بطبيعتهم يتصفون بالعنف، لأنه لا يوجد إنسان عاقل سيفعل هذا. ولكن المرء يدرك حقيقة السياق عندما يدرك وجود الحرب والاحتلال والجدار العازل وأخذ الأراضي من الفلسطينيين من أجل اليهود فقط، عندها نستطيع التوصل إلى فهم حقيقي لوجود هذا العنف.

إذن، الصحفيون لا يريدون أن ينتقدهم أحد ولا يريدون أصدقاء إسرائيل في الولايات المتحدة أن يتهموهم بأنهم معادون للسامية، وهي تهمة غالبًا ما توجه إليّ. وأنا

أعتقد أن تهمة معاداة السامية التي كثيرًا ما توجه ضد أشخاص أبرياء يجب اعتبارها تهمة قذف وسب. وعندما يكتب لي أي شخص من انجلترا يتهمني بمعاداة السامية، أرد عليه قائلاً ''إذا قلت هذا مرةً ثانية سيصلك إعلان من المحامي، وسأقاضيك في المحكمة بتهمة القذف والسب''. وبعض الأشخاص الذين يلقون بهذه التهمة يمينًا ويسارًا –مثل ألان دورشفتش– سيجعلون منها شيئًا محترمًا، والحقيقة هي أن الجميع ينسون أن العرب ساميون أيضًا. ولكن يجب علي القول أن هناك بالفعل معاديين للسامية، ومن حقنا وواجبنا الأخلاقي يحتم علينا أن نحارب العنصرية والعنصريين في كل مكان، ولكن ليس أن نطلق الاتهامات جزافًا بهذه الطريقة.

المشكلة في أمريكا تحديدًا أن هناك علاقة تنافذية طفيلية بين الصحفيين والسلطة، إذا أردت أن ترى هذا فما عليك إلا أن تستمع للمؤتمرات الصحافية الرئاسية في واشنطون، حيث يقترب الصحفيون بشدة من السلطة. فإذا ما شاهدت قناة الـ (CNN) ترى هذا يحدث؛ فهم يتحولون إلى أبواق للسلطة.

وسوف أعطيكم مثالاً على ما يحدث حين يقترب الصحفيون كثيرًا من السلطة. كنت أطلق النسخة الأمريكية من كتابي "الحرب الكبرى تحت ذريعة الحضارة" في نوفمبر ٢٠٠٥، وقرأت نسخة الصباح من جريدة "لوس أنجيلوس تايمز" –وهنا أدلل لكم على ما يحدث عندما يقترب الصحفيون كثيرًا من السلطة– يقول العنوان: ''في معركة يتقدم فيها زعيم المتمردين العراقيين خطوة على الولايات المتحدة الأمريكية'' كتبه "جوش ماير" و"مارك مازيتي" من واشنطون (وهو مكان جيد للكتابة عن العراق!). وجاء فيه: ''بالرغم من احتمال وجود عمليات إنتحارية في الأردن والعراق، فقد تم القبض على العقل المدبر لتلك العمليات مصعب الزرقاوي (والذي قُتل فيما بعد كما نعلم). وتقول السلطات الأمريكية أن هذا حدث لأن شبكته لا تملك استخبارات جيدة مثل الولايات المتحدة''. هذا هو الخبر، فأين المصدر؟ نجد أن المصادر كما جاءت في الخبر كالآتي: قال مسئولون أمريكيون، قال المسئولون عن الإرهاب في وزارة العدل الأمريكية، قالت السلطات الأمريكية، عدد من

المسئولون الأمريكيون يؤكدون ويعتقدون، ودائمًا هي اقتباسات من رجال السلطة في أمريكا. هذه هي الصحافة الأمريكية! وهذه هي المشكلة، فالصحفيين يقتبسون من الرسميين.

لا أعرف كيف نتعامل مع هذا في الولايات المتحدة، أنا أُحاضر هناك مرة كل ثلاثة أسابيع ونصف، وكنت ألقي المحاضرة منذ ٢٠ سنة في واشنطون لا يحضرها سوى ٣٠٠ شخص، وكنت محظوظًا هكذا. ولكني الآن أحاضر في نيويورك ولدي حضور يصل إلى ٢٠٠٠ شخص، ووصل العدد في إحدى محاضراتيّ إلى ٣٠٠٠ شخص في لوس أنجيلوس. وأبدأ دائمًا بقولي ''عارٌ عليكم لأنكم لم تدعوا صحفي أمريكي ليتحدث إليكم اليوم، ولكن كلنا نعلم لماذا لم تدعون صحفيًا أمريكيًا''. ففي بلد يمثل فيها "توماس فريدمان" رأس الصحافة المعارضة للسلطة، فأنت تعلم أن ثمة شيء غير صحيح. توماس فريدمان يتلقى الآن ٦٥,٠٠٠ دولار في الساعة للمحاضرات العامة. أنا لا أقبل أي شيء لكي أحاضر، ولكني على استعداد لدفع ٦٥,٠٠٠ دولار لكي لا استمع إلى "توماس فريدمان"!

ما الذي حدث لنا في تقريرنا عما يحدث في العراق؟ الآن أصبح هناك ما أسميته بـــ "صحافة الأوتيلات"، فقد أصبح الصحفيون يأتون بالطائرات الأمريكية إلى المنطقة الخضراء إلى فنادقهم وهم لا يغادرونها طوال الوقت، وهناك حراسة مشددة عليهم. وتجد مثلاً مكتب نيويورك تايمز في بغداد أشبه بالقلعة عليها حراس على أبراج مراقبة، يحرسها عراقيون بكلاشينكوف، إنهم لا يقولون لك أن هذا يحدث ولكن هذا هو ما يحدث في الواقع، وأنا أتجول هناك دائمًا وأرى كل ذلك. ثم إن المراسل منهم لا يغادر هذه القلعة، وإذا أردت مثلاً مقابلة أحد زملائي في العمل، فيتحتم علي أن أتفاهم مع الحراس لمدة لا تقل عن عشر دقائق لكي يسمحوا لي بالدخول.

أنا لا أعترض على أن يقوم الصحفيون بفعل ذلك، فلديهم عائلات وهم لا يريدون أن يلقوا حتفهم. لكني أرى أن من أكثر الأفعال حماقةً التي قام بها المتمردون في العراق هي قتل الصحفيين الغربيين لأنهم بهذا جعلوا الصحفيين يعزفون عن السفر للعراق وتغطية الأحداث هناك، وهذا بالضبط ما يُعجب الأمريكيين. ففي ظل هذا الوضع، يصبح من الممكن أن يفجر الأمريكيون مكانًا ما ثم يقولون إنهم قتلوا ١٤٢ متمردًا وهذا أمر.

مستحيل! لأنهم إذا قتلوا هذا العدد من المتمردين، فإنه لابد وأن يقع عدد من المدنيين ضحية لتلك التفجيرات. ولا يمكننا التأكد من هذا الأمر في ظل انعدام تواجد الصحفيين، والأمريكيون سعداء بهذا الوضع! وكل هذا حدث لأن المتمردين قرروا قتل الغربيين ولم يفرقوا بين الصحفيين وغيرهم.

ولكن ما أعترض عليه بالنسبة للصحفيين أنهم لا يقولون للقراء والمستمعين والمشاهدين أنهم يكتبون من داخل الفنادق مما يعطي الانطباع بأنهم يتجولون بكل شجاعة في بغداد وغيرها من المدن العراقية ويتأكدون من صحة الأخبار التي ينقلونها.

وفي المقابل فإنه من الممكن للصحفيين ممارسة ما أسميه "صحافة الفأر" أي أن تذهب إلى خارج الفندق لمدة عشرين دقيقة على أقصى تقدير لرؤية الهجمات الانتحارية التي تحدث. وقد قمت بهذا بالفعل، فمنذ عام ذهبت إلى مشهد هجوم انتحاري في موقف أتوبيسات في بغداد يستخدمه الشيعة، ومن أكثر ما أثار اهتمامي هو حوار دام لمدة ٢٠ ثانية مع شاهد عيان، وصورة لطفل صغير متوفي بجانب الانفجار، وكان هناك ما يقرب من ٤٠ شخص يضربون على سيارتي فخرجت مسرعًا، وهكذا. هذه هي صحافة الفأر حيث يأخذ المرء قدرًا من الحقيقة أو جزءًا دقيقًا من الحقائق المبعثرة ليكتب حوله. ولكن هل هذا يستحق المخاطرة؟ نعم وأقول هذا وأعلم أنني إذا لم أعد، إذا قتلت، فإن صحيفة الاندبندنت لن تهتم ربما، ولكن إذا لم نصل إلى الحدث فإنها تصبح حربًا مغلقة كما هو الحال بالنسبة لجنوب أفغانستان فلا يوجد أي صحفي يذهب إلى مقاطعة "هلمند" في أفغانستان.

أذكر أن هناك صحفية من جريدة الاندبندنت ذهبت إلى هلمند منذ شهور مضت، ووجدت أنه عندما يوقف جنود طالبان السيارات، كانوا يأخذون التليفونات المحمولة من الراكبين ويتصلون بأي من الأرقام الموجودة، وإذا أجاب أحد باللغة الإنجليزية يقتلون صاحب التليفون. وبعد الهجوم الأمريكي على أفغانستان وخروج طالبان، كان أي شخص يضع شعارات معادية للغرب على المسجد كانوا يقومون بهدمه. فوجدت تلك الصحفية إحدى تلك الشعارات على مسجد لم يُهدَم وكان مكتوبًا عليه "إذا أعطيتنا رأس أجنبي فسنعطيك ٥٠٠٠ دولار في الجنة"! كان هذا هو ما يحدث.

أريد أن أُريكم كيف أصبحنا لا نرى ما يحدث في تلك المناطق، لقد حجبت عنا الحقيقة فلم نعد نستطيع أن نرى!

هل غزونا العراق من أجل النفط؟ بالطبع نحن فعلنا هذا! لو كانت الصادرات القومية للعراق هي البطاطس أو الجزر، فلا اعتقد أن المارينــز الأمريكان كانوا سيقومون بغزو العراق أو ضرب الأنبار، أو أن القاعدة الأمريكية الجوية الثانية ستكون في الموصل، ولكن كان هناك شيء آخر يصدره العراق (البترول).

كنت أبحث في وفاة أحد العاملين في الصليب الأحمر في بغداد على الطريق السريع، وكنت أتكلم مع أسرة عراقية رأت مشهد القتل. وفجأة كانت الأرض تهتز تحت قدمي وظننت أنه زلزال، ولكن كان هناك على الطريق أكبر قافلة عسكرية (أمريكية) رأيتها في حياتي، أكبر من تلك القوافل السوفييتية التي رأيتها في أفغانستان في عام ١٩٨٠؛ كان هناك مئات الدبابات والعربات العسكرية وآلاف الجنود الأمريكان بأسلحتهم وطائرات الأباتشي والهليكوبتر، وكلها تسير إلى فضاء الاحتلال. واستغرق مرور تلك القافلة ساعة وخمسة وأربعين دقيقة، وفي تلك الأثناء، جلست أنا والعائلة العراقية في الرمال الناتجة عن مرور القافلة، وفيما بعد، أدركت وأنا جالس هناك أنني منذ ٢٠٠٠ سنة مضت كنت سأجد نفسي جالسًا على الطريق في لبنان مستمعًا إلى صوت الجيوش الرومانية الغازية في ذلك الوقت. كما خطر ببالي أن الإمبراطوريات والقوى الكبرى (الرومانية، والبريطانية، والأمريكية، وغيرها) لديها احتياج شديد لاستعراض قواها العسكرية، والفشل في القيام بذلك يجعلهم يخشون من الضعف وبالتالي يزيدون من اعتمادهم على القوة العسكرية.

وقد سمعنا جميعًا ما قالته قوات الاحتلال "سنذهب إلى بغداد.. سننال من صدام.. وسوف تدمر جيوشنا أرض السومريين التي نشأت فيها الحضارة.." لقد كان هذا هو المشروع الضخم الذي رأيناه؛ مشروع تمزيق وتقطيع الشرق الأوسط!

وعلى الرغم من ذلك، أؤكد هنا أن أمريكا قادرة على فعل أشياء جيدة ورائعة في الشرق الأوسط إن كانت تريد أن تفعل ذلك وتفهم ما يجب عليها فعله.

فيما بعد الحرب العالمية الأولى، كان الدبلوماسيون الأمريكيون في المنطقة هم قناصل للإمبراطورية العثمانية المحتضرة كما كانت المنظمات غير الحكومية تتألف من بعثات تبشيرية في ذلك الوقت، وكانوا يحثون الرئيس الأمريكي "وودرو ويلسون" للعمل من أجل بناء دولة عربية واحدة كبيرة وديمقراطية من شاطيء المحيط الأطلنطي في المغرب إلى العراق وإيران، وبالطبع مرض الرئيس ويلسون ثم اتجهت أمريكا إلى العزلة؛ فتركت سلطاهًا في كردستان وأرمينيا، ووقَّع الفرنسيون والبريطانيون اتفاقية سايكس بيكو ثم قطَّعوا الشرق الأوسط إلى دول متناثرة كما هو الحال الآن، وليست تلك الدول متجانسة كما هو الحال في مصر ولكنها مجرد دول مصطنعة. أنا أعيش في إحدى هذه الدول المصطنعة وهي لبنان التي يكون فيها الرئيس مسيحيًا ورئيس الوزراء سنيًا، فالغرب دائمًا يحب تقطيعكم وتمزيقكم خاصةً على أساس الدين.

وكم من المرات رأينا فيها خرائط للشرق الأوسط في الصحف –وفي صحيفتي أيضًا– حيث تُقسَّم فيها العراق إلى شيعة في الجنوب والسنة في المنتصف ثم الأكراد بالشمال، ونرى نفس الشيء في لبنان: الشيعة في الجنوب، والدروز والسنة في صيدا، ثم المسيحيون والسنة في بيروت، إلخ. وفي بعض الأحيان، نضيف على تلك الخرائط المقسمة ألوانًا مختلفة، فدائمًا نلون المنطقة المسلمة باللون الأخضر، ونحن نحب عمل هذه الخرائط وإبراز نقاط الانقسام في الأماكن الخارجية التي نريد احتلالها.

وقد فعلنا نفس الشيء في أيرلندا حيث تم تقسيمها إلى بروتستانت وكاثوليك؛ فكانت مناطق الكاثوليك تلوَّن بالأخضر في خرائطنا والبروتستانتية تلوَّن بالبرتقالي، وفي المناطق النادرة التي كانت توجد بها زيجات مختلطة في الطبقة الأرستقراطية، كنا نعطيها لون الكوكاكولا. ولكن لا يوجد من ينشر في الصحف خريطة عرقية أو طائفية لبرمنجهام مثلاً ويقسم المسلمين وغير المسلمين في بريطانيا.

وفي تورنتو، هناك منطقة كبيرة تسمى "ميسيسوجا" في الضواحي الغربية، ولا يوجد من يقوم بنشر خريطة في صحيفة تورنتو "جلوب أند ميل" مُقسمًا تلك المنطقة إلى أخضر وغير أخضر.. في واشنطون، يمكنني أيضًا ترسيم خريطة للبيض والسود ورسم الخط الفاصل

بينهم ولكن بالطبع لن تنشر صحيفة الواشنطون بوست ذلك أبدًا لأن "حضارتنا موحدة فنحن لسنا متخلفين!"

وكذلك في مونتريال، يمكن أن أرسم خطًا بين الكنديين الإنجليز والكنديين الفرنسيين، يتبع خط التقسيم هذا خط مترو الأنفاق في المدينة، ولكن بالطبع صحيفة "لا جازيت" لن تنشر ذلك أبدًا.

هناك الكثير من خطوط التقسيم الأخرى، نحن (أي الغرب) نحب أن نقسمكم وأن نسيطر عليكم بهذه الطريقة! ونحن كصحفيين نتحرك بهذه الطريقة فندفع بهذا الأمر أو ذاك. وفي بعض الأحيان، تصبح الشعوب في منطقة الشرق الأوسط غافلة للدرجة التي تمكننا من التدخل في شئونهم لأنهم يريدون الاعتماد علينا، فمثلاً يعتمد المسيحيون في لبنان على فرنسا، ويعتمد الدروز على البريطانيين، وهكذا.

السيدات والسادة..

سأعطيكم ملخصًا سريعًا الآن كيف أننا لا نريد أن نضع الحقائق واضحة أمامنا. عندما كنت في أستراليا في إحدى جولات نشر كتابي، كانت صحيفة "سيدني مورننج هيرالد" قد قامت بنشر قصة جيدة جدًا من خلال وكالة "اسوشياتد برس" تشير إلى أنه بالاعتماد على مرسوم حرية المعلومات، فإن الصحيفة قد تمكنت من استخراج أوراق أمريكية رسمية من تسجيلات جوانتانامو لوقائع محاكمات بعض السجناء المسلمين. وكانت معظم تلك التسجيلات تدور حول عدد من السجناء الذين يقولون أنهم كانوا مجرد بائعين في المحلات أو رعاة أغنام، وكان هذا الأمر صحيحًا. وفيما نُشر جاءت قصة تمكنوا فيها من الوصول إلى السجلات الأمريكية الرسمية لمحاكمة رجل يُدعى "فريد على عباسى" وكان بريطانيًا وأُطلق سراحه فيما بعد. وجاء في محاكمته الآتي: سأل "عباسى" القاضي (وكان جنرال أمريكي في القوات الجوية) وقال له "أرني الدليل على إدانتي، أريد أن أعرف ما الدليل، يجب على أن أتمكن من الدفاع عن نفسي". ولكن الجنرال لم يكن بحوزته أي دليل، لذا فقال له "إن سلوكك غير مقبول يا سيد عباسى، وهذا تحذيرك الأخير. أنا لا يهمني

القانون الدولي، ولا أريد أن أسمع تلك الكلمة (القانون الدولي) مرةً أخرى، نحن لا نكترث هنا بالقانون الدولي"!

هذه العبارات تُلخِّص لحد كبير السياسة الخارجية لإدارة "بوش" في هذا الوقت، وتلك الواقعة تظهر في آخر القصة، فلم يريدوا أن يبرزوا هذا في أول القصة لكي لا يضايقوا الكثير من الأشخاص.

سأُنهي كلمتي بقول شيء أخير؛ إنني لن أسمح للتسعة عشر قتلة من مرتكبي أحداث ١١ سبتمبر أن يغيروا عالمي، ويجب ألا تمكنوهم من تغيير عالمكم بالرغم مما قد يقوله جورج بوش وتوني بلير.

شكرًا لدعوتكم لي، وشكرًا لصبركم على الاستماع لكلمتي.

المناقشـات

الأستاذة الدكتورة/ نادية مصطفى:

أعتقد أنه بعد القراءة لـ"فسك" فإن الاستماع إليه هو أكثر متعة وتشويقًا وحماسة فهو يقدم لنا آراءًا شديدة الأهمية، ومنها: كيف تكون معايشة الخبرة بوقائعها، خاصةً على ضوء الخبرة التاريخية، كيف تكون تلك المعايشة الحالية مبعثًا لفكر ومواقف بالنسبة له كصحفي ومراسل على ضوء استدعائه التاريخ دائمًا في مقارنات عميقة جدًا مع الواقع الذي يعايشه؟ والأهم هو كيف تكون العبارات الذكية التي يستخدمها موحيةً جدًا بكثير من المفاهيم والمواقف وهذا اضطلاعًا بدوره كإعلامي ذي رسالة حقيقية. ولذا أتساءل كيف لا نقرأ وقائعنا وتاريخنا هكذا؟ وللأسف من يقرأ الواقع على ضوء التاريخ في دوائرنا العربية مثله أحيانًا يُقال له إنك تعيش نظرية المؤامرة أو إنك ماضوي.

مرة أخرى، أحيي باسمكم الأستاذ روبرت فسك على هذه المحاضرة القيمة وأترك الآن النقاش لحضراتكم.

السفير/ نبيل بدر (المساعد الأسبق لوزير الخارجية لشئون العلاقات الثقافية):

لقد استمتعت كثيرًا بعرضك يا أستاذ/ فسك وربما كانت أول مرة اتعرف فيها على أعمالك حينما كنت في البرازيل. سؤالي هو سؤال مزدوج، وأنت أحد أهم الأشخاص القادرين على الإجابة عليه، وهو كالتالي: لقد تكلمت عن التاريخ والمواقف وعن أشياء كثيرة بشكل مهم فكيف تقيم السلوكيات المستبطنة أو المدركة من الزاوية الأمريكية والبريطانية حول مشكلات هذا الجزء من العالم؟ الجزء الثاني من السؤال: ماذا تتوقع بعد أن يذهب السيد بلير والسيد بوش وتنتهي ولايتهما؟

الأستاذ/ روبرت فسك:

أعتقد أنني فعلت ما في وسعي لكي أصف ما يفعله الصحفيون من تشويش وتلاعب بالحقائق البسيطة وتحويلها إلى أمور معقدة. كما تعلمون فإن لدى الشعبين الأمريكي والبريطاني الاعتقاد بأننا بحاجة لتحقيق بعض الديمقراطية في الشرق الأوسط، وأعتقد كذلك

أن معظم العرب والمسلمين يريدون شيئًا من الديمقراطية ويريدون بعض الحزم من حقوق الإنسان من السوبر ماركت الخاص بنا! ولكن معظم العرب الذين أقابلهم يريدون نوعًا آخر من الحرية وهي "الحرية منا" فيريدون التحرر منا نحن (الغرب) وأن تنشأ لديهم انطلاقة اقتصادية وتنموية وثقافية، ولكنهم لا يريدونها بواسطة عرباتنا الهمفي وطائراتنا الأباتشي ومدرعاتنا ودباباتنا.

الكلمة التي تتكر على مسامعي هنا هي كلمة العدالة؛ تريد شعوب المنطقة العدالة قبل أن تطالب بالديمقراطية، فلا يمكن أن تُبنَى الديمقراطية على الرمال. لا تستند الطريقة التي وضعها الأمريكيون والبريطانيون للعدالة لتطبيقها على تلك البيئة، وذات يوم كنت أبحث عن آخر مرة ذُكرت فيها كلمة "العدالة" في خطاب بوش أو بلير، ووجدت أن آخر حدث وردت فيه تلك الكلمة كانت تُطلق على غارة جوية أمريكية على قرية بالقرب من تلعفر في العراق حيث سميت العملية بـــ"العدالة النهائية"!

أرى أن السياسة الخارجية لا تتغير كثيرًا عندما تتغير الحكومات في أمريكا أو بريطانيا، ولكنها تتغير في دول أخرى مثل أسبانيا عندما سحبوا قواتهم من العراق بعد الهجمات على مدريد. وقد جاء "جوردن براون" كخليفة بلير من حيث أنه يساند الحرب على الإرهاب، ولكنهم على الأقل سيرحلوا وتنتهي ولايتهم، ولكني لا أتوقع حدوث أي تغيرات جذرية في السياسة الخارجية الأمريكية، فقد قال أوباما في إحدى تصريحاته أن الشاغل الأكبر للولايات المتحدة في الشرق الأوسط هو تحقيق الأمان لإسرائيل بينما كان يجب عليه القول بأن الشاغل الأكبر للولايات المتحدة هو تحقيق الأمن لجميع شعوب تلك المنطقة.

على أي حال، سيحاول الأمريكيون الخروج من العراق، ولكن توجد أمامهم معادلة صعبة الآن؛ فهم يعلمون أنه يجب عليهم أن يذهبوا ويخرجوا من العراق، وسوف يخرجون، ولكنهم لا يستطيعون أن يخرجوا، هذه هي المعادلة! ولكنهم سيتحاورون مع المتمردين والقوى المختلفة، وبالفعل هناك بعض المباحثات والاستجابة لبعض مطالبهم ومحادثات مفتوحة بين السفير الأمريكي وقائد قوات التحالف والمتمردين الذين يطالبونهم برد كل دولار أو دينار خسرته العراق في الدمار الذي حدث في عام ٢٠٠٣ بأن تدفعه الولايات المتحدة وبريطانيا. كما أن لهم مطالب منطقية جدًا، إذا أخذنا في الاعتبار وجهة نظرهم، مثل

تحجيم سلطة شركات النفط بحيث يعود النفط العراقي ملكًا للشعب العراقي. بالطبع سيرفض الأمريكيون العديد من تلك المطالب، لكن المتمردين -على اختلافهم- يطالبون بالفعل بانسحاب تام ومنظم لقوات التحالف، في الوقت الذي يرغب فيه الأمريكيون بالخروج من العراق، وسوف يخرجون قريبًا، وبالطبع هذا الأمر سيمثل إهانة كبيرة للولايات المتحدة وبريطانيا في العالم وستكون له تداعيات عديدة. لكني لا اعتقد أن تغيير الحكومات في أمريكا أو بريطانيا سيكون له تأثيرات واضحة على سياساقم الخارجية.

** هناك سؤال آخر مكتوب:

"هل كانت هناك خطة لمستقبل العراق؟ فكما يبدو لي أن أكثر من يسبب ضررًا في العراق الآن هم رجال الأعمال الأغنياء والشركات متعددة الجنسيات الذين لا يدركون حجم معاناة الشعب العراقي".

هل تعلمون أن هناك حوالي ١٢٠,٠٠٠ مرتزق غربي في العراق الآن، وهم يعملون في الشركات الأمنية ويسمُّون أنفسهم "المتعاقدين" ويستخدم الصحفيون هذا المسمى مما يوحي للقاريء بأهم سيبنون مدارس أو شيء من هذا القبيل! ولكنهم رجال ميليشيا ومرتزقة مدربين ومسلحين من جنوب أفريقيا ومن دول أمريكا الوسطى وتشيلي ومن شمال أيرلندا وبريطانيا، وهناك شركة مرتزقة فرنسية وطبعًا أخرى أمريكية. هؤلاء المرتزقة خارجون على القانون وليست لديهم أدنى ضوابط، ونسمع دائمًا عن قصص مريعة عن قتلهم للعراقيين المدنيين في الشوارع. وتضفي معرفة هذا الأمر بعدًا جديدًا تمامًا على التساؤل حول نشوب حرب أهلية في العراق؟

من الذي يضرب كل هذه القنابل في العراق الآن؟ لست أقول بأن المرتزقة هم الذين يقومون بهذا أو حتى الأمريكان، لكني أؤكد أن السنة والشيعة لم يفكروا أبدًا في أن يحاربوا بعضهم البعض في العراق، بل على العكس فقد حاربوا معًا ضد إيران لمدة ثمان سنوات. فهل يعقل إذن أن نصف ما يحدث في العراق بأنه حربًا أهلية؟! جاءت الصفحة الرئيسية لصحيفة "التايمز" عليها تساؤل عريض "السنة والشيعة في العراق..لماذا يكره بعضهم البعض" وهذا تساؤل غير معقول! الحقيقة هي أن نصف العراقيين متزوجين كل من الطائفة الأخرى، فهل

يعقل أن يقتل كل منهم عائلته! لم يحدث هذا أبدًا في الماضي، ولم تمر العراق في تاريخها بكراهية ولا حرب بين السنة والشيعة.

إذن كان هناك مشروع لمستقبل العراق وهو السيطرة على زمام الأمور في الشرق الأوسط كله وتغيير للخطط في لحظة مشابهة لما فعله البريطانيون والفرنسيون عقب معاهدة فرساي ١٩١٩، فهل كان مقدرًا لهذا المشروع أن ينجح؟ لا، فهي محاولة تاريخية أخرى للسيطرة على هذه المنطقة من خلال حرب أيديولوجية كأي حرب أيديولوجية أخرى. نحن منجذبون لهذه المنطقة بسبب الدين أو النفط أو غيرها من الأسباب، ولكننا لا نهتم بشعوب تلك المنطقة ولا بمعاناهم.

وإذا أردتم الدليل على ذلك، فانظروا إلى الفارق بين مقتل جندي أمريكي أو بريطاني حيث يتم الاحتفاء به وذكر اسمه ووظيفته وعدد أبناؤه، أما في حالة مقتل عراقي فغالبًا لا نسمع عنه شيئًا أو إنه يصبح مجرد رقم! كنت في العراق أذهب للمشرحة يوميًا لعد الموتى مرة في الساعة التاسعة صباحًا ثم في الساعة الثانية عشر، وكان علي أن أفعل ذلك لأن وزارة الصحة تلقت تعليمات من الأمريكان بألا تُعطي الصحفيين إحصاءات عن عدد القتلى العراقيين من المدنيين. ووجدت أنه في خلال شهر واحد (يونيو ٢٠٠٥) قُتل ١٠٠٤ شخص في بغداد فقط، فتخيلوا لو قمنا بعمل إحصاءات دقيقة للقتلى في الموصل والفلوجة والرمادي والنجف وكربلاء والبصرة، فإننا إذن سنجد آلاف وآلاف من العراقيين يُقتَلوا. لذلك اعتقد أن عدد القتلى العراقيين الحقيقي هو ٦٥٠,٠٠٠ عراقي وهو رقم غير مبالغ فيه، وهذا هو ما يرفضه بوش وبلير وينكروه ولكنه رقم صحيح، بل قد يفوق عدد القتلى العراقيين هذا الرقم!

أ. محمود البنهاوي:

أشكرك يا سيد/ فسك على تلك المحاضرة الرائعة. وأردت أن أسألك سؤالاً حول وجهة نظرك بشأن الحرب على لبنان في الصيف الماضي، وكيف تُسكّن ما حدث في لبنان في وسط كل ما يتعلق بخريطة الشرق الأوسط وسياسات هذا الإقليم التي يُقال أنها أصبحت تُشكّل بواسطة إيران وحماس وحزب الله، بينما القوى المعتدلة مثل مصر والأردن والسعودية

أصبحوا لا يقومون بنفس الدور المحوري الذي كانوا يلعبونه في مستقبل الشرق الأوسط، هل تعتقد أن هذا واقع أم هو مجرد احتمال مستقبلي؟

الأستاذ/ روبرت فسك:

لقد أثارت اهتمامي الحرب التي حدثت في لبنان في الصيف الماضي، وكنت في جنوب لبنان في ذلك الوقت، لقد كانت حربًا بين الأمريكيين والإيرانيين من خلال حلفائهم إسرائيل وحزب الله، وكانت تلك الحرب جزءًا من المسألة النووية بين إيران وأمريكا. وكما تعرفون فإن حزب الله ادعى تحقيق نصر إلهي، وبالطبع لم يبد لي هذا النصر إلهيًا والطائرات الإسرائيلية تقصف لبنان فوق رؤوسنا، ولكن يمكن القول أن إسرائيل لم تنتصر في تلك الحرب وفشلت في تحقيق جميع أهدافها؛ فقد أغرق حزب الله سفينة إسرائيلية، وفي الساعات الستة والثلاثون الأخيرة من الحرب فقدت إسرائيل ٤٠ جندي، وقصفت صواريخ حزب الله مركز التحكم في الطيران الإسرائيلي السري، ولم تستطع إسرائيل أن تنــزع سلاح حزب الله أو ترغمه على التراجع.

لكني اعتقد أنها كانت حربًا مخططة مسبقًا، وقد قال السيد حسن نصر الله "لو عرفت بنسبة ١% ماذا سيفعله الإسرائيليون، لما بدأت هذه العملية"، وهذا لا يمكن أن يكون صحيحًا. ففي صباح يوم ١٢ يوليو ٢٠٠٦، عندما بدأت الحرب، قلت لسائقي "اذهب بي إلى جنوب لبنان بأسرع ما يمكن فسوف يقصف الإسرائيليون لبنان". فلو كنت أنا أعرف بما سيحدث.. فلا يمكن ألا يكون السيد نصر الله قد عرف مسبقًا، وكذلك كان لدى الإسرائيليين خطة مسبقة للحرب، لذا اعتقد أن كلا الطرفين كانت لديه خطط مسبقة لهذه الحرب.

في الواقع، لقد بنى حزب الله مخابئه بالقرب من الحدود الإسرائيلية في جنوب لبنان (على بعد عدة أمتار)، وما كان مثيرًا جدًا للاهتمام، أنه عندما اقتحم الإسرائيليون بعض تلك المخابىء التابعة لحزب الله وجدوا صورًا استكشافية لهم وضعت داخل تلك المخابىء وقد كُتب عليها بالعبري! وبالتالي ما حدث هو أن أحد جنود حزب الله قد تمكن، عن طريق المخدرات أو شيء من هذا القبيل، من إقناع شخص على الطرف الآخر من الحدود للحصول على هذه الصور. وبهذا كان حزب الله يعرف جيدًا أن الإسرائيليين يعرفون

المخبيء (أ) –على سبيل المثال– وليس المخبيء (ب)، لذا فتمكنوا من تحديد مواقعهم عندما بدأت الحرب. وعندما دخل الجنود الإسرائيليون لبنان، قطع حزب الله الطريق بينهم وبين الحدود الإسرائيلية وهذا الأمر لم يتوقعوه تمامًا. وكان مراسلنا (لصحيفة الاندبندنت) في القدس يتابع اقتحام الجنود الإسرائيليين لجنوب لبنان، عندما وجدوا أنهم قد وقعوا في الفخ الذي أعده حزب الله، فكان عليه أن يعود جريًا إلى إسرائيل، وكذلك فعل الجنود الإسرائيليون، ليهربوا من هذا الفخ.

بالطبع، كانت تلك الحرب كارثة بالنسبة للبنان، وبعد الحرب بدأ الناس يتحدثون عن الثمن الذي دفعته لبنان، وخاصةً عندما أصبح السيد نصر الله شخصية وطنية وملأت صوره الكبيرة كل مكان (حتى سلاسل المفاتيح)، وأبدى اللبنانيون بعض الشك تجاه تلك الحرب، وهنا بدأ التصدع يحدث في النظام السياسي اللبناني بانسحاب الأعضاء الشيعة من البرلمان ومحاولات إزاحة الحكومة. لقد أصبح نصر الله أكثر شعبية في شوارع القاهرة أكثر مما له شعبية بين السنة في بيروت مثلاً.

عندما جئت إلى الشرق الأوسط منذ ٣١ عامًا، كان أعداء الغرب وإسرائيل هم البعثيون والشيوعيون وأصحاب فكرة الأمة العربية الواحدة والقوميون. أما الآن فكل أعداء أمريكا والإسرائيليين هم الإسلاميون وليس القوميين. إذًا لم يعد هناك سوى حزب الله والجهاد الإسلامي وحماس وطالبان والقاعدة في أفغانستان والعراق. هذا هو التغير الكبير الذي حدث، ونحن في الغرب مازلنا لم ندرك أهمية ذلك التحول فصرنا نردد كلمة "الإرهاب" و"الإرهابيين" ولكنها أصبحت كلمة بلا معنى من كثرة تكرارها واستخدامها بشكل عنصري.

** سؤال آخر مكتوب: "في وجهة نظرك، ما الذي جعل بن لادن لا يهتم بالموت؟"

سأضع هذا السؤال في شكل مختلف، لقد بدأت خبرة بن لادن بحربه ضد الروس، ولكن كان غضبه شديدًا عندما قامت العراق بغزوها للكويت سنة ١٩٩٠ حيث ذهب إلى السعودية وقال سآتي بالمجاهدين لإخراج العراقيين من الكويت، وكان من الممكن أن يقوم بتلك المهمة وينجح فيها، لكن السعوديين رفضوا ذلك وطلبوا من الأمريكان أن يأتوا إلى أرض الحرمين ويحاربوا العراقيين، وهذا مثّل له صدمة في عقله. وعندما رأيته في أفغانستان

كان مولعًا جدًا بفكرة إزاحة العائلة المالكة السعودية وكان يكتب باستمرار عن فسادهم ولديه معلومات عما فعله هذا الأمير أو ذاك. واستطيع القول بأنه قد تغير كثيرًا فأصبح أكثر اهتمامًا بذاته وأكثر عنفًا، ولم يكن كذلك عندما قابلته للمرة الأولى في السودان حين لم تكن لديه كل هذه الأسلحة وكان يبني طرقًا تصل بين القرى.

اعتقد أن معظم الأشخاص في موقعه لا يكترثون بالموت، وعلى الرغم من أنني لم أقابل في حياتي عربيًا أو مسلمًا يريد أن يضرب الطائرات في المباني، لكن إعجاب البعض في الشرق الأوسط بشخصية بن لادن لا يرجع إلى ذلك، وإنما لأنه يقول أمورًا لن يجرؤ على قولها قادة العرب ورؤسائهم! لهذا يعتبره العديد من السعوديين بطلاً، أنا لا أرى هذا بالطبع، ولكنهم يعتقدون أنه بطل وذلك لأنه يقول أشياء حول الشرق الأوسط لا يجرؤ القادة الرسميون في المنطقة على قولها مطلقًا. وهذا هو السبب، لهذا استطاع بن لادن أن ينشأ القاعدة، وهي شبكة لم يستطيع أحد أن يوجدها من قبل، ولم يصبح لـ "بن لادن" أهمية الآن في حد ذاته، فالآن توجد القاعدة وهي مستمرة في أعمالها.

أ.د. عمرو دراج (نائب رئيس نادي أعضاء هيئة التدريس —جامعة القاهرة) :

أشكرك يا أستاذ/ فسك، وسؤالي هو: كيف تقرأ التطورات الخاصة بالمشكلة الإيرانية؟ هل هي حلقة في السلسلة التاريخية التي تحدثت عنها أم هي شيء مختلف؟

الأستاذ/ روبرت فسك :

فلنعد إلى التاريخ، كيف أصبح لدى الإيرانيين قدرات نووية؟ إن شاه إيران هو الذي جاء بالمفاعلات النووية إلى إيران، وليست الجمهورية الإسلامية. لقد أراد الشاه أن تكون لدولته قدرات نووية، وكان هو بالطبع رجل البوليس الغربي في منطقة الخليج، وكنا نحن الغرب نتنافس لنبيع له محطات نووية وباعت له شركة سيمنـــز الألمانية بالفعل إحدى المحطات النووية. وعندما جاء الشاه إلى نيويورك وعقد لقاءً صحفيًا مع قناة سي بي اس CBS، قال أنه يريد قنبلة نووية وقال "إن الاتحاد السوفييتي لديه قدرات نووية وكذلك الأمريكان فلماذا لا يكون لدينا؟" ثم زار البيت الأبيض وتم الترحيب به فقد كان رجلنا "الشاه الثري الإيراني".

ولكن عندما جاءت الدولة الإسلامية في إيران وانتهى عصر الشاه، كان أول بيان حول المسألة النووية قاله الخوميني: "إن المحطات النووية والقوة النووية هي من عمل الشيطان وسوف نغلق تلك المحطات النووية" وبالفعل أغلق الإيرانيون تلك المحطات في ذلك الوقت. واستمر هذا الوضع حتى عام ١٩٨٥ عندما قام صديق الغرب "صدام حسين" بضرب إيران بالغاز وبأسلحة الدمار الشامل، حينئذٍ قال الإيرانيون لو استخدم صدام حسين الغاز الآن فقد يستخدم القنبلة النووية في المستقبل، فرأوا ضرورة أن يعيدوا فتح تلك المنشآت النووية.

تلك كانت الجذور التاريخية لهذه المشكلة، فلم يكن في نية الإيرانيين الحصول على القنبلة النووية لقصف إسرائيل كما تُقدَّم لنا القصة الآن، ولكن التطور التاريخي لهذه القضية يتم تقطيعه تمامًا. اعتقد أن هذه مشكلة مفتعلة؛ فلسنا متأكدين أن إيران ستتمكن من الحصول على الأسلحة النووية، وفي حال امتلكتها فلا يوجد دليل على أنها ستستخدمها ضد إسرائيل لأنها إذا قامت بذلك فسوف يتم القضاء عليها وكذلك سيتم القضاء على آلاف الفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة.

ولكن المشكلة الخطيرة هي أن هناك دولة في جنوب شرق آسيا، في الشرق الأوسط الكبير، وهي إسلامية ولديها العديد من المؤيدين لطالبان وأعضاء من تنظيم القاعدة وتسمَّى "باكستان"! ولكن يحكمها الجنرال "برفيز مشرف" وهو حليف الغرب الذي يقف بجانبنا في الحرب على الإرهاب، لذا لا نعترض على قنبلته النووية، ولا نتكلم عن باكستان بل نسمع دومًا "إيران إيران .. إرهاب إرهاب".

** السؤال الأخير هو: "كيف تنظرون إلى مستقبل الديمقراطية في مصر وحرية العمل الصحفي؟ وما هي تصوراتكم لمستقبل المنطقة؟ هل أنتم متفائلون أم متشائمون؟"

أرى أن عليّ القول بأن الصحفيين لديكم أيضًا يخلطون العديد من الحقائق، كان يحاورني صحفي من جريدة الدستور المصرية، وظل يستمع لي ولا يأخذ بيانات ولا يكتب ولا يُسجل، وقال سأتذكر كل هذا. ما هذه الصحافة؟! لذا أقول لكم عندما تقرأون أي

شيء عني في الدستور فإنه سيكون غير صحيح، ولكن ربما تعودوا لملفات المخابرات المصرية مثلاً حول ما قلت!

عندما يصل المرء إلى مصر من واشنطون أو لندن، يتضح له وجود الكثير من البوليس السري في كل مكان. ويكفيني فقط أن أقرأ تقرير الخارجية الأمريكية لأعرف ما يجري من انتهاكات لحقوق الإنسان والتعذيب في أقسام البوليس، وضرب الناس والمتظاهرين، وخاصةً من حركة كفاية والحركات التي تدعو إلى إصلاحات انتخابية، واعتقالات الإخوان المسلمين. هذا ليس سبيلاً إلى الديمقراطية في مصر، ويعي الأمريكيون جيدًا تلك الحقيقة. ولكن هذه ليست دولة يريد الأمريكيون في الوقت الحالي أن يضغطوا عليها من أجل تحقيق مزيد من الديمقراطية، فلديهم مشاكل كافية في أفغانستان والعراق، ولديهم بعض الخيالات حول إيران.

إذا جئت من الغرب يكون كل هذا واضحًا، لكن عندما كنت أصل إلى مصر من بغداد -أثناء حكم صدام حسين- أو عندما آتي من بلاد الخليج، كانت هذه الدولة تعتبر حرة جدًا؛ فلا يوجد هناك حكم قمعي كما هو الحال في العراق تحت حكم صدام أو تحت حكم القذافي في ليبيا. أرى أن مصر كان يمكن أن تتحقق فيها ديمقراطية حية كما كان لدى المصريين في الثلاثينيات قبل أن نغلق -نحن الغربيون- الطريق أمامهم لأننا كنا نرى أنه من الأفضل أن يبقى الملك فاروق في الحكم، وفيما بعد رأينا أنه ربما يكون من الجيد أن يتولى عبد الناصر السلطة، وكنا نحبه في البداية، وهو لم يكن يريد أي ديمقراطية ولكن لم يهمنا هذا، وبالطبع ارتكب عبد الناصر خطئًا حين قام بتأميم قناة السويس، فانقلب الغرب عليه حتى وصفه "أنتوني إيدن" بأنه "موسوليني النيل".

إنكم ترتكبون خطئًا كبيرًا حين تسألونني عن رؤيتي لمستقبل الديمقراطية في مصر، لماذا تسألون الأجانب دائمًا عن الديمقراطية في بلادكم؟ فلتكفوا عن هذا! لا يريد الأجانب سوى احتلالكم ومساندة الدكتاتوريين في الشرق الأوسط، لا نريد لكم أي ديمقراطية، بل نريد السيطرة عليكم!

عندما بدأت الانتفاضة في فلسطين، وبدأت الهجمات الانتحارية –وأرى أنها صورة سيئة جدًا للحرب حيث يرى منفذو العمليات ضحاياهم قبل القيام بالعملية– في تلك الفترة كان الجميع يتسائلون: "هل يستطيع عرفات السيطرة على شعبه؟" والتساؤل الذي لابد أن يُطرَح في هذا المقام هو "كم من الحكومات العربية تُمثِّل شعوبها؟ وكم منها تُخضِع شعوبها؟ وإذا كانوا يسيطرون عليكم جيدًا إذن فهم أصدقاؤنا..!"

"علمانية المجتمع الياباني: الدولة والدين منذ عام ١٩٤٥"

٢١ مارس ٢٠٠٦

* تقديم الأستاذة الدكتورة/ نادية مصطفى.

* الأستاذ الدكتور/ سوسومو شيمازونو.

* المناقشات.

تقديم

أ.د/ نادية مصطفى

أرحب بحضراتكم في هذا اللقاء الذي يسعدنا فيه استـــضافة بروفيـــسور سوســـومو شيمازونو (Susumu Shimazono) وهو أستاذ في قسم الدراسات الدينيـــة في مدرســـة الدراسات العليا للإنسانيات والاجتماع في كلية الآداب، جامعة طوكيو. ولقد عمل أستاذًا زائرًا في العديد من الجامعات مثل مدرسة الدراسات العليا فى العلوم الاجتماعية، فرنـــسا، جامعة شيكاجو، جامعة بيركلى، كاليفورنيا، وأخيرًا في جامعة القاهرة فى قسم اللغة اليابانية بكلية الآداب. وللبروفيسور شيمازونو العديد من المؤلفات في مجـــال الدراســـات الدينيـــة وخاصةً ما يتصل بالدين فى اليابان. ومن أهم مؤلفاته الكتابين التاليين:

1. **From Salvation to Spirituality: Popular Religious Movements in Modern Japan, at 2004.**
2. **Religion and Society in Modern Japan, (ed. With Mark Mullins and Paul Swanson, 1993.**

وتحتل زيارة بروفيسور/ شيمازونو لبرنامج حوار الحضارات أهمية خاصة، حيـــث أن معظم أنشطة البرنامج ذات الصلة بالعلاقات الخارجية هي أنشطة جرت مع هيئات غربيـــة، كما أن معظم زائري البرنامج من الأجانب هم من الأساتذة الغربيين. ومن ثم، فإن زيـــارة بروفيسور شيمازونو هي تدشين لتوجه نأمل أن يمتد إليه نشاط البرنامج، ألا وهو التوجـــه للحوار مع الشرق.

فليس الغرب فقط هو المجال الوحيد لدراسات وأنشطة الحوار، وإن كان يفرض نفسه بحكم طبيعة وحجم التحديات التي تواجهها علاقتنا به.

ولقد سبق للبرنامج، في نطاق حرصه على فتح قنوات مع "الـــشرق" أن استـــضاف د.يعقوب إبراهيم، وزير الشباب والشئون الإسلامية السنغافوري[1]، ويأمل البرنامج في خطته العلمية القادمة أن تتسع آفاق التعاون والحوار مع "الشرق"[2] وخاصة مع اليابان.

---

[1] تم نشر محاضرته فى : د.نادية مصطفى (محرر)؛ "مسارات وخبرات في حوار الحضارات: رؤى متنوعة في عالم متغير"، (القاهرة: برنامج حوار الحضارات، ٢٠٠٤)، ص.٢٠٥-٢٢٠.

ومن المعلوم أن مركز البحوث والدراسات الآسيوية في الكلية كان له فضل السبق فى الاهتمام بالحوار اليابانى مع العالم الإسلامي، إلا أن مدخل برنامج حوار الحضارات لابد وأن يكون مدخلاً مكملاً نظرًا لتركيزه على الأبعاد الدينية والثقافية والحضارية في العلاقات اليابانية مع العالم العربي والعالم الإسلامي.

ومما لا شك فيه أن عنوان المحاضرة وتخصص المحاضر يطرحان أمامنا الكثير من التساؤلات عن العلاقة بين الدين والمجتمع والدولة فى اليابان، وهي أسئلة تثور أيضًا بشأن الدول الغربية مقارنة بالدول العربية والإسلامية. وجميعها أسئلة تستدعي تجدد الاهتمام الراهن –على الصعيد السياسي والأكاديمي– بالأبعاد الدينية للظواهر الاجتماعية والسياسية منها بصفة خاصة.

وإذا كانت محاضرات هذا الموسم الثقافى للبرنامج محورها "حوار الأديان"، فمما لاشك فيه أن موضوع المحاضرة اليوم، سواء في اتصاله بخبرة اليابان المعاصرة منذ ١٩٤٥ وحتى الآن أو في اتصاله بخبرات أخرى مقارنة، إنما يمثل قضية هامة من قضايا حوار الأديان. وذلك إذا نظرنا إلى هذا الحوار باعتباره حوارًا لا يمتد إلى العقائد بقدر امتداده إلى الدلالات والانعكاسات المتصلة بالمسائل التي تختبر الاختلافات بين الأديان، وكيفية إدارها حتى يتسنى للمنتمين إلى هذه الأديان –سواء في وطن واحد أو عبر الحدود– أن يحسنوا من الفهم والإدراك المتبادل في هذا المجال، وعلى نحو قد يساعد في تحسين الفهم والإدراك المتبادل في المجالات الأخرى السياسية والاقتصادية وغيرها...

وأخيرًا، أشكر د. شيمازونو على قبوله دعوة البرنامج لتقديم هذه المحاضرة، كما أشكر د.باكينام الشرقاوى منسقة العلاقات الخارجية للبرنامج على جهودها فى إعداد هذا اللقاء فلقد مثلت حلقة الوصل بين البرنامج وبين د. شيمازونو.

---

[2] دشن البرنامج خطة علمية (٢٠٠٧-٢٠٠٨) محورها "الحوارات البينية" وهي تقوم على عدة مستويات: مستوى الحوارات البينية على صعيد شعوب الحضارة الإسلامية ودولها، حيث دشن البرنامج حوارًا مع المركز الدولي لحوار الحضارات في طهران، ومع مؤسسة أبانت وآكاديمية الثقافة والعلوم في تركيا. والمستوى الثاني من هذه الحوارات البينية اتجه للحضارات الشرقية حيث تم تدشين تعاون مع مركز المعلومات عن الأديان فى طوكيو. ولقد نظم البرنامج، مع هذه الهيئات الثلاث، ثلاثة مؤتمرات هي على التوالي: "إيران والعرب: المصالح القومية وتدخلات الخارج –رؤى مصرية وإيرانية" في طهران ١٧-١٨نوفمبر ٢٠٠٧، و"تركيا جسر بين حضارتين: على ضوء مساعي انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي" في استانبول ١٥-١٦ ديسمبر ٢٠٠٧، و"التنمية ما بين التقليدي والحديث: خبرتا المجتمعين المصري والياباني" في القاهرة ١٢-١٣ أكتوبر ٢٠٠٨.

علمانية المجتمع الياباني: الدولة والدين منذ عام ١٩٤٥ *

أ.د/ سوسومو شيمازونو**

(١) حقيقة "تفكك شنتو الدولة"

سوف أناقش اليوم موقع الأديان في المجتمع الياباني المعاصر؛ فهناك العديد من الديانات في اليابان، وعادةً نذكر منها: الديانة البوذية، والشنتوية[1]، والمسيحية، والديانات الجديدة، والديانات المحلية. ومن المقبول تمامًا القول بأننا قد تبنينا سياسة حرية الاعتقاد في اليابان منذ الحرب العالمية الثانية. ولكننا إذا أمعنا النظر في العلاقة بين الدولة اليابانية والديانات الموجودة بها في وقتنا الحالي، يمكننا طرح التساؤل عما إذا كانت كل الديانات لها وضع مماثل في علاقتها بالدولة، وما إذا كانت الدولة تعد طرفًا محايدًا في علاقتها بالديانات.

في هذا السياق، يمكننا إدراك حقيقة أن الدولة اليابانية لها علاقة خاصة بديانة "الشنتو"؛ فحتى اليوم توصف الدولة اليابانية باعتبارها "مُتَضمنة بواسطة الشنتو". وإذا كان الأمر هكذا، فهل يمكننا القول بأن المجتمع الياباني يعد علمانيًا بشكل كامل؟ في رأيي، يتصل هذا السؤال بالفرضية القائلة أن الدولة الديمقراطية الحديثة لابد وأن تكون علمانية. وأسوق ما قاله عالم الأنثروبولوجيا "طلال أسد" (Asad 2003) حينما قال بأن تقليد العلمانية، الذي يُعَد أمرًا مسلمًا به في بعض الدول الأوروبية، لابد وأن نفهمه باعتباره بناء تاريخي.

ويعد المفهوم المحوري في تحليلي لهذا الموضوع هو "شنتو الدولة".

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية في ١٥ أغسطس عام ١٩٤٥، مرت المؤسسات ذات الصلة بالدين في اليابان بتغيرات وتحديات كبيرة. تحدد الإطار الرئيسي لهذا التحول بواسطة

* ترجمة نص المحاضرة المكتوب، ترجمة: وسام الضويني.

** أستاذ بقسم الدراسات الدينية – كلية الآداب بجامعة طوكيو وأستاذ زائر بقسم اللغة اليابانية – كلية الآداب جامعة القاهرة.

[1] الشنتوية: هي الديانة اليابانية القديمة وتعني الطريق إلى الآلهة وهي مبنية على عبادة عدد كبير من الآلهة التي تسمى "كامى" المرتبطة بالطبيعة، وليس للشنتو عقيدة ثابتة فهي تتألف من مجموعة من الأساطير والمعايير الطقوسية والأخلاقية (المترجم).

ما يسمى بتوجيهات الشنتو[٢] (أكتوبر ١٩٤٥) والذي اقترحته إدارة قـوات التحـالف، وكانت تلك التوجيهات مبنية على السياسة الأساسية التي طُبقت في الاستراتيجية الأمريكية للاستعمار ما بعد الحرب. وفي النهاية، فقد تم إعطاء الاتجاهات الموجودة في هـذه الوثيقـة شكلاً قانونيًا في مواد الدستور الياباني (الذي تم سـنُّه في نـوفمبر ١٩٤٦) فيمـا يتعلـق بالإمبراطور والدين.

إن الإصلاحات المؤسسية التي دعت لها توجيهات الشنتو يمكن أن تُلَّخص في كونهـا تفكيك لشنتو الدولة وتأسيس للحرية الدينية. وعلى الرغم من ذلك، فليس هناك بالضرورة اتفاقًا واضحًا بخصوص محتوى تلك الإصلاحات، لأن معنى "شنتو الدولة" هو دومًـا غـير واضح. في الاصطلاحات الغربية المعاصرة، تُفهَم الديانات باعتبارها تتألف من جماعات مـن الناس يؤمنون بعقائد معينة ويمارسون الشعائر والنشاطات ولديهم المؤسسات الخاصة بهـم. ولكن ديانة "الشنتو" لا ينطبق عليها هذا الفهم الغربي لـ"الدين".

يوجد حوالي ٨٠,٠٠٠ محراب للشنتو (يطلق عليها جينجا باللغة اليابانية) ومعظمها ينتمي إلى ما يسمى بـ "جينجا هونكيو Jinja Honcyo" أي اتحاد محاريب الشنتو، ويطلق على هذا الاتحاد والمحاريب التي تنتمي إليه "جينجـا شـنتو Jinja Shinto"، وفي بعـض الأحيان، نجد أن "شنتو المحراب" يُعرَّف باعتباره ممثلاً للشنتو في حد ذاته. وعـلاوة علـى ذلك، فإن هناك مكونًا هامًا من الشنتو، وهو عادةً ما يسقط من وصف الديانات المعاصـرة في اليابان؛ ألا وهو الشنتو المتصل بالنظام الإمبراطوري.

يوجد في القصر الإمبراطوري مذبحًا كبيرًا للشنتو مشابه لمحراب الـشنتو، ولكنـه لا يُعرَّف باعتباره محراب. وبالإضافة لهذا المذبح، يوجد نظام شعائري يضمن استمرار تبجيـل الناس للإمبراطور، ولكن ليس لهذا النظام أية صلة بالدولة من الناحية القانونية لأنـه يعـد

[2] توجيهات الشنتو (The Shinto Directive): هي التوجيهات التي أصدرتها إدارة قوات التحالف عام ١٩٤٥ بهدف إلغاء حماية وتأييد ورقابة الحكومة لشنتو الدولة وذلك لفصل ديانة الشنتو عن الدولة والقضاء على شنتو الدولة وضمان حرية الاعتقاد، بالإضافة إلى القضاء على روح الحربية والدوافع القومية. تم إصدار تلك التوجيهات على ضوء إعلان بوتسدام الذي أرسى السياسة الأمريكية تجاه اليابان بعد استسلامها. لمزيد من المعلومات حول توجيهات الشنتو برجاء الرجوع إلى الموقع التالي: (المترجم)
http://eos.kokugakuin.ac.jp/modules/xwords/entry.php?entryID=1109

جزءًا من الشعائر الخاصة بالعائلة الإمبراطورية. واعتقد أن هذا الجانب من الشنتو مهم جدًا في الدولة اليابانية المعاصرة، بالرغم من عدم وجود جماعة دينية محددة تمثله، وهنا تكمن إحدى صعوبات تعريف الشنتو، وتمثل تلك الصعوبات جانبًا من إشكاليات تعريف الدين ذاته (Asad, 1993).

في القرون الماضية، صار الحديث عن ماهية تعريف "الشنتو" و"شنتو الدولة" موضوعًا محوريًا في النقاش الأكاديمي الذي يدور حول الدين في اليابان. وهذا يرجع جزئيًا إلى تزايد الوعي بأن التقليد الغربي للعلمانية أو الفصل بين الدولة والأديان الموجودة بها لا يتلائم مع الوضع الياباني. إن الشنتو يمكن أن يُفهَم على أنه مجموعة من التقاليد وطريقة للحياة، ولهذا فقد كانت هناك مقاومة متزايدة ضد الفصل الحاد بين الدولة والشنتو الذي يُمثّل التقاليد القديمة للشعب الياباني بأكمله. وفي المقابل، فإن بعض البوذيين والمسيحيين والليبراليين واليساريين ينتقدون هذا المفهوم القومي الجوهري للثقافة اليابانية في محاباته لديانة الشنتو خصيصًا.

وقبل الخوض في الحديث عن مكانة "شنتو الدولة" و"شنتو المحراب" في الدولة اليابانية عقب الحرب، سوف أوضح باختصار المكونات الأساسية للشنتو في الدولة اليابانية المعاصرة.

في عام ١٨٦٧، استولى المحاربون الثوريون على نظام الـ"شوغون" وأسسوا اليابان الجديدة المبنية على عبادة الإمبراطور. ومثّلت إعادة نظام الميجى[٣] نقطة البداية للدولة اليابانية الحديثة التي يقودها إمبراطور الميجى، وهو يضطلع أيضًا بدور الكاهن الأكبر لشعائر الشنتو. وقد أرادت حكومة الميجى إعادة إحياء الاعتقاد في انتماء الإمبراطور إلى سلالة الإلهة "أماتيراسو"، وهي الإلهة الكبرى في أساطير الشنتو، كما أسسوا العديد من الشعائر

[3] الميجى في اللغة اليابانية هي "السياسة المستنيرة"، وهذه هي التسمية التي تبناها الإمبراطور الجديد "موتسوهيتو" في عام ١٨٦٨ بعدما أعلن استعادة سلطات الإمبراطور عقب إلغاء نظام الشوغون. وشهدت تلك الحقبة من تاريخ اليابان، خلال حكم سلالة الميجى، العديد من الإصلاحات الثقافية والاقتصادية والسياسية، وتحديث البلاد في مختلف المجالات استفادة من التقدم الغربي مع المحافظة على التراث والتقاليد الشرقية. (المترجم)

والممارسات ذات الصلة بالشنتو وبعبادة الإمبراطور. وبدأ الإمبراطور وعائلته يؤدون شعائر الشنتو التي سميت فيما بعد بشعائر القصر الإمبراطوري أو شنتو القصر الإمبراطوري.

وكذلك حاولت حكومة الميجى تفعيل المحاريب المحلية التي كانت في معظم الحالات تخضع للمعابد البوذية. وفيما بعد، أصبحت المحاريب تعتبر مؤسسات عامة للدولة وتم تعريفها قانونيًّا بكونها نظامًا للشعائر بدلاً من كونها "دينًا"، كما أُطلق عليها "شنتو المحراب" في مقابل "شنتو الطائفة" الذي يتألف من جماعات دينية خاصة كباقي الجماعات البوذية والمسيحية. إذن، فقد تم وضع المحاريب في مرتبة أعلى من الديانات الأخرى. وقد سُمِّي جهاز الدولة الشعائري "شنتو الدولة"، بمعناه الضيق، وأصبح "شنتو الدولة" يمثل حصيلة عشرات وآلاف محاريب الشنتو في شتى أنحاء الدولة، وكل منها يؤدي شعائر تُفسَّر باعتبارها مختلفة عن الدين ذاته.

ولكن ممارسة وأيديولوجية "عبادة الإمبراطور"، ذات الصلة بشعائر القصر الإمبراطوري، لم يتسع نطاقها رسميًّا فقط من خلال محاريب الشنتو بل انتشرت من خلال المدارس والمؤسسات العسكرية ووسائل الإعلام وغيرها. وتلك الحقيقة لابد أن تؤخذ في الاعتبار عند الحديث عن "شنتو الدولة" في دولة اليابان الحديثة. وإذا كان نظام عبادة وتبجيل الإمبراطور يُعتَبر جزءًا من "شنتو الدولة"، فلابد لنا أن نبحث بدقة كيف كان شنتو القصر الإمبراطوري يُمارَس، وكيف انتشرت عبادة وتبجيل الإمبراطور بين العامة، نظرًا لأن هذا الأمر يمثل الجزء الأكثر أهمية من "شنتو الدولة" بمعناه الواسع.

وقبل الهزيمة في الحرب العالمية الثانية، كان لـ"شنتو الدولة" وضعًا مهمًا في المؤسسة الرسمية مقدمًا مفاهيم وممارسات مقدسة تحكم حياة العامة، في حين كانت الديانات الأخرى لا تحظى بنفس القدر وتأتي في مرتبة ثانوية. وعقب الحرب، تم تفكيك "شنتو الدولة" طبقًا للتوجيهات الرسمية للشنتو، وأُعطيت كل المؤسسات الدينية -ومن ضمنها محراب الشنتو التقليدي الذي لم يتأثر بالحرب كثيرًا- أوضاعًا متساوية، وأصبح لكل فرد الحق في الإيمان بأي دين يرى.

لا يجافي الصواب وصف التغيرات التي حدثت في المؤسسة الدينية في اليابان فيما بعد الحرب العالمية بالشكل الذي ذكرنا عاليه. لكن على الرغم من ذلك، توجد اختلافات كبيرة حول فهم ما اصطُلح على تسميته بـ"شنتو الدولة" (Shimazono 2001 b, 2001 c). بالطبع، توجد العديد من الرؤى حول معنى "تفكيك شنتو الدولة"، واليوم وبعد ستين عامًا من نهاية الحرب، مازالت ترجمة معنى "شنتو الدولة" تعد أمرًا محيرًا. غالبًا ما يستخدم مصطلح "شنتو الدولة"، ولكن الأفراد يعبرون به عن معرفتهم الخاصة أو آرائهم الأحادية الجانب، ونادرًا ما يوجد وصف عام ومتوازن لهذا المصطلح.

تُقسَّم المناقشات التي تدور حول هذا المصطلح إلى فرعين كل منهما يُرَى من موقف فكري مختلف. يعتبر الباحثون في مجال الدراسات الدينية وسوسيولوجيا الأديان نظام عبادة وتبجيل الإمبراطور مكوِّنًا هامًا من "شنتو الدولة"؛ فهم يتبنون المعنى الأكثر اتساعًا. وفي المقابل، يرى العديد من الباحثين المتخصصين في دراسات الشنتو وكذلك المؤرخين، يرون "شنتو الدولة" باعتباره مجرد مجموع محاريب الشنتو وأن له علاقة خاصة بالدولة على عكس الديانات الأخرى (Murakami 1970, Ashizu 1987, Sakamoto 1994). ولذا، فيحيط بالنقاش حول حالة "شنتو الدولة" في دولة اليابان المعاصرة الحديثة الكثير من التشويش والحيرة.

إن عوامل هذا التشويش تكمن إلى حدٍ كبير في التوجيهات الرئيسية للشنتو نفسها (Ohara, 1993, Nitta 1997). فنجد أن الوصف الرسمي لتوجيهات الشنتو يعني إلغاء كل من الدعم الحكومي والمساندة والتفعيل والسيطرة والنشر لشنتو الدولة (Kokka Shinto, Jinja Shinto) مما يظهر بوضوح وجود النية في تفكيك "شنتو الدولة".

فماذا يعني إذن "شنتو الدولة"؟

تم تعريف "شنتو الدولة" في التوصيف الذي مُنح له في النصف الثاني من التوجيهات كالآتي:

"أخذًا في الاعتبار هذا المعنى من التوجيهات، فإن مصطلح شنتو الدولة يشير إلى ذلك الفرع من الشنتو (Kokka Shinto or Jinja Shinto) الذي تم تمييزه عن ديانة شنتو الطائفة من خلال القوانين الرسمية للحكومة اليابانية (Shuha Shinto or Kyoha Shinto)، وصُنِّف باعتباره عبادة وطنية لادينية نشأ التعارف على تسميتها بـ"شنتو الدولة" أو "الشنتو القومي" أو "شنتو المحراب"".

طبقًا لهذا التعريف، أصبح "شنتو الدولة" يعني "شنتو المحراب"، وأصبح تفكيك شنتو الدولة يُقصد به تحويل "شنتو المحراب" ليكون شنتو لا علاقة له بالدولة، أو بعبارة أخرى، فصل "شنتو المحراب" عن الدولة. وهذا يقودنا إلى الاستنتاج أن الفصل بين الدولة والمحاريب كان الهدف منه تحقيق حرية الاعتقاد للشعب الياباني؛ بمعنى حرية الفكر والاعتقاد في محيط الدين في الحياة القومية اليابانية.

في التعريف الأوسع لشنتو الدولة، فإن كلاً من شعائر القصر الإمبراطوري وشنتو القصر الإمبراطوري، يُعتبر مكونًا أساسيًا في شنتو الدولة. وفي النظام السابق على الحرب العالمية، كانت شعائر القصر الإمبراطوري تعد احتفالات قومية، وكانت تتم الاحتفالات والأحداث والأجازات العامة بالتزامن مع شعائر القصر الإمبراطوري. وبهذا كان تقديم الاحترام والإجلال للإمبراطور يعنى بالنسبة للعامة أن يشاركوا في هذا النظام الرمزي الذي أُسست عليه شعائر القصر الإمبراطوري واستمدت منه أساسها الروحاني. وتقام شعائر القصر الإمبراطوري باسم الإمبراطور الذي يعد خلفًا لـ"أماتيراسو أوميكامي Amaterasu Omikami" وهي الإلهة الكبرى للشنتو والتي يؤمن اليابانيون بأنها الجدة الأعلى للسلالة الإمبراطورية. وتمت تنشئة الناس على العالم الوطني للآلهة من خلال عبادة وتبجيل الإمبراطور الذي يحظى بصفات الملك/الكاهن.

إذن، كيف تغيَّر "شنتو الدولة" بمعناه الواسع عقب الإصلاح الهيكلي الذي حدث في عام ١٩٤٥ والسنوات التي تلته؟ إلى أي مدى تفكك "شنتو الدولة" وإلى أي حد تمكن من الاستمرار أو البقاء؟ ولو افترضنا أن "شنتو الدولة" مازال باقيًا حتى اليوم، فما هي حقيقته؟ وما هو الموقع الذي يحتله شنتو القصر الإمبراطوري وشعائره من "شنتو الدولة"؟ وكيف

يختلف كل من مفهوم تبجيل الإمبراطور ومفهوم الحكم الوطني عما كان عليه الحال قبل الحرب العالمية؟

سوف أحاول أن أعرض رؤية عامة لـ"شنتو الدولة" بمعناه الواسع بعد الحرب العالمية، ومن خلال ذلك سوف تتضح إجابات للأسئلة التي تتعلق بمعنى "شنتو الدولة" وما يعنيه بالنسبة للياباني المعاصر. وهذا الأمر سوف يمثل جانبًا شديد الأهمية في محاولة إعادة تقييم دور الدين في الدولة اليابانية المعاصرة.

(٢) شعائر القصر الإمبراطوري فيما بعد الحرب العالمية الثانية:

كانت شعائر القصر الإمبراطوري، وهي وثيقة الصلة بالإيمان بالآلهة التي في الأرض وتلك التى في السماء، كانت تلك الشعائر تقام دائمًا بانتظام منذ القرن السابع وحتى القرن الثامن. لكن في فترتيّ (نارا) و(هيان) من القرن الثامن وحتى القرن الثاني عشر (وبخاصة في القرون الوسطي عندما أصبحت البوذية أكثر تأثيرًا)، تَغيّر الموقع النسبي لشعائر القصر الإمبراطوري لتصبح في مستويات أدنى في الأهمية (Murakami, 1977). ومن الأمثلة التقليدية التى تدلل علي ذلك هي ما يمكن ملاحظته في حقيقة أن طقوس عيد الشكر الكبير (*Daijousai*) التي تعقب التتويج الإمبراطوري قد توقفت عن العمل بالرغم من أنها تمثل إحدى أهم طقوس تتويج إمبراطور جديد. ومؤخرًا، أعيدت الأهمية لهذه الطقوس عندما استعادت شعائر القصر الإمبراطوري وضعها.

وبعد إعادة نظام الميجي في العام ١٨٦٧، تم إعادة تنظيم شعائر القصر الإمبراطوري باعتبارها أعيادًا قومية. وبُنيت ثلاثة محاريب وهي "كاشيكودوكورو ***kashikodokoro***" (مكان الرهبة)، "وكورايدن ***koreiden***" (محراب القدماء الإمبراطوريين)، و"شيندن ***shinden***" (محراب الآلهة)، وبُنيت جميعها في القصر الإمبراطوري، وكان لهذا الأمر معنى مهم.

وكان يتم الإعلان عن العطلات الوطنية في الأيام التى تقام فيها شعائر القصر الإمبراطوري في القصر مثل: بداية السنة الجديدة (٣ يناير)، اليوم الإمبراطوري (١١

فبراير)، عيد ميلاد الإمبراطور الحالي، يوم القدماء الإمبراطوريين الربيعي (الاعتدال الربيعي)، ويوم القدماء الإمبراطوريين الخريفي (الاعتدال الخريفي)، وعيد الحصاد. وبالإضافة الى ذلك، أصبحت العديد من الشعائر والاحتفالات ذات الصلة بالتتويج الإمبراطوري، وكذلك الشعائر والطقوس المصاحبة للجنازات والزيجات والطقوس التذكارية الخاصة بالإمبراطور أو الإمبراطورة أو الأمير المتوج أو آخرين، أصبحت بشكل متزايد أحداثاً يشارك فيها الشعب كله (Fujitani, 1994) .

وعلاوة على ذلك، فالكنوز الثلاثة المقدسة للقصر الإمبراطوري، والتي تعتبر منحة من الآلهة وتمثل ألوهية وشرعية وسلطة الإمبراطور، صارت تنتقل معه عند سفره لتصبح بذلك ظاهرة للعامة (Takahashi 2003, p.141: Hara 2001)، كما أصبح الإمبراطور يزور باستمرار محراب "أيز" الذي يحوي الإلهة أماتيراسو (Goddess Amaterasu) الجدة الكبرى للقصر الإمبراطوري، ومحراب ياسوكوني Yasukuni Shrine الذي يحوي أولئك المحاربين الذين قدموا أرواحهم من أجل الإمبراطور والشعب، إلى جانب عدد من المحاريب التي لها أهمية وطنية كبيرة، كما أرسل الإمبراطور العطايا إلى العديد من المحاريب الأخرى. وقد تأسست الوزارة المختصة بإدارة شئون القصر الإمبراطوري بهدف الإشراف على إقامة شعائر القصر الإمبراطوري، وكذلك لإقامة عدد كبير من الاحتفالات القومية المرتبطة بالشنتو (Murakami, 1977) .

ما هي التغيرات التي طرأت على نظام شعائر القصر الإمبراطوري بعد الحرب العالمية الثانية؟

كما ذكرنا في القسم الثاني، فإن توجيهات الشنتو لم تعط أهمية كبيرة لشعائر القصر الإمبراطوري. يكمن المبدأ الأساسي لتلك التوجيهات في التمييز ما بين شعائر القصر الإمبراطوري وشعائر شنتو المحراب، واعتبار شعائر القصر الإمبراطوري أمرًا خاصًا بالقصر الإمبراطوري خارج نطاق حرية الاعتقاد بالنسبة للعامة. ووفقًا لتلك التوجيهات، يعد "الدين" منظومة من المعتقدات التي يؤمن بها أتباعه، وشعائر تمارسها الجماعة الدينية، ويعد تحريم وجود مكانة مميزة لديانة ما في الدولة هو البعد المحوري لضمان حرية الاعتقاد.

تهتم توجيهات الشنتو بهذا البعد مباشرةً، ولكن شنتو القصر الإمبراطوري أو شعائره لا يقعان في نطاق "الدين" أو "الشنتو" بمعناه العام، وحتى إذا سلمنا بأن الشعائر المؤداة داخل القصر الإمبراطوري تنتمي إلى "الشنتو"، فإنه من المفترض أن يقرر القصر الإمبراطوري –وفقًا لما يراه مناسبًا– ما إذا كانت تلك الشعائر ستقام أم لا، وهذه ليست أمورًا يمكن أن تُقيَّد من وجهة نظر العلاقة بين المؤسسة الدينية والدولة. في واقع الأمر، مايزال القصر الإمبراطوري مستمرًا في إقامة شعائر الشنتو التي تحمل معاني مهمة بالنسبة للشعب، ولكن التوجيهات تتضمن وجهة نظر متفائلة حول العلاقة بين شعائر القصر الإمبراطوري والشنتو.

في الوقت الذى سمحت فيه سياسة إدارة الاحتلال (GHQ) باستمرار شعائر القصر الإمبراطوري، تزامن مع ذلك إدراك الجنرال "ماك آرثر"[4] لأهمية الحفاظ على سلطة الإمبراطور. وكان للضابط "بونر ف. فيللرز" تأثير كبير على الجنرال ماك آرثر في هذا الصدد؛ ففي الوثيقة التي قدمها "فيللرز" إلى "ماك آرثر" بتاريخ ٢ اكتوبر ١٩٤٥، كان هناك تكرار في التأكيد على ضرورة أن تُقدِّر إدارة الاحتلال احترام الشعب الياباني للدين وحبهم واعتزازهم بالإمبراطور، وجاء فيها أيضًا الاقتراح بعدم تحميل الإمبراطور أية مسئولية عن الحرب.

فقد صرح بأنه "يعد حقًا أصيلاً لأي شعب وأي أمة أن تختار من يحكمها وهذا مبدأ أمريكي أساسي. وإذا أُتيحت الفرصة لليابانيين في اختيار من يحكمهم لاختاروا الإمبراطور باعتباره القائد الرمزي للدولة؛ العامة هم أكثر ولاءً للإمبراطور"هيروهيتو" على وجه الخصوص، فهم يشعرون أنه قريب من الناس على نحو غير مسبوق بخطابه الشخصي لهم" (Dower, 2001, pp. 298-299). لقد حاولت إدارة الاحتلال، في اقترابها من شنتو الدولة، أن تخفف من حدة الصدمة المحتملة والتزمر من قبل الشعب من خلال "توجيهات الشنتو"، كما قدمت معاملة كريمة للعائلة الإمبراطورية ولشعائر القصر الإمبراطوري.

---

4 الجنرال دوجلاس ماك آرثر هو القائد الأعلى لقوات التحالف الذي تولى الحكم في اليابان بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية. (المترجم)

وعلي الرغم من ذلك، فإن قرار إدارة الاحتلال باستثناء شعائر القصر الإمبراطوري من السياق السياسي الهام لشنتو الدولة أدى الى طرح العديد من الأسئلة والمشكلات في الفترة الأخيرة. كما ظهرت العديد من المشكلات المتعلقة بشعائر القصر الإمبراطوري عندما بُحثت محاولات إعادة إحياء شنتو الدولة.

ما هو الوضع الحالي لشنتو الدولة؟

يمكننا تناول الوضع الحالي لشنتو الدولة من خلال المحاور الآتية:

١- الشعائر اليومية والموسمية في القصر الإمبراطوري.

٢- شعائر الرواق للإمبراطور وغيره من أفراد العائلة الإمبراطورية.

٣- الكنوز الثلاثة المقدسة والقبور الإمبراطورية.

٤- والعلاقة بين شنتو الدولة وشنتو المحراب لابد من تحليلها في هذا السياق **(Takahashi, 1987, and ibid. 2003)**

١- الشعائر اليومية والموسمية في القصر الإمبراطوري:

في داخل القصر الإمبراطوري هناك مكان الرهبة (**kashikodokoro**)، ومحراب القدماء الإمبراطوريين (**koreiden**)، ومحراب الآلهة (**shinden**)، ويطلق على هذه الأماكن: المحاريب الثلاثة بالقصر الإمبراطوري.

في كل صباح في مكان الرهبة والتبجيل، يقوم راهب جليل بتلاوة صلاة وأدعية للإمبراطور، وتقوم الراهبات القائمات بالشعائر بأداء إجراءات التطهير وتقديم "عطايا الأرز" ودق الأجراس. وإجمالاً، يوجد حوالي ٢٠ نوع من الشعائر التي تؤدى على مدار العام؛ في الشعائر الأدنى يكتفي الإمبراطور بالانحناء، ولكن في الشعائر الكبرى يترأس الإمبراطور أداء الشعائر. وتتوافق العديد من الشعائر الخاصة بالقصر الإمبراطوري مع تلك الشعائر الخاصة بمحراب أيز **Ise Shrine** ومحاريب الشنتو الأخرى المنتشرة في البلاد والتي تنتمي لاتحاد محاريب الشنتو. ويعلم المقربون من الإمبراطور جيدًا حقيقة أن الإمبراطور وعائلته يمارسون شعائر الشنتو بكل إخلاص وانضباط -ولكن هذا لا يُعلن عنه صراحةً.

٢- شعائر الرواق للإمبراطور ولأعضاء العائلة الإمبراطورية:

وتلك تشمل جنازة الإمبراطور والإمبراطورة، واحتفالات الزواج للأمير المتوج وغيره من أفراد العائلة الإمبراطورية، وكلها تمثل مناسبات تتبدى فيها العلاقة بين العائلة الإمبراطورية وشعائر القصر الإمبراطوري للعامة. يظهر الجدل في تلك المناسبات حول أن أداء تلك الاحتفالات وفقًا لتعاليم الشنتو يخالف مبدأ الفصل ما بين الأديان والدولة. ولا يمكن إنكار أن مختلف شعائر الشنتو واحتفالاتها التي تُعقد اليوم لها خصائص الاحتفالات والأحداث القومية للدولة. ويكون الفرق غير ملحوظ كثيرًا لأنه يقتصر على عدم توجيه الموارد المالية الخاصة بخزانة الدولة إلى الاحتفالات الخاصة بالقصر الإمبراطوري، وذلك على عكس الأنشطة غير الدينية العامة الأخرى التي تقوم بها الحكومة وتمولها من خزانة الدولة.

٣- الكنوز الثلاثة المقدسة والقبور الإمبراطورية:

من ضمن الكنوز الثلاثة المقدسة التي تُمثّل البعد المتعلق بألوهية الإمبراطور، توجد المرآة الأصلية المقدسة (*yata no kagami*) في "محراب أيز" وتوجد نسختها في "مكان الرهبة" في القصر الإمبراطوري، كما يوجد السيف المقدس (*kusanagi no tsurugi*) في محراب اتسوتا، وتوجد نسخته، وكذلك اللآلىء المنحنية كالختم (*yasaka no magatama*) في حجرة "السيف والختم" بجوار غرفة الإمبراطور والإمبراطورة.

وكان طقس انتقال السيف والختم المقدسان مع الإمبراطور في حالة سفره قد توقف في عام ١٩٤٦، ولكنه استؤنف في العام ١٩٧٤. ومنذ ذلك الوقت، استطاع الإمبراطور التنقل برفقة السيف والختم المقدسين لزيارة "محراب أيز" ولحضور احتفالات ومناسبات هامة أخرى. علاوة على ذلك، فإن هناك ما يقرب من ٩٠٠ مكان تم توصيفهم باعتبارهم قبورًا إمبراطورية منذ حقبة "الميجى" دون دليل واضح، وتُحترَم تلك القبور باعتبارها أماكن مقدسة. وهناك العديد من الرؤى المختلفة التي تدور حول هذا الموضوع.

٤- العلاقة مع شنتو المحراب:

من قواعد نظام ما بعد الحرب العالمية الثانية حقيقة أنه بالرغم من استمرار أداء شعائر القصر الإمبراطوري من دون أن "تتفكك"، إلا أنها أصبحت غير مقترنة بشنتو المحراب

كمؤسسة دينية. ومن المؤكد أن العلاقة بين القصر الإمبراطوري وشنتو المحراب تغيرت لحد كبير عقب الحرب؛ فأصبحت هناك القليل من المناسبات التي يخرج فيها الإمبراطور لزيارات تعبدية للمحاريب في سلطاته العامة أو يقوم بأداء دورًا رئيسيًّا في الشعائر والمراسم التي تقام في المحاريب. وعلى الرغم من ذلك، لاشك في أن "محراب أيز" له خاصية تميزه وهي كونه ضريح قدماء القصر الإمبراطوري. لذا فمن الطبيعي أن يُنظَر إليه باعتباره المنشأ الأساسي لمكان الرهبة في القصر الإمبراطوري. وتعد زيارة الإمبراطور إلى "محراب أيز" ذات معنى كبير باعتبارها حدثًا متعلقًا بالشنتو في الدولة، كما أن مشاركة القصر الإمبراطوري في أكثر أحداث الشنتو أهميةً في "محراب أيز" —وهو إزالة المحراب الحالي وإقامة محراب جديد كل ٢٠ سنة— هي ظاهرة آخذة في التزايد.

وتتمثل إحدى الاقترابات السهلة، لتناول مبدأ فصل الدين عن الدولة، في عقد التمييز بين مراسم الدولة العامة والمراسم المتعلقة بالشئون الخاصة. لم يكن مسموحًا لممارسات الشنتو أن تبقى جزءًا من الأحداث العامة في الدولة، وكان يجب التعامل معها في إطار الشئون الخاصة للعائلة الإمبراطورية. وبالرغم من ذلك، كما يقترح باحث الشنتو "أوهارا ياسوا"، حيث يقول ''منذ البداية، يعلم الجانب الياباني بوضوح أنه من المستحيل التفريق بين المجال العام والمجال الخاص في أعمال الإمبراطور'' (Ohara, 1993, p.161). وفي مثل هذه الظروف، ظهر في السبعينيات مبدأ "الأعمال العامة الرمزية التي ليست من أعمال الدولة ولا الأعمال الشخصية"، مما مهَّد الطريق لتوسع أكبر في الأعمال العامة المتعلقة بالشنتو.

(٣) اتحاد محاريب الشنتو كمؤسسة دينية

فقد محراب الشنتو موقعه كجزء من الدولة على يد توجيهات الشنتو، ولم يعد يُعرَّف بكونه "شنتو الدولة" في إطار النظام القانوني الحالي (شنتو الدولة بالمعنى الضيق). وتم إعادة تنظيم جميع محاريب الشنتو في اليابان باعتبارها مؤسسات غير حكومية، وتأسس "اتحاد محاريب الشنتو" الذي انضمت إلى عضويته جميع المحاريب. وتتطور هذا الاتحاد كمؤسسة دينية ذات توجه وتأثير سياسي بالنسبة للدولة والإمبراطور بدلاً من اقتصاره على وظيفته كمصدر مُجمِّع للاعتقادات الشعبية في المحاريب على المستوى الوطني.

وفي ظل وجود الاعتقاد في شنتو الدولة بمعناه الواسع، اتخذ الاتحاد منه مبدئًا دينيًا وأصبح يهدف إلى تقوية "تبجيل الإمبراطور" من خلال التوجه الشنتوي وبتأسيس علاقة شراكة ما بين الإمبراطور والمحاريب. كما عزز الاتحاد من أنشطته باعتباره مؤسسة دينية تصب طاقات هائلة من أجل تحسين مكانة شنتو الدولة في حياة الناس بدلاً من قيامه بتفعيل "شنتو المحراب" على المستوى المدني.

أصبح الناس يتعرفون على المحاريب المحلية في أنحاء الدولة عن طريق مصطلح "شنتو المحراب"، وصار من السهل فهم أن إيمان المتعبدين لا يتضمن بالضرورة تبجيل الإمبراطور. وعوضًا عن ذلك، يقوم الناس في أغلب الأوقات بزيارة تلك المحاريب المحلية للصلاة والدعاء من أجل أمور شخصية عدة. لكن في الاتحاد، احتل طقس تبجيل الإمبراطور والقصر الإمبراطوري ومحراب أيز مكانة متميزة جدًا، وأصبحوا يمثلون محور النظام العقيدي.

ويمكننا توضيح خلفية الاتحاد ونظامه العقيدي من خلال العرض السريع للتوصيفات العقيدية الخاصة به، كما يلي ذكرها.

في بادئ الأمر، كان أغلب الناس في الاتحاد يساندون مبدأ انعدام المذهبية، وعلى الرغم من ذلك، اعتقد البعض أن وجود "معايير" موحدة هو أمر ضروري (اتحاد محاريب الشنتو ١٩٧١، مؤسسة التأهيل القومية ١٩٧٦). وتلك المعايير تعني في الحقيقة "الاعتقادات"، ويوجد الوصف الأصلي لها في قواعد الاتحاد التي وُضعت وقت تأسيسه في فبراير عام ١٩٤٦. وكذلك تم وضع "إرشادات البحث العقيدي" في يونيو ١٩٤٧، ووضع مجلس المحاريب التابع للاتحاد "إرشادات تفسير المعايير" في ١٩٦٣، كما تم تأسيس مكتب "التعليم والبحث" في عام ١٩٧٠ (Jinja Shimpo-sha, 1971, Ch.3-6, “Non-doctrinism of the Association of Shinto Shrines”). وفي عام ١٩٨٠، تم تكوين ميثاق اتحاد محاريب الشنتو، وجاءت البنود الثلاثة في ذلك الميثاق لتصف النظام العقيدي للاتحاد بشكل موجز كالآتي:

* البند الأول: يعزز اتحاد محاريب الشنتو من قيمة التقاليد، ويُعلي من شأن الشعائر والطقوس. ويقوي المبادىء الأخلاقية، ويدعو من أجل دوام حكم الإمبراطور المزدهر، وكذا يسهم في بناء السلم العالمي.

* البند الثاني: (١) يقدم اتحاد محاريب الشنتو التبجيل لمحراب "أيز" الأكبر، ويكرس نفسه من أجل العمل بإخلاص لهذا المحراب الأكبر. (٢) يشارك اتحاد محاريب الشنتو في الطقوس الدينية من أجل ازدهار جميع المحاريب، وتمكين قوة الآلهة من نشر الحب والاحترام.

* البند الثالث: يبادر اتحاد محاريب الشنتو بإنشاء مذهب تعليمي لتقديس الآلهة وتبجيل الإمبراطور، ويعقد البرامج المختلفة للممارسات الدينية الخاصة بذلك. كما يقوم الاتحاد بتدريب كهنة الشنتو وتعليم أتباعهم.

في كتاب "تفسير ميثاق اتحاد محاريب الشنتو" الذي صدر عام ١٩٨٠ وحرره مكتب التعليم والبحث التابع للاتحاد، يوجد تفسير للبند الأول (المتعلق بالصلاة من أجل دوام وازدهار حكم الإمبراطور) كالآتي:

"من خلال تعزيز الطقوس والشعائر وتقوية المبادىء الأخلاقية، فإن الهدف الأساسي للاتحاد هو دوام وازدهار حكم الإمبراطور.

"إن الصلاة من أجل تحقيق نظام المجتمع وسلامة الشعب هي همي الأكبر على الإطلاق" (الإمبراطور جودايكو تسوكوجوشويشو، القرن الرابع عشر).

"لن يعلم بصلاتي من أجل نظام دولتي وشعبي سوى الآلهة" (الإمبراطور ميجى، عام ١٧١٢).

"في كل صباح أصلي للآلهة الموجودة في المحاريب المختلفة في حديقتي من أجل تحقيق السلام للشعب" (الإمبراطور شوا، عام ١٩٧٥).

لقد صلى كل الأباطرة بعرفان كبير من أجل شعوبهم، والطريقة الوحيدة التي يمكننا بها الاستجابة لتلك الاعتبارات المقدسة هي من خلال الصلاة والدعاء بدوام ورخاء حكم الإمبراطور، وهذا يجب أن يكون الهدف الحقيقي لشعائر الشنتو"(p.25).

يشير البند الثالث إلى أن محراب أيز الأكبر هو قمة المحاريب وأن مكانته متميزة جدًا عن باقي المحاريب.

وكتاب "تفسير ميثاق اتحاد محاريب الشنتو" يتناوله بالتفسير كما يلي:

"من الجلي، كما هو منصوص عليه في "نيهون شوكى" و"كوجيكى"، أن الإلهة أماتيراسو أوميكامى هي الإلهة الكبرى لكل الآلهة الموجودة في الأرض والسماء، وأن محراب أيز الأكبر يتربع قمة المحاريب التي تؤدي شعائر من أجل الإمبراطور". تشير "كوجوشوى"[5] إلى قوة الآلهة في نشر الحب والاحترام:

"الإلهة أماتيراسو أوميكامى هي الإلهة الأولى التي لا يضاهيها أحد في قداستها، وتعد الآلهة الأخرى أبنائها وتابعيها ومن هم دونها تمامًا في المرتبة".

لهذا فإن اتحاد محاريب الشنتو الذي يتبنى جميع محاريب الشنتو في أنحاء البلاد يعتبر محراب أيز المحراب الأعلى، ولكهنة الشنتو في المحاريب التابعة الحق في بيع التميمة المقدسة التي تصدر عن محراب أيز إلى تابعيهم كرمز لعبادتهم لمحراب أيز كل صباح ومساء (p.27).

وما يعتزم الاتحاد على نشره يفوق المشاعر الإيمانية لكثير من الذين يزورون المحاريب للدعاء من أجل سنة جديدة أو لتمني صحة أفضل، فالاتحاد يدافع بقوة عن تبجيل الإمبراطور وتقديس محراب أيز، كما يقترح دمج جميع المحاريب لتخضع لمحراب أيز الأكبر وللإمبراطور. وبهذا النوع من الاعتقاد الشنتوي، يعد الاتحاد بحق ساعيًا لنشر نوع من الشنتو له توجه مؤيد لشنتو الدولة بمعناه الواسع. وبذلك يمثل الاتحاد مهمة دينية لها توجه سياسي إلى حد كبير باعتباره ينوي قيادة الشعب نحو اتجاه روحاني محدد. وفي الوقت الذي يحشد فيه الاتحاد كل المحاريب في اليابان تحت مظلته، فإنه فعَّال كمنظمة سياسية ودينية تتبنى شنتو الدولة كعقيدة.

وبالنظر للعديد من القرارات السياسية، فيمكننا التأكيد على أن الاتحاد كان المحرك الرئيسي لها. "جنجا شمبو-شا" هو ناشر مجلة الاتحاد، وقد نشر جنجا شمبو كتابًا بعنوان

[5] وهي نص مجمع حول شعائر الشنتو كُتِب في عام ٨٠٧.

"تاريخ محاريب الشنتو الحديثة". وفي الجزء الأخير من القسم المتعلق بأنشطة مجتمع المحاريب، بعد صدور توجيهات الشنتو، تُسمَّى الحركة السياسية "حركة إظهار المكانة الحقيقية لمحراب أيز"، ويأتي ذكرها في الكتاب كما يلي:

"يسعى مجتمع المحراب في عصر ما بعد الحرب إلى تغيير المناخ الروحاني للفرد الياباني الذي سممته توجيهات الشنتو. وقد هدفت الحركة الأولى إلى تصحيح مسلك الدولة تجاه محراب أيز الأكبر فيما سُمي بـ"حركة تصحيح نظام المحراب الأكبر". هذا فضلاً عن أن محراب أيز يعد المحراب المختص بشعائر الإمبراطور، وبه المرآة المقدسة التي وهبها مؤسس العائلة الإمبراطورية، واستمرت علاقة محراب أيز بالعائلة الإمبراطورية والدولة لأكثر من ٢٠٠٠ سنة منذ القرون القديمة حتى فترة الاحتلال عقب حرب شرق آسيا الكبرى، ولم تتغير قط. لكن علاقة كل من المحراب المقدس والقصر الإمبراطوري والدولة اليابانية انقطعت بواسطة سياسات قوات الاحتلال التابعة للحلفاء عقب الحرب، وتحول محراب أيز ليصبح مؤسسة دينية خاصة. وهذا الوضع يحط من المكانة الحقيقية للمحراب، وكان من الطبيعي أن تتصاعد المطالب من أجل إعادة المكانة الحقيقية والأصلية لهذا المحراب بين الناس بعد نهاية فترة الاحتلال".

إنها حركة تصحيح لوضع نظام المحراب؛ هذا الهدف كان نتاجه توضيح ما تركز عليه الحركة من الناحية الروحانية ألا وهو العلاقة المتلازمة بين الإمبراطور ومحراب أيز الأكبر، وهو ما أوضحه رئيس الوزراء أيكيدا في رده في أكتوبر ١٩٦٠ (Jinja Shimpo Policy and Education Research Office 1986, p. 277).

وفيما بعد، يستمر الكتاب في وصف حركات إحياء "يوم الإمبراطورية" لاستعادة تقاليد حمل الإمبراطور للسيف والختم المقدس أثناء تنقله خارج القصر الإمبراطوري، وحماية محراب ياسوكوني الذي يخلد ذكرى من ماتوا من أجل الإمبراطور والدولة اليابانية منذ القرن التاسع عشر باعتباره مؤسسة في الدولة.

في القسم المعنون "التشويش الناتج عن المشكلات السياسية والتعليمية" يتم تناول كل من: قضية "مراسم تطهير موقع إنشائي في مدينة تسو" و"قوى الدفاع الذاتية والشنتو"، وتقع كل هذه القضايا في قلب التساؤلات الدستورية حول فصل الدين عن الدولة.

وقد طالب الاتحاد بالسماح للمنظمات الحكومية بالمشاركة في شعائر محراب أيز ومحراب ياسوكوني والمشاركة في الاحتفال بقداسة الإمبراطور. كما يقدم ذات الكتاب أمثلة عن الحملات الدفاعية التي قادها اتحاد محاريب الشنتو مثل حركة "إحياء الروحانية القومية" في عام ١٩٦٧، وتأسيس "المركز الرئيسي للمواقف السياسية" في الاتحاد عام ١٩٦٩، وتأسس "التحالف السياسي الشنتوي" عام ١٩٦٩. ونتيجة لنجاح التحالف السياسي الشنتوي ظهرت حركة تطالب بتقنين التقويم الإمبراطوري بحساب السنين بوقت تتويج كل إمبراطور بدلاً من الاعتماد على السنوات الميلادية وذلك في الوثائق الرسمية من سنة ١٩٧٢ حتى ١٩٧٩، بالإضافة إلى ظهور حركة إعلاء كرامة الإمبراطور.

وكما رأينا فإن اتحاد محاريب الشنتو، في حد ذاته، يصب طاقات هائلة في اتجاه الحركات السياسية، ويُمثّل قوة ذات تحركات بارزة فيما يتعلق بقضية سياسية هامة وهي مكانة الإمبراطور عقب الحرب. ويناقش "كينيث روف"، في كتابه "إمبراطور الشعب" في يابان ما بعد الحرب، التجذر التدريجي لمفهوم الإمبراطور باعتباره رمزًا للدولة والوحدة الوطنية بدلاً من كونه زعيمًا سياسيًا وروحيًا، الأمر الذي مكّن من استمرار الملكية في الفترة التي تم فيها تحييد الدور السياسي للإمبراطور. وانطلاقًا من الدافع الديني، أصرَّ اتحاد محاريب الشنتو على تقوية الدور السياسي للإمبراطور، وقد نجح في ذلك في بعض الأحيان. وعمومًا، هي منظمة رائدة في الحراك السياسي لجمع التأييد من أجل إعلاء مكانة الإمبراطور ليصبح أكثر من كونه مجرد رمز في الدولة —وهو الاعتقاد السائد لدى غالبية الناس.

(٤) شعائر القصر الإمبراطوري غير المعلنة وشنتو الدولة في الحراك السياسي

كما ذكرنا من قبل، فقد يكون شنتو الدولة تعرض للتفكيك عقب الحرب العالمية الثانية ولكنه لم يتلاشى تمامًا، حيث أبقى شنتو الدولة عقب الحرب على كيانين دينيين–سياسيين سوف يمثلان جوهر إحياؤه فيما بعد. الكيان الأول هو شعائر القصر الإمبراطوري، والثاني

هو حركة تبجيل الإمبراطور السياسية التي عززها اتحاد محاريب الشنتو. وبالرغم من أن الكيان الأول (شعائر القصر الإمبراطوري) موجود بشكل خفي لحد ما، فقد أصبح يشكل جوهر شنتو الدولة الحالي في ظل النظام القانوني السائد، أما الكيان الثاني فيمثل المؤسسة أو الحركة التي تهدف إلى توسيع وجود شنتو الدولة في النظام بالتركيز على أهمية شعائر القصر الإمبراطوري.

إذن، يمكن وصف شنتو الدولة في النصف الثاني من القرن العشرين باعتباره كيان يتألف من "شعائر القصر الإمبراطوري الخفية والحركة السياسية".

تتكون الحركة بشكل أساسي من مجموعة محاريب تابعة لاتحاد محاريب الشنتو وبعض المؤسسات الأخرى والأفراد من مختلف الاتجاهات. كان "ميشيما يوكيو"، وهو روائي مشهور، أحد المدافعين بقوة عن شنتو الدولة في يابان ما بعد الحرب، وقد نشأ من خلفية مختلفة عن مجتمع شنتو المحراب. وإلى جانب "ميشيما"، فيمثل رائدي حركة الدفاع عن شنتو الدولة عقب الحرب توليفة اجتماعية متنوعة. وهناك بعض الخطابات المؤيدة للالتزام الحكومي في محراب "ياسوكوني" والتي من الممكن اعتبارها داعمة لاستعادة شنتو الدولة.

من المؤكد أن قوة الخطابات الداعمة لشنتو الدولة قد تزايدت في وقتنا الراهن أكثر مما كان عليه الحال حول عام ١٩٧٠ حينما قرر "ميشيما" الانتحار مقدمًا بذلك دفاع بطولي عن تلك المبادىء (Watanabe 1990). ومن ضمن تلك الخطابات، هناك اتجاه جديد يدعو إلى مناقشة أوضاع جميع الديانات وإبداء الملاحظات التحليلية حول علاقتها بالفرد الياباني كي نتمكن من التعرف على جوهر العقلية الدينية للشعب الياباني فيما يتعلق بتبجيل الإمبراطور (Shimazono 1995).

وكمثال على الاتجاه الجديد للمدافعين عن شنتو الدولة، يوجد خطاب "نكانيشي تيروماسا" وهو أستاذ العلوم السياسية بجامعة كيوتو، ونذكر منه ما يلي:

"في اليابان، من المتوقع من الناس أن يكونوا "أمناء وصادقين وذوي قلوب نقية" أو أن تكون لهم "شخصيات صادقة وغير منافقة". إن الإمبراطور هو من يجسد تلك العقلية اليابانية على الوجه الأبسط والأكثر وضوحًا" (pp.18-19).

حقًا إن الإمبراطور هو حامي الثقافة اليابانية وهو الشخص الذي يسِّمها، لكن ليس هذا هو البعد الوحيد الذي نجده في دور الإمبراطور.

كما ذُكر أكثر من مرة في الحوار الذي عقد مع "فوكيودا كازويا" في نفس الكتاب، فإن ما يجب أن يعيه الفرد الياباني هو دور الإمبراطور ككيان ديني.[٦] بالنظر إلى جينيولوجيا الدور الإمبراطوري، نجد أنها تقودنا نحو عالم الأساطير والخرافات. يؤدي الإمبراطور الشعائر صباحًا ومساءً ويدعو لرخاء دولته وسلامة شعبه، ولهذا فإن الإمبراطور هو الأجدر بتجسيد الدولة وأداء الدور المنوط به من تحقيق التماسك والتكافل للشعب. من المهم أن نعي تلك الحقيقة في نظرتنا لدور الإمبراطور؛ فإن ما يقوم به ليس مجرد نشاط ثقافي، وإنما هو أيضًا نشاط سياسي بالمعنى الأوسع يقود به الدولة والحكم، وهنا يكمن سبب وجود الإمبراطور ذاته، وأيضًا لهذا السبب يُحترم القصر الإمبراطوري.

اعتقد أن ذلك الجانب المحوري من دور الإمبراطور نسيه الفرد الياباني المعاصر، وبمجرد أن يدركه اليابانيون، فإنهم سيقوِّموا من سلوكهم وسيكونوا أكثر امتنانًا لهذا الدور. ذلك لأن العقلية اليابانية لا تتغير بسهولة (pp. 30-31).

تتمتع الخطابات التي عرضنا لها بمستوى معين من التأثير والقوة في اليابان مع بدايات القرن الحادي والعشرين. فكما يقترح "روف"، إن ما تشهده اليابان يشابه ما تقوم به حركات اليمين الدينية في الولايات المتحدة والحركات الدينية–السياسية في مناطق مختلفة من العالم المعاصر. وكما أكدنا في هذه الورقة، يكمن مصدر تلك الخطابات في الشنتو الذي

[6] إن مصطلح "الدين" لا يعبر عن عقلية الفرد الياباني وفهمه لما هو ديني، لكن نظرًا لعدم وجود بديل مناسب فيتم استخدامه في الوقت الحالي.

تقوده الدولة والذي لعب دورًا هامًا في عملية التحديث في اليابان بدءًا من أواخر القـــرن التاسع عشر.

لقد تتطور شنتو الدولة لكي يصبح فاعلاً في الشعائر غير المعلنة للقصر الإمبراطـــوري وحركة شنتو الدولة الطوعية خلال النصف الثاني من القرن العـــشرين بعـــد إصـــلاحات توجيهات الشنتو التي صدرت عقب الحرب العالمية الثانية. بالطبع هناك اختلاف في طبيعـــة شنتو الدولة الذي قادته الدولة في الوقت السابق على الحرب من ناحية، وشـــنتو الدولـــة المعاصرة المتجسد في شعائر القصر الإمبراطوري والحركة الطوعية، لكن هناك تواصل واضح بينهما. لم يندثر شنتو الدولة بل يمكن القول بأنه لم يتفكك أساسًا.

لابد لنا أن نعيد النظر في الرأي القائل بأن قوات التحالف والمجتمع الدولي فرضا علـــى اليابان بعد عام ١٩٤٥ فصل الدين عن الدولة؛ فهي مقولة تحتمل الصواب والخطـــأ في آن واحد. لم يستطع الباحثون والمفكرون تكوين فهم واضح وواقعي لتلك المعـــضلة، وذلـــك يرجع إلى قبولهم غير المشروط للمفاهيم المتعلقة بالدين التي استوردت من الغرب.

في الواقع، لقد لعب شنتو الدولة دورًا هامًا في الدولة اليابانية فيما بعد الحرب، واستمر في استعادة تأثيره في الفترة التي تلتها. ولكي نتمكن من تصحيح فهمنا للنظام الديني في تلك الفترة فلابد لنا من إعادة النظر في تعريف المفاهيم المتعلقة بهـــذا النظـــام مثـــل: الـــدين، والعلمانية، والشنتو، وشنتو الدولة. وفي اليابان، على الأقل، يحتاج الباحثون في مجال الأديان إلى الأخذ في الاعتبار الفروق المعرفية الأساسية المتعلقة بما هو "ديني" وما هو "علماني" فيما بين الحضارات والثقافات المختلفة.

References

Asad, Talal

1993 *Genealogies of Religion: Discipline and Reasons of Power in Christianity and Islam,* The Johns Hopkins University Press

2003 *Formation of the Secular: Christianity, Islam, Modernity,* Stanford University Press

Ashizu, Uzuhiko

1987 *Kokka Shinto towa Nandattanoka* (What was State Shinto?), Tokyo: Jinja Shimposha.

Association of Shinto Shrines, Bureau of Education in the Department of Edification, ed.

1951 *Jinja Honcho 5-nen Shi* (Five Year History of the Association of Shinto Shrines), Tokyo: Jinja Honcho

Association of Shinto Shrines, Central Institute for Training, ed.

1976 *Jinja Honcho Shiko* (Historic Notes of the Association of Shinto Shrines), Tokyo:Jinja Honcho Chuo Kenshu-jo

Association of Shinto Shrines, Research Office for Doctrinal Studies, ed.

1980 *Jinja Honcho Kensho no Kaisetsu* (Explanation on the Charter of the Association of Shinto Shrines) Tokyo: Jinja Honcho

Dower, John W.

1999 *Embracing Defeat: Japan in the Wake of World War II,* New York: Norton

Fujitani, Takashi

1994 *Tenno no Peijent* (Emperor's Pageants) Tokyo: Nihon Hoso Shuppan Kyokai .

Hara, Takeshi

2001 *Kashika sareta Teikoku – Kindai Nippon no Gyokokei* (Visualized Empire : Imperial Visits in Contemporary Japan), Tokyo: Misuzu Shobo

Ishii, Kenshi

1998 *Sengo no Shakai Hendo to Jinja Shinto* (Postwar Social Changes and Shrine Shinto) Tokyo: Taimei-do

Jinja Shimposha, Research Office for Religion and State, ed.

1976, 1982, 1986 *Zoho Kaitei Kindai Jinja Shinto Shi* (Revised and Enlarged edition of Modern History of Shrine Shinto) , Tokyo: Jina Shinpo-sha

1971 ed. *Shinto Shirei to Sengo no Shinto* (Shinto Directive and Postwar Shinto) , Tokyo: Jina Shinpo-sha

Koyasu, Nobukuni

2004 *Kokka to Saishi – Kokka Shinto no Genzai* (State and Shinto Rites: Present Status of State Shinto),Tokyo: Seidosha

Morioka, Kiyomi

1975 *Religion in changing Japanese society*, Tokyo: University of Tokyo Press

Murakami. Shigeyoshi

1970 *Kokka Shinto* (State Shinto), Tokyo: Iwanami Shoten

1977 *Tenno no Saishi* (Emperor's rites), Tokyo: Iwanami Shoten

Nakanishi Terumasa

2005 "Josho: Naze Nippon ni Tenno to iu sonzai ga hitsuyoka (Prelude: Why is the entity of Emperor necessary in Japan?)" in Nakanishi and Fukuda, Kazuya *Koshitsu no Hongi* (Significance of the Imperial House), Tokyo: PHP Institute

Nakano Tsuyoshi

2003 Sengo Nihon no Shukyo to Seiji (Religion and Politics in Postwar Japan), Tokyo: Taimei-do

Nitta, Hitoshi

1997 *Kindai Seikyo Kankei no Kisoteki Kenkyu* (Fundamental Study on the Relation between Religions and Politics in the Modern Times) Tokyo: Taimeido

Ohara, Yasuo

1993 *Shinto Shirei no Kenkyu* (Study on the Shinto Directive) Tokyo: Hara Shobo

Ruoff, Kenneth, J.

2001 *The People's Emperor: Democracy and the Japanese Monarchy 1945-1995*. Boston: Harvard University Asia Center

Sakamoto, Koremaru

1994 *Kokka Shinto Keisei Katei no Kenkyu* (Study on the Formation Process of State Shinto), Tokyo: Iwanami Shoten

Shimazono, Susumu

1995 "Nihonjinron to Shukyo (Observation on the Japanese and Religions)" in *Tokyo Daigaku Shukyogaku Nempo* (Annual Report on Religious Studies of Tokyo University) No. 13

2001a ditto. *Postmodern no Shin Shukyo* (New Religions in Postmodern Age) Tokyo: Tokyo Do Shuppan

2001b "Kokka Shinto to Kindai Nippon no Shukyo (State Shinto and Modern Japan)" in *Shukyo Kenkyu* (Religious Studies), No. 329

2001c "Sosetsu 19 seiki Nippon no Shukyo Kozo no Henyo (Transformation of the Religious Structure in Japan in the Ninrteenth Century) in Komori Yoichi, Sakai Naoki, Shimazono Susumu, Chino, Kaori, Narita Ryuichi,

and Yoshimi, Shunya eds., *Iwanami Koza : Kindai Nippon no Bunkashi 2: Kosumologii no Kinsei* (Iwanami Lecture Series: Cultural History of Modern Japan 2: "Cosmology in Early Modern Times")

Takagi, Hiroshi

1997 *Kindai Tennosei no Bunkashiteki Kenkyu – Tenno Shunin Girei, Nenchu Girei, Bunkazai* (Cultural Historic Studies on the Modern Emperor System: Enthronement Rituals, Annual Rites and Rituals and Cultural Treasury), Tokyo: Azekura Shobo

Takeda Hideaki

1996 *Ishinki Tenno Saishi no Kenkyu* (Studies on the Emperor's Rites at the time of the Meiji Restoration), Tokyo: Taimei-do

Takahashi, Hiroshi

1987 *Shocho Tenno* (Symbolic Emperor), Tokyo: Iwanami Shoten

2003 *Heisei no Tenno to Koshitsu* (Emperor and the Imperial House in Heisei Era), Tokyo: Bungei Shunju

Watanabe, Osamu

1990 *Sengo Seijishi no naka no Tennosei* (The Emperor System in postwar Political History), Tokyo: Aoki Shoten

Woodard, William P.

1972 *The Allied Occupation of Japan 1945-1952 and Japanese Religions,* Leiden: E.J.Brill

المناقشات

أ.د. عصام حمزة (رئيس قسم اللغة اليابانية بكلية الآداب):

أشكر د/ نادية مصطفى على هذه الفرصة التي أتاحتها لي للحضور، كما أشكر د/شيمازونو على محاضرته القيمة.

يحتاج طلابنا الذين يحضرون اليوم إلى مقدمة عن الثقافة اليابانية والمجتمع الياباني قبل الاستماع لهذه المحاضرة، لكي يتمكنوا على الأقل من إدراك ما المقصود بالشنتو. صدر لدينا كتاب في مصر في عام ١٩٧٠ بعنوان "اكتشاف قارة" كتبه يوسف إدريس وذكر فيه الكاتب الياباني المشهور ميشيما يوكيو.

عندما نتحدث عن الأديان في الدولة اليابانية الحديثة، نجد أغلب الحديث يدور حول الشنتو لأن ديانة الشنتو تمثل بعدًا هامًا في اليابان في حقبة الميجي وحتى الحرب العالمية الثانية. لكن فيما بعد، نلحظ أنه منذ عام ١٩٤٥ ظهرت العديد من الحركات السياسية المنبتة الصلة عن الشنتو، مثل الحركات البوذية التي كونت بالفعل حزب سياسي في اليابان. في عام ١٩٤٦، صرح الإمبراطور "هيروهيتو" في خطبته المعروفة أنه لم يعد إلهًا ولكنه مجرد إنسان، وكل ما كُتب عنه باعتباره إلهًا لا يعدو كونه خرافة. وبالرغم من ذلك، بعد ٤٢ سنة، نجد الإمبراطور "أخيتو" عندما تم تنصيبه إمبراطورًا في عام ١٩٨٨، لم تعترف به وسائل الإعلام كإمبراطور. وهذا يعني أنه مازالت هناك بعض التحركات السياسية التي يجب أن تُتخذ لتأكيد العلاقة القائمة بين الإمبراطور والآلهة. بالطبع، أوضح د/ شيمازونو أن هناك حركة في أوضاع محاريب الشنتو، وهي نجحت في إحياء الشنتو على الأقل لدى المنتمين لليمين في اليابان فأحيت لديهم الاعتقاد في قداسة الإمبراطور، لكن ليس باعتباره إلهًا.

أريد أن استمع إلى رأيكم حول هذا التغير الذي حدث بين ما قاله الإمبراطور هيروهيتو في ١٩٤٦ وما حدث بعد ذلك في ظل الإمبراطور الجديد.

السفير نبيل بدر (مساعد وزير الخارجية الأسبق للشئون الثقافية):

أشكركم على هذه المحاضرة الهامة، لقد استمتعت بالاستماع لها كثيرًا. ملاحظتي الأولى هي عن العلاقة المتبادلة في الوقت الحالي بين ديانة الشنتو والعائلة الإمبراطورية،

وسؤالي كالتالي: هل تعتبر ذلك نتيجة لصعود القومية اليابانية في القرن الحادي والعشرين، وكيف تفسر ذلك سياسيًا في المحيط الإقليمي الأوسع لليابان؟

الملاحظة الثانية: لقد ذكرت الديانات الموجودة في اليابان ومنها الشنتو والبوذية وغيرها، وأنا أعلم أن هناك عدد من المساجد القليلة في مدينة طوكيو، فهل ترى باعتبارك أستاذ للأديان المقارنة -وهو تخصص مهم جدًا- أنه من الممكن تأسيس نظام قيمي عالمي جديد استنادًا للأديان الموجودة في العالم؟ وهذا الأمر يحتدم النقاش حوله الآن. وما هو تعريف النظام القيمي من وجهة نظركم؟

أ.د. محمد عبد العزيز (وكيل كلية دار العلوم سابقًا):

أولاً، أنا سعيد بهذا اللقاء لأنه أثار في نفسي الكثير من التساؤلات والملاحظات، وقد استفدت منه كثيرًا في فهم بعض المشكلات التي يتعرض لها المجتمع المصري الآن في موقفه من الدين والعلمانية وهل هناك انفصام يحول بيننا وبين التقدم بسبب الدين أم بسبب العلمانية، هذا ما استفدته حقًا.

وأشكر القائمين على هذا الحوار لأنه قد اتجه بنا اتجاهًا آخر وهو نحو الشرق بعد أن طال غزلنا مع الغرب، والذي لا يكافئنا حبًا بحب ولا مودة بمودة ولا حوارًا بحوار. فأنا أحمد للقائمين على هذا المشروع الكبير هذه الوجهة الجديدة، وهي حقًا مفيدة للغاية.

التجربة اليابانية فيما أعلم هي تجربة غنية ويمكن حقًا الاستفادة منها، وهنا أتذكر الأستاذ الدكتور/ طه حسين أنه قام بحسن نية بصرفنا عن الحضارة الشرقية إلى الحضارة الغربية في كتابه الشهير "مستقبل الثقافة في مصر" هذا الكتاب في الحقيقة كان له تأثير سلبي للغاية في اتصالنا بالشرق، صحيح أنه ليس بيننا وبين الشرق نفس الأرضية الثقافية أو التاريخية التي تربطنا بحضارة البحر الأبيض المتوسط، لكن آن الآوان أن نحاول محاولة أخرى تجاه الشرق. المشكلة فيما اعتقد أننا نحن المصريين نحب الشعب الياباني ونقدر كفاحه وحبه للعمل وقدرته على التواصل، وليتنا ننتفع بهذا الجانب من حضارة اليابان.

للأسف، نحن نتعرف على حضارة اليابان من خلال وسيط وهو أجهزة الإعلام الغربية، ولذلك أنا أبدي سعادتي بمحاضرة اليوم لأننا نريد أن نعرف الثقافة اليابانية من

اليابان ومن خلال حوار حضاري بيننا وبين اليابان لأن الولايات المتحدة بلا شك لها مصالح تخصها وتقدم الحضارة اليابانية بالصورة التي ترتضيها والتي قد لا تتفق مع الواقع.

النقطة التالية في ملاحظاتي: هي أن نهضة مصر الحديثة فيما يقال بدأت مع نهضة اليابان الحديثة. صحيح أن الاستعمار البريطاني أجهض محاولة محمد على، لكنه أيضًا حاول أن يجهض محاولة اليابان، فلماذا استمر تقدم اليابان بغض النظر عن كل المعوقات، ولم تستمر النهضة العربية الحديثة في مصر على سبيل الخصوص؟

أ.د. صلاح عبد الكريم (أستاذ بكلية الهندسة – جامعة القاهرة):

أشكر د/ شيمازونو على هذه المحاضرة الغنية بالمعلومات، ولابد أن أعترف أن معلوماتي حول الديانات في اليابان قليلة جدًا باعتباري غير متخصص في الموضوع. تبدو ديانة الشنتو بالنسبة لي كنظام مصمم بهدف المحافظة على الوحدة السياسية والاجتماعية للمجتمع الياباني، فهل يمكن أن تسلط الضوء على الأبعاد الأساسية لهذه الديانة ومقولاتها التأسيسية، حول أصل الإنسان ومصيره على سبيل المثال، كما تقدمها ديانة الشينتو؟

وهل من الممكن أن يتم فصل تلك الديانة عن الحياة العامة؟ فحسبما ذكرت، كانت هناك محاولة اصطناعية تم فرضها بواسطة قوى الاحتلال، إلى أي حد نجحت تلك المحاولة في التغلغل في المجتمع الياباني وفصل الدين عن الدولة والحياة العامة؟

أ. شيرين فاضل:

كيف ترى اليابان، من خلال ثقافاتها المختلفة، الثقافة العربية والإسلامية؟

أ. أحمد فاروق – مجلة منبر الإسلام:

في الحقيقة، أعتبر أن برنامج حوار الحضارات ينطبق عليه وصف "حوار الحضارات" من اليوم، لأنه يهيأ لي، وأنا كثير الحضور في أنشطته بالكلية، أن الحوار فيما سبق كان حوارًا بين الإسلام والغرب، ولكن أصبح هناك تنوع بدءًا من اليوم.

أرى أن الحوار بين الإسلام والغرب أو بين العرب والغرب –تحت أي مسمى– هو حوار الطرشان، فهم لا يريدون أن يسمعونا أو يفهمونا، ونحن لا نستطيع أن نوصل إليهم ما نريد أن نوصله إليهم. والسؤال للدكتور شيمازونو هو: لقد عددت في محاضرتك الديانات

الموجودة في المجتمع الياباني، ولم يُذكر من بينها الإسلام، إلا إذا كان يذكر الإسلام في قولـه أن هناك تيارات دينية أخرى. وسؤالي الثاني: هل خرجت اليابان من القوقعة السياسية التي فرضتها عليها الحرب العالمية الثانية، وأصبحت تطالب بمقعد في الأمم المتحـدة في المرحلـة الحالية؟

أ.د. باكينام الشرقاوي:

أريد أن أؤكد على أهمية التمييز بين مفهوم الدين لدى اليابانيين وبين مفهوم الدين فى الغرب، فما هي أوجه الاختلاف بين المفهومين وخاصةً على ضوء الاختلاف بين طبيعة الاثنين من حيث المعنى والمعتنق على الجانبين؟

أ.د. نادية مصطفى:

لماذا هذا المسلك الأمريكي – بعد الهزيمة اليابانية – تجاه الشنتو والعمل على تقليص دائرته؟ هل لأن له علاقة بالتوجه الوطنى الياباني والذاتية اليابانية فى مواجهة الغرب؟ هل كان يمثل عائقًا أمام اندماج اليابان فى النظام الرأسمالي العالمي؟ ومن ثم ما أسباب هذا التجدد فى الإحياء الديني وما هي آثاره المتوقعة؟

وامتدادًا لسؤال د.صلاح عبد الكريم، أريد أن أسأل ما هو محتوى ديانة الشنتو؟ وما هي الواجبات التي تفرضها على معتنقيها؟ لأنه بالنسبة للديانات السماوية، توجد واجبات على المؤمنين بها، وعلى السلطة والمجتمع بدرجات مختلفة؛ فتضع قيمًا وأخلاقيات ومبادئ وقواعد..إلخ. فما الذي يتوجب على الياباني المؤمن بالشنتو أن يفعله في حياته اليومية، وفي علاقاته الاجتماعية، وفي موقفه من الحكام؟

سؤال آخر لدي: هل علاقة شنتو الدولة بشنتو المحراب الآن هي موضع جدل؟ فالآن –حسبما ذكرت– لا يوجد الدين في المجال العام كما كان الوضع سابقًا، لكن هل هذه العلاقة بين الدين والمجتمع والدولة موضع جدل خاصةً فيما يتعلق بالسياسات الداخلية؟

لقد تأثرتُ في أسئلتي بمحاولة لعقد مقارنة بين ما سمعناه من د/ شيمازونو الآن، وما يدور في الدوائر المصرية والعربية والإسلامية في هذا الوقت حول العلاقة بين الدين والدولة والمجتمع بسبب الصحوة الإسلامية التي بدأت منذ السبعينيات والدور السياسي الذي تلعبه.

الأستاذ الدكتور/ سوسومو شيمازونو*:

أشكركم كثيرًا على تعليقاتكم وأسئلتكم القيمة، لقد استفدت منها كثيرًا.

ما أريد قوله هو أن الثقافة اليابانية حدث بها العديد من التغيرات، وعلى مستوى الحياة اليومية العادية، فإن الشعب الياباني يعيش بطريقة مشابهة للنمط الغربي الآن. فنجدهم على سبيل المثال لا يهتمون بموضوع الإيمان والتقوى، ونجد العائلة تتعرض للتفكك، ولا يهتم الأبناء بآبائهم الكبار في السن بل يضعونهم في دور المسنين. إذن، فقد تعرض النظام القيمي للتفكيك. وما تحدثت عنه اليوم هو بعبارة أخرى رد فعل تجاه هذا التفكيك والعلمنة والعولمة وضياع الهوية.

** ردًا على سؤال د.عصام: في عام ١٩٤٥، كان لدينا إحساس قوي بقوميتنا كيابانيين وبتقاليدنا الروحانية، لكن رأينا من الأفضل أن نلحق بالدول الغربية، ولهذا أعلن الإمبراطور في ذلك الوقت أنه يجب علينا إتباع الغرب. لكن في عام ١٩٨٩، عندما تولى الإمبراطور الحالي منصبه، رأينا أننا قطعنا شوطًا أكبر من اللازم في إتباع الغرب، وأننا قد خسرنا الكثير من جراء هذا. لذا، ظهر العديد من ردود الفعل من أهمها استعادة النظام السياسي القومي والذي تمثله الخلفية الروحية القديمة، وهذا يعني إعادة توظيف ما يسمى بنظام الشعائر القديم.

** مثلما ذكر د.صلاح، نحن لدينا نظام شامل من العقائد والشعائر، لكن أحيانًا نقوم بتهميشه ونغفل إمكانية استخدامه لتحسين أوضاعنا وإحساسنا بالوحدة والترابط.

في تقديري، كان هذا الأمر غير فعال حتى منتصف السبعينيات، وقد ازدادت أهميته فيما بعد، وأرى أن هذا الأمر متصل بالحديث عن عودة الأديان إلى قلب الأحداث في العالم. ونظامنا هنا يشابه كثيرًا للنظام الهندي المسمى بــ"القومية الدينية" مقارنةً بما يسمى "الأصولية" الإسلامية أو المسيحية اللتان تعدان أكثر عالمية، وتنتشران بشكل أفقي متسع، في المقابل، فإن الديانات في الهند واليابان وبعض الديانات المحلية في أفريقيا تُستدعى أهميتها أيضًا.

* نص الكلمة بعد تفريغها وترجمتها، ترجمة: وسام الضويني.

يوجد في اليابان حركة بوذية أيضًا تسمى "سوكاراكاى" قامت بتنظيم حزب سياسي. لكن اعتقد أن التأثير الأكبر يأتِ من جانب ديانة الشينتو حيث أنها تدعو إلى وحدة الدولة والهوية.

** أما بالنسبة لمفهوم الدين: فقد تخيلت أنكم في مصر أكثر تشككًا حول مفهوم الدين. طلال الأسد كان مسلمًا، ووفقًا له فإن المفهوم الغربي للدين هو محلي بطبيعته ويمثل البنية التاريخية للتاريخ الغربي. هذا الفهم للدين باعتباره أمر شخصي خاص هو فهم غربي، وهذا يمثل أساس نظام العلمانية الذي يفصل بين الدين والدولة.

يرى العديد من اليابانيين أنه من الغريب جدًا أن تُمنع الطالبات في المدارس الفرنسية من إرتداء الحجاب. لذا، فنحن ندرك أن الفرنسيين لديهم فهم محدد لقضية العلمانية، وكذلك الأمريكان على سبيل المثال لديهم فهم آخر. لكن في الخمسينيات والستينيات، وربما السبعينيات أيضًا، أخذنا هذا الفهم الغربي والأمريكي للدين وتبنيناه باعتباره أمر مسلَّم به، فلم نشكك فيه. لكننا الآن نشكك في عالميته وصلاحيته للتطبيق في المجتمعات غير الغربية. لديكم هنا التاريخ المصري العربي الإسلامي والخبرة المبنية عليه، ومن خلال تلك الخبرة يمكنكم بناء منظومتكم من المفاهيم. إذن، كل حضارة لديها نظام المفاهيم الخاص بها والذي يحدد موقع الدين من السياسة. نحن بحاجة إلى إعادة بناء النظام القيمي العالمي من خلال الحوار الفعَّال.

وأؤكد هنا على أهمية الأدوات، فالأدوات الغربية من الممكن أن تكون مهمة، لكن لابد من تعديلها كي تلائم المنتمين إلى الثقافات المختلفة لتوظيفها بشكل أفضل.

هذا هو الوضع حاليًا، وما تحدثت عنه اليوم هو محاولة لتصحيح العديد من المفاهيم. لقد استخدم الأمريكيون اليابان في حربهم ضد الشيوعية، وهذا الأمر ساعد اليابان كثيرًا، فقد مكّنت تلك السياسات الأمريكية من تحقيق نجاحات عديدة للاقتصاد الياباني، وكذلك كوريا الجنوبية. وقد استفاد العديد من اليابانيين من تلك النجاحات، فلذا لا يحبون التشكيك في هذا الدور الأمريكي وتداعياته. حيث أن الحفاظ على هذا النظام لم يكن مفيدًا للمحافظين اليابانيين فقط، بل كان مفيدًا للاستراتيجية الأمريكية في الحرب الباردة، ومازال مستمرًا حتى الآن. لابد لنا أن نقيِّم هذا الدور. لقد تحدث الدارسون دائمًا عن تميز اليابان

ويقارنوها دائمًا بالغرب، لكن هذا الأمر أصبح من الماضي، فقد أدركنا الآن وجود العديد من الطرق والثقافات للحياة والتفكير، ولابد لنا أن نوازن فيما نأخذ عن الغرب.

لا تعد الشنتوية ديانة بالمعنى التقليدي، فهي مجرد طريقة للحياة. لا يشبه الشنتو الديانة المسيحية أو الإسلام حيث تشتمل تلك الديانات على نظام محدد جدًا يضع على المؤمنين بها مسئوليات أخلاقية محددة. يصعب جدًا تعريف الشنتو، بعض الناس يتحدثون عن "الأرواحية Animism" عند تعريفهم لجوهر الشنتو، وهي تشير إلى الأرواح والطبيعة التي سبق وجودها الحضارات الكبرى، حيث عاش الناس القبليين في أرواح متعددة. هذا هو أصل الشنتو، ومصدر قوته الذي مازال محفوظًا حتى اليوم –كما يقولون.

نحن مهتمون كثيرًا بالإسلام، واعتقد أن التوجه العام في اليابان هو في صالح التعاطف مع الشعوب الإسلامية. عندما هوجمت العراق، ساندت الحكومة اليابانية الولايات المتحدة، لكن العديد من اليابانيين شعروا بالغضب الشديد، وتذكروا ما حدث لليابان من القنبلة النووية. أصبحت اليابان دولة استعمارية، لكن هذا الأمر يرجع إلى الضغوط الاستعمارية للولايات المتحدة، ولهذا فحكوماتنا تقف أحيانًا إلى جانب الغرب في مواقفهم السياسية، ولدينا خبرة سيئة في هذا الإطار لأننا قمنا بتقليد نمط الاستعمار الغربي.

أ.د. نادية مصطفى:

أود أن أشكر د/ سوسومو شيمازونو باسمكم جميعًا.

تعد هذه هي المرة الأولى التي تُعقد بها محاضرة حول هذا الموضوع في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في محاولة لفهم ما هو الشنتو وما موقعه من المجتمع الياباني المعاصر. وقد حاولنا جميعًا –باعتبارنا أساتذة وباحثين– عقد المقارنة بين خبرتكم في العلاقة بين الدين والمجتمع والدولة وبين خبرات أخرى هامة في هذا الإطار.

كما أود أن أشكر الدكتورة باكينام الشرقاوى على تنسيقها لهذه المحاضرة وسعيها لمد جسور التواصل بيننا في أنشطة أخرى حوارية قادمة، وأشكركم جميعًا على الحضور.

"الصهيونية المسيحية:
خارطة طريق إلى هر مجدون"

١٩ يونيو ٢٠٠٦

* تقديم الأستاذة الدكتورة/ نادية مصطفى

* القس الدكتور/ ستيفن سايزر.

* المناقشات.

تقديم

أ.د/ نادية مصطفى

أرحب بحضراتكم في هذا اللقاء الذي يسعدنا فيه استضافة القس الدكتور ستيفن سايزر ليقدم لنا محاضرة في مضمون عمل هام من أعماله تحت عنوان "الصهيونية المسيحية: خريطة طريق نحو هرمجدون؟" وهو الكتاب الذي صدر عن انترفارسيتى برس Intervarsity Press عام ٢٠٠٤[1]، ولقد تم ترجمة هذا الكتاب إلى العربية[2]، كذلك يمكنكم أن تجدوا أجزاء من مضمونه على موقع الدكتور سايزر على الشبكة الدولية للمعلومات[3].

السادة الحضور..

توالت لقاءات هذا الموسم الثقافي (أكتوبر ٢٠٠٥– يونيه ٢٠٠٦) ابتداءً من اللقاء مع د.محمد سليم العوا، ثم د.البوطى ثم الفريق العربي للحوار الإسلامي المسيحي، ثم د.شيمازونو، ثم د. فان أخت، وأخيرًا د.محمد الشريف، والآن يأتي دور محاضرة اليوم لتقدم جديدًا إلى قائمة موضوعات الموسم الثقافي حول حوار الأديان.

فنحن نلتقي حول موضوع يقع في صميم القوى المؤثرة والمحركة للتفاعلات العالمية بصفة عامة، وفي الشرق الأوسط بصفة خاصة، ألا وهو موضوع الصهيونية المسيحية. لقد قفز الاهتمام الفكري والأكاديمي والسياسي بهذا الموضوع منذ إدارة بوش الأولى. وقد مثّل هذا البروز في الاهتمام نقلة نوعية في اتجاهات تفسير السياسات الأمريكية العالمية بصفة عامة والشرق أوسطية بصفة خاصة، حيث استدعت تلك السياسات أبعادًا أخرى إلى جانب الأبعاد الاستراتيجية التقليدية –التي سبق وتراجع الاهتمام بها لفترة كبيرة– ألا وهي الأبعاد

---

[1] Steven R. Sizer, "Christian Zionism: Road Map to Armageddon?", (London: Intervarsity Press, 2004).

[2] ستيفن سايزر، "الصهيونية المسيحية: على الطريق إلى هرمجدون"، (بيروت: الفريق العربي للحوار الإسلامي المسيحي، ٢٠٠٤).

[3] http://www.stephensizer.com

الدينية والثقافية والحضارية في تفاعلها مع نظائرها السياسية. ولهذا نفسر التحالف الاستراتيجي الأمريكي الصهيوني (الإسرائيلي) باستدعاء هذه الأبعاد التي استحضرها موضوع الصهيونية المسيحية بعد أن سادت تفسيرات أخرى من قبل مثل التفسير الإمبريالي أو القومي أو غيرها.

ولقد سبق للبرنامج أن اهتم بموضوع الصهيونية المسيحية في أكثر من نشاط سابق، وساهم معنا فى ذلك أ.سمير مرقس عضو الهيئة الاستشارية للبرنامج وعضو الفريق العربي للحوار الإسلامي-المسيحي. وقد كانت لي فرصة مصاحبته، وأعضاء آخرون في الفريق، فى جولة حوارية في الولايات المتحدة استغرقت ثلاثة أسابيع، وبالرغم من أن موضوع الجولة كان تقديم العلاقات الإسلامية المسيحية في الشرق للجمهور الأمريكي إلا أن الوجه الآخر للعملة كان تعرفنا على خريطة الكنائس الأمريكية، حيث اكتشفنا خريطة القوى والجماعات التي يمكن الحوار معها، والتي تشاركنا المخاوف من التهديد الذي تمثله الأصولية المسيحية الأمريكية للسلام والأمن العالمى فضلاً بالطبع عن الأمن الأمريكي ذاته، ناهيك عن الأمن العربي والإسلامي، ومستقبل الصراع العربي الإسرائيلي. واليوم، وبتنسيق مع القس الدكتور/ رياض جرجور أمين عام الفريق العربي للحوار الإسلامي-المسيحي، يسعدنا الاستماع إلى د.ستيفن سايزر في هذا الموضوع.

والقس الدكتور ستيفن سايزر هو رئيس الكنيسة الأسقفية بفرجينيا ووتر في المملكة المتحدة، وهو رئيس المجتمع الدولي للكتاب المقدس الذي يرعى النسخة الدولية الحديثة من الإنجيل. وهو أيضًا أمين عدد من الجمعيات الخيرية من ضمنها جمعية "أموس"، كما يشغل منصب نائب رئيس جمعية "أصدقاء سبيل" التي أسسها نعيم عتيق، وهو عضو في الهيئة الاستشارية لمؤسسات مار إلياس التعليمية. حصل سايزر على درجة الماجستير في اللاهوت من جامعة أوكسفورد، ثم حصل على الدكتوراة في موضوع الصهيونية المسيحية من جامعة ميدل سكس. وقد أسهم في إصدار العديد من الكتب منها: "على خطى المسيح

والحواريين"، و"الجنة في الأرض: المعبد في اللاهوت الإنجيلي"، و"حقيقة الصهيونية وإسرائيل"، و"أرض الميعاد"، وغيرها.

ولقد حظى كتابه "الصهيونية المسيحية: خريطة الطريق نحو هرمجدون" باهتمام كبير ومراجعات في عدد كبير من الصحف والدوريات والمواقع.

وفيما يلي مقتطفات من هذه المراجعات التي يحملها الغلاف الخلفى للكتاب:

* ""كتاب ستيفن سايزر عن الصهيونية المسيحية هو مؤلف هام لابد من قراءته لأي مسيحي إنجيلي غربي يحاول أن يفهم الأبعاد الدينية للتأييد الأمريكي لإسرائيل. فبإلقاء نظرة سريعة على هذا الكتاب، يمكن لأي فرد أن يغير رؤيته حول الشرق الأوسط نهائيًا"" — البروفيسور جارى بيرج.

* ""إن عمل ستيفن سايزر عن الصهيونية المسيحية هو الأكثر أهمية وشمولاً على الإطلاق حتى يومنا هذا، ويجب على جميع الباحثين المتخصصين في الشرق الأوسط أن يقرأوه، وكذلك المسيحيون المهتمون بإيجاد حل عادل للصراع الفلسطيني-الإسرائيلي"" — بروفيسور دون فاجنر.

* ""هذا الكتاب هو تحليل متقن، لابد من قراءته، للتاريخ ولرؤية العالم وللتداعيات السياسية للصهيونية المسيحية. لقد نزع سايزر القناع عنها بشكل يتطلب ردًا من أولئك الذين يدعمون دولة إسرائيل لأسباب لاهوتية دينية"" — كولن تشابمان.

* ""هذه الدراسة حول الصهيونية المسيحية، والتي استندت إلى رسالة الدكتور سايزر لدرجة الدكتوراة، لها أهمية كبرى. فهي تقدم استعراضًا رائعًا لتاريخ الصهيونية المسيحية وتحليل عميق للاهوت هذه الحركة الهامة والمؤثرة"" — الحاخام دان كون شيربوك.

وأخيرًا، فإن موضوع محاضرة اليوم يمثل إضافة هامة إلى أجندة لقاءات هذا الموسم الثقافى الخاص بحوار الأديان، ذلك أنه يطرح قضايا عدة يثيرها هذا الحوار، كما أنه ينقلنا إلى

خبرة محددة هي خبرة المجتمع والسياسة الأمريكية مع الدين، وما لذلك كله من انعكاسات على أهداف وأجندات مبادرات حوار الأديان التي يزخر بها العالم.

ومرة أخرى، أكرر شكري للقس الدكتور رياض جرجور على مشاركته في الإعداد لهذا اللقاء، ونرحب بحضوره معنا في هذا اللقاء.

الصهيونية المسيحية: خارطة طريق إلى هرمجدون*

القس الدكتور/ ستيفن سايزر**

مقدمة

لماذا توجد علاقة بين اليمين المسيحي والمؤسسة السياسية الأمريكية ودولة إسرائيل؟ لماذا -بعد أكثر من أربعين عام من الصراع العربي الإسرائيلي- تستكمل إسرائيل احتلال أراضي في لبنان وسوريا وفلسطين بينما يتم الضغط على سوريا للانسحاب من لبنان؟ لماذا يتم السماح لإسرائيل بحيازة أسلحة نووية بينما يتم تهديد إيران بالغزو العسكري لمجرد تطلعها لحيازة تكنولوجيا نووية؟

لماذا، بالرغم من إخلاصنا (أمريكا وبريطانيا) لقيم الديمقراطية وحقوق الإنسان، يكرهنا العديد من العرب وأصبحنا هدفًا للمخططات الإرهابية الإسلامية؟

الإجابة على تلك الأسئلة تبقى بلا تفسير، إلا إذا أخذنا في الاعتبار العامل المتعلق بأهم وأكبر الحركات إثارةً للجدل في العالم المسيحي اليوم، وهي "الصهيونية المسيحية".

تعريف الصهيونية المسيحية

الصهيونية المسيحية هي بالأساس تأييد ومساندة المسيحية للصهيونية. يُلخِّص "جريس هالسل" رسالة الصهيونيين المسيحيين كالتالي: "كل عمل تقوم به دولة إسرائيل هو بتخطيط إلهي، ولذا يجب علينا أن نلتمس لليهود الأعذار عند الخطأ، وأن نساندهم ونُثنِّي عليهم جميعًا".[1]

الجذور التاريخية للصهيونية المسيحية

إن صعود الصهيونية المسيحية المعاصرة يمكن تتبعه منذ القرن التاسع عشر الميلادي؛ ففي ذلك القرن كان هناك زعماء مسيحيين بريطانيين بدأوا في عقد التمييز في الكتاب المقدس فيما بين الافتراضات الإلهية والافتراضات الكنسية لليهود.

---

* ترجمة نص البحث المكتوب، ترجمة: وسام الضويني.

** رئيس الكنيسة الأسقفية بفرجينيا ووتر – بريطانيا، وأستاذ محاضر بالعديد من الجامعات.

1 Grace Halsell, 'Israeli Extremists and Christian Fundamentalists: The Alliance', Washington Report, December (1988), p31.

إن تأسيس دولة إسرائيل في عام ١٩٤٨ أصبح يُرَى باعتباره أسمى درجات تحقق النبوءة التوراتية[٢]، وذلك من وجهة نظر الكثيرين، "فإن أعظم ما جاء من نبوءات الكتاب المقدس هو ما رأيناه في القرن العشرين"[٣] وعقب حرب الستة أيام في عام ١٩٦٧، عبَّر عن ذلك "نيلسون بيل Nelson Bill" (وكان في حينها رئيس تحرير مجلة المسيحية اليوم Christianity Today) عبر عن مشاعر الولاء والتعاطف من جانب العديد من الإنجيليين، حيث جاء في افتتاحيته للمجلة ما كتبه:

"للمرة الأولى في أكثر من ٢٠٠٠ سنة، أصبحت القدس الآن في يد اليهود، وهو الأمر الذي أعطى بعدًا جديدًا للكتاب المقدس وإيمانًا متزايدًا في دقته وصحته"[٤].

وفي العام ١٩٧٦، أدت مجموعة من الأحداث المتتابعة إلى وصول الصهيونية المسيحية إلى قلب السياسة الأمريكية. فـ"جيمى كارتر" كان منتخبًا كرئيس "مولود ثانيةً"[٥] حيث جذب الاهتمام والتأييد لليمين الإنجيلي في الولايات المتحدة. وفي إسرائيل، جاء "مناحم بيجين" واليمين الإسرائيلي ممثلاً في حزب الليكود إلى السلطة في السنة التالية.

ظهر تدريجيًا في الولايات المتحدة ائتلافًا ثلاثيًا بين اليمين السياسي والإنجيليين واللوبي الصهيوني. وفي عام ١٩٧٨، أقرَّ رئيس الولايات المتحدة "جيمى كارتر" بأن معتقداته الدينية المؤيدة للصهيونية قد أثَّرت على سياساته تجاه الشرق الأوسط.[٦] وفي خطاب ألقاه، وصف دولة إسرائيل على أنها "عودة أخيرًا للأرض المقدسة المنصوص عليها في الإنجيل، والتي طُرِد منها اليهود منذ مئات السنين .. وأن تأسيس دولة إسرائيل هو بمثابة تحقيق لنبوءات الكتاب المقدس وجوهر مصداقيتها"[٧].

---

[2] Stanley J. Grenz, The Millennial Maze, (Downers Grove, Illinois, InterVarsity, 1992), p92; Hal Lindsey, The Late Great Planet Earth, (London, Lakeland, 1970), pp43, 53-58; Hannah Hurnard, Watchman on the Walls, (London, Olive Press, 1950), pp11-12.

[3] Louis T. Talbot & William W. Orr, The Nation of Israel and the Word of God!, (Los Angeles, Bible Institute of Los Angeles, 1948), p8.

[4] Donald Wagner, 'Evangelicals and Israel: Theological Roots of a Political Alliance' The Christian Century, November 4, (1998), pp1020-1026.

[5] في المسيحية يعني الميلاد الثاني: أن يكون للفرد حياة جديدة مصدرها شخص الرب يسوع المسيح، والمولود ثانية يُظهر صفات تحكم الروح القدس في تصرفاته، ويتخذ قرارات بناء على كلمة الله. (المترجم)

[6] Jimmy Carter, The Blood of Abraham, (London, Sidgwick & Jackson, 1985).

[7] Speech by President Jimmy Carter on 1 May 1978, Department of State Bulletin, vol. 78, No. 2015, (1978), p4, cited in Sharif, op.cit., p136.

وعلى الرغم من ذلك، فإن "كارتر" لم يكن متحمسًا لموقف حزب الليكود العنيف تجاه برنامج وخطط التسوية، واقترح إنشاء وطن للفلسطينيين، وهو بذلك نحّى الائتلاف المؤيد لإسرائيل من اليهود والإنجيليين جانبًا، فقاموا بإعطاء تأييدهم إلى "رونالد ريجان" في انتخابات عام ١٩٨٠. وقد أعطت انتخابات ريجان الرئاسية دفعة قوية لأهداف الصهيونية–المسيحية. فنجد أن "دون فاجنر" يقول:

"لقد أدى انتخاب رونالد ريجان إلى تكوُّن أكثر الإدارات الأمريكية تأييدًا لإسرائيل في التاريخ، كما أنه أعطى العديد من الصهيونيين المسيحيين مناصب سياسية مرموقة. فبالإضافة إلى الرئيس الأمريكي، فإن لائحة الأشخاص المؤيدين للاهوت ما قبل المُلك الألفي المستقبلي وللصهيونية المسيحية كانت تشمل: المدعي العام "إد ميسى **Ed Meese**"، ووزير الدفاع "كاسبر فاينبرجر **Casper Weinberger**"، ووزير الداخلية "جيمس وات **James Watt**"[٨]"

أصبحت "ندوات البيت الأبيض" سمة رئيسية لإدارة ريجان مما فتح المجال أمام عدد من قادة الصهيونيين–المسيحيين مثل "جيرى فالويل" و"مايك إيفانز" و"هال ليندزى" للتواصل الشخصي والمباشر مع زعماء وطنيين وقادة في الكونجرس. فعلى سبيل المثال، في عام ١٩٨٢، دعا "ريجان" "جيرى فالويل" ليقدم تقريرًا أمام مجلس الأمن القومي حول احتمال نشوب حرب نووية مع روسيا.[٩] وكذلك ذكر "هال ليندسى" أن الرئيس "ريجان" قام بدعوته للحديث أمام الكونجرس حول موضوع الحرب على روسيا.[١٠]

وفي حوار خاص نُشر في جريدة واشنطون بوست الأمريكية بعد ذلك بسنوات في ابريل عام ١٩٨٤، كان "ريجان" يشرح قناعته الشخصية لـ"توم دين"، وهو أحد أهم الشخصيات في مجموعات الضغط التابعة للجنة الأمريكية الإسرائيلية للشئون العامة (**AIPAC**)، فقال له:

[8] Donald Wagner, 'Beyond Armageddon', The Link, New York: Americans for Middle East Understanding; October-November, (1992), p5.
[9] Halsell, Prophecy., op.cit., p47
[10] Ibid.

"أنت تعلم أنني أعود إلى الرسل القدامي الذين جاء ذكرهم في العهد القديم والعلامات التي وردت على مجيء معركة هرمجدون (نهاية العالم)، وأجد نفسي أتسائل هل نحن الجيل الذي سيرى تحقيق هذه النبوءات؟! لا أدري إن كنت قد انتبهت إلى أي من تلك النبوءات مؤخرًا، ولكن صدقني إنها تصف كل ما يحدث في الوقت الحالي". [١١]

هذا في حين أن كل من الرؤساء: "جورج بوش الأب" و"بيل كلينتون" و"جورج بوش الابن" لا يبدو أنهم يتمتعون بنفس الافتراضات المتعلقة بالعقيدة التدبيرية التي كانت لدى "جيمى كارتر" و"رونالد ريجان"، إلا أنهم بالرغم من ذلك حافظوا على الموقف القوي للإدارة الأمريكية المؤيد للصهيونية كما فعل سابقيهم، وإن فعلوا ذلك على مضض. [١٢] وهذا يرجع بالأساس إلى تأثير اللوبي الصهيوني وهو اللوبي الذي يعتبره العديد من الأمريكيين الأقوى في الولايات المتحدة. [١٣]

وهناك بالأخص ثلاثة قادة مسيحيين، كل منهم أعطاه ريجان مساحة في البيت الأبيض، وهم حققوا إنجازات أكثر من غيرهم خلال الثلاثين سنة الأخيرة لضمان استمرار تأييد السياسة الخارجية للولايات المتحدة للصهيونية، وهم: "جيرى فالويل" و"بات روبرتسون" و"هال ليندزى"، حيث أصبحوا مؤيدين شديدين للدولة الصهيونية. وتصف "جريس هالسل" تحوُّل "فالويل" بقولها:

"لقد أحدث الانتصار الإسرائيلي الساحق أثرًا كبيرًا ليس فقط على فالويل ولكن على الكثير من الأمريكيين.. تذكروا أنه في العام ١٩٦٧ كانت الولايات المتحدة غارقة حتى أذنيها في حرب فييتنام، وأحس الكثير من الأمريكيين بالهزيمة وقلة الحيلة والإحباط. وكنا –كأمريكيين– على قدر كبير من الوعي بسلطتنا المضمحلة وبعدم مقدرتنا على قيادة العالم أو حتى السيطرة على جيراننا. وهكذا تحول العديد من الأمريكيين –ومنهم فالويل–

---

[11] Ronnie Dugger, 'Does Reagan Expect a Nuclear Armageddon?' Washington Post, 18 April (1984).

[12] George Bush, Speech to the American Jewish Committee, May 3, (2001), http://www.us-israel.org/jsource/US-Israel/presquote.html

[13] Michael Lind, 'The Israel Lobby and American Power' Prospect, April (2002), pp22-29; Halsell, Prophecy., op.cit

إلى النظر إلى إسرائيل نظرة دينية حيث رأوا فيها القوة العسكرية ورأوا أنها لا تُقهَر. فأعطوا موافقة غير مشروطة لاستيلاء إسرائيل على الأراضي العربية لأنهم اعتبروا هذا الاحتلال قوةً وحقًا لها. إن العديد من المسيحيين الذكوريين –من أمثال فالويل– مدحوا القائد الإسرائيلي "موشى ديان" لانتصاره على القوات العربية، وأسموه بـ"رجل المعجزات في هذا القرن"، ودعاه البنتاجون إلى زيارة فيتنام وسألوه أن ينصحهم حول كيفية الانتصار في تلك الحرب". [١٤]

وفي عام ١٩٧٩، وهو نفس العام الذي أسس فيه فالويل "الغالبية الأخلاقية"، أعطت الحكومة الإسرائيلية فالويل طائرة من طراز لير لمساعدته في الدفاع عن إسرائيل. وبعدها بعام في ١٩٨٠، أصبح فالويل أيضًا أول أممي يُقلَّد ميدالية فلاديمير زييف جابوتنسكى لتميزه الصهيوني على يد رئيس الوزراء الإسرائيلي "مناحم بيجين". وكان جابوتنسكى هو مؤسس الصهيونية ذات الرؤية الجديدة التي تدعو إلى حق اليهود الإلهي في احتلال واستيطان جانبي نهر الأردن، وتدعي عدم مسئوليتهم أمام القانون الدولي. [١٥]

في مارس عام ١٩٨٥، تحدث فالويل إلى مجلس الحاخامات المحافظين في ميامى وتعهَّد بأن "يحشد ٧٠ مليون مسيحيًا محافظًا لدعم إسرائيل". [١٦] وفي يناير ١٩٩٨، عندما قام رئيس الوزراء الإسرائيلي "بنيامين نتنياهو" بزيارة واشنطون، كان اجتماعه الأول مع "جيرى فالويل" و"تحالف الوحدة الوطنية من أجل إسرائيل" (وهو جمع كبير مكون من أكثر من ٥٠٠ قائد مسيحي أصولي)، وذلك بدلاً من الاجتماع مع الرئيس الأمريكي "بيل كلينتون". وطبقًا لـ"دونالد فاجنر"، فإن الجمهور أشاد بـ"نتنياهو" باعتباره "رونالد ريجان الإسرائيلي". في تلك الأثناء، قام فالويل بالاتصال بـ ٢٠٠,٠٠٠ راهب وقائد كنسي ممن توزع عليهم صحيفة "الحرية القومية" التابعة له[١٧]، وطلب منهم أن "يقولوا للرئيس كلينتون أن يمتنع عن ممارسة الضغوط على دولة إسرائيل" لكي تمتثل لاتفاقيات أوسلو[١٨]. وقد نجح

[14] Ibid.
[15] Allan C. Brownfeld, 'Fundamentalists and the Millennium: A Potential Threat to Middle Eastern Peace' The Washington Report, June (1999), pp82-84.
[16] Wagner, 'Evangelicals', op.cit., pp1020-1026.
[17] http://www.nljonline.com/feb02
[18] Wagner, 'Evangelicals', op.cit., pp1020-1026.

فالويل، أكثر من أي قيادي مسيحي أمريكي آخر، في التأكد من أن تابعيه يعلمون جيدًا أن واجبهم المسيحي تجاه الرب يتضمن التأييد المطلق للدولة الإسرائيلية.

وفي الوقت الذي يعد فيه فالويل أحد أكثر الصهيونيين المسيحيين تأثيرًا في الولايات المتحدة، فهو يعد أيضًا رمزًا لتحالف عريض مكون من ٣٠٠ قيادي مسيحي أصولي مؤثرين في الولايات المتحدة، إلى جانب "بات روبرتسون". هؤلاء القادة اتخذوا جميعًا مواقف مساندة للصهيونية ولإسرائيل في كتاباتهم وإذاعاتهم[١٩].

أهمية حركة الصهيونية المسيحية

تتعدد قياسات حجم تلك الحركة إلى حد كبير، ففي حين يدَّعي بعض النقاد أمثال "كرولى" أن مؤيدي تلك الحركة يتراوح عددهم ما بين ٢٥ إلى ٣٠ مليون مشترك، وأن قادة على شاكلة بات روبرتسون وجيرى فالويل يتمتعون بمقدرة الوصول إلى ما يقرب من ١٠٠ مليون أمريكي متعاطف مع تلك القضية أسبوعيًا.[٢٠] ومهما كان الرمز الذي يقوم بالحشد والتعبئة، فالكل يتفق على أن هذا العدد آخذ في التزايد سواء في الحجم أو في درجة التأثير،[٢١] حيث يقودهم ٨٠,٠٠٠ قسيس وكاهن، ويتم بث آراءهم بواسطة ١٠٠٠ محطة راديو مسيحية محلية، وكذلك ١٠٠ محطة تلفزيونية مسيحية.[٢٢]

الآثار السياسية للصهيونية المسيحية

أريد أن أسلط الضوء على ست طرق تمت بها ترجمة اللاهوت الصهيوني المسيحي إلى فعل سياسي وهي: مباركة أفعال إسرائيل، تيسير هجرة اليهود، مساندة برنامج التسوية، الضغط من خلال اللوبي الصهيوني لتحقيق اعتراف دول العالم بالقدس عاصمةً لإسرائيل،

---

[19] Regular meetings between Christian Zionist leaders and Israeli officials take place such as at Harvard Business School. At one held in early 2002, participants included Avigdor Itzchaki, the Director General of the Israeli cabinet, James Watt, former Secretary of the Interior, Mike Evans and Richard Hellman of CIPAC. Those invited also included Tony Campolo, James Dobson, Kenneth Copeland, Robert Schuller, Chuck Smith, Joyce Meyers, E.V. Hill and Marlin Maddoux.

[20] 'Christians Call for a United Jerusalem' New York Times, 18 April (1997), http://www.cdn-friends-icej.ca/united.html

[21] Halsell, Forcing, op.cit., p50.

[22] Halsell, Forcing, op.cit., p50.

تمويل إعادة بناء الهيكل، ومعارضة عملية السلام، وتصعيد العلاقات مع العالم العربي، والتعجيل بهرمجدون (نهاية العالم).

العلاقة المتبادلة بين لاهوت الصهيونية المسيحية والسياسة

اللاهوت	السياسة
الشعب المختار	مساندة إسرائيل.
عودة اليهود	تيسير برامج هجرة اليهود إلى إسرائيل.
أرض إسرائيل	تأييد بناء مستوطنات في الضفة الغربية.
أورشليم	ممارسة الضغوط من أجل الحصول على الاعتراف الدولي.
الهيكل	تمويل إعادة بناء الهيكل.
المستقبل	معارضة السلام والتعجيل بمعركة هرمجدون.

١ .الشعب المختار: تأييد الاستعمار الإسرائيلي

إن الاعتقاد بأن الشعب اليهودي لا يزال "شعب الله المختار" بطريقة منفصلة عن الكنيسة هو أمر متجذر في الصهيونية المسيحية. ويعرض إحدى التقارير الحديثة في مجلة "المسيحية اليوم" استطلاعًا عن رأي الانجيليين حول إسرائيل، هذا الاستطلاع يعطينا فكرة حول مدى قوة الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة. أظهر هذا الاستطلاع أن ٢٤% من المسيحيين يؤمنون بأن "التعاليم الانجيلية للمسيحيين تكمن في مساندتهم لدولة إسرائيل".[٢٣] وهذا يتم التعبير عنه بطرق عدة:

[23] Cited in Prior, op.cit., p143.

١,١ الوقوف إلى جانب إسرائيل

طبقًا لـ(أشعياء: الإصحاح ٤٠)، فإن الصهيونيين المسيحيين يروا دورهم متمثلاً في طاعة الأوامر الإلهية من أجل: "جلب الراحة لشعبي، كما يقول ربكم"، وهـذا يُفسَّر في شكل مساندة لإسرائيل ودفاعًا عنها عند تعرضها للهجوم أو النقد.

في أكتوبر سنة ٢٠٠٠، على سبيل المثال، بعد بضعة أيام من زيارة شارون الاستفزازية إلى الحرم الشريف، وهو على ما يبدو أنه كان أمرًا معدًا مسبقًا في ذلك التوقيت للتقليل من شأن حكومة باراك لتفاوضه مع عرفات حول تقسيم القدس[٢٤]، جاء إعلان في جريدة "نيويورك تايمز" بعنوان "خطاب مفتوح من اليهود لأجل يسوع إلى المسيحيين الإنجيليين". وفيه دعوا الإنجيليين إلى أن يظهروا تضامنهم مع إسرائيل في هذا الوقت الحرج:

"الآن يعد الوقت المناسب للوقوف بجانب إسرائيل. أعزائنا الأخوة والأخوات في المسيح، إن قلوبنا مثقلة بالهموم حين نشاهد صور العنف وإراقة الدماء في الشرق الأوسط... أيها الأصدقاء المسيحيون "إن هبات الرب ودعوته هي بلا ندامة" (رومية ١١:٢٩). ولـذا فيجب أن يكون تأيدنا لبقاء إسرائيل في هذه اللحظة المظلمة مطلقًا. الآن حان الوقت للمسيحيين لمساندة إسرائيل!"[٢٥]

١,٢ ممارسة ضغوط اللوبي الإسرائيلي في العاصمة الأمريكية

ظلت سياسة الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط، حتى الثمانينيات من القرن الماضي، إلى حد كبير هامشية مقارنةً بسياساتها الواسعة لمواجهة تهديد الهيمنة السوفيتية

[24] In July 2001 the Rabbinical Council of Judea, Samaria and Gaza called on all rabbis to bring their communities to visit the Temple Mount. This was the first time that a group of rabbis representing a significant proportion of the religious Jewish community had ruled that it was permissible for Jews to ascend the Temple Mount. Previously this had been forbidden to orthodox Jews. The rabbis also called upon the Yesha Council of Jewish settlements to organise mass visits to the Temple Mount from the settlements which comprise the more right wing religious Jews. See N. Shragai, 'Rabbis call for mass visits to Temple Mount,' Ha'aretz, 19 July (2001).

[25] 'Open Letter to Evangelical Christians from Jews for Jesus: Now is the Time to Stand with Israel.' The New York Times, 23 October (2000).

الشيوعية؛ فقد مثّلت حماية غرب أوروبا من خلال الناتو أولوية قصوى. لكن خلق انهيار الشيوعية فراغًا في القوى في منطقة الشرق الأوسط، وقد ملأته الولايات المتحدة. وبتتبع حرب الخليج الثانية التي خاضتها الولايات المتحدة لتحرير الكويت، وحديثًا تحرير أفغانستان من طالبان، وكذلك تحرير العراق من صدام حسين، فإننا نجد أن الولايات المتحدة زادت من تأثيرها في الشرق الأوسط. وفي نفس الوقت، كان هناك تأثيرًا متزايدًا لجماعات الضغط الصهيونية. وكنتيجة لذلك، أصبح الشرق الأوسط –وإسرائيل على وجه الخصوص– منطقة محورية لسياسات الولايات المتحدة، وهذا الأمر لا يتعلق في أقل التقديرات بهجوم القاعدة على نيويورك وواشنطون.

في عام ١٩٨٠، تم تأسيس "السفارة المسيحية الدولية في القدس **International Christian Embassy in Jerusalem**" بهدف تنسيق "الأنشطة السياسية المباشرة للوبي الصهيوني بالتعاون مع الحكومة الإسرائيلية".[٢٦] كما أن أحد أهدافها الرئيسية تمثلت في إغلاق مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية في الدول الغربية ونقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس.[٢٧]

ويعد "تحالف الوحدة من أجل إسرائيل **The Unity Coalition for Israel**" هو أحدث شبكة تتكون في الولايات المتحدة من الصهيونيين المسيحيين، وعلى الرغم من ذلك فإنه يعد أضخم تلك الشبكات وأكثرها تأثيرًا. وقد تم تأسيسه في عام ١٩٩٤، وهو يجمع تحالفًا واسعًا من ٢٠٠ منظمة يهودية ومسيحية مختلفة ومستقلة، وهي تمثل ٤٠ مليون عضوًا كلهم "مكرسين لحماية إسرائيل".[٢٨] تتمثّل استراتيجيتهم الأساسية في الضغط من خلال اللوبي الصهيوني على الإعلام والمؤسسات السياسية الأمريكية، وتحدي "نقص المعلومات والدعاية الإعلامية" والتعبير عن "حقيقة إسرائيل". يتضمن هذا التحالف أكبر ثلاث منظمات صهيونية مسيحية، وهي: "جسور للسلام **Bridges for Peace**"،

---

[26] Wagner, Anxious., op.cit., p107.
[27] Ibid., p108.
[28] http://www.israelunitycoalition.com

و"السفارة المسيحية الدولية The International Christian Embassy"، و"مسيحيون من أجل إسرائيل Christians for Israel".

هذا التحالف له تأثير مهم جدًا على الحزبين الجمهوري والديمقراطي، حيث يمد حملتيهما الانتخابية بقدر كبير من الأموال. إحدى المقولات التي تنسب لـ"ألوف بن" وهو متحدث باسم "شيمون بيريز" جاءت في جريدة هارتز الإسرائيلية؛ حيث ادَّعى أن "٦٠% من المساعدات المالية التي يحصل عليها الديمقراطيون تأتي من مصادر يهودية".[٢٩] وطبقًا لتقرير واشنطون حول شئون الشرق الأوسط، فإن "معظم جامعي التمويلات المؤيدين لإسرائيل يقولون أنه على أقل التقديرات فإن ٦٠-٩٠% من الموارد المالية لحملة الديمقراطيين تأتي من مصادر يهودية، ونفس الأمر ينطبق على الموارد المالية لحملة الجمهوريين الانتخابية حيث يمدهم اليهود بنسبة ٤٠% من التمويل".[٣٠] وأنا أفترض أن كلتا الإحصائيتين تشير إلى تبرعات فردية لتمويل الحملة الانتخابية، وأنها تتضمن كل من اليهود والمسيحيين المؤيدين لإسرائيل.

إن قوة اللوبي المؤيد لإسرائيل، التي تضمن استمرار تلقي إسرائيل بلايين الدولارات سنويًا من الولايات المتحدة في صورة منح وقروض ودعم، يمكننا تقدير حجمها عندما نسترجع مقولة جورج بوش الأب التي انتقد فيها إسرائيل علانيةً، وكان آخر رئيس أمريكي يفعل ذلك. فأثناء حرب الخليج الثانية، أثار بوش الأب اللوبي الإسرائيلي حين قام بالضغط على إسرائيل حتى لا ترد على الهجمات العراقية، ومن خلال وعده لحلفائه من الدول العربية بتناول القضية الفلسطينية. في سبتمبر ١٩٩١، اشتكى بوش الأب من أن "هناك ما يقرب من ١٠٠٠ شخص في اللوبي الإسرائيلي يضغطون على الكونجرس ليقدم ضمانات القروض لإسرائيل، وأنا وحدي أسأل الكونجرس أن يؤجل النظر في ضمانات القروض لمدة ١٢٠ يومًا".[٣١]

[29] Israel Shahak, "Ability of US Jewish Groups to set Clinton Agenda Depends on Media." Washington Report, June 1995, pp10, 94.

[30] Publisher's Page, Washington Report, June 1995, pp122.

[31] Lind, op.cit.

يشير "مايكل ليند Michael Lind" إلى أن اللوبي المؤيد لإسرائيل كان مسئولاً عن تشجيع "أسوأ استغلال لسلطة الإعفاء الرئاسي في تاريخ الولايات المتحدة" عندما أصدر بيل كلينتون –في آخر يوم له كرئيس للولايات المتحدة– قرار الإعفاء المثير للجدل لـ "مارك ريتشMark Rich ." وهو المليونير الهارب الذي يتصدر قائمة المطلوبين في مكتب المباحث الفيدرالية.

وفي مقال كُتبَ في النيويورك تايمز بتاريخ فبراير ٢٠٠١، أوضح كلينتون أنه قام بذلك من أجل إسرائيل:

"إن كثيرًا من المسئولين الإسرائيليين، ذوي المناصب الرفيعة السابقين والحاليين من الأحزاب الكبيرة وقادة المجتمعات اليهودية في الولايات المتحدة وأوروبا، ألحوا في طلب الإعفاء للسيد ريتش من التهم الموجهة إليه لإسهاماته وخدماته من أجل الأهداف الإسرائيلية الخيرية، ولجهود الموساد لإنقاذ اليهود من الدول المعادية، ولعملية السلام من خلال رعايته لبرامج الصحة والتعليم في غزة والضفة الغربية".[٣٢]

وظهر تأثير الصهيونيين المسيحيين في تنمية علاقة وثيقة مع إسرائيل من خلال تيسير رحلات الحج والتضامن والجولات التعليمية للأرض المقدسة.

٢. عودة اليهود: تيسير هجرة اليهود من الاتحاد السوفييتي السابق إلى إسرائيل

بسقوط الشيوعية في الاتحاد السوفييتي السابق وشرق أوروبا، منذ عام ١٩٨٠، أخذت العديد من الهيئات الصهيونية المسيحية المبادرة لتشجيع اليهود على الهجرة لإسرائيل، باعتبارها تحقيقًا للنبوءات التوراتية.

كانت "اكسوبس Exobus" على الأرجح أول هيئة صهيونية مسيحية تُحوِّل عقيدة العودة إلى واقع ملموس وتساعد اليهود في الاتحاد السوفييتي السابق على الهجرة إلى فلسطين. وقد تم تأسيسها في عام ١٩٨٤ على يد "فيل هنتر Phil Hunter" وهو مدير شركة جود نيوز للرحلات في مدينة "هل" بانجلترا. تشكلت "اكسوبس" بغرض تيسير نقل

---

[32] Ibid.

اليهود من الاتحاد السوفييتي السابق إلى إسرائيل. وتم إرسال أول فريق تابع لـ"اكسوبس" إلى أوكرانيا عام ١٩٩١، ومنذ ذلك الوقت قامت بمساعدة ٥٦,٠٠٠ يهودي للهجرة إلى إسرائيل بالتعاون مع الوكالة اليهودية. وتعد "اكسوبس" الآن أكبر هيئة مسيحية تقوم بتيسير عملية هجرة اليهود إلى إسرائيل، وهي مكونة من ٨٠ فريق من الأعضاء أتوا من ١٣ دولة مختلفة ويعملون على ٤٠ ناقلة. تقوم "اكسوبس" بنقل حوالي ١٢٠٠ يهودي من ١٦ قاعدة مختلفة في الاتحاد السوفييتي السابق شهريًا.[٣٣] وتأتي الموارد المالية لـ"اكسوبس" من هيئة مناظرة وهي "مسيحيون من أجل إسرائيل" والتي تقوم بالترويج لـ"اكسوبس" في الولايات المتحدة.[٣٤]

منذ عام ١٩٩١، قامت "السفارة المسيحية الدولية في القدس" بتحمُّل تكاليف نقل ٤٠,٠٠٠ مهاجر (ومنهم ١٥,٠٠٠ تم ترحيلهم إلى إسرائيل بواسطة ٥١ رحلة جوية ممولة من تلك الهيئة).[٣٥] كان أعضاء الفريق الروسي التابع لتلك الهيئة على وجه الخصوص نشطاء في الأقاليم النائية للاتحاد السوفييتي السابق. ومثلما تعمل "اكسوبس"، فإن "السفارة المسيحية الدولية في القدس" وكذلك مؤسسة "جسور للسلام" تصف إدارتها على أنها "تُفتِّش عن اليهود"، استنادًا لجيريمايا ١٦:١٦. تقوم تلك المؤسسات بتحديد مواقع اليهود في أنحاء العالم، وإقناعهم بالهجرة إلى إسرائيل، وتساعدهم في الحصول على المستندات المطلوبة لإثبات أصولهم اليهودية، وتوزيع مساعدات إنسانية عليهم ودفع الرسوم المطلوبة للخروج من الدول الأخرى وجوازات السفر ودفع الديون والنقل والمعيشة أثناء استكمال إجراءات الهجرة بواسطة الهيئة اليهودية في المدن الروسية الكبرى.[٣٦] وبمجرد وصولهم إلى إسرائيل، تقوم "السفارة المسيحية الدولية في القدس" و"مؤسسة جسور للسلام" بمساعدة المهاجرين في دفع تكاليف الاستيطان، وتوفير الغذاء والملبس والأغطية ومستلزمات الطبخ وأدوات المدارس، إلى جانب المعدات الطبية إن استلزم الأمر.[٣٧]

---

[33] http://www.christiansforisrael.org
[34] Ibid.
[35] Patricia Golan, 'On Wings of Faith' Jerusalem Post, 20 December 2001.
[36] Ibid.
[37] Wagner, op.cit., p108; Golan, op.cit.

٣. ايريتز إسرائيل (أرض إسرائيل المنصوص عليها في الكتاب المقدس): دعم مستوطنات الضفة الغربية

تعتبر الحدود الشرعية للدولة الإسرائيلية، بالنسبة للصهيونية الدينية سواء كانت يهودية أم مسيحية، أكبر بكثير من الحدود التي يُثار عليها الجدل مع سوريا والأردن والسلطة الفلسطينية. هذا الإيمان في أن الضفة الغربية كلها هي جزء متكامل من إسرائيل، دفع الصهيونيين المسيحيين إلى تبني وجود مستوطنات يهودية حصريًا فيها لتقوية دعواهم بحقهم في تلك الأرض.

تبني وجود المستوطنات

تم تأسيس "تجمعات أصدقاء إسرائيل من المسيحيين The Christian Friends of Israel Communities" على يد "تيد بيكيت Ted Becket" في عام ١٩٩٥، بالتعاون مع مؤسسة "الأصدقاء المسيحيون لإسرائيل Christian Friends of Israel"؛ وعرّفت كلتا المؤسستان المستوطنة على أنها:

"قطعة من الأرض يعيش فيها اليهود الأوائل الشجعان، هذه الأرض هي في معظم الأحوال مكان صخري مرتفع وقاحل أوجد لتأسيس مجتمع يهودي حيث لم يكن به مجتمع يهودي منذ آلاف السنين. وفي بعض الحالات، مثل شيلوه، تم بناء المستوطنات على البقعة الأصلية للمدينة اليهودية القديمة"[٣٨].

وحتى الآن، فإن قياسات "تجمعات أصدقاء إسرائيل من المسيحيين" تُظهِر أنه قد تم تبني موقف ٣٩ مستوطنة إسرائيلية غير شرعية بواسطة ٥٠ طائفة وكنيسة مستقلة في الولايات المتحدة وجنوب أفريقيا وألمانيا وهولندا والفلبين.

تمويل المستوطنين

إلى جانب تيسير هجرة اليهود إلى إسرائيل، هناك عدة هيئات صهيونية مسيحية نشطة في مجال تمويل بناء مستوطنات غير شرعية في الضفة الغربية. خلال العام ١٩٩١، كان هناك –على سبيل المثال– احتفال للسفارة المسيحية الدولية في القدس بعيد "خيمة الاجتماع

---

[38] http://www.cfoic.com

"Tabernacles" حضره ممثلون من ١٢ دولة قدَّم كل منهم شـيكات لـرئيس الـوزراء الإسرائيلي "اسحق شامير" للمساعدة في تمويل بناء المستوطنات.[٣٩] كذلك احتكام "السفارة المسيحية الدولية في القدس" إلى الأتوبيس المضاد للرصاص الذي يصل إفرات –على سبيل المثال– تم من خلال جمع ١٥٠,٠٠٠ دولار لشراء أتوبيس محصن لنقل المستوطنين من وإلى الضفة الغربية من مستوطنة إفرات.[٤٠] ولدى مؤسسة "جسور للسلام" نمط مماثـل يُـسمَّى "عملية عزرا" والتي تُموِّل نحو ٥٠ مشروع مختلف مثل مزرعة مستوطنة "سدى بار" بالقرب من "بيت جالا" و"هيروديان".[٤١]

إن تأثير اللوبي المؤيد لإسرائيل على السياسة الخارجيـة الأمريكيـة فيمـا يتعلـق بالمستوطنات يبدو أنه آخذًا في النجاح. يلاحظ "ليند" أنه خـلال إدارة كـارتر اعتُـبرت المستوطنات "غير شرعية"، وتحت إدارة ريجان أصبحت "عقبـة للـسلام"، وتحـت إدارة كلينتون أصبحت "عاملاً معقدًا"، في حين أنه في أثناء إدارة جورج بوش الابـن أصـبحت "ملحقات".[٤٢]

٤. أورشليم (القدس): ممارسة الضغوط للحصول على الاعتراف الدولي

في قلب تأييد الصهيونية المسيحية لدعاوي إسرائيل ومطالبها في الأراضـي المحتلـة، يكمن الاعتقاد أن القدس هي –وستظل– العاصمة اليهودية الوحيـدة والكاملـة، وأن أي محاولات للتوصل إلى اتفاق، في الإطار الأوسع للصراع العربي الإسرائيلي، حول الوضـع النهائي للقدس حتى الآن توقفت أو تعطلت. يعارض الصهيونيون المـسيحيون بـشدة أي مشروع اتفاق لسيادة مشتركة أو إيجاد عاصمة فلسطينية في القدس الشرقية.

ومؤخرًا، قدم السيناتور "بوب دول Bob Dole" تشريعًا في مجلس الشيوخ الأمريكي والذي طالب فيه بإعادة بناء السفارة الأمريكية في القدس بحلول ٣١ مايو ١٩٩٩، وقـرر مبلغ ١٠٠ مليون دولار كمصروفات 'مبدئية' لهذا الهدف.[٤٣] وفي أكتوبر ١٩٩٥ صـرَّح

[39] Wagner, Anxious, op.cit., p108.

[40] International Christian Embassy, 'Bulletproof Bus for Efrat' appeal, Word from Jerusalem, May (2002).

[41] Bridges for Peace, 'New Life on the Farm' Despatch from Jerusalem, January (2000), p5.

[42] Lind, op.cit.

[43] 'Bill to re-locate the United States Embassy from Tel Aviv to Jerusalem',

بأن: ""عاصمة إسرائيل ليست محلاً للتفاوض في عملية التسوية، ونقل السفارة الأمريكية إلى القدس لا يؤدي إلى أي إجحاف في نتائج مستقبل المفاوضات""[٤٤]. وتعليقًا على فشل الرئيس الأمريكي في التصديق على قرار مجلس الشيوخ، قال "دول":

""إن القدس اليوم هي، كما كانت لمدة ثلاثة قرون، في قلب وروح الشعب اليهودي. وهي أيضًا لابد أن تبقى العاصمة الخالدة وغير المجزأة للدولة الإسرائيلية.. لقد حان الوقت لكي نتجاوز مرحلة المساندة الكلامية والمعنوية لقرارات مجلس الشيوخ في هذا الشأن. لقد حان الوقت لسن تشريعات تحقق الهدف المنشود"".[٤٥]

في عام ١٩٩٢، قامت "السفارة المسيحية الدولية في القدس" برعاية عدة حفلات استقبال بمناسبة العيد السنوي الخامس والعشرين لما أشاروا إليه بـ"إعادة توحيد القدس"[٤٦]. وفي ١٩٩٦، كان هناك حدثًا مماثلاً في "الكونجرس الصهيوني المسيحي الدولي International Christian Zionist Congress" عندما وقّع ١٥٠٠ مشارك على إعلان مفاده:

""أنه بسبب الأهداف السيادية التي يبتغيها الرب لهذه المدينة، لابد أن تبقى القدس كاملة غير مقسمة تحت السيادة الإسرائيلية، ومفتوحة أمام كل الناس كعاصمة للدولة الإسرائيلية فقط، وكل الأمم لابد أن تعترف بذلك وتقوم بنقل سفاراتها إلى القدس...إن حقائق الرب كلها تقول بهذا وإنه مكتوب أن الأرض التي وعد بها شعبه المختار لابد ألا تُقسَّم"".[٤٧]

في عام ١٩٩٧، قامت السفارة المسيحية الدولية في القدس بنشر إعلان على صفحة كاملة في جريدة نيويورك تايمز بعنوان "المسيحيون يدعون من أجل قدس موحدة". ووقع الإعلان عشرة قادة إنجيليون ومنهم بات روبرتسون (رئيس الشبكة الإذاعية المسيحية

---

http://www.usdoj.gov/olc/s770.16.htm

[44] Middle East Realities 'Lie of the Week' MiddleEast@aol.com, 01/11/95

[45] Donald Neff, 'Congress has been irresponsible on the issue of Jerusalem', Washington Report, January (1998), pp90-91.

[46] International Christian Embassy Jerusalem (Jerusalem, ICEJ, 1993), p24.

[47] International Christian Zionist Congress Proclamation' International Christian Embassy, Jerusalem. 25-29 February (1996).

ورئيس الائتلاف المسيحي)، وأورال روبرتس (مؤسس ورئيس جامعة أورال روبرتس)، وجيرى فالويل (مؤسس جمعية الغالبية الأخلاقية)، وإد ماكنتاير (رئيس الطاولة المستديرة الدينية)، وديفيد ألان لويس (رئيس مؤسسة مسيحيون متحدون من أجل إسرائيل)، وجاء فيه:

"نحن الموقعون أدناه القادة المسيحيون الروحيون، نتواصل أسبوعيًا مع أكثر من مائة مليون مسيحي أمريكي، ونحن فخورون بالانضمام إليكم في تأييد سيادة الدولة الإسرائيلية على المدينة المقدسة "أورشليم". نحن نؤيد جهود إسرائيل للوصول إلى تفاهم مع جيرانها العرب، ولكننا نؤمن أن أورشليم -أو أي جزء منها- لن تكون محلاً للتفاوض في عملية السلام. لابد أن تبقى أورشليم موحدة كعاصمة أبدية للشعب اليهودي"[٤٨].

وتم دعوة القراء إلى:

"الانضمام إلينا في مهمتنا المقدسة لضمان بقاء أورشليم العاصمة الأبدية غير المقسمة لإسرائيل". فقد ادَّعوا أن "معركة أورشليم قد بدأت، وأن الوقت قد حان للمؤمنين بالمسيح أن يدعموا إخوانهم اليهود والدولة الإسرائيلية. لقد حان وقت التضامن مع الشعب اليهودي!"[٤٩]

وعلى الرغم من ذلك، يصبح الأمر أكثر إلحاحًا لإيجاد قراءة صهيونية مسيحية للنبوءات وهي أكثر أهمية من أجل إعادة بناء الهيكل اليهودي.

٥. الهيكل وارتباطه بالصهيونية الدينية

كان الصهيونيون المسيحيون المعاصرون نشطين دائمًا في مساعدة المنظمات اليهودية المكرسة لإعادة بناء الهيكل اليهودي من خلال الدعاية للمنظمات التي أُسست من أجل رفع الهيكل، البحث عن موقع الهيكل، تيسير برنامج الإنشاء، وتربية العجل الأحمر، وتمويل الخزانة.

48 'Christians Call for a United Jerusalem' New York Times, 18 April (1997), http://www.cdn-friends-icej.ca/united.html
49 Ibid.

يعد "راندال برايس" هو الأخصائي الرئيسي التدبيري فيما يتعلق بالخطط الوشيكة لإعادة بناء الهيكل اليهودي. فقد شرح في كتابه "الأيام الأخيرة الآتية للمعبد" والذي يحتوي على ٧٣٥ صفحة، التفاصيل الشاملة عن كل المنظمات اليهودية الضالعة في تيسير وإعادة بناء الهيكل اليهودي.[٥٠] "جيرشون سالومون" هو الرمز القيادي المثير للجدل في تلك الحركة ومؤسس "رابطة المؤمنين بالهيكل"، وكضيف للسفارة المسيحية الدولية في القدس، في المؤتمر الصهيوني العالمي في ١٩٩٨، أصر "سالومون" على:

"إن مهمة الأجيال الحالية هي تحرير جبل الهيكل وإزالة –وأكرر إزالة– الحفنة القذرة التي تعيش هناك...لن يتوقف الشعب اليهودي عند أعتاب الأبواب المؤدية لجبل الهيكل، سنجعل أعلامنا الإسرائيلية ترفرف عاليًا هناك، وهذا يعني أن كل هذه المساحة التي تشمل قبة الصخرة والجوامع الموجودة هناك سيكون عليها علمنا الإسرائيلي وهيكلنا فقط. هذا هو ما يجب على جيلنا أن يحققه"[٥١].

ومن ناحية أخرى، يُقدِّم "سام كيلي"، وهو كاتب بجريدة التايمز الأمريكية، رؤية أخرى؛ حيث يدَّعي أن "سالومون" يمثل "أكثر الوجوه المقبولة من أتباع الألفية". وفي حديث صحفي أكد "سالومون" أن المحراب الإسلامي لابد من تدميره:

"لابد أن تقوم بذلك الحكومة الإسرائيلية. لابد أن تُعلِن الحرب، وستكون هناك العديد من الدول المعارضة لنا لكن الرب سوف يكون قائدنا. أنا متأكد من أن ذلك هو امتحان لنا، وأن الرب يتوقع منا أن نزيل قبة الصخرة بلا خوف من الأمم الأخرى. لن يعود المسيّا من تلقاء نفسه، ولكن لابد أن نأتي به من خلال الحرب"[٥٢].

طبقًا لـ"جريس هالسل"، في الفترة من ١٩٦٧–١٩٩٠ كان هناك أكثر من مائة هجوم مسلح على الحرم الشريف على يد مسلحين يهود، وغالبًا يقودهم الحاخامات. وهي

---

[50] Randall Price, The Coming Last Days Temple, (Eugene, Oregon, Harvest House, 1999), pp616-644; Randall Price, 'Time for a Temple? Jewish Plans to Rebuild the Temple.' Friends of Israel Gospel Ministry http://www.foigm.org/img/timetemp.htm

[51] Nadav Shragai, 'Dreaming of a Third Temple', Ha'aretz, 17 September (1998), p3, cited in Price, Coming, op.cit., p417.

[52] Sam Kiley, 'The righteous will survive and the rest will perish' The Times, 13 December (1999), p39.

تأسف حين تقول أنه "لا توجد مرة واحدة انتقد فيها أي رئيس وزراء إسرائيلي أو كبير حاخامات السفرديم أو كبير حاخامات الأشكيناز أيًا من تلك الأعمال العدوانية"[٥٣]. لكن حتى إذا نجح الصهيونيون المسيحيون واليهود في تدمير المسجد الأقصى وقبة الصخرة، فإن إحدى الصعوبات الجمة تكمن في مواجهة القرار بتحديد مكان إعادة بناء الهيكل اليهودي.

تسهيل برنامج البناء

من أجل تعزيز وجود هيكل يؤدي وظيفته بشكل كامل، وليس فقط إيجاد مكان للجذب السياحي أو متحف، فمن المهم أن يوجد رهبان مكرسين للخدمة في الهيكل وأن يتم تدريبهم لهذه المهمة. وتكمن الإشكالية التي ستواجه الرهبان المتوقعين أهم يتحتم عليهم الوصول إلى مستوى من النقاء الروحي قبل أن يقوموا بتقديم تضحيات للآخرين. وطبقًا لـ "سفر العدد **Book of Numbers**"، فإن رماد عجل أحمر نقي غير ملطخ، والذي سبق وأن قُدِّم كذبيحة على يد كاهن نقي روحيًا بموجب الطقوس، لابد أن يُمزج هذا الرماد بالماء، ويتم رشه على الكهنة وعلى الأدوات التي في الهيكل.

لكن بتدمير الهيكل في العام ٧٠ بعد الميلاد، ضاع الرماد الذي تم استخدامه في الشعائر، وبهذا أصبح يهود الدياسبورا غير طاهرين منذ ذلك الوقت. إن البحث عن رماد آخر لعجل أحمر أثبت حتى الآن أنه أمر غير ناجح. على الرغم من ذلك، فإنه في العام ١٩٩٨، قام كلايد لوت **Clyde Lott** (وهو مزارع من طائفة جماعات الله في المسيسبي) بتكوين مؤسسة "استعادة أرض كنعان لعودة اليهود إلى إسرائيل" بهدف تربية مخزون من العجول الحمراء يلائم ذبائح الهيكل[٥٤]. وطبقًا لمجلة النيوزويك الأمريكية، في عام ١٩٩٧،

---

[53] Grace Halsell, 'The Hidden Hand of the Temple Mount Faithful' The Washington Report, January (1991), p8.

[54] Randall Price incorrectly attributes this story to Time when it actually appeared in Newsweek. He also misspells one of the contributor's names. Price, Coming, op.cit., p375. 'Red Heifers' New York Times, 27 December (1998), cited in Halsell, Forcing, p65.

'Shortly after this Rev. Lott (who is also a cattleman by trade) came to possess a red heifer that met all the biblical qualifications of Numbers chapter 19. Since that historic time in, November 11, 1994 God has miraculously unveiled His divine plan for the restoration of Israel, to the Church. The Holy Ghost has worked during this time to reveal to Apostolic

تمت ولادة أول عجل أحمر في مدة ٢٠٠٠ سنة في كيبوتز "كفار هـــسيديم" وتم تـــسميتها "ميلودى"[٥٥]، ولكن للأسف ظهر لها شعر أبيض على ذيلها عندما كبرت. ولكن هذا لم يثني أشخاص مثل "تشيم ريتشمان" (حاخام أورثوذكسي) و"كلايد لوت" (المزارع من طائفـــة جماعات الله) الذين جمعا جهودهما لتربية العجول الحمراء في وادي نهر الأردن، بهدف إنقـــاذ تجارة المواشي الإسرائيلية، وكذلك لإنتاج أفضل السلالات للذبائح[٥٦]".

وقد لاحظ "لورينس رايت" كذلك أن "التوق اليهودي للهيكل، وآمال المـــسيحيين في السعادة البالغة، وخوف المسلمين المفرط من تدمير المساجد، كل ذلك يؤدي إلى الغليان الرؤيوي"[٥٧].

٦. المستقبل: معارضة السلام وتعجيل مجيء هرمجدون

إن العداء الذي يبديه الصهيونيون المسيحيون تجاه أية محاولة للتوصل إلى حل وســـط فيما يتعلق بتقسيم الأرض، أو القدس، أو الأماكن المقدسة، ينبيء بمستقبل مظلم، وهـــذا لا يُعزى على الإطلاق إلى التشاؤم الكامن في علم الأخرويات لديهم.

(٦،١) التحالف الأمريكي الإسرائيلي

مع أن الصهيونين المسيحيين ملتزمون بشكل عام بتأييد إسرائيل، إلا أن هناك علاقة وثيقة خاصة بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل.

---

ministers and laymen the need to unify their efforts in order to see this project move forward, both in the Spirit and in the natural. August 11, 1998 Israel is expecting to receive from Canaan Land Restoration, 500 head of registered Red Angus Heifers.' Joe Atkins, 'Biblical mystery of the red heifer affects farmer in Mississippi' The Daily Mississippian, 23 July (1998); Ethan Bronner, 'Portent in a Pasture? Appearance of Rare Heifer in Israel Spurs Hopes, Fears', The Boston Globe, Sunday, April 6, (1997), pp1, 22

[55] Kendall Hamilton, Joseph Contreras & Mark Dennis, 'The Strange Case of Israel's Red Heifer,' Newsweek, May 19, (1997).

[56] Jeremy Shere, 'A Very Holy Cow' Jerusalem Post, May 25, (1997).

[57] Lawrence Wright, 'Forcing the End', Frontline, http://www.pbs.org/wgbh/pages/frontline/shows/apocalypse/readings/forcing.html

يقدم جيري فالويل تفسيرًا بسيطًا لهذا الأمر، وهو أن الرب كان كريمًا مع الولايات المتحدة الأمريكية لأن "أمريكا كانت كريمة مع اليهود."[58] مايك إيفانز Mike Evans (مؤسس فريق الصلاة من أجل أورشليم) هو خير ممثل عن أولئك الذين أوجدوا أساسًا من الكتاب المقدس للعلاقة الوثيقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل. وجاء في أحدث كتاب له وهو بعنوان "النبوءات الأمريكية"، ما يلي:

"إن الرب سوف يبارك أمريكا وإسرائيل.. لأنه إذا سقطت إسرائيل، فإن الولايات المتحدة لن تستطيع أن تبقى ديمقراطية.. إن الأموال العربية يتم استغلالها للسيطرة والتأثير على المؤسسات الأمريكية العملاقة، مما يجعل الأمر -من ناحية اقتصادية- أصعب كثيرًا على الولايات المتحدة للوقوف في وجه الإرهاب العالمي."[59]

وبالنسبة للصهيونيين المسيحيين من أمثال جيري فالويل ومايك إيفانز، فإن الولايات المتحدة الأمريكية تُعتبر المُخلِّص الأكبر، فقوتها العالمية قد تم التنبؤ بها في الكتب المقدسة[60] وتم تعيينها بالعناية الإلهية.[61] ويُحذر النقاد من مغبة هذا المنطق بسبب "رؤيته الإزدواجية للسياسة العالمية، الأمر الذي يضع الولايات المتحدة وإسرائيل معًا ضد العالم الشرير أجمع."[62]

(٦-٢) الكراهية الشديدة للعرب

لأن الصهيونيين المسيحيين هم محبو إسرائيل، لذا فهم لا يُظهرون غالبًا أية مشاعر تجاه العرب، حقًا إن كراهيتهم الشديدة للعرب هي في الغالب تمثل قدرًا معكوسًا من حبهم لإسرائيل. لذا فإن الإجحافات الموجهة ضد العرب والصور النمطية الاستشراقية هي أمر

[58] Cited in Halsell, Forcing, op.cit., p100.
[59] Mike Evans, Israel, America's Key to Survival, (Plainfield, New Jersey, Haven Books, 1980), back page.
[60] Noah Hutchings, U.S. in Prophecy, (Oklahoma City, Hearthstone Publishing, 2000); Arno Froese, Terror in America, Understanding the Tragedy, (West Columbia, Olive Press, 2001); Mark Hitchcock, Is America in Prophecy? (Portland, Oregon, Multnomah, 2002); Hal Lindsey, Where is America in Prophecy? video (Murrieta, California, Hal Lindsey Ministries, 2001).
[61] Michael Lienesch, Redeeming America: Piety and Politics in the New Christian Right, (Chapel Hill, North Carolina, University of North Carolina, 1993), p197.
[62] Rosemary Ruether & Herman J. Ruether, The Wrath of Jonah, The Crisis of Religious Nationalism in the Israeli-Palestinian Conflict, (San Francisco, Harper, 1989), p176.

مألوف في كتابات هؤلاء".[63] فمن وجهة نظر أي مستشرق، يُرى العالم الغربي باعتباره ليبراليًا ومليئا بالسلام والعقلانية وقادرًا على تبني قيمًا حقيقية، بينما الشرق الأوسط هو على العكس من ذلك كله.

يوضح "رامون بينيت" كيف أن التحيزات ضد العالم العربي أصبحت أمرًا شائعًا في عالمنا اليوم حيث توصف الأمم العربية الحديثة بـ"الهمجية".[64] "إن عادات الكرم والسخاء وحسن الضيافة لدى العرب لم تتغير كثيرًا في الأربعة آلاف سنة الماضية، كما يدعي "وكذلك لم تتغير عادات السرقة والإغارة وحفظ ماء الوجه أو الوحشية".[65] وفي إشارة لـ"جون لافين"، يقول "بينيت" بأن العربي "في أغلب الأحوال ليس شريرًا ولا مستغلا ولكنه كاذب بالفطرة".[66] وقد أبدى "فرانكلين جراهام" (رئيس الهيئة التبشيرية لبيلي جراهام) ملاحظات مشابهة مفضوحة في حديث لإحدى الصحف الأمريكية في عام ٢٠٠٠ بقوله: "لن يكون العرب سعداء إلا عندما يفنى كل اليهود، إنهم يكرهون دولة إسرائيل، وجميعهم يكرهون اليهود. إن الرب أعطى الأرض لليهود، ولن يقبل العرب بهذا الواقع أبدًا".[67] ويلاحظ "مايكل ليند" أنه في حين أن معاداة السامية هي أمر محظور (Taboo) في الولايات المتحدة الأمريكية، فإن "عدم التسامح والتمييز ضد العرب يكاد لا يكون محظورًا".

(٦,٣) تبرير التطهير العرقي للفلسطينيين

أبدى "ديك أرمي"، وهو سيناتور جمهوري قيادي سابق، تصريحات غير مسبوقة بتبريره التطهير العرقي للفلسطينيين من الأراضي المحتلة. وفي لقاء مع "كريش ماثيو" على قناة CNBC في ١ مايو ٢٠٠٢، صرح "أرمي" بأن:

"معظم الأشخاص الذين يقطنون إسرائيل اليوم تم نقلهم من جميع أنحاء العالم إلى تلك الأرض التي جعلوها موطنهم. يمكن للفلسطينيين أن يقوموا بالمثل، ونحن راضين تمامًا على العمل مع الفلسطينيين في هذا الشأن. ولسنا على استعداد للتضحية بإسرائيل من أجل فكرة وطن فلسطيني. أنا راض عن احتلال إسرائيل للضفة الغربية بأكملها. هناك أقطار عربية

---

63 Edward Said, Orientalism, (New York, Vintage, 1978); Ramon Bennett, Philistine, The Great Deception, (Jerusalem, Arm of Salvation, 1995).
64 Bennett op.cit., p23.
65 Ibid. p21.
66 Ibid. p23; John Laffin, The Arab Mind, (London, Cassell, 1975), p70.
67 Charlotte Observer, 16th October (2000).

كثيرة لديها مئات وآلاف المساحات من الأراضي والتربة والأملاك والفرص العديدة لخلق دولة فلسطينية". [٦٨]

أعطى "ماثيو" لـ"أرمي" فرصًا عديدة لتوضيح ما إذا كان يدافع عن التطهير العرقي لكل الفلسطينيين من الضفة الغربية، لكن "أرمي" لم يبد تردّدًا حين سأله ماثيو: "هل سبق أن أخبرت جورج بوش، الرئيس القادم من ولايتك تكساس، أنك ترى الحل يكمن في أن يرحل الفلسطينيون ويتركوا فلسطين؟". ورد أرمي بقوله: "أنا على الأرجح أقول له هذا الأمر الآن... أنا أقبل تمامًا أن تقوم إسرائيل باحتلال تلك الأرض وأن ينسحب هؤلاء الناس الذين يعتدون على إسرائيل إلى مكان آخر" [٦٩].

إن وجهة نظر "أرمي" في إقصاء الفلسطينيين هي أحدث الرؤى المتتابعة في سلسلة من الدعوات التي تظهر في الإعلام الأمريكي والبريطاني الرئيسي والتي تنادي بالتطهير العرقي للفلسطينيين من الأراضي المحتلة. [٧٠]

(٦,٤) معارضة عملية السلام

بينما يعترف الصهيونيون المسيحيون دومًا بحق إسرائيل أحادي الجانب الذي تدعيه في الأراضي المحتلة، نجدهم يعارضون تطلعات الفلسطينيين المشابهة في تقرير المصير وذلك لأنهم يعتقدون أن هذين المطلبين غير متطابقين جوهريًا.

يرى العديد من الأشخاص إتفاقيات السلام باعتبارها خيانة لإرادة الرب للشعب اليهودي. "إن السلام... هو أمر زائف وهناك من يؤمنون بأن جذوره شريرة" [٧١]. يشترك

---

68 Dick Armey, 'Hardball with Chris Matthews', CNBC, 1st May (2002), cited in 'Republican Party Leader calls for Ethnic Cleansing of Palestinians on Prime Time Talk Show' The Electronic Intifada,
http://electronicintifada.net/actionitems/020502dickarmey.html
See also 'Rep. Dick Armey calls for Ethnic Cleansing of Palestinians' Counterpunch edited by Alexander Cockburn and Jeffrey St. Clair,
http://www.counterpunch.org/armey0502.html. Dick Armey and his family are members of Lewisville Bible Church, Lewisville, Texas.

69 Ibid.

70 Charles Krauthammer, 'Mideast Violence: The Only Way Out', Washington Post, 15 May (2001); Emmanuel A. Winston writing in USA Today called for the 'resettling the Palestinians in Jordan' USA Today, 22 February (2002); John Derbyshire, 'Why don't I care about the Palestinians?', National Review, 9 May (2002); Clarence Wagner, 'Apples for Apples, Osama Bin Laden and Yasser Arafat', Dispatch from Jerusalem, May (2002), p1, 6, 17.

"كلارينس فاجنر" من مؤسسة "جسور للسلام" في هذه الرؤية؛ فهو يرفض تمامًا فكرة مفاوضات السلام:

"نحن بحاجة لتشجيع الآخرين لتفهم خطط الرب، وليس الخطط البشرية للأمم المتحدة، أو الولايات المتحدة الأمريكية، أو التجمع الاقتصادي الأوروبي، أو أوسلو، أو واى، إلخ. إن الرب لن يساندنا في أي خطة لهدم المدينة القديمة أورشليم، بما فيها منطقة الهيكل وجبل الزيتون، أو إعطائها للمسلمين. إن المسيح لن يعود إلى المدينة المسلمة المسماة "القدس"، ولكنه سيعود إلى المدينة المستعادة والتي أعيد تجميعها من اليهود "أورشليم"".[٧٢]

إن محادثات السلام هي بهذا الشكل ليست فقط مضيعة للوقت، ولكنها تُظهر على أحسن تقدير نقص في الإيمان بالفكرة، وعلى أسوأ تقدير تحدي ثائر من أجل تنفيذ خطط الرب.

(٦,٥) لوي يد الرب

غالبًا ما يحاول الصهيونيون المسيحيون إسكات النقاد باستخدام التهديد بالعقاب الإلهي. فمثلاً في طبعة ١ يناير ٢٠٠٢ من مجلة "نادي ٧٠٠" CBN 700 Club، حذّر "بات روبرتسون" من أنه إذا "أرادت الولايات المتحدة أن تتدخل في نبوءات الكتاب المقدس، وأن تمضي قدمًا في انتزاع القدس الشرقية من اليهود وإعطائها لياسر عرفات... الويل لنا إذا لم تساعدنا السماء... ولو انتزعت الولايات المتحدة القدس الشرقية وجعلتها عاصمة الدولة الفلسطينية، نكون بهذا نستدعي غضب الرب علينا"[٧٣].

هذه التصريحات الآتية من قادة مسيحيين مؤثّرين تبدو مشابهة للتصريحات الصادرة عن أصوليين مسلمين والتي ينادوا من خلالها لشن "حرب مقدسة" على العالم الغربي. ولا يكمن خطر هذا اللاهوت في حتميته فقط، ولكن في انتشاره لدرجة كبيرة.[٧٤]

[71] Walter Riggans, 'The Messianic Community and the Hand Shake' Shalom, 1, (1995), including a quote from Benjamin Berger, elder at Kehilat HaMashiach, Jerusalem.
[72] Wagner, 'Driving', op.cit., p9.
[73] Howard Mortman, 'Don't ignore Pat Robertson', The Frontline, 7 January (2002). http://www.hotlinescoop.com/web/content/columns/extrememortman/020107.htm
[74] Dave MacPherson, cited in Halsell, Forcing, op.cit., p10.

إن "كارين أرمسترونج" لينيت الوحيدة التي تعقبت جذور الصهيونية المسيحية الغربية في إرث الحروب الصليبية، هؤلاء الأصوليون –وفقًا لها– ''عادوا إلى الصليبية التقليدية الدينية المتطرفة''[٧٥]

الخلاصة..

رأينا أن للصهيونية المسيحية كحركة عواقب سياسية عميقة ودائمة. كما ذكر من قبل، فإن التداعيات الكلية لهذا التأييد المطلق لدولة إسرائيل هي أمر مدمر مرضيًا وجوهريًا لكل من مستقبل إسرائيل ولأمن الولايات المتحدة والعالم الغربي.

السؤال الذي يجب على الصهيونيين المسيحيين الإجابة عليه هو: "ما هو الفارق الذي أحدثه كون مملكة الرب القادمة مُمثلة في شخص يسوع المسيح بالنسبة للطموحات والتطلعات اليهودية التقليدية فيما يتعلق بالأرض والشعب؟"[٧٦]

يبلور "كلارينس بيز" هذا الأمر في سلسلة من الأسئلة المحددة، فيقول:

''من المشروع أن أتساءل حول ما إذا كانت التشريعات ليست موجهة من الميثاق الإبراهيمي بقدر ما هي موجهة من الصليب، هل اهتمامها يتمركز حول المملكة اليهودية أكثر من تمركزها حول جسد المسيح؟ هل تُفسر تلك التشريعات العهد الجديد على ضوء نبوءات العهد القديم بدلاً من تفسير تلك النبوءات على ضوء الوحي الأكثر تكاملاً للعهد الجديد؟''[٧٧]

يبدو أن الصهيونيين المسيحيين مؤمنين بأن عودة يسوع المسيح لن تُحدث تغييراً للطموحات القومية المتعلقة بالأرض ليهودية القرن الأول الميلادي. وكنتيجة لذلك، اعتبر مجلس كنائس الشرق الأوسط (MECC) –الذي يُمثل الكنائس المحلية والشرقية القديمة– الصهيونية المسيحية كهرطقة منحرفة. وأكدوا –على سبيل المثال– أن الصهيونية المسيحية

---

[75] Karen Armstrong, Holy War, The Crusades and Their Impact on Today's World, (London, Macmillan, 1988), p377.

[76] Colin Chapman, 'Ten questions for a theology of the land', in The Land of Promise, edited by Philip Johnston and Peter Walker, (Downers Grove, Illinois, InterVarsity Press, 2000), pp172-187.

[77] Clarence Bass, Backgrounds to Dispensationalism, (Grand Rapids, Michigan, Eerdmans, 1960), p151.

فرضت بشكل عدواني تعبيرًا شاذا عن العقيدة المسيحية وتفسيرًا مغلوطًا للكتاب المقدس يخضع للأجندة السياسية للدولة إسرائيل. وهم يدعون أن الحركة تمثل منحى لـ:

"فرض النموذج الصهيوني الثيوقراطي القومي المتمركز حول الذات على الشرق الأوسط.. (ورفض).. حركة الوحدة المسيحية والتفاهم بين الديانات الذي تدعو إليه الكنائس المحلية في الإقليم. إن برنامج الصهيونية المسيحية، بتدعيمه للصهيونية السياسية الحديثة، يزود المسيحي برؤية للعالم يعرف فيها الإنجيل على أنه أيديولوجية للنجاح والعسكرة. وهو بذلك يجعل التركيز على الأحداث المؤدية لنهاية التاريخ بدلاً من الاقتداء بحب المسيح والعدالة في هذه الحياة الآن". [٧٨]

في صورها السياسية، وخاصة تلك المتعلقة بسفر الرؤيا، فإن الصهيونية المسيحية تشوه الكتاب المقدس وتهمش من دور عالمية الرسالة المسيحية من الرحمة الإلهية المتساوية والعدل للجميع. يلخص الأنبا كينيث كراج "Kenneth Cragg" تداعيات الإقصاء العرقي الكامن في الصهيونية المسيحية بقوله:

"لقد كان مُقدرًا اختيار الرب لليهود، وإعطائه إياهم تلك الأرض كمنحة إلهية. هذه الأوامر لا يمكن التشكيك فيها أو مقاومتها؛ فهي حتمية. تأتي هذه الأحكام المعصومة من الخطأ من قبل مسيحيين كتابيين يؤمنون بأنه من غير الممكن أن تخطأ إسرائيل، ولهذا فهي محصنة. ولكن هل من الممكن أن تكون تلك الوضعية، وهذه الحتمية التي لا تقبل التساؤل، متسقة مع نزاهة ومصداقية الرسل أنفسهم؟ بالتأكيد لا يمكن أن تتعادل تلك الرؤية مع النظرة المتساوية للبشر تحت الحكم الإلهي، وهذا هو محور إيمان العهد الجديد، ولا يمكن كذلك أن تكون متوافقة مع المطالب الأخلاقية المحورية للقانون والانتخاب على حد سواء". [٧٩]

هذه التأويلات الحرفية تمنع وجود أي احتمالات لقراءة مغايرة للكتاب المقدس أو للتاريخ أو لنتيجة عادلة ودائمة لمفاوضات السلام في الشرق الأوسط. وبدلاً من ذلك، فإن

---

[78] MECC, What is Western Fundamentalist Christian Zionism? (Limassol, Cyprus, Middle East Council of Churches, 1988), p13.

[79] Kenneth Cragg, The Arab Christian A History in the Middle East. (London, Mowbray, 1992), p238.

الصهيونية المسيحية تُبدي تسامحًا غير مقيد لليهودية الحاخامية ولتبني أفكار اليمين السياسي الإسرائيلي.

وفي ذات الوقت، تُظهر الصهيونية المسيحية نقصًا غير مبرر للتعاطف مع المأساة الفلسطينية ولنكبة المجتمع المسيحي المحلي. وبهذا –سواء عن قصد أو عن غير قصد– فإنها تُكسِب هذا القمع باسم الرب شرعية، وفي نفس الوقت تجعل الشعب اليهودي ملتزمًا بمستقبل مرتبط بسفر الرؤيا أكثر سوءًا وفظاعة من المحرقة ذاتها.

لكن مثل أبناء إسحق (يعقوب وعيسو)، فإنه قد حان الوقت للتوقف عن الصراع حول حق الميلاد والبدء في التشارك في الخيرات.[80]

لقد كتب "جاريث هيويت Gareth Hewitt" العديد من الأغاني حول نكبة المجتمع المسيحي في إسرائيل وفلسطين. إحدى هذه الأغاني مبنية على بعض الآيات من التلمود اليهودي تدعى "عشرة مقاييس للجمال منحها الرب للعالم". أود أن أختم كلماتي بها كدعاء:

لتسقط عدالة الرب على الأرض كالنار..
ولتمنح الفلسطينيين أرضًا ووطنًا..
لتسقط رحمة الرب كالأمطار..
وتحمي الشعب اليهودي..
ولتكن عينا الإله القدوس الجميلتان..
اللتان تبكيان من أجل أولاده..
بمثابة الأمل الشافي لأبنائه المجروحين..
اليهود والفلسطينيين....

[80] Yehezkel Landau. An illustration given at St George's, Jerusalem, December 1998.

المناقشات

أ.د. نادية مصطفى:

أشكر الدكتور ستيفن سايزر على هذه المحاضرة الهامة، واعتقد أنها تنقسم إلى ثلاثة أجزاء أساسية: الجزء الأول هو جزء سياسي تاريخي استعرض فيه تطور بداية الفكرة ابتداءً من نابليون وانتقالها إلى بريطانيا مستعرضًا أسس هذا التطور خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وصولاً إلى وعد بلفور حيث أن الاعتقاد الشائع هو أن وعد بلفور هو البداية، ولكنه خاتمة المطاف لتطورات سبقته كثيرًا.

النقطة الثانية التي تناولها، استعرض فيها الحروب التي قامت بعد تكوين إسرائيل وعلى نحو أضحى فيه الطريق واضحًا أمام بروز الصهيونية المسيحية بعد حرب ١٩٦٧ بصفة خاصة، واستعرض التعاطف مع هذه الحركة أو أفكارها ابتداءً من الرئيس كارتر ورونالد ريجان وصولاً إلى بوش، وموضحًا رموز هذه الحركة أو الفكرة من أمثال جيري فالويل وروبرتسون ورالف ريد.

ثم انتقل في جزء ثالث –وهام جدًا– مبينًا العواقب السياسية الناجمة عن اعتناق هذا الفكر لاهوتيًا وتناول عدة نقاط منها: كيفية مساندة إسرائيل ومساندة الاستيطان، ومساندة العودة لكل اليهود، والعمل الداخلي السياسي في الولايات المتحدة لتعبئة المساندة والتمويل لإسرائيل وتبرير الجدار العازل، والعمل من أجل الاعتراف الدولي بالقدس عاصمة لإسرائيل، ومعارضة عملية السلام، والعداء للعرب ورفض وجود دولة فلسطينية إلى جانب دولة يهودية.

ثم جاء الجزء الرابع والأخير من المحاضرة التي قدمها د.سايزر مبينًا جهود مسيحية إسلامية، وأحيانًا تشمل بعض اليهود، في حوارات على أرض فلسطين وفي القدس وبمساندة من مجلس كنائس الشرق الأوسط في إصدار بيان سنة ١٩٨٨ –تجدد سنة ٢٠٠٤– لإدانة الصهيونية المسيحية، واستمرار الحوار مع المسيحيين الفلسطينيين بكنائسهم المختلفة لإصدار بيان آخر حول هذه الإدانة بالتركيز على الدلالات السياسية لرفض هذا التفسير اللاهوتي.

في الواقع، اعتقد أن هذه المحاضرة ترجع أهميتها لاعتبارين؛ أنها موثقة توثيقًا هامًا جدًا عن أقوال وأفعال وتصريحات وبيانات تقدم أدلة علي النقاط التي قدمها وعرضها د.سايزر، ومن ثم فإن الموضوع كما قُدِّم على هذا النحو الموثق، يطرح في الذهن أكثر من سؤال؛ أولها، أنه ربما مؤخرًا بدأ في بعض أوساطنا الفكرية والبحثية، بل والسياسية، الاهتمام بالأبعاد الدينية لتفسير الصراع العربي الإسرائيلي والتحالف الأمريكي الإسرائيلي، بعد أن كان هناك اتجاه سائد وربما مازال حتى الآن يركز على الأبعاد السياسية ويكيف أن إسرائيل منشأها هو عملية ناتجة عن الإمبريالية العالمية فقط، ومن ثم، لابد أن نضيف الشعور على أهمية التعرف على هذه الأبعاد الدينية التي تفسر الصراع العربي الإسرائيلي من جانب الرؤية المسيحية الصهيونية وهذا التحالف القوي جدًا بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية على نحو يدفعنا لنتسائل: ما مآل إيجاد تسوية للصراع العربي الإسرائيلي وهذا هو الوضع الآن؟ إذا حقيقةً الصهيونية المسيحية أو الصهيونيون المسيحيون في الولايات المتحدة أو في غيرها عددهم قليل، وإن كانوا هم أصحاب النفوذ والمتسلطين سياسيًا وإعلاميًا واقتصاديًا، فما مآل كل ما يجري حتى الآن وكيف يمكن إيجاد حل عادل لمشكلة الفلسطينيين في ظل هذا الوجود الإسرائيلي المتمكن؟

هذه أسئلة، وربما توجد أسئلة أخرى تثور في الذهن، ولكن أتوقف عند هذا الأمر وأفتح الباب للنقاش.

تعقيب الدكتور القمص رفائيل فريد واصف (كاهن بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية)

لدي تساؤلين جوهريين أود أن أدخل في تفاصيلهما في هذا المقال؛ أولهما سياسي والآخر لاهوتي:

فالسياسي يتلخص في، كيف نرى نحن المسيحيون الموقف بين إسرائيل وفلسطين اليوم، حيث يدعي كل منهما حق ملكية الأرض؟ وهل إسرائيل دولة عنصرية؟ وهل للفلسطينيين كل الحرية المعطاة لهم ولكل شعوب الأرض بمقتضى الإعلان العالمي لحقوق الإنسان؟ أي لهم حق العيش، ولهم حق حرية الحركة والعمل والتعليم وممارسة أمور دينهم،

وبالاختصار حقهم في إقامة دولة وطنية لها حدود آمنة، يحكمونها ذاتيًا، ولهم حقوق سياسية؟ هذا بالحقيقة سؤالاً محوريًا.

والسؤال اللاهوتي يتعلق بـــ: هل الوجود الإسرائيلي وملكية الأرض ووجود الدولة، له أي علاقة بتحقيق النبوءة الكتابية ضمن أهداف الرب؟ أو هل لابد علينا أن نؤمن هذا المفهوم بمعنى أن الأرض التي أشار إليها الكتاب المقدس، قد تم تحقيق نبوءتها في يسوع المسيح؟ وهل لدينا أسبابًا كتابية ولاهوتية تعطي لها كل قلوبنا لنؤيد وجهة النظر الصهيونية؟ أو هل نجد في الكتاب المقدس أساسًا لننتقد أو نرفض هذا المنطق ونعتبره هرطقة؟

وهل سنؤسس ردنا ضد المسيحية الصهيونية على سبعة افتراضات مأخوذة من الكتاب المقدس، كل واحدة منهم من الممكن أن تكون وحدها ردًا شافيا، ولكن أيضًا بقية النقاط ستؤيد الحول منطقيًا مع مسيرة الكتاب المقدس وسفر الرؤيا؟

أظن أن المسيحية الصهيونية، قد أخطأت في فهم العلاقة بين العهدين القديم والجديد، إنه من المفترض أساسًا أن نقرأ الكتاب المقدس بعين مسيحية، ونترجم العهد القديم في ضوء العهد الجديد، وليس العكس، وهنا بعض آيات الكتاب التي تساعدنا في فهم العهد القديم: (كولوسي ٢: ١٦-١٧)، (العبرانيين ٨: ٦-١٣، ١٠: ١)

ومن مفهومها جميعًا، نجد أن رؤى العهد القديم جاءت من الله في صورة "ظلال، وصورة، وشكل ونبوة"، أما في العهد الجديد، فجاءت حقائق وقد تحققت بالفعل في شخص الرب يسوع، بمعنى علينا أن نفهم آيات العهد القديم كظلال، والعهد الجديد كحقائق؛ فمثلاً في العهد القديم هناك ذبائح حيوانية وأطعمة، ولم تكن لتغفر الخطايا، ولكنها كانت ظلاً للأمور العتيدة، للذبيحة التي بلا خطية، لابن الله، وما كانت إلا رمزًا لجسد المسيح في العهد الجديد.

وهناك خيمة الاجتماع المنقولة من مكان لآخر تقابل، كظل ورمز، للتجسد الإلهي في شخص المسيح.

وفي تجول بني إسرائيل في البرية، تحت الرعاية الإلهية الكاملة من إطعام بالمن وارتواء بماء من الصخرة، وشفاء بالنظر إلى الحية المعلقة على سارٍ، ما كانت كل هذه، إلا ظلاً ورمزًا لعمل المسيح الكفاري.

ونفس المنطق ينطبق على الوعد بالأرض، فما كانت إلا ظلاً ونبوة، ليست لشعب صغير بعينه هو اليهود، ولكن للعالم أجمع، وظهر ذلك كاملاً ونهائياً في المسيح يسوع، وتؤكد الرسالة إلى العبرانيين هذه الحقيقة بالقول: "الله كلم قديمًا الآباء بالأنبياء، في أزمنة وبطرق شتى، ولكنه كلمنا فى الأيام الأخيرة في ابنه..(عب ١:١-٢)

ثانيـــاً : معنى الوعد لإبراهيم:

يجب أن نضع فى اعتبارنا، ليس الوعد هو ما في (تك ١٢)، ولكن الوعد هو المعطى لآدم في (تك ٢)، فالوعد بدأ مع خلق الله جنة عدن، حيث يحض الناس على البركات الإلهية والعشرة معه، لنوالها، وهنا بداية الأرض الموعودة في الكتاب المقدس. هذه الأرض ضاعت بالسقوط، ولكن انعكست صورتها فى الوعد لأبونا إبراهيم (تك ١٢:١ ،١٨:١٥).

ووعد الله لإبراهيم بالأرض من النيل إلى الفرات، قد تم تحقيقه بالفعل لإسماعيل وأبنائه، الذين امتد وجودهم إلى سائر الشرق الأوسط، ولم يكن إسماعيل ولا إسحاق قد ولدا بعد، عندما أعطى الله ابراهيم الوعد، وفي (تك ١٧: ١-٨) تكرر الوعد.

وقد أعطى الوعد بالأرض ثانية لموسى النبى، أرضًا تفيض لبنًا وعسلاً (خر ٣:٨) ولم تكن تلك تفيض لبنًا وعسلاً، بالمعنى الحرفي، بل تعني بالأحرى العودة لتلك الأرض المفقودة، ومنذ اللحظة الأولى للكتاب المقدس في العهد القديم، فإن الرجوع للأرض لابد أن يأتي اليوم الذي يتحقق فيه، الوعد، بالعودة إلى السماء، فليست الأرض في العهد القديم هدفاً في ذاتها. وما ينطبق على الأرض الموعود بها، ينطبق على خيمة الاجتماع مكان العبادة في العهد القديم، فلم يكن لها في خطة الخلاص الإلهي للبشر، موضع معين، فالجميع مدعوون للخلاص، إنما تشير إلى المسيح الذي يجول وسط شعبه في تجسده، وبروحه القدوس في كل العالم بعد يوم الخمسين، فأبونا إبراهيم أخذ الوعد بالخلاص ولكنه لم يمتلكه، إذ أن الوعد سيتحقق فى الجنة، وهكذا الوعد، لم يكن التملك الدائم له في الشرق الأوسط، ففي عبرانيين ١١، قيل "أنه كان ينظر إلى المدينة العتيدة التي أقامها الله" (عب ١١:١٠-١٦).

شيء آخر لابد ذكره عن الأرض الموعودة في التوراة، فالأرض لم تكن تخص الإسرائيليين في حد ذاتهم، ولكنها تخص الله، فالأرض لا تباع ولا تشتري، ولا تُعطى للأبد، فالأرض ليست تحت تصرف إسرائيل لأغراضها الشخصية، بل إسرائيل هي التي كانت تحت

الأمر الإلهي، وما اليهود إلا مستأجرين لتلك الأرض (لا ٢٣ :٢٥)، وقد نقل الرب ملكيتها بل استئجارها إلى إسرائيل الجديدة والشعب الذي آمن به رباً ومخلصًا..!! ثم وهناك شروط للوعد الإلهي المقدم لإبراهيم، كلها تكمل بعضها:

أولها، أن الله بارك كل الأمم وكل الشعوب. ثانيًا، أدخلهم في عهد علاقة قرابة معه، وفيه، ثالثًا، لا ذكر ولا أنثى، لا يهودي ولا يوناني، إنهم جميعًا أعضاء في أمة واحدة مقدسة، وإذا كان الأمر كذلك، فكيف نضع موضوع الأرض في اتجاه آخر؟ فلا يضلكم قوم يقولون أن الله أعطى الوعد لإبراهيم، وعدًا أبديـــًا معتمدين فقط على القراءة الحرفية للنص، فهو في حد ذاته سلاح ذو حدين. ففي أخبار الأيام الأولى ٢ : ١٥ مثلاً، أصر داود على أن يحمل الأويين فقط تابوت العهد والخدمة أمامه للأبد، هل هذا الأمر تحقق حرفيًا على الأرض، أم تحقق في المسيح؟ وفي ١٣ :٢١ وعد الرب هارون بكهنوت دائم إلى الأبد، هل هذا تحقق حرفيًا، أم في المسيح والكنيسة؟ وفي ٧ : ٣٣ قال الرب إنه وضع اسمه في هيكل أورشليم للأبد، هل تحقق هذا، أم فقط في المسيح والكنيسة؟ وفي ٢٥ :٢٣ وعد بأنه سيأتي ويسكن في أورشليم للأبد، هل تحقق هذا حرفيًا الآن على الأرض أم في المسيح والكنيسة؟ أيضاً في صم٢ (٧: ١٢ –١٦) وعد الرب أن يجلس نسل داود على عرشه إلى الأبد، هل تحقق ذلك حرفيًا أم في المسيح والكنيسة؟

هذا علمًا بأن الله قد أعطى الوعد أيضًا ليشوع بأن يمتلك كل الأرض من النيل للفرات، هل امتلك اليهود يومًا كل الأرض"؟ (يش ٢٣ :١١)، مع أنه قد قيل "ليس وعد من وعود الله لبيت إسرائيل لم يتحقق، بمعنى أن كل الوعود قد تحققت"!! ونفس الشئ في نحميا (٢٢ : ٩–٢٣)، فلو قلنا الآن أن الوعد لإسرائيل، وقد تحققت كل الوعود، فإن ذلك سيناقض للوعد في العهد القديم كما أيضًا في العهد الجديد فكل الشروط للوعد لإبراهيم تكون كمًا متكاملاً قد تحققت فى المسيح!

ثالثًا: الوعد بالسبي والعودة:

لم يتحقق مطلقًا الوعد بالعودة للأرض، وظلت تلك موضع صراع وتنافس في أواخر أيامه، وقد حطم الوعد بأن استحضر آلهة غريبة وأقام لها هياكل للعبادة لزوجاته الأجنبيات وترك الحرية لكهنة الأوثان. وفي عصره أرسل الرب جنود الأعداء فطردوا الشعب الذين

نجسوا المكان، والوعد الذي أعطي لموسى والأنبياء قد تحقق بسبي الشعب وطرده من الأرض التي وعد الله بها لآبائهم، وكانت أورشليم فقط هي الآمنة من جيوش الأعداء، طالما كان مجد الشاكيناه يسكن في وسطها. وهذا ما رآه حزقيال، إذ رأي رحيل مجد الرب من المدينة، وبمجرد أن ترك الشاكيناه أورشليم صارت كأي مدينة أخرى، ولم تعد تلك المدينة المقدسة التي تحت الحماية الإلهية، ومع هذا لم ينته تاريخ اليهود في العهد القديم بالسبي، فقد عادوا فقط إلى قطعة صغيرة من الأرض الأصلية وبنوا معبدًا صغيرًا في هيكل سليمان، ولم ييأس الأنبياء من عمل الرب الخلاصي، فقد رسموا صورة للعودة، فقد أعطانا كل من حجى وزكريا صورة لما سيحدث لشعب الله، صورة تحطم كل أشكال ظل الوعد في العهد القديم، فقد قال حزقيال أن أورشليم ستكون مدينة بلا أسوار، بل تحطيها نار ويسكنها الغرباء، وسيعاد البناء فيها عظم من هيكل سليمان (حجى ٢ : ٩).

كل هذا يلغي فكرة الوعد بالأرض، وقد تحقق ذلك بوضوح في العهد الجديد عندما دعا المسيح له المجد الأسمرية وشعب الأرض ليعبدوا الله ليس في أورشليم ولا السامرة ولكن في كل الأرض لأن مجد الرب لكل أبناء الله.

وبالتالي أصبحت أورشليم السمائية وليست الأرضية هي أم الجميع (غلا ٤: ٢٦، ١٢: ٢٢)، إذ أصبح كل واحد من أبناء الله هيكلاً يسكن مجد الله في داخله.

أما إذا ما قلنا أن مجد الله سيعود لقطعة من الأرض، فما ذلك إلا شق جديد لحجاب الهيكل وعودة من العهد الجديد إلى العهد القديم، إذ أن ذلك سيلغي عمل المسيح الكفاري.

رابعًا: متطلبات العهد الإلهية:

هناك حقيقة أساسية وهي أن الوعد بالأرض لم يكن حقًا غير مشروط، بل عطية مجانية مشروطة..

فأثناء التجوال في البرية، أعد الله الشعب بتلك الشروط (لا ١٨ : ٢٤-٢٨)، وعلى هذا الأساس فأي إدعاء بملكية الأرض يتحطم بالوضع الحالي سواء من ناحية السياسة العرقية لدولة إسرائيل أو الاضطهاد وما ذلك إلا ويشكل سببًا جديدًا، أكثر منه عودة (خر ٢٢ : ٢١-٢٢) و(لا ١٩ : ٣٣-٣٤)، وقصة الخروج تعيد تذكرة الشعب بالعبور والتحرر من الرغبة

في السيطرة والاضطهاد، وتشجيع اليهود ألا ييأسوا من الرحمة للأشرار، والثقة في وعود الرب أنهم سيرثون الأرض للإقامة عليها وليس للتملك فهي عطية إلهية بشروط ليست للأشرار ولا لغير المؤمنين من بني إسرائيل، ولكن فقط للأبرار والأمناء (أش ١: ٢٧)، (أر ٢٧)، (دا ٩: ١-١٩) (خر ٣٠: ١-٥)، وعلى هذا فالتوبة والاعتراف بيسوع المسيح المسيا المنتظر، هي الشرط الأساسي للعودة.

وليس لقيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ أي أساس كتابي، ولن يكون هناك عودة لأرض موعد إلا بالإيمان والطاعة لأوامر الله، والتأكيد على أن الأرض لإسرائيل دون ممارسة العدل والرحمة، سيكون ذلك مناقضًا لأساسيات النبوات وتاريخ الخلاص في الكتاب المقدس، خطاب إلى إيليا [illegible] مثالًا في حكومة إسرائيل اليوم.

خامسًا: الأرض التي عايشت تعاليم المسيح

لم يكن هناك موضع معين لقصر تعاليم المسيح عليه بل كان يجول يصنع خيرًا، لا في عصره، ولا في عصر رسله الكرام.

سادسًا: الأرض في تعاليم الرسل

قال لهم رب المجد قبل الصعود: "اذهبوا وأكرزوا لعالم أجمع" (مت ٢٨: ٢٨)، وقال لهم "لا تبرحوا أورشليم حتى تأخذوا قوة من الأعالي، حينئذ ستكونون لي شهودًا في أورشليم واليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض" (أع ١: ٧)، فطبيعة مملكة الرب ليست محددة باختيار أرض معينة، وامتداد ملكوت الله يتطلب التبني من الأرض، ثم العودة إلى أورشليم (السمائية) إلى الأبد.

لقد قال لتلاميذه "اذهبوا" ولم يقل لهم "ارجعوا" ولقد أوضح بطرس الرسول ميراث الأرض بوصفه ميراثًا "لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل" (١ بط ١: ٤)، وقد وعد بولس الرسول الأبناء بميراث الأرض في الكتاب المقدس إن هم "أطاعوا الآباء والأمهات"، بل ومن ناحية أخرى فإن قصر الأرض على مواضع معينة يناقض الكتاب المقدس لأن "للرب الأرض وملؤها والمسكونة وكل الساكنين فيها"، إذ بلغت حدودها أقصى المسكونة.

(إن هاجر تمثل أبناء العبودية وجبل سيناء، أما سارة فتمثل الوعد وأورشليم السمائية).

سابعًا: مستقبل الشعب اليهودي:

عدد بولس الرسول البركات التي منحها الرب لشعب إسرائيل، لهم التبني والمجد والوعد والشريعة والهيكل والمواعيد والآباء (رو ٩: ٤-٥)، ولكنه حذف أي طريق يوصل إلى "الأرض"، (رو٤ :١٣)، فأبناء إبراهيم لن يرثوا الأرض بل كل المسكونة، وفي الكتاب المقدس فإن أهل الأمم أيضًا لهم الميراث (أفس ٤:٣).

خاتمة:

١- تحقيق الوعد في العودة إلى أورشليم السمائية بفتح اليسوع أبواب الفردوس بعمله الخلاصي.

٢- علينا ألا نقرأ العهد الجديد بمنظور العهد القديم بل العكس هو الصحيح، فالمسيح قام وصعد وحل الروح القدس يوم الخمسين.

٣- الوعد بالأرض، هو للأرض المفقودة، بالخطية، فأرض الموعد ظل لأرض يسكن فيها البر.

٤- مثل بني إسرائيل والفلسطينيين، مثل أبناء أسحق، يعقوب وعيسو، لقد حان الأوان، لكل من اليهود والفلسطينيين، أن يوقفوا المصادمات والصراعات، على أحقية الأرض، ويبدأوا في التمتع بالاشتراك في خيراتها، فلن يعيش يعقوب آمنًا في غربته عن عيسو، ولا أيضًا عيسو في غربته عن يعقوب..!!

د. فيليب اسكاروس (الحزب العربي الناصري) :

أرحب باسم الحزب العربي الناصري بالدكتور سايزر. وأود القول أن الحزب العربي الناصري يرفض رفضًا شديدًا ويفند أي دعم للصهيونية خلال الدين، يرى حزبنا أن الصراع مع إسرائيل هو صراع وجود وليس صراع حدود. فالسياسة تفسد الدين، والدين يفسد السياسة.

استخدم د.سايزر المنهج التاريخي بشكل جيد مثل الدكتور المسيرى، واستخدم المنهج الثاني وهو الهيرمينوطيقا (التأويلية) والتي يستخدمها الدكتور/ محمود زقزوق والأب/ شنودة الثالث. وهذا المنهج عند دراسة الدين له ثلاثة شروط: الشرط الأول، يراعي السياق عند تفسير النص، الثاني أن يراعي الإطار الفكري للكتاب المقدس أو القرآن، الثالث يراعي الغايات النهائية للكتاب المقدس ككتاب للخلاص وليس كتاب علمي.

لكي نؤكد هذا المنهج، نلحظ أن كلمة "صهيون" مكررة في الكتاب المقدس ١٣٨ مرة، وهي لا تعني مكانًا جغرافيًا ولكنها رمز لأمر من ثلاثة أمور: العذراء أو السماء أو المذبح (المحراب/الهيكل) والمحراب أو الهيكل كلمة عبرية وليست عربية تعني السماء، فهذا هو معنى الصهيونية أو صهيون في الكتاب المقدس. معنى آخر أريد أن أوضحه، إن "هرمجدون" موجودة في آخر الكتاب المقدس وتعني رمز لصراع الخير والشر، وفي آخر الكتاب المقدس نجد الحديث عن انتصار الخير وهي فكرة الدراما، كل الدرامات التي تروها تمثل صراعًا بين الخير والشر، فهرمجدون هي رمز لهذا الصراع.

أ.عاصم شمس الدين:

لدي سؤال عن نابليون الذي قدمه الدكتور على أنه قبض على البابا في روما وقتل بعض الكهنة، ثم جاء مصر أثناء غزوها وادعى الإسلام ووعد اليهود. أظن أن ما فعله نابليون يخلو من أي بعد ديني وإنما مجرد مناورات سياسية.

تختلف العقيدة الإسلامية وعقيدة المسيحية الصهيونية بالمنظور الذي قدمه الدكتور سايزر، فالرؤية مختلفة. بالطبع، تختلف أحاديث آخر الزمان في صحيح مسلم وصحيح البخارى كليةً عن الرؤية التي عرضها. هل يجد هناك توفيق؟ وهل قرأ في هذا الموضوع؟ إن المسيح –عليه السلام– سينـــزل مسلمًا، في العقيدة الإسلامية، وسيدعو إلى الإسلام. في المسيحية، المنظور مختلف بالطبع، فهل عند الدكتور سايزر توفيق لهذه الرؤية؟

سؤالي الأخير: المجموعة التي عرضتها التي تقوم بدعم الفكر الصهيوني المسيحي، ما علاقتها بالمخدرات؟ هل يتعاطون المخدرات كثيرًا؟

أ. شادي عمر (صحفي):

أطلب مزيد من التفصيل عن المقصود بـــهرمجدون خاصةً من حيث أنها ستكون في مصر؟

القس الدكتور/ ستيفن سايزر:*

سوف أبدي بعض الملاحظات المختصرة حول الأسئلة والتعليقات التي وردتني، وأتفق مع كل الأساتذة والأفراد، وأصدقائنا الأقباط، أشكركم على كل هذه التعليقات.

** فيما يتعلق بالسؤال حول العراق: لا أرى العراق على قائمة اهتمامات أجندة الصهيونية المسيحية في حد ذاتها، وكذلك الأمر بالنسبة لسوريا وإيران، لأنها تعتبر خطرًا يهدد أمن إسرائيل، تلك هي رؤيتهم ولهذا فهم يشجعون الولايات المتحدة على مواجهة أعدائهم. وهذا الأمر يعمق الأمن الإسرائيلي من خلال تحييد أو تفريق أعدائها التقليديين. فعلى سبيل المثال، خلال هذا الأسبوع، قامت إسرائيل بالحديث عن انسحاب أحادي الجانب من مزارع شبعا، وعلى المرء أن يتساءل "لماذا قد تقوم بهذا؟" ومن المحتمل أن تكون تحاول بهذا زيادة التوتر بين لبنان وسوريا. ومن ثم، فهم لديهم نمط يسعون من خلاله إلى تفريق أعدائهم، لكن لا أرى العراق مذكورة في علم الأخرويات اللاهوتي (الاستخاتولوجيا).

** وبالنسبة لنابليون: أتفق مع المتحدث فيما ذكره عن نابليون، وأؤكد أن ما يهمني بالنسبة لنابليون هو ما يتعلق برؤية المسيحيين له في القرن التاسع عشر كرمز معادي للمسيح، وكيف كانت حملته السياسية وسياساته الخارجية محركة للدول الأوروبية الأخرى ليسيروا على نفس طريقه.

** بالنسبة للسؤال المتعلق باختلاف رؤية المسيحيين والمسلمين حول نهاية العالم، إجابتي هي: عندما يأتي المسيح سوف نعلم من منا على حق، وأنا أريد أن أكون ضمن فريق المرحبين به وليس المعجلين بنهاية العالم مثل الصهيونيين المسيحيين.

---

* نص الردود بعد تفريغها وترجمتها (وسام الضويني).

** فيما يتعلق بالمخدرات: لا أظن أن الصهيونيين المسيحيين يتعاطون المخدرات فعليًا، ولكن أرى أن المادية والجشع هما مكونان سامان في تفكيرهم، ويبدو أن هذا الأمر هو الدافع الأكبر لكل من التوسعات الإسرائيلية وتورط أمريكا في العراق.

أ. باسم سمير (مركز الأندلس) :

هناك أمور أصبحنا نعتاد عليها دومًا، ففي السابق كنا نذهل من مشاهد القتل اليومية في فلسطين والعراق، لكن فيما بعد تعودنا عليها وأصبح ما يروعنا هو عدد القتلى فقط! جئت المحاضرة وكان لدي تصور معين عن موضوع هذه المحاضرة؛ أنني سوف استمع إلى حديث عن الإمبريالية الصهيونية، ولم أكن أتخيل أن استمع إلى حديث على هذه الدرجة من الدقة ولا بهذا الوضوح.

الأمر الثاني، أرجو ألا يتم تفسير "الصهيونية المسيحية" باعتبارها مؤامرة على الإسلام، فهي، حسب ما استمعنا إليه من الدكتور سايزر، مؤامرة على الجميع، مؤامرة على الإنسان. نقطة أخرى، الفكرة التي قالها الدكتور/ فيليب عن انتصار الخير في النهاية، لا اعتقد أن الخير سينتصر في النهاية، استنادًا إلى الإحصاءات التي استمعنا إليها، فنجد لديهم أعداد كبيرة، ومنظمات، ووسائل إعلام، وسياسيين وجهود دول كاملة مجندة لهذا الهدف، لذا فلا اعتقد أن الخير سينتصر، فنحن لسنا في اليوتوبيا أو المدينة الفاضلة.

اعتقد أن هذه المحاضرة جاءت متأخرة جدًا عما يقع من أحداث في هذا الموضوع، نحن مازلنا نتحدث في أمور بالتسلسل التاريخي الذي تحدث به منذ ٣٠٠ – ٣٥٠ سنة، فاتمنى أن نستفيق ونبدأ في العمل بعيدًا عن عقلية المؤامرات.

السفير/ عصام الدين حواس (مندوب مصر في الأمم المتحدة سابقًا) :

أحب أن أشكر المحاضر الأستاذ الدكتور/ ستيفن سايزر على هذه المحاضرة القيمة جدًا والتي اعتبرها محايدة وموضوعية.

في الحقيقة، لدي ملاحظة على الطبعة العربية من الكتاب، فهي ينقصها صورة الدبابة، نجد في غلاف الطبعة الأصلية الإنجليزية الدبابة وهي لها معنى كبير جدًا حيث توصل الصهيونيين المسيحيين إلى هذا الجبل. من المهم أن تظهر هذه الدبابة في الطبعة العربية من

الكتاب بشكل ما، ووجود "خارطة الطريق" أيضًا في عنوان الكتاب، يمثل نوع من التهكم على خارطة الطريق التي أرادها "بوش" التي لن توصل لشيء، فأيضًا أرجو وضع "خريطة الطريق" بدلاً من "الطريق" في عنوان الكتاب.

أضم صوتي لمن تحدثوا عن التاريخ، وأقول أنه حان الوقت لتصحيح التاريخ. صدر وعد بلفور من وزير خارجية بريطانيا، لكن هذا الوعد في قرار عصبة الأمم سنة ١٩٢٢ كان مؤيــَّد من قبل الدول الكبرى كلها، وفي حين كان الانتداب دائمًا يُخصَص للرقي بالدول ومساعدتها على الاستقلال، ولكن هذا القرار بالذات صدر لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، فكان من الغريب جدًا أن يصدر عن عصبة الأمم مثل هذا القرار.

النقطة الثانية التي تحتاج لتوضيح هي مسألة أن اليهود رحلوا عن أوروبا لأن أوروبا كانت تريد التخلص من اليهود، وليس لأنها أرادت أن تساعدهم في الحصول على وطن قومي لهم، وكانوا مستعدين لإرسالهم إلى أي مكان آخر في العالم! لذا أرى أن هذه النقطة تحتاج منا إلى قدر من التركيز في حكم التاريخ. والآن، يأخذ اليهود قرارًا بتبرئتهم من دم السيد المسيح، نحن في حاجة إلى إنصاف تاريخي، يحتاج العرب لإنصاف تاريخي ولتخليصهم من الأفكار الدينية التي أتت بإسرائيل وهي أفكار استعمارية وليست دينية.

وأود توصيل رسالة إلى السيد توني بلير عن طريق السيد المحاضر: ما الذي ورط توني بلير في معتقدات ومخططات الصهيونية المسيحية، فكان حري به على الأقل أن يكفر عن سيئات السيد بلفور وزير الخارجية الإنجليزي ويقف موقفًا عادلاً من القضية.

أ. وفاء سعد :

أرحب بالدكتور/ ستيفن في مصر. بالنسبة لخارطة الطريق إلى هرمجدون، هي بالطبع سراب تستعمله إسرائيل، وهي عبارة عن اتفاق إسرائيل مع أربعة دول، وأنها خارطة طريق إلى السلام، ولكننا إلى الآن لم نر أي تنفيذ لها. فلابد أن تنفصل المسيحية عن الصهيونية، نحن نعترف بالمسيحية القديمة ولها مقدساتها، وقام الصهيونيون في إسرائيل بتدمير أجزاء كبيرة من كنيسة المهد واعتدوا عليها، كما يقوموا بالبكاء عند حائط المبكى مدعين أنه هيكل سليمان ومتخذين من ذلك ذريعة بأن لهم مكان مقدس في إسرائيل.

لقد ذكرت في البداية أن وعد بلفور كان أمل العرب، كيف يكون أمل العرب وهم يقولون أنه احتلال لأراضي فلسطينية "شعب بلا وطن ووطن بلا شعب".

بالنسبة للبيان الذي ذكرتموه، ما هو هذا البيان وما هو مضمونه؟ وهل نحن كمسلمين لابد أن نكون مع المسيحية نحميها من براثن الصهيونية في هذا البيان؟ وطبعًا إسرائيل –كما قال الدكتور عصام– أخذوا وعدًا من الفاتيكان سنة ١٩٦٢ ببراءهم من دم المسيح، ولم يبرءوا أنفسهم من دمه، في حين أنهم حتى الآن يأخذوا تعويضات عن الهولوكوست.

ما هو موقف الكنائس في أمريكا من هذه الاعتداءات وهذه المجازر التي تحدث في فلسطين؟ وماذا ستفعل الكنائس حيال ذلك؟

القس الدكتور/ ستيفن سايزر:

** لقد طرحتم قضية الضحايا الذين يسقطون في فلسطين، وأنا أشارككم الهموم التي تحملونها إزاء ما يحدث من قتل ومآسي خاصةً في غزة. أعتقد أن أحد العوامل التي تجعلني حزينًا جدًا حيالها هي أنه بسبب الصهيونية المسيحية، أصبح هناك انعدام للثقة في دور الأمم المتحدة والقانون الدولي، ولابد علينا أن نتمسك بالقانون الدولي كوسيلة لتشكيل العلاقات بين الدول القومية. وبدون ذلك، سوف ينتهي بنا الأمر إلى الفوضى السياسية وسوف يؤدي ذلك إلى سيطرة القوى الكبرى على الدول الأضعف والأقل شأنًا. لذا، يتحتم علينا أن نكون حاسمين تجاه التزامنا بالقانون الدولي والأمم المتحدة.

يوجد على موقعي (www.sizer.org) كل ما قدمته خلال محاضرتي اليوم، والمجال مفتوح أمام من يريد تطوير هذا الطرح.

** فيما يتعلق بغلاف النسخة العربية من الكتاب: هذه النسخة هي مقدمة في الصهيونية المسيحية، وهي متوافرة من خلال الفريق العربي للحوار الإسلامي–المسيحي. البروفيسور نيكولاس مراد من بيروت يقوم بترجمة الكتاب إلى العربية في الوقت الحالي، وسوف نأخذ تلك الملاحظات في الاعتبار عند اختيار التصميم المناسب للغلاف الخارجي.

** بالنسبة للبيان الذي قامت به الكنائس: من المبكر جدًا أن أخبركم عنه لأننا قد كتبناه ولكن مازال هناك المناقشات والتوقيعات، أعلم أن البطريركية اللاتينية، والأنبا اللوثري، والأنبا الأسقفي الأنجليكاني كلهم متحمسين حتى الآن، لكن لابد أن يجتمع رؤساء الكنائس والآباء البطاركة لمناقشة البيان وإيجاد موقف موحد حوله، وهذا يحتاج إلى مزيد من الوقت.

لكن يوجد اعتقاد متزايد في أن الصهيونية المسيحية تمثل خطرًا على الكنيسة المحلية وكذلك على الاستقرار في الشرق الأوسط، ولدي موقع إلكتروني يجمع العديد من الأبحاث التي كتبت في هذا الموضوع هو: (www.christianzionism.org)، أدعوكم جميعًا لتصفحه.

** جمعية "سبيل"، كما ذكرت من قبل، لديهم موقع إلكتروني وهو (www.sabeel.org) ولديهم معلومات نقدية بناءة حول العديد من الموضوعات التي تمس الكنيسة في فلسطين، وأحد هذه المبادرات التي قامت بها جمعية "سبيل" هي سحب الاستثمارات من الشركات الغربية التي تربح من وجود الاحتلال، ومن ذلك قيام الاتحادات العمالية والمنظمات غير الحكومية بالدعوة لمقاطعة هذه الاستثمارات. من خلال "سبيل"، نعمل في لندن، عن قرب، مع المسلمين واليهود في تكوين منظمة جديدة تسمى "المجموعة الدينية من أجل استثمار مسئول أخلاقيًّا" ومن خلالها نستهدف العديد من الشركات المتربحة من الاحتلال، وقد قمنا بإصدار قرارات من عدد من الهيئات الكنسية في الغرب لسحب الأموال من هذه الشركات، وبالطبع تواجهنا صعوبات عدة من الجماعات الصهيونية.

إذن، هذه تمثل إحدى الوسائل التي نسعى من خلالها للتأثير على الساسة الغربيين وعلى مسار عملية السلام.

أ. توفيق الشريف (المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة) :

أود أن أشكر الدكتور سايزر على تلك المحاضرة القيمة التي قدمها، ولي باعتباري رجل دين أن أوجه له بعض الأسئلة. فيما يتعلق بعودة المسيح: يعتقد اليهود أن المسيح الماضي كان كاذبًا وأنه رحل إلى غير رجعة، بينما المسيحيون يعتقدون بعودة المسيح؛ فأي مسيح هذا الذي سوف سيعود؟ وكيف اتفقوا على هذه العودة؟

ثانيًا: الإنجيل مليء بإدانة اليهود: قتل السيد المسيح، أو على الأقل بالنسبة للمسلمين إدانة قتله، وإدانة السيدة العذراء، والتشكيك في رسالته ومضايقته واضطهاده. هل سقط العهد الجديد من حسابهم وتعاملوا مع العهد القديم وحده، حيث أن الصهيونية مع العهد القديم.

السؤال الثالث: إن ما أخشاه أن مثل هذه المحاضرة -على جودتها- تترك في نفوس الأجيال الصغيرة أن هجوم أمريكا على الإسلام خالي من النفط، وخالي من الهيمنة والسيطرة، وإنما هو عمل ديني يقوموا به بدافع عقيدي، ونحن واثقين كل الثقة أن أمريكا تواجهنا من منطلق المصلحة والاستراتيجية والإمبريالية، وأن هذا الدين غطاء لإعطاء معنى أخلاقي أو ديني لهذا التحيز الأأخلاقي ولهذا العدوان الأأخلاقي. لذا، نريد أن تكون في المحاضرة دائمًا حاجز أو فاصل يقول للشباب لا تعتقدوا أن الذي يحركهم دينًا حقيقيًا، فالمحرك ليس عقيدة دينية فحسب، وإنما مصلحة إمبريالية وتوسعية.

أخيرًا، أعجب كيف يمكنهم بعد هذا الإعداد الكبير للعدوان والمعركة القادمة التي تدمر الملايين، أن يقولوا بالدعوة إلى المقاومة السلمية. لا يمكن أن تقابل الشر بمقاومة سلمية، فلا يفل الحديد إلا الحديد. لابد أن ندعو للإعداد الجيد لمقابلة الهجمة الإمبريالية والصهيونية في العالم الإسلامي.

د. ناجية عبد المغني (نائب رئيس جمعية التسلح الخلقي):

أشكركم كثيرًا على هذه المحاضرة الغنية بالمعلومات، وقد ذكرتني بما اختبرته في الولايات المتحدة حيث أنني عشت هناك في الفترة من ١٩٧٤ حتى ١٩٨٥، واعتقد أن كثيرًا مما قلته يتضح الآن في ذهني. لقد ذكرتم أن الصهيونيين المسيحيين يروجون للاعتقاد بأن الرب يبارك أمريكا لموقفها المؤيد لإسرائيل. أتذكر أنهم في السبعينيات والثمانينيات كانوا يروجون في الإعلام أن هناك سحابة سوداء على أمريكا، وأن الرب كان يعاقبهم بالكساد الاقتصادي لأنهم لم يساندوا إسرائيل بشكل كافٍ. فكانوا يخيفون الأمريكيين العاديين من خلال وسائل الإعلام وخاصةً في البرامج الدينية مثل برنامج بات روبرتسون.

كما كانوا يروجون لشيء آخر وهو أن الرب يدعو أبناء إبراهيم للعودة إلى أرضهم، متجاهلين حقيقة أن أبناء إبراهيم هم أبناء إسماعيل واسحق، وبهذا فإننا أيضًا من أبناء سيدنا إبراهيم.

لدي سؤال آخر: هل تعتقد أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر لها علاقة بمؤامرات الصهيونية المسيحية؟ بهدف جر العالم كله للصراعات التي تحدث الآن.

سؤالي الأخير: ما رأيك في حادث اغتيال الرئيس الأمريكي جون كينيدى؟ لأننا لاحظنا أنه قد تم اغتيال كينيدى مباشرةً بعدما أرسل خطابه إلى الرئيس عبد الناصر وسأله: "ماذا عن القضية الفلسطينية؟" ورد عليه عبد الناصر بالإشارة إلى وعد بلفور بأنه "وعد من لا يملك لمن لا يستحق"، وكان كينيدى يعتزم المجيء لمصر لمناقشة تلك القضية. ومؤخرًا، عرضت قناة BBC أن جون كينيدى قام بإرسال لجنة لمعرفة حجم نشاط إسرائيل النووي، وكان الإسرائيليون يغطون حجم نشاطهم الحقيقي، إذًا من المسئول عن مقتل كينيدى؟ شخص يهودي قُتل على يد يهودي آخر، وهذا هو كل ما نعرفه عن الحقيقة.

أ. رضوان أنور:

تحدثتم سيادتكم عن القمة المؤيدة للمسيحية الصهيونية بأمريكا، ورغم هذا فلا نجد أي تأثير من المعتدلين الأمريكيين، وهم الأغلبية على حد قولكم، على السياسة الأمريكية في الصراع العربي الإسرائيلي. أين دوركم إذن في التأثير على السياسة الأمريكية وخصوصًا بعدما حدث في فلسطين أثناء انشغال العالم أجمع بمسابقة كأس العالم؟

القس الدكتور/ ستيفن سايزر:

** فيما يتعلق بعودة المسيح ومن هو: كما ذكرت من قبل، سوف نعرف ذلك وقتما يحدث، لكن الأمر الأساسي الذي يهمني هو أن العهد الجديد يأمرنا بأن نكون مستعدين لعودة المسيح، فيجب أن يجدنا مخلصين في عبادتنا.

وبالنسبة لما تقوله الكتب المقدسة حول مناط تصرفنا، من الواضح أن الكتب المقدسة تدين القتل، وبهذا تدين قتل المسيح بالطبع، فالنصوص المقدسة تأمرنا ألا نقتل.

** فيما يتعلق بمصالح الولايات المتحدة واستراتيجياتها: أتفق مع الشخص الذي ذكر أن الدين لا يعاد تأويله وإنما يستخدم كغطاء، فهم يسيئون توظيف الدين، لذا فنحن حقًا نتعامل مع أجندة توسعية إمبريالية، أتفق تمامًا مع هذا القول.

أمر المسيح أتباعه بأن يكونوا صناعًا للسلام، ولهذا السبب فإن العديد من المسيحيين ينكرون استخدام العنف كوسيلة لتحقيق العدل. يقول مايك الرسول "ما يطلبه الرب منكم هو أن تحققوا العدالة، وتتحابوا بالرحمة، وتتواضعوا في مشيتكم".

** ذكر أحد الحضور أن كلاً من اليهود والمسلمين هم أحفاد إبراهيم. في العهد الجديد، هناك التأكيد على أن المسيحيين أيضًا هم أحفاد إبراهيم إيمانيًا إن لم يكن انحدارًا من سلالته، لذا فيمكننا جميعًا أن نعتبر إبراهيم والدنا الأكبر.

** بالنسبة لأحداث الحادي عشر من سبتمبر وتداعياتها: أنا متردد كثيرًا تجاه تلك الاستنتاجات. لقد تحدثت في مؤتمر إسلامي، بعد أسبوع من تلك الأحداث، وكان ذلك في جامعة لستر، وفي الاستراحة جاءتني سيدة ثم جاء رجل آخر وكلاهما طرحا نفس التساؤل هل وقوع أحداث الحادي عشر من سبتمبر هو علامة على عودة المسيح؟ واعتبرت هذا تحديًا لأنه لم يسبق لأي مسيحي أن طرح علي نفس السؤال من قبل، وهذا الأمر جعلني أشعر كيف أن المسيح مهم جدًا لكل من المسيحيين والمسلمين.

** فيما يتعلق باغتيال جون كينيدي: أرى أنه يجب على أحد الباحثين أن يقوم برسالة في الدكتوراة حول هذا الموضوع، وأود أن أقوم بالبحث فيها بنفسي لأن تتابع الأحداث يبدو بالفعل مثيرًا للشكوك بالنسبة لما كان يحاول القيام به قبل موته، وأرى أنه كان شخصية رائعة.

** أما بالنسبة لأثر الاتجاه المعتدل: أرى أن السبب في صعوبة إيجاد مجتمع مدني في الغرب يدافع عن القضية الفلسطينية، يكمن في العمل المؤثر الذي قاموا به لربط معاداة الصهيونية بمعاداة السامية، فأصبح أي انتقاد لإسرائيل يوصف بأنه معاداة للسامية. ولابد لنا في الغرب أن ندحض هذا، وإحدى الاستراتيجيات التي نتبعها في هذه اللحظة هي زيادة تعريف الناس بما تقوم به إسرائيل في الأراضي المحتلة واعتباره مماثل لنظام الأبارتايد، وعقد الصلة بين النظام العنصري الذي كان قائمًا في جنوب أفريقيا والدولة الإسرائيلية الراهنة.

وذلك لأنه في الغرب كانت هناك حركة قوية لمعارضة الأبارتايد، ونحن نريد إعادة تفعيل هذه الحركة ضد ما تقوم به إسرائيل، وهذا ليس بهدف إخضاع وإذلال إسرائيل ولكن بهدف ردها إلى رشدها، لكي نقول أننا لا نقبل ما يحدث في الأراضي المحتلة، وأننا لا نقبل أيضًا أن نترك الأمور للساسة لأنهم تم تحييدهم منذ أكثر من ٥٠ سنة.

أ. محمد الشريف (طالب دراسات عليا بجامعة الأزهر) :

لقد ذكرت العديد من الشخصيات والآليات للصهيونية المسيحية، لكن أختلف مع سيادتكم في أن الصهيونية المسيحية ليست مجرد خطر أو أفراد أو أشخاص، فقد تحولت إلى دول. وذكرت أيضًا أنها مؤامرة على الإنسان، ولكن أرى أنها مؤامرة على الإسلام في المقام الأول. ألا تعتقد أن الولايات المتحدة الأمريكية في سياساتها الآن هي سياسة الصهيونية المسيحية بأكملها؟ ألا تعتقد أن كل من يحذو حذو الولايات المتحدة في العالم بأسره يتفق على طرح السيطرة الإمبريالية الراديكالية المتطرفة ضد الإسلام في المقام الأول؟

إذا عدنا إلى التاريخ قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر، في عام ١٩٨٥، كثرت زيارات البابا يوحنا بولس الثاني (بابا الفاتيكان) إلى أفريقيا وحين سُئل عن سبب كثرة تلك الزيارات، قال لكي أواجه المد الإسلامي في أفريقيا، وهذا يدلل على أن الغرب ينظر للإسلام باعتباره خطرًا يستدعي المواجهة.

وأختم بملاحظة: في حادثة تسونامى الأخيرة، مُنعت أكثر من ٥٠٠ منظمة إسلامية من المساعدة بينما كانت كل المنظمات التي تصل للمنكوبين هي جماعات تبشيرية راديكالية، أريد أن أسمع تعقيب سيادتكم على هذا الأمر.

أ. حسين متولى (صحفى) :

بالرغم من أننا ساميون أكثر من اليهود، إلا أننا نلاحظ إصرار الغرب على استخدام مصطلحات تهدف لوأد أي رأي علمي يتناول حقائق الصراع العربي الإسرائيلي في ظل استمراره في تصدير مشاكله للمنطقة العربية، فما قيمة الحوار من وجهة نظر د.سايزر في ظل محاصرة هذه الرؤى والمراكز التي تتبناها علميًا؟ ومن تلك المراكز التي تمت محاصرتها مركز زايد الذي توقف عمله عقب حملة صهيونية منظمة اتهمته بالمعاداة للسامية.

أ. عمرو الكاشف (جريدة المساء):

بالنسبة للمقاومة الفلسطينية لإسرائيل، لاشك أن الفلسطينيين يحاولون تحرير أرضهم التي نهبتها إسرائيل منهم، لكن تعتبر المقاومة ضعيفة جدًا بالنسبة لقوة إسرائيل العسكرية حيث تقوم بتدمير مراكز المقاومة بطائراتها وأسلحتها. وأتمنى أن تتحرر فلسطين في أقرب وقت، لكن أعتقد أنه من المستحيل أن يحرر الفلسطينيون أرضهم بأنفسهم، هم يقومون بما يستطيعوا فعله، لكن ربما يأتي تحريرها من الخارج في صراع أمريكا مع دولة غربية أو شيء من هذا القبيل.

بالنسبة للإرهاب، كيف تدعي أمريكا أن العرب إرهابيين؟ أمريكا هي التي خلقت الإرهاب منذ البداية، فهي التي خلقت إسرائيل عند العرب، فمن حق العرب أن يقاوموا بأي طريقة كانت. وبالنسبة للمقاومة العراقية، أتناقش دائمًا مع أشخاص يعتقدون بأن المقاومة العراقية قوية، لكن أرى على العكس أنها ضعيفة جدًا، فنرى أنه يوميًا يُقتل جندي أمريكي أو اثنين لكن في المقابل نجد مائة عراقي يقتلون.

أ. مصطفى:

لقد ذكرت نابليون بونابرت كنقطة بداية في تاريخ الصهيونية المسيحية، وسؤالي هو: ماذا عن مارتن لوثر وتناوله للعلاقة بين العهد القديم والعهد الجديد؟

القس الدكتور/ ستيفن سايزر:

** إن الصهيونية المسيحية هي تهديد لدول عديدة، وهي تهديد للإسلام، لكنها تهديد أيضًا للمجتمع المسيحي المحلي، وللعالم أجمع لأننا سوف نعاني جميعًا إذا أصبح الشرق الأوسط منطقة نــزاع نووي، ولهذا يجب علينا أن نختار ما بين الحوار أو الحرب لأن الحرب هي خيار الصهيونيون المسيحيون ولهذا لابد علينا أن نستكمل الحوار.

لقد حاولت أقصى ما في وسعي لكي أُركّز كلمتي في ذلك الوقت الضيق لأن ما ذكرته يعد تلخيصًا لثلاث عروض حول تاريخ اللاهوت والسياسة، لذا أعتذر لكم عن عدم قدرتي على تغطية جميع الجوانب نظرًا لاعتبارات الوقت.

** أبدى أحد الحضور تعقيبًا حول تسونامى: أشعر بالسوء تجاه ما قامت به بعض الجماعات المسيحية حيث استغلوا تسونامى لأهدافهم الضيقة؛ ففي تلك المأساة البشعة كان لابد أن يكون همنا الأكبر هو إنقاذ تلك الأرواح وجامعنا هو الإنسانية لا أن نسعى لكسب معتنقين جدد. قامت كنيستنا في فرجينيا ووتر بجمع أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ دولار من مجتمعنا لصالح تايلاند من أجل إعادة بناء المدارس والإغاثة الإنسانية، وقد أرسلنا حوالي ٣٠ حاوية طعام ومعدات طبية لتوزيعها في سريلانكا، وأعتقد أن هذه هي أفضل طريقة لتشجيع من ينتمون للأديان الأخرى لأخذ إيماننا في الاعتبار من خلال أفعالنا وليس كلامنا.

** فيما يتعلق بتلك الموضوعات التي نختلف حولها كمسيحيين ومسلمين: نحن حتمًا مرهونين بما لدينا من مرجعية، فما نؤمن به يمثل المرجعية لنا، وهنا تظهر أهمية عمل الفريق العربي للحوار الإسلامي-المسيحي لأنه يمثل منظمة تحاول جمع الجماعات المنتمية للديانتين لكي يتحاوروا ويركزوا على المشترك والمتفق عليه، فمن المهم بمكان أن نتعرف على ما نتفق عليه بدلاً من التركيز على خلافاتنا. وذلك لأنه في ظل هذه العلاقة والثقة والاحترام المتبادل يمكننا إيجاد الاستعداد لتناول أو التساؤل عن تلك الموضوعات التي نختلف حولها. وفي رأيي، فإن هذا يمثل الإطار الوحيد المشروع لتناول اختلافاتنا بهدف تحقيق تفاهم أكبر واحترام للمرحلة التاريخية التي نمر بها.

** تعقيبي الأخير، وهو ليس الأنسب لكي أنهي به حديثي لكنه جاء حسب الترتيب في الأسئلة الأخيرة، هو المتعلق بالإرهاب وما تقوم به الولايات المتحدة: يوضح القانون الدولي أن حق المقاومة مشروع، ومن هنا جاء الحق في مقاومة القوى التي تنتهك حقوقنا الإنسانية الأساسية، لذا فإن لدي تعاطف تجاه من يقاومون الاحتلال في الشرق الأوسط، ولكن هذا ليس كفيلاً لتبرير كافة أشكال المقاومة خاصةً تلك العمليات التي تتم تجاه المدنيين من نساء وأطفال.

أ.د. نادية مصطفى:

لدي عدة ملاحظات عامة حول ما قيل:

تعد هذه المحاضرة والنقاش الذي دار حولها من الأهمية بمكان لأننا دائمًا نستمع إلى التحليلات التي تتناول ما يسمى بالإرهاب الإسلامي أو الإسلام الراديكالي، والتركيز على

أنه يقدم قراءة معينة للقرآن تحمل العداء لكل الآخرين، ويقتصر التركيز في تلك التحليلات على هذه الأبعاد الدينية لهذه الرؤى التي تعبر عن نفسها سياسيًّا أو بطرق عسكرية على الساحة الدولية. مؤخرًا، كنت في رحلة للخارج واستمعت إلى محاضرة لأحد الأساتذة الأمريكيين المعروفين جدًا "بيرمان" الذي ألف كتاب بعنوان "Terror versus Liberalism" وكان كل حديثه يدور عن إرهاب الأصولية الإسلامية، ومن ثم كان تعقيبي أن هناك أصوليات أخرى ولكنها تتجسد في شكل دول وإدارات قوية ولها وسائل قوة مادية كبيرة جدًا تهدد استقرار العالم أيضًا، وإن كانت تنطلق من أبعاد للهيمنة الاستراتيجية، وليس فقط أبعادًا دينية. وذلك في الوقت الذي ينطلق فيه "الراديكاليون الإسلاميون" من أطر مليئة بالإحباط والسياسات الظالمة سعيًا لمحاولة إحداث تغيير في هذه الأوضاع، وليس الهيمنة على العالم كله، وكان رد المحاضر أنه لا يقبل التبريرات باسم أثر الهياكل والظروف المحيطة.

ومن ثم، فما أريد توجيه النظر إليه هو أن محاضرة د.سايزر تحقق نوع من الحوار لنستطيع أن نطور آراء معتدلة تركز على القواسم المشتركة بالفعل وسبل تدعيم السلم والأمن العالمي مع الحفاظ على الحقوق التي تقتضي في بعض الأحيان –وبالضرورة– استخدام القوة للدفاع عنها، لأن الخير سينتصر –أنا أؤمن بهذا– ومن ثم يجب أن ننظر إلى العلاقة بين الأبعاد الدينية والأبعاد الاستراتيجية بطريقة التأثير والتأثر؛ ليست الأبعاد الدينية فقط التي تؤثر في التفسير أو تشكل أمرًا ما، وليست الأبعاد الاستراتيجية فقط هي المفسر للسياسة الأمريكية في المنطقة، ولكن يجب أن نعرف كيف يحدث التداخل بين المجموعتين من الأبعاد، ولماذا تظهر الأبعاد الدينية في إحدى المراحل بشكل أكثر وضوحًا وتأثيرًا على الأقل في استخدامها كمبرر أو مفسر لبعض السياسات؟

وأخيرًا، سؤالي للدكتور سايزر: هل تواجه اتهامات أحيانًا بمعاداة السامية حين تنتقد الصهيونية المسيحية؟ لأننا نعرف أنه من له آراء ناقدة لتيارات سائدة كبيرة في الولايات المتحدة أو في أوروبا سرعان ما تُرفع أمامه وفي وجهه عصاة معاداة السامية والتهديد بالعقاب، فهل تعرضت لهذا أم لم تتعرض له حتى الآن؟

هناك الكثير الذي يمكن فعله للتوعية بأخطار الصهيونية المسيحية، ولهذا أحيي الجهود الفردية للدكتور سايزر، وفي نطاق المؤسسات التي يعمل بها، لاستغلال ما لديه من موارد للضغط على إسرائيل، فكنيسة المسيح تحاول أيضًا أن تطور وسائل للضغط على إسرائيل، مثل الكنيسة المشيخية، بالعمل على سحب استثماراتها وتمويلها لبعض الشركات التي تحدث عنها، فنحن نستطيع أن نفعل الكثير لينتصر الخير إن شاء الله. ومرة أخرى أشكر باسمكم الدكتور/ ستيفن سايزر.

حلقة مناقشة كتاب الأب كريستيان فان نسبن

"مسيحيون ومسلمون: إخوة أمام الله"

١٣ مارس ٢٠٠٧

* عرض محتوى الكتاب (أ. وسام الضوينى).
* كلمة الأب الدكتور/ كريستيان فان نسبن.
* كلمة الأستاذة الدكتورة/ زينب الخضيرى.
* كلمة الأستاذة الدكتورة/ أميمة عبود.
* كلمة الأستاذة الدكتورة/ ناجية عبد المغنى سعيد.
* كلمة القس الدكتور/ إكرام لمعى.
* كلمة الأستاذ/ سامح فوزى.
* كلمة الأستاذة الدكتورة/ نادية مصطفى.
* المناقشات.

عرض محتوى كتاب "مسيحيون ومسلمون: إخوة أمام الله"*

الأستاذة/ وسام الضويني**

يقدم الأب الدكتور كريستيان فان نسبن، من خلال هذا الكتاب، العديد من الخبرات والأفكار والأبحاث والمقولات التي عايشها واختبرها في حياته في مجال العلاقة بين المسلمين والمسيحيين سواء في إطار العلاقة بين الإسلام والغرب أو في إطار علاقة المسلمين والمسيحيين في العالم الإسلامي. وهو طرح لتجربته وخبراته المعاشة سواء على المستوى النظري من خلال دراسته للاهوت ثم دراسته للإسلام من خلال دراسة تفسير القرآن للإمام محمد عبده والتعمق في الفكر الإسلامي، أو على مستوى الخبرة الحياتية بتكوينه لصداقات مع أشخاص مسلمين مكّنته من تحقيق تواصل إيماني وروحي مهم في هذا الإطار.

ونجد الأب كريستيان يتناول أطر العلاقة المتبادلة بين المنتمين لكلتا الديانتين، بدون خيانتهم لإيمانهم، في اتجاه خدمة الإنسانية كافة، باعتبار أن الإسلام والمسيحية على رأس الديانات في العالم. كما يؤكد الدعوة إلى المسلمين والمسيحيين للعيش سويًّا، ومواجهة التحديات والمشكلات التي تواجههم بتبني منهج من الصراحة والوضوح، وتأكيد الرغبة في الوصول إلى أرضية للقاء بينهما سواء أكان ذلك داخل البلد الواحد أو بين الشعوب المختلفة.

وفيما يلي عرض لمحتوى الكتاب بحسب تقسيم الأب كريستيان لفصوله؛ فهو يقدم في الأجزاء الأولى من الكتاب رحلته ومراحل اكتشافه للإسلام والمسلمين، وذلك، حسب قوله، لبيان السياق الوجودي لخبراته واعتقاداته. كما يتناول السياق التاريخي والاجتماعي للعلاقات بين الإسلام والمسيحية. وبناءً على تلك الافتراضات والخبرات، يقدم رؤيته للقاء والحوار لأنه يعتبر اللقاء شرطًا وقاعدة لا غنى عنها للحوار. وهذا ما يتناوله في الأجزاء الأخيرة من الكتاب حيث يبين دلالات هذا اللقاء في المجتمعات البشرية، وإمكانية تحقيق التعاون بين المسلمين والمسيحيين لبناء مجتمعات سوية من أجل البشرية كلها.

---

* د.كريستيان فان نسبن، "مسيحيون ومسلمون: إخوة أمام الله"، ترجمة: د.أنور مغيث، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٦).

** باحثة في العلوم السياسية.

الفصل الأول: مراحل اكتشاف الإسلام

يتناول الأب كريستيان في هذا الفصل مراحل احتكاكه الأول بالإسلام؛ فيذكر أن الإسلام كان بالنسبة له في ذلك الوقت ظاهرة غريبة تعرَّف عليها من خلال الكتب التي تتحدث عن آسيا وأفريقيا. وعندما كان في هولندا، كان الآخر بالنسبة لهم هو الآخر المسيحي (البروتستانتي)، كما أن الصورة التي تلقاها عن الإسلام آنذاك كانت سلبية حيث كان الإسلام مقدمًا بوصفه رافضًا للمسيحية.

ويسرد الأب كريستيان تفاصيل دراسته ومعرفته بالإسلام، فيقول أن المرة الأولى التي يدخل فيها الإسلام حياته بصورة مباشرة كانت عندما دخل إلى الرهبانية عام ١٩٥٥، وأصبح واعيًّا منذ ذلك الوقت بأن له رسالة تجاه العالم الإسلامي حيث كان منجذبًا لفكرة خدمة اللقاء مع الإسلام. وكان الأب كريستيان في تلك الفترة يعمل للحصول على ليسانس الفلسفة، ومنها تعرف على الثقافة العربية الإسلامية ودرس الفلسفة الإسلامية.

وبعد حصوله على ليسانس الفلسفة في عام ١٩٦٠، سافر إلى لبنان لتعلُّم اللغة العربية. وقد درس الأب كريستيان اللغة العربية في المركز الرهباني لدراسات اللغة العربية على يد الراهب أندريه دالفرين، الذي تميَّز باحترامه العميق للمسلمين وثقافتهم وهو ما تأثَّر به كثيرًا، وتعلم منه أن الحضارة العربية كانت ثمرة لتعاون المسلمين مع غير المسلمين حيث أدى المسيحيون واليهود العرب فيها دورًا أساسيًّا سواء في البداية، في العصر الوسيط، أو في الأزمنة الحديثة.

كما يذكر الأب كريستيان أنه بعد دراسته للغة العربية، تم إرساله إلى مصر عام ١٩٦٢، للتخصص في الفلسفة العربية والإسلامية بجامعة عين شمس بالقاهرة، وهناك توطدت علاقاته بالمسلمين. وأدرك الأب كريستيان، في ذلك الوقت، كيف يمثل الاتصال الشخصي والصداقة الحقيقية والمخلصة باباً واسعًا لاكتشاف دينًا آخر، وبدونه تظل المعرفة النظرية قاصرة؛ فهو يرى أن الدين بالفعل هو "واقع يشكله الأشخاص المتدينون قبل أن يكون نظامًا دينيًّا". وكذلك، في تلك الفترة، تعرَّف على الكنيسة القبطية الأرثوذكسية من الداخل وتعمقت علاقته بطلاب أرثوذكس.

وعرض الأب كريستيان لتشكُّل خبرته في مجال العلاقات بين المسيحيين والمسلمين من خلال النقاط التالية:

١. اكتشافه الفكر الإسلامي

درس الأب كريستيان علم اللاهوت في فرنسا في عام ١٩٦٦، وكان البروفيسور روجيه أرنالديز يقوم بتدريس الفكر الإسلامي آنذاك، وهو الذي جعله يكتشف تفسيرًا للقرآن هو "تفسير المنار" للإمام محمد عبده وتلميذه السيد محمد رشيد رضا. واهتم الأب كريستيان كثيرًا بهذا التفسير، حيث يذكر أنه سجل أطروحة الدكتوراة عنه تحت عنوان "الإيمان في تفسير المنار" مما أتاح له التعمق في القرآن وفي كل تاريخ الفكر الإسلامي وإشكالياته.

ويؤكد الأب كريستيان أن هذا التخصص في الفكر الإسلامي طوَّر لديه ما أسماه "الحساسية الفكرية" تجاه المسلمين وجعله يجمع بين معرفة الإسلام عن طريق العلاقات الشخصية والمعرفة النظرية بالدراسة، كما يرى أن أي حوار حقيقي يقتضي درجة معينة من المعرفة الحاصلة عن هذين الطريقين في نفس الوقت، وأن الحوار بين الأديان سيظل قاصرًا إذ افتقد أحد هذين الجانبين.

٢. مسيرته مع جماعة الإخاء الديني

شارك الأب كريستيان في إعادة تأسيس مجموعة مصرية للحوار الإسلامي–المسيحي وهي "الإخاء الديني" في فبراير ١٩٧٥. وفي هذه الجمعية كان هناك التأكيد، حسب قوله، على أن "الأمر لا يتعلق فقط برباط إنساني محض، بل برباط روحي وديني"، وكان الهدف الأساسي من هذه الجمعية هو التقارب بين أتباع الأديان على أساس إيمان كل فرد بالله.

ويرى من خبرته المشتركة أن هناك التباس يشعر تجاهه المسيحيون بحساسية خاصة، ألا وهو "خطر الاحتواء"؛ أي شعورهم بأنهم محدودي الإقامة ومحبوسين داخل نظام إسلامي لا يعترف بهم في غيريتهم. وطبقًا له، فإن الجمعية تمثل بوجودها وتطورها رمزًا في المجتمع المصري خصوصًا في اللحظات التي يحاول فيها آخرون تعميق الاختلافات حيث يساعد "الإخاء الديني" المسلمين والمسيحيين على أن يعيشوا الاختلاف بطريقة أفضل من خلال الاحترام المتبادل والصداقة ومراعاة ما يفصل بينهم. كما يثني عليها استمرارها حتى الآن، وإن بقي نشاطها محدودًا، في ظل التحديات التي تواجهها من حاجتها لتجديد ذاتها.

٣. خبرته مع لجنة العدالة والسلام

يذكر الأب كريستيان أن هذه اللجنة هي إحدى اللجان المحلية للعدالة والسلام، والتي أُنشأت وفقًا للمجلس البابوي للعدالة والسلام، الذي أنشأه البابا بولس السادس في روما، حيث شعر الكاثوليك المصريون بالحاجة لهذه المبادرة في مصر، ثم توسعت اللجنة لتشمل طوائف مسيحية مختلفة من أهمها الأقباط الأورثوذكس. وتلى ذلك قيام اللجنة بتنظيم جلسات حول موضوعات مهمة بالنسبة للمجتمع المصري ككل شارك في تنظيمها مسلمون ومسيحيون.

ويرى الأب كريستيان أن هذه اللجنة لم تكن جامعة للحوار الإسلامي المسيحي، لكنها تعبر عن الرغبة في المساهمة المشتركة في بناء مجتمع أفضل، وتحقيق الاشتراك في المواطنة فعلياً. كما يرى أنها مكاناً تعامل فيه عدد من المسلمين والمسيحيين من اتجاهات مختلفة مع المشكلات الاجتماعية التي تواجههم بكل صراحة مما فتح المجال لجدل واقعي مهم. وطبقًا له، أصبحت هذه اللجنة تعبيرًا عن حضور الكنيسة في الحياة العامة للمجتمع.

ومن القضايا التي اهتمت بها اللجنة كما يذكر: (١) القضية الفلسطينية: حيث قامت اللجنة بتناول الوضع المأساوي للصراع الفلسطيني الإسرائيلي، والصراع العربي الإسرائيلي بوجه عام، ومسئولية أعضائها تجاه هذه الوضع. وفي هذا الإطار، يؤكد الأب كريستيان أن القضية الفلسطينية "هي قبل كل شيء قضية إنسانية ومدنية ووطنية قبل أن تكون قضية دينية"، كما يتبنى موقف لجنة العدالة والسلام من تلك القضية والذي يؤكد على أن المسلمين والمسيحيين الفلسطينيين يدافعون سوياً عن حقوقهم ولا يقبلون محاولات تقسيمهم. (٢) الحادي عشر من سبتمبر: يتناول الأب كريستيان شعور المسلمين بالظلم وتعرض الإسلام لحملات تشويه، ويركز هنا على دور مسيحيي البلاد العربية في تحقيق التواصل بين المسلمين وغيرهم، كما يطرح قضية الغيرية وقدرة الإسلام على قبول الآخر المختلف.

٤. خبرته مع المعهد الدومينيكاني للدراسات الشرقية

بدأ الأب كريستيان تعاونه الوثيق مع المعهد الدومينيكاني بالقاهرة، في نهاية الثمانينيات، ونشر أولى مقالاته في الدراسات الإسلامية في مجلة هذا المعهد، ومنذ ذلك الوقت، ارتبط به عبر العمل الفكري والدراسة والتأمل والنشر. كما ربطته علاقة صداقة

عميقة مع الأب/ جورج قنواتي الذي يصفه الأب كريستيان بأنه نموذج فريد لخدمة العلاقات الإسلامية المسيحية.

٥. اللقاءات الفلسفية والثقافية

مثّلت اللقاءات الفكرية والفلسفية بالنسبة للأب كريستيان أرضًا للقاء، حسب تعبيره، مكّنته من إدراك خصوصية مصر بين التراث العربي الإسلامي والانفتاح على ما هو كوني وعالمي.

وفي هذا السياق، تطرق الأب كريستيان إلى الحديث عن الفكر الأكاديمي في مصر؛ فذكر أن الفكر الأكاديمي يعاني من الأزمة الحالية للجامعات المصرية وانعكاساها على الفكر الديني. كما عبَّر عن سعادته بالجهود المبذولة في تجديد الفكر الديني بشكل يسعى للإفادة بما تقدمه العلوم والمناهج الحديثة من ناحية، وعبر عن أسفه تجاه التوجسات التي تثيرها تلك المراجعات لدى بعض المسلمين؛ ويعطي مثالاً على ذلك في عدم السماح لنصر حامد أبو زيد من متابعة أبحاثه دون أن يتعرض للخطر في بلده، من ناحية أخرى. ويلحظ الأب كريستيان أن هناك أشكال من المقاومة يواجهها كل فكر ديني تجديدي، لكنه يرى أن هذا لا يعني وجود ركود في الفكر الديني الإسلامي، حيث يوجد جهد حقيقي من جانب مفكرين إسلاميين لتجديد الفكر على الرغم من وجود مناطق محرمة لديهم خاصةً في مجال التأويل، حسب قوله.

٦. خبراته في بلدان أخرى ذات غالبية مسلمة

يذكر الأب كريستيان أن مصر شكّلت خبرته الأساسية في مجال العلاقات الإسلامية–المسيحية مؤكدًا على أهميتها في العالم الإسلامي وكونها تضم أكبر جماعة مسيحية في الشرق الأوسط. ولكنه يتناول بالذكر دولاً أخرى ساهمت أيضًا في تشكيل خبرته في هذا المجال، وهي:

الجزائر: حيث تعلم الأب كريستيان حب هذه البلد وشعبها بقوهم وكرامتهم، ولكنه يبدي أسفه تجاه المعاناة التي شهدها، والعدد الهائل من الضحايا من ضمنهم المسيحيين. وتعرف هناك على معنى اختيار الكنيسة لأن تكون متضامنة مع شعب الجزائر، كما أن مسلمي الجزائر يعتبرون الكنيسة جزءًا لا يتجزأ من بلادهم. كما اكتشف من خلال هذه

الرحلة ثراء اللقاء بين مسيحيي المشرق العربي ومسيحيي الغرب، حيث تبين أن "الآخر" هو دائماً مصدر للثراء.

أندونيسيا: كانت زيارته لها من خلال حضوره للمشاركة في مؤتمر إسلامي مسيحي -في عام ١٩٩٨- وقد مثّل المؤتمر بالنسبة له خبرة بالغة الثراء حيث كان يتحدث فيه مسلمون ومسيحيون إندونيسيون بكل صراحة عن خبرتهم ومخاوفهم المتبادلة، وكان ذلك في وقت حدوث عنف طائفي. وبالإضافة إلى المؤتمر، فقد أتيحت له الفرصة لزيارة أماكن مختلفة هناك ساعدته على اكتشاف ما أسماه بـ"الإسلام الإندونيسي". ويثني الأب كريستيان على التعدد الديني المتسم بالتسامح الكبير الذي وجده هناك والذي مكن من ظهور المسيحية، كما يرى أن هذا "الإسلام الآسيوي" يمكن أن يصبح مصدرًا مهمًا للتجديد في الإسلام دون التقليل من أهمية "الإسلام العربي".

٧. البعد الروحي في اللقاء

فمن خلال البعد الروحي، كما يرى الأب كريستيان، ينتقل الدين من كونه "أيديولوجيا" إلى الدين بوصفه إيماناً وعلاقة شخصية مع الله. هذا الأمر جعله يختبر الإمكانية الواقعية للوجود "معاً أمام الله من أجل تحقيق اتصالاً إيمانياً حقيقياً". وانطلاقًا من هذا الاعتقاد، أدرك إلى أي مدي يعد البعد الروحي بعداً مهماً في اللقاء بين المسلمين والمسيحيين.

٨. الفريق العربي للحوار الإسلامي-المسيحي

يؤكد الأب كريستيان على أهمية الدور الذي يلعبه هذا الفريق الذي يتألف من مجموعة من المثقفين العرب (مسلمين ومسيحيين) من اتجاهات ومذاهب وبلدان مختلفة. فيذكر أن الفريق قد قام بعمل اجتماعات تهدف للتفكير المشترك في التحديات الأساسية التي تواجه الجميع، وعلى رأسها المأساة الفلسطينية. كما كانت هناك اجتماعات منتظمة متخصصة لرصد حالة الحياة المشتركة بين المسيحيين والمسلمين في بلاد مختلفة، تم من خلالها التأكيد على خصوصية العلاقات بين المسيحيين والمسلمين في المنطقة، ووحدة الانتماءات الثقافية والقومية للمسلمين والمسيحيين في الوطن العربي، بالإضافة إلى معالجة المشاكل داخلياً ورفض التدخل الخارجي.

الفصل الثاني: السياق التاريخي والاجتماعي للحوار الإسلامي-المسيحي

يقدم الأب كريستيان نظرته الخاصة للإرث التاريخي للحوار الإسلامي-المسيحي، وطبيعة بعض السياقات الاجتماعية المحيطة به، مؤكدًا على أهمية التوصل لقراءة مشتركة للتاريخ من قبل الطرفين.

ويعرض الأب كريستيان لقراءته المشتركة للتاريخ من خلال النقاط التالية:

أولاً: نظرة القرآن بالنسبة للمسيحيين

يرى الأب كريستيان أن نظرة القرآن للمسيحية هي "نظرة ملتبسة"؛ فهي من جانب تشهد على التقدير والصداقة، ومن جانب آخر تعبر عن إدانة القرآن للمسيحية. بالإضافة إلى ذلك، حسب قوله، يعبر القرآن عن التقدير، ولكن يحمل في الوقت نفسه حكمًا على العديد من المسيحيين. كما يؤكد أن القرآن لا يرفض حياة الرهبنة، ولا يستهين بها، وإنما ينتقد تطبيقاها لدى بعض الرهبان في الوقت نفسه الذي ينتقد فيه مسلك العديد من المسيحيين.

ويخلص الأب كريستيان إلى أن التصور القرآني للعقيدة المسيحية متأثر بالصور المحرفة عن المسيحية، والتي كانت موجودة في جزيرة العرب، وأنه على هذا الأساس يقوم المسلمون بالحكم على عقيدة الكنائس المسيحية الكبرى والمسيحيين المنتمين إليها. ويرى أن نتيجة ذلك تتمثل في استنكار المسيحيين للصورة التي يعكسها الإسلام عن عقيدهم، الأمر الذي أوجد تاريخ طويل من السجالات العقائدية بين المسلمين والمسيحيين.

ثانياً: الغزوات الإسلامية

وفق ما يراه الأب كريستيان، فإن الفتوحات الإسلامية أدخلت في مجال الإسلام الإمبراطورية الفارسية وجزء كبير من العالم المسيحي، ويذكر أن تسميتها تعد موضع خلاف حتى اليوم، حيث يطلق عليها المسلمون فتوحات بينما لا يقبل غير المسلمين هذا المسمى بوجه عام. كما يذكر أن المسلمون يعترضون عندما يتهم الإسلام بأنه انتشر بحد السيف، ويجد هذا مُبررًا لأن الفاتحين لم يجبروا أفراد البلدان المفتوحة على اعتناق الإسلام. وهكذا، طبقًا له، فالأمة والثقافة الإسلامية تشكلتا في بلاد بقيت ذات أغلبية مسيحية لزمن طويل، "لذا أصبحت المسيحية بالنسبة لجزء كبير من العالم الإسلامي هي الآخر بامتياز".

ثالثاً: نظرة المسيحيين إلى الإسلام

بالنسبة للمسيحيين، كما يرى الأب كريستيان، فليس للإسلام مكان في أصول دينهم، لأن الإسلام قد ظهر بعد يسوع المسيح بستة قرون. ومن هنا مثّل الإسلام تحدياً كبيرًا من حيث انتشاره على أراض نشأت فيها المسيحية، ومن حيث كونه تحدياً لاهوتياً، فظهر التساؤل حول تحديد موقع هذا الدين الذي اعتبر نفسه حقيقة المسيحية وكيفية فهمه.

ويُفرِّق الأب كريستيان بين مسيحيي الشرق الأوسط الذي أصبح الإسلام منذ القرن السابع جزءًا من ثقافتهم، وهي ثقافة ساهموا في تكوينها بالأساس (مع يهود المنطقة)، ويشير إلى وجود كم هائل من الأدب السجالي الإسلامي- المسيحي، وبين أوروبا المسيحية في العصر الوسيط حيث كان العالم الإسلامي يمثل "الآخر" غير المسيحي. وقد تم معايشة هذه العلاقة الغيرية بصورة سلبية عن طريق المواجهة: أولاً من خلال مقاومة الغزوات الإسلامية، وثانيًا من خلال الحروب الصليبية التي استمرت في تأثيرها على الخيال والذاكرة التاريخيين. أما بالنسبة للكنيسة الكاثوليكية فقد كانت نظرتها للإسلام نظرة سلبية حتى القرن العشرين حيث تم بلورة عدد من نصوص المجمع الفاتيكاني الثاني التي جاء فيها الاعتراف بإمكانية الخلاص لذوي الانتماء الديني المختلف.

الصعوبات

- يقول الأب كريستيان أنه من حيث المبدأ فلا توجد لدى الجانب الإسلامي صعوبات في تبني نظرة إيجابية للمسيحية نظرًا للمكانة التي يمنحها الإسلام إلى ما يعتبره "المسيحية الأصلية"، ولكن تكمن الصعوبة في اعتقاد الإسلام أن المسيحية محرفة، وأن الكتاب المقدس تم تحريفه بواسطة المسيحيين خاصةً فيما يتعلق بالإعلان عن قدوم محمد. ويؤكد الأب كريستيان أن هذه القضية تزرع شقاقًا واشتباهًا كبيرًا بين المسيحيين والمسلمين في علاقتهم بالكتاب المقدس. كما يوجد خلاف بين المسلمين فيما يتعلق بإمكانية الخلاص الأخير للمسيحيين ونجاتهم. ويشير الأب كريستيان أن المسيحيين يشعرون بغياب وجود سلطة دينية إسلامية موحدة، فيطرح التساؤل: "كيف لنا أن نعرف ما الإسلام الحقيقي والأصلي، وما الإسلام المحرف وطبقًا لأي معايير؟"

- ومن الجانب الإسلامي أيضًا، حسب قوله، يشعر غالبية المسلمين بأن المشروع الاستعماري شأن ديني وفسروه بوصفه محاولة من العالم المسيحي الأوروبي لوَضع اليد على العالم الإسلامي، كما يعتبرونه استمرارًا للحملات الصليبية. وقد أعيد بعث كل هذا في السنوات الأخيرة وتطبيقه على السياسة الأمريكية بالأساس، وترتب على هذا أن العالم الإسلامي، يعايش في الحقبة الحديثة والمعاصرة شعورًا بالغ القوة بأنه ضحية. ومن ناحية أخرى، فإن غير المسلمين لديهم أيضًا مخاوف من المسلمين، وما حدث في الحادي عشر من سبتمبر جاء ليدعم هذه الحلقة المفرغة لدى كلا الجانبين.

- ويذكر أنه بسبب صدور مبادرات الحوار في بداياتها من جانب المسيحيين، أصبح المسلمون أكثر حذرًا تجاه هذا الحوار، ولكنه يرى أن هذه السمة أحادية الجانب لمبادرات الحوار قد تغيرت كثيرًا في السنوات الأخيرة.

- كما يبين أن قضية ارتباط الدين بالثقافات مطروحة بإلحاح على الإسلام في المرحلة الراهنة حيث يُطرح السؤال: ما الذي يرجع إلى الإسلام؟ وما الذي يرجع إلى ثقافة بعض المناطق في العالم؟ وهذا الجانب يبين أن هناك أكثر من إسلام واحد، كما توجد مسيحيات متعددة، بل وكاثوليكيات متعددة بحسب أقاليم العالم المختلفة.

اهتمام الجانب المسيحي بالحوار بين الأديان

ويذكر الأب كريستيان أن المسيحيين بدأوا يظهرون اهتمامًا بالحوار بين الأديان بوجه عام والحوار الإسلامي–المسيحي بوجه خاص في النصف الثاني من القرن العشرين، ويُرجِع هذا الأمر إلى وجود ثلاثة عناصر، هي:

١. الحركة التبشيرية: حيث وعى بعض المبشرين أن التبشير الحقيقي يقتضي احترام الآخر المؤمن المختلف، وهو ما يعني الاعتراف في البداية أنه مؤمن، ثم الاستماع له والحوار معه. وقد أدى هذا لاكتشاف أن التبشير والحوار ليسا بالضرورة متعارضين. بالرغم من ذلك، طُرحت فكرة الربط بين الحوار والتبشير مشكلة؛ لأنه يولد انطباعًا لدى غير المسيحيين بأن الحوار وسيلة لإخراجهم من دينهم.

٢. الحوار متعدد الصيغ: فقد اكتشف المسيحيون ضرورة الحوار البيني مع الطوائف المختلفة كما أدركوا أهمية الحوار بوجه عام. ولكن يوجد خطر الخلط بين الحوار

بوجه عام الذي يهدف إلى احترام الاختلافات التي لا يمكن محوها بين الدينين مع البحث عن المشترك، والحوار داخل كل دين الذي يسعى الوصول إلى إيمان مشترك وتجاوز الخلاف والانقسام.

٣. الهجرات: حيث وضعت حركة الهجرات الهائلة التي حدثت في القرن العشرين أعدادًا كبيرة من الأشخاص المنتمين لأديان مختلفة في علاقات معيشة مشتركة لم تكن موجودة من قبل، وتأتي الصعوبة في هذه الحالة من أن الاختلاف في الدين يصحبه خلاف في الثقافة والعرق مما يُصعِّب من إمكانية التوصل إلى قبول الآخر في حالات كثيرة.

تنوعات العلاقات الإسلامية–المسيحية ومشكلاتها

طبقاً للأب كريستيان، فإن العلاقات بين المسلمين والمسيحيين تتأثر بالإطار الاجتماعي والسياسي والثقافي الخاص بكلا الطرفين، ومن ذلك تأثُّر العلاقات بين الإسلام والغرب بعد ١١ سبتمبر، حيث انتهى الغرب إلى حبس المسلمين داخل هويتهم الإسلامية، ثم قام بتعميم كل ما يفعله بعض المسلمين ووصفهم بالتطرف أو عدم التسامح والعنف، وجعلوا من الإسلام جوهرًا واحدًا جامدًا ناسين البعد الإيماني في الإسلام فلا يرون فيه إلا الجانب السياسي. وهذا الموقف يدفع المسلمين إلى القيام بتعميمات مشابهة وتوحيد الغرب بالمسيحية، الأمر الذي يخلق التباسًا لدى الجانبين.

ويرى الأب كريستيان بأن النظرة الموضوعية تقتضي القول بأن الإسلام أكثر تنوعًا سواء داخل العالم الإسلامي أو في بلاد المهجر، وهو ما يُطلِق عليه "الإسلام المتنوع"؛ ففي مصر على سبيل المثال هناك إسلام المؤسسات، والطرق الصوفية، والإسلام السياسي. كما يضيف وصف "الإسلام المتحرك" أي أن الإسلام في البلاد الإسلامية لا يمثل واقعًا واحدًا وأن المسلمين ليسوا كتلة صماء، ذلك لأن الأمة الإسلامية تمثل جماعة بشرية في حركة مستمرة، وهي منذ أكثر من قرن خاضعة لتوترات عديدة أدت إلى حدوث اضطرابات هائلة متعلقة بالتحديث والاستعمار. فقد أدى فشل القوميات إلى وجود فراغ ثقافي وأزمة في الهوية، وهنا ظهرت حركات الإسلام السياسي باعتبارها القوى الوحيدة القادرة التي تسعى إلى إنقاذ القيم في مواجهة التغريب.

ويشير الأب كريستيان إلى أن الإسلام في بلاد المهجر (أمريكا وأستراليا وأوروبا) ليس أقل تنوعًا مما هو عليه فى البلاد ذات الأغلبية المسلمة مشيرًا إلى إسهام هؤلاء المهاجرين في تكوين ثقافة إسلامية جديدة تكون بمثابة تجديد للفكر الإسلامي يساعد الشباب على أن يجدوا أنفسهم مؤمنين بيقين ومنفتحين ومتسامحين في العالم الحديث.

الفصل الثالث: لقاء وحوار

يرى الأب كريستيان أن الحوار بين الأديان، وخاصة بين المسيحيين والمسلمين، قد أصبح أكثر ضرورة بعد أحداث ١١ سبتمبر عن أي وقت مضى، فلابد من وجود حوار مبني على اللقاء سواء بين الأفراد أو الجماعات.

ويشرح كيفية إيجاد حوار حقيقي؛ فيرى أن هذا الحوار ينبغي أن يكون قائمًا على "لقاء يُمثِّل حركة حقيقية لكل طرف تجاه الآخر يتحقق منها شيء ما". فعلى مستوى الأفراد، يكتشف كل طرف الآخر في اللقاء مما يشكل بداية علاقة ذات اهتمام حقيقي بالآخر، أما اللقاء على مستوى الجماعات فيكون أكثر تعقيدًا حيث تحتاج الجماعات المنتمية لأديان مختلفة إلى مبادرين ليبدأوا الحركة والسعي لاكتشاف الآخر. كما يشير إلى أن الحوار يتم معايشته بصورة مختلفة حسب السياق سواء في الوطن الواحد بين المنتمين لديانات مختلفة أو بين أعراق وثقافات مختلفة، ويؤكد أنه لابد أن يتوافر لطرفي الحوار نفس الإمكانيات والقدرة على التعبير وإلا سيوجد عدم تكافؤ ثقافي.

طبقًا له، فإن الحوار ينبغي أن يساعد الأفراد على مواجهة التحديات المشتركة سوياً، ويتمثل التحدي المشترك الأساسي في إمكانية بناء مجتمع إنساني يعيش فيه كل فرد حياة كريمة وحرة، وهكذا يتم اللقاء بالآخر في إطار من المساواة والعلاقات الحقيقية. وأحد أهداف الحوار هو القدرة على أن نحيا الاختلاف بصورة إيجابية في إطار من احترام الآخر وقبوله. ففي مصر تمثل الثقافة القبطية جزءًا من ثراء المسلم، كما تمثل الثقافة الإسلامية جزءًا من هوية القبطي المسيحي، فالاختلاف الديني في حد ذاته ليس عقبة في وجه التناغم الثقافي، حسب قوله.

وفيما يتعلق بالمشكلات التي يواجهها الطرفين في طريق الحوار، فيرى الأب كريستيان ضرورة مواجهتها، وأهمية عدم إخفاء المشكلات والتوترات الطائفية والبحث عن أسبابها

الحقيقية. ويؤكد أن المشكلات الطائفية ليست في أغلبها مشكلات تخص الطوائف أو الأديان، لكنها بالأساس تعبير عن مشكلات يعيشها المجتمع ككل.

مبادئ اللقاء وقواعده

يعتقد الأب كريستيان أن هناك عناصر لازمة لإيجاد لقاء إيجابي وحوار بناء، وهي كما يلي:

١. الحرية الداخلية: أي الحرية التي تسمح بتجاوز المواقف الانفعالية التي تتضمنها العلاقات الإسلامية المسيحية، فالخبرات السلبية التي تم التعرض لها تكون متبادلة بين الجانبين، وحسب قوله، فإن الطريق إلى اللقاء سيكون عنصرًا مهمًا في مسار الشفاء من تلك الخبرات وذلك من خلال افتراض حسن النية لدى الآخر وإيجاد الاستعداد للغفران.

٢. معرفة الإسلام: يرى الأب كريستيان أنه من الضروري للمسيحيين معرفة الإسلام (مؤسسات، وتاريخ، ووقائع) بالإضافة إلى إقامة علاقات شخصية عميقة مع المسلمين من جانب آخر وذلك لخلق اتصال حقيقي.

٣. فهم السياق الثقافي والاجتماعي: وذلك بوضع الظواهر الدينية في سياق أشمل والانتباه إلى الخلفية الثقافية، فيؤكد الأب كريستيان أن هذا الارتباط بين الظواهر الدينية والثقافية هو الذي يشير إلى تعددية الإسلام (كما في المسيحية) وأنه "داخل المجتمع يوجد في الغالب أكثر من إسلام". كما يشير إلى تأثير التكافؤ الثقافي والاقتصادي على الحوار بين المسلمين والمسيحيين. ويرتبط بهذا، كما يذكر، أهمية موازين القوى؛ حين يتعلق بإسلام الأغلبية أو إسلام الأقلية، كما أن هناك "إسلام أيديولوجى (سياسي) يؤدي بسهولة إلى انغلاق وجمود، أو إسلام –إيمان مع انفتاح على الله، وبالتالي على الآخر".

٤. تجاوز الخطاب المزدوج: فلابد من تجاوز الخطاب المزدوج مع معرفة كيفية تحليل أسبابه، حيث يحتاج الوصول إلى صدق حقيقي إلى بذل جهد في شفافية وإخلاص مع الذات آخذين في الحسبان تأثير العلاقات بين الجماعات على الأشخاص.

٥. أي معنى للحوار؟ يرى الأب كريستيان ضرورة التوصل إلى اتفاق على معنى الحوار: فيجب أن نعرف لماذا نقوم به؟ وماذا ننتظر منه وما الأهداف التي نحددها

له؟ وما إمكانياته وحدوده؟ وما الشروط التي نرى توافرها لممارسة الحوار؟ وما هي المخارج في حالة حدوث فشل أو الوصول لطريق مسدود؟

٦. اختيار أطراف الحوار: يشير الأب كريستيان إلى أهمية أن نحسن اختيار أطراف الحوار، وعدم التركيز على فئة معينة أو إهمال أخرى.

٧. قبول المساءلة: فضلاً عن ضرورة قبول المساءلة دون خوف ولا تعقيد مع اهتمام بجلاء الحق.

٨. الاعتراف بالغيرية: يؤكد الأب كريستيان على ضرورة الوصول إلى إحساس حقيقي بالغيرية؛ وهذا يعني بالنسبة له كمسيحي أن يطلب من المسلمين أن يتجاوزوا ما يسميه "إحتواء الواقع المسيحي في الإسلام" بمعنى اعتبار المسيحية جزءا من الإسلام وعدم الاعتراف بأن المسيحية شئ مختلف عن الإسلام. وكذلك للمسلم الحق أن يطلب من المسيحيين أن يقبلوا اختلاف الإسلام وألا يقوموا بتشريحه إلى أجزاء مسيحية وأجزاء غير مسيحية.

مسيحيون ومسلمون شهود أمام البشر

يشرح الأب كريستيان تحت هذا العنوان أن كلا الديانتين تمثلان دعوة كونية موجهة للإنسان بوصفه إنساناً؛ أي إلى جميع البشر بصورة أو بأخرى، وفي الوقت نفسه، يعد كل دين منهما اتصالاً بين الأشخاص بالمحبة والاحترام والحوار. ويسوق الأب كريستيان ما جاء في محاضرة محمد طالبي في إطار اليونسكو عام ١٩٩٥ في دعوته للمسلمين والمسيحيين إلى التخلي عن الدعوة باعتبارها دعاية وانشغال بكسب معتنقين جدد. فيقول أنه من أجل تنقية الحوار لابد من "تحريره من كل تبعية وكل نزعة كفاحية دينية أيــًا كان طبيعتها ومنحه موضوعه الخاص. وهذا الموضوع يجب أن يكون عملاً مشتركًا يمكن أن تساهم فيه كل الأديان". وبهذا يتحول الحوار ليصبح "تسابقًا صحيًا في سبيل الله وفي خدمة السلام والبشر" في عالم تحيط به تهديدات السلام والإبادة الجماعية والتلوث والفساد.

لقاء في الشهادة

ويرى الأب أن الشهادة في هذا الإطار هي "شهادة مقدمة لله ومن أجل الله، ولكنها أيضًا شهادة من أجل العدالة" تتمثل في الصلة الوثيقة بالاحترام للآخر وشفافية حقيقية في

العلاقات الإنسانية، وهذا الأمر مرتبط بالعلاقة بين التبشير المسيحي والدعوة الإسلامية والإشكاليات المتعلقة بمتى يكون ذلك مقبولاً أو غير مقبول. ويقول بأنه يجب أن يكون الاحترام العميق والجذري للآخر أساسًا للشهادة الحقيقية بالنسبة للأشخاص ومعتقداتهم الدينية. وهذه الشهادة المتبادلة لا تقتصر على الكلمات ولكنها تتضمن عملاً وطريقة للعيش سواء بالنسبة للأشخاص أو الجماعات.

أبعاد الحوار اللاهوتي

يبحث الأب كريستيان إمكانية قيام حوار لاهوتي، فيرى أنه يُشترط أن نعرف ما المقصود به ومن هم الأطراف المجهزون للقيام به. طبقًا له، فإن أطراف الحوار يجب أن تتوفر لديهم قدرة حقيقية على الموضوعية والنقاش وأن تكون لديهم رغبة في الفهم بعيدًا عن الأحكام القيمية، كذلك يجب أن يكون لديهم معرفة بالمعنى الحقيقي للإيمان والعلاقة الحية بالله، وألا يكونوا أيديولوجيين.

كما يرى أن الحوار اللاهوتي ينبغي أن ينصب على جهد من أجل التعارف والفهم المتبادل على مستوى الإيمان الديني، وفي هذا الإطار هناك عدد من المسيحيين ساعدهم دراستهم في الإسلاميات، لكن العالم الإسلامي يفتقد المتخصصين في المسيحية مثل هؤلاء، حسب قوله. وبعد الوصول إلى فهم للآخر، تأتي مرحلة اكتشاف المشترك أو ما يسميه "أرض اللقاء"، ثم يأتي البعد المتعلق بتعميق النتائج الإيمانية للحوار اللاهوتي في الحياة الواقعية، ومن هذا ما يذكره عن العلاقة بين الإيمان والعدالة ومجال الأخلاق، وما تشترك فيه الديانتين من الاعتقاد بأن "الإيمان قوة تحرير ولاسيما تحرير من كل الأصنام، أصنام المال والسلطة والاستمتاع، وتحرير من كل القوى القاهرة والظالمة".

بالإضافة إلى ذلك، يطرح الاختلاف في تناول مفهوم العقل في كلا الديانتين؛ فيرى أن في الإسلام هناك حظر صريح على العقل الإنساني من الاقتراب من جوهر الله، أما المسيحية فترى أن الله باتحاده مع الإنسان في يسوع المسيح يقدم له مشاركة في الحياة الإلهية، ولكن هذا الأمر لا يمنع التأمل في الإيمان ومحتواه؛ فيوجد في الإسلام تأمل عقلاني انطلاقًا من الإيمان مثل علم الكلام، وأصول الفقه، ومجال التصوف الإسلامي. وكل هذه الأمور تجعل من الممكن، ومن المرغوب فيه، حدوث لقاء بين الدينين في مجال الحوار اللاهوتي.

الفصل الرابع: اللقاء في الله

يحاول الأب كريستيان في هذا الفصل بحث الجوانب الاجتماعية والسياسية للعلاقات بين المسلمين والمسيحيين، ويبين كيف أن المسيحيين والمسلمين يمكن أن يعيشوا سوياً علاقاتهم بوصفهم مؤمنين، وكيف تصبح الحياة الروحية أرضًا للقاء بينهما. ويرى أن الإسلام –مثل المسيحية– هو قبل كل شيء دين وإيمان يصوغ حياة المؤمنين به، وينتقد اختزال الإسلام إلى المجال السياسي كما يحدث في الغرب من خلال رؤية تم تنميقها وترويجها بواسطة الإعلام.

ثم يؤكد على أن الحياة الروحية يمكن أن تكون مكاناً للقاء بين المسلمين والمسيحيين، مثيرًا التساؤل "هل لنا كمسلمين ومسيحيين نفس الإله؟" فيوضح أن العقيدة المسيحية تعترف بوحدة الحياة الثالوثية وهذا اختلاف أساسي مع العقيدة الإسلامية التي لا تؤمن بذلك، ومن هنا يرى أن الاعتراف بهذا الاختلاف وأهميته بين المسلمين والمسيحيين يعد أمرًا هامًا لكي توجد علاقات حقيقية وبنَّاءة بينهما.

وفي هذا المقام يوضح الأب كريستيان النقاط التالية:

- لا يجب النظر إلى الإسلام باعتباره هرطقة مسيحية.
- نظرة الإسلام ليسوع ودوره الخلاصي تختلف كثيرًا عن المسيحية، وذلك بالرغم من تأثره بعناصر كثيرة من تراث الكتاب المقدس.
- يمكن للمسيحيين الاعتراف بالله الذي يؤمن به المسلمون باعتباره الله الواحد الحي الذي نؤمن به مهما كانت الاختلافات في تصور هذا الإله الواحد، وجاء التأكيد على ذلك في الدستور العقائدي للمجمع الفاتيكاني عن الكنيسة الذي يعرف بـــ"نور الشعوب". وهذا الأمر يمثل شعور بوحدة الإيمان تسمح بوجود لقاء بين المؤمنين كي يكونوا "معًا أمام الله" مما يساعدنا على أن نحيا الاختلافات في احترام عميق لأن "الاختلافات الواقعية والعميقة لا تعني أبدًا تعارضات كلية ومحسومة"، وهذا يكون له أثر أيضًا على طريقة الحياة العادية المشتركة.

ويتناول الأب كريستيان المعنى المتعلق بـــ"سر الحب الإلهي" الذي يدعو المؤمنين إلى المشاركة في وحدة للحياة تتجاوز المفاهيم الإنسانية عن العلاقات فيقول أنها "تجعلنا نكتشف

الوحدة بين الأشخاص الإنسانية بوصفها احترامًا عميقًا للاختلاف والتميز؛ فالأشخاص يصبحون متحدين أكثر كلما قبلوا بعضهم بوصفهم مميزين ومتفردين أكثر كلما يزيدون اتحاداً بالعمق، هذا هو معنى السر الثالوثي للإيمان المسيحي". وكذلك يذكر أن المفهوم القرآني يضفي قداسة حقيقية على الإنسان باعتباره "خليفة الله" في الأرض، وأن الحكمة الإلهية تؤكد مبدأ التنوع الإنساني.

ويرى الأب كريستيان أن الإسلام لا يتيح المجال للإنسان للسعي لمعرفة الجوهر الإلهي من الداخل، ولكن أسماء الله الحسني تتيح للمسلمين غذاء روحي هام. وفي الوقت الذي يشعر فيه المسلمون بأن وجود الله ذاته أمر بديهي، نجد –طبقًا له– أن بديهية الله تقلل من المعنى والإحساس الحقيقي به. كما يرى أن مشيئة الله لدى المسلمين تقترب من معنى سر الله حيث يشعروا بهذا السر الإلهي في الخضوع غير المشروط له، وبالنسبة للإيمان المسيحي، يقول أن اكتشاف معنى الوحدانية الإلهية في يسوع المسيح يوجِد وحدة اتصال وشركة وحب فيكتشف المسيحيون أن الله محبة وأن هذا الحب الإلهي هو مفتاح فهم المعنى الكامل لكل الصفات الإلهية. ولهذا يرى أن "المسيحيين والمسلمين مدعوون، من قبل الله أولاً، ومن قبل ما يتطلع إليه العديد من البشر أن يكونوا شهودًا على الواحد في الاختلاف (..) وفي اللقاء. وهكذا يمكن لمثل هذا اللقاء أن يخلق اتصالاً حقيقياً وشركة صميمة".

ثم يتطرق الأب كريستيان إلى "الصلاة باعتبارها موقعًا للقاء": فيذكر أهمية الصلاة بالنسبة للمسلمين والمسيحيين وكونها تمثل روح الإيمان، كما يؤكد أن تنوع الأديان يترتب عليه تنوع في أشكال الصلاة ومضمونها حيث تختلف الصلاة المسيحية عن الصلاة الإسلامية، ولكنه يرى أن "إمكانية اللقاء في الإيمان بالله الواحد الحي تتضمن إمكانية اللقاء في الصلاة" أي إمكانية الصلاة والدعاء من أجل الآخر كمسلمين ومسيحيين.

ويقدم استبيان أجراه مع بعض أصدقائه المسلمين حولِ خبرتهم فى الصلاة انتهى منه إلى صياغة عدد من الأسئلة حول خبرتهم في الصلاة والدعاء، ومنها يؤكد أن مثل هذه الخبرات تجعل من الحياة الروحية أرضًا للقاء بين المسلمين والمسيحيين في الواقع وليس على المستوى النظري فقط. كما يبحث إمكانية اللقاء في الصلاة بأن يحمل كل فرد الآخر أمام الله في صلاته كي تمثل تلك الصلاة واقع لشفاعة متبادلة تنعكس على السلوك المتبادل.

ويذكر أنه شارك في بعض اللقاءات الجماعية التي تم فيها فتح مجال للاشتراك في الصلاة والدعاء بالنصوص المقدسة لدى الجانبين.

الفصل الخامس: معاً في المجتمع

يبحث الأب كريستيان في هذا الفصل أساليب ومستويات التعايش المشترك بين المسلمين والمسيحيين وكيفية إيجاد تعاون حقيقي ومخلص بينهما لخدمة بناء الجماعة سواء الوطنية أو الإنسانية العالمية، ويؤكد أن هناك تنوع في هذا التعايش بحسب التنوع في المجتمعات ذاتها.

وهنا يتطرق إلى عدد من النقاط الهامة:

❖ الأحكام المسبقة المتبادلة:

بحسب الأب كريستيان، فإن هذه الأحكام المسبقة تشكل خطرًا على البناء المشترك للمجتمع لأنها تولد مخاوف تؤدي أحيانًا إلى النبذ المتبادل، وأساس هذه المخاوف هو التعميمات الخاطئة استنادًا إلى أساس غير واقعي، واختزال الأديان في جوهر واحد ثابت، وإخراج الإشكاليات من سياقاتها التاريخية والاجتماعية والثقافية.

ويذكر من الأحكام المسبقة والتبسيطية لدى الكثير من المسيحيين (ولدى الغربيين أيضًا) ما يلي:

- الاختلاف في مفهوم المجتمع بين المسيحيين والمسلمين حيث يتحدث المسيحيون (وغيرهم) عن المجتمع المدني بينما يتحدث المسلمون عن "المجتمع الإسلامي" أي أنهم يعتبرون الأمة الإسلامية لها الأولوية على الأمة التي تكون الوطن.
- يرى عدد من المسيحيين الإسلام "ملتبسًا" في الفقه الإسلامي، فيقول أنهم يشعرون بأنهم ضائعون وسط كمية من الفتاوى والفتاوى المضادة في ظل غياب "مرجعية مذهبية" حول العديد من القضايا: ما حقيقة مفهوم الجهاد؟ هل يمكن لغير المسلم أن يكون له سلطة على المسلم؟ ويتساءل كيف يمكن أن يعرف المسيحيون ما هو الإسلام الحقيقي وما يمثل الإنحراف عنه؟
- يقول العديد من المسيحيين أن "المسلمين" عدوانيون، وعنيفون (عنف بدني أو معنوي) متعصبون، ويمارسون التمييز ضد المرأة وأيضًا ضد المسيحيين واليهود.

ويذكر كذلك الأحكام والمخاوف الموجودة لدى المسلمين تجاه المسيحيين:

- لا تتميز المسيحية عن السياسة الغربية، وخصوصًا من خلال الاستعمار، لأنها تغذي العداء للإسلام والمسلمين منذ عصر الحروب الصليبية.
- تسعى المسيحية الغربية لتغيير طبيعة الإسلام من خلال كل تدخلاتها في العالم الإسلامي، ومؤخرًا بمحاولاتها أن تفرض على الأمم الإسلامية تعديلات في مناهج التعليم الديني الإسلامي.
- ترفض المسيحية الخصوصية الإسلامية، وتنكر على المسلمين الحق في أن يكون لهم مشروعهم المجتمعي وهو الشريعة وهي جزء لا يتجزأ من هويتهم.
- بالإضافة إلى ما يطلق عليه "الأحكام والاتهامات التقليدية" المتعلقة بالمسيحيين أنهم قد أشركوا باعتقادهم أن عيسى هو ابن الله، وحرفوا كتبهم المقدسة وأصبحوا كفارًا.

❖ قطع الدائرة المفرغة من الحذر المتبادل:

ويطرح الأب كريستيان ما يعتبره عددًا من القضايا الهامة التي تؤثر على العلاقات بين المسلمين والمسيحيين، فيذكر أن هناك تداخل في مجتمعات اليوم بين الطرفين مما يؤدي إلى تشعب العلاقات. ويتناول القضية المتعلقة بتقسيم الأرض إلى "أرض الإسلام وأراض غير إسلامية" مؤكدًا أنها افتراض شكله الفقهاء في القرن التاسع الميلادي وليست معطية قرآنية، وأن أغلبية المشرعين المعاصرين لا يرون مبررًا لاستمرار هذا التقسيم في الفقه الإسلامي المعاصر. ويذكر أن هناك تقسيم مشابه في تاريخ الغرب بدأ مع الإمبراطورية الرومانية المقدسة، ثم استمر مع مفهوم العالم المسيحي.

وكذلك يطرح مفهوم (الذميين) الذي لم يعد مطبقًا في أغلب الدول ذات الغالبية المسلمة، وأن هناك العديد من الإسلاميين الذين يعتبرون أن لا مجال لوجوده اليوم وأنه يجب أن تحل "المواطنة" محله في الدول الإسلامية، ويتطلب تحقيق المساواة بين المواطنين تغيير سلوك الغالبية في المجتمع تجاه الأقلية، وكذلك وجود قدر من المسئولية على عاتق الأقلية.

❖ الشريعة:

يرى الأب كريستيان أن هذا الموضوع حساس ويكتنفه الغموض والالتباس لأنه يطرح مشكلة من الناحية النظرية وهي أن الشريعة يتم إرجاعها إلى ما أمر الله به في القرآن ونصوص الحديث الشريف، ويذكر في هذا المقام أن النصوص القرآنية لها سمة تشريعية محدودة، والسنة النبوية أكثر تفصيلاً ولكنها تعتمد على صحة الروايات، أما باقي الفقه المقنن والمفصل يعد عملاً بشرياً، ومن ثم يسمح بالمراجعة المستمرة. كما يطرح التساؤل حول اعتبار السياق الاجتماعي والتاريخي حاسمًا لفهم الشريعة أم أنه لا يمكن أن يحسم معنى النص وذلك في إطار الحديث عن "تاريخية القرآن"، وهذا الأمر متعلق بالتأويل وتفسير النص المقدس.

ويتطرق أيضًا إلى مسألة الردة وتناقضها مع ما تتضمنه إعلانات ومواثيق الأمم المتحدة من الحق في تغيير الدين والمعتقد حيث لا تعترف بعض الدول الإسلامية بهذا الحق، وبالتالي يرى أن هذا الحق في الحرية الدينية يمثل نقطة مهمة وحساسة لأنها تعد حقًا ومكسبًا للجميع، وقد قطعت الكنائس وخاصةً الكاثوليكية شوطًا كبيرًا في قبول الحرية الدينية، ومازال أمام الإسلام خطوات يقطعها في هذا المجال، حسب قوله. كما يرى أنه يمكن أن نحول هذا الأمر إلى أرض للقاء بين المسلمين والمسيحيين.

❖ الجهاد:

أصبح الجهاد، كما يعرض الأب كريستيان، من أكثر الكلمات محلاً للصراع حيث يعده المسلمون رمزًا للبطولة والتضحية بينما يراه غير المسلمين رمزًا للعنف باسم الإسلام. ويذكر أن مفهوم الجهاد يبقى مهمًا وكذلك الجانب الحربي منه وخاصةً حين يشعر المسلمون بأنهم معتدى عليهم وضحية فتختلط الحساسية الدينية بالسياسية، على حد قوله. كما يذكر أن الجهاد يصبح وسيلة تعويض وعنف وإرهاب بالنسبة للحركات المتطرفة والمقموعة، وهو يرى أنهم بذلك يزيفون صورة الإسلام، ويقول أنه يتمنى اكتشاف المسلمين لقيمة وفاعلية المقاومة السلمية في هذا السياق.

❖ بناء مجتمع في خدمة الإنسان:

يتناول الأب كريستيان الشريعة مرة أخرى، فيذكر أن هناك تباين كبير في فهم الشريعة وأن تطبيقها يُظهر العديد من الاختلافات في التفسير، بالتالي تصبح المطالبة بتطبيق الشريعة –طبقًا له– تعبيرًا عن احتجاج على أوضاع اجتماعية ومطالبة بالعدل.

ويرى أنه من الممكن أن يسعى المسلمون والمسيحيون في هذا الإطار لبناء مجتمع إنساني يخدم الإنسان كما يريد الله، وأن يسعوا لإيجاد نظام سليم للقيم بالرغم من التعارض مع الإدارة السياسية للمجتمع، ويدعو لاستلهام مبادىء وتوجهات التعليم الاجتماعي للكنيسة في هذا السياق. ويرى أن هذا التوجه يجعل المسلمون والمسيحيون يتعاونون مع كل البشر لبناء مجتمع إنساني سوي.

تقديم المؤلف للكتاب*

الأب الدكتور/ كريستيان فان نسبن**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تمثل هذه الندوة بالنسبة لي فرصة سعيدة للقاء، وأسميها لقاءً لأني أتحفظ أحيانًا على كلمة "حوار"، فنحن نسمع كثيرًا عن الحوارات التي تُعقَد، ويتساءل الفرد "ماذا يحدث فيها؟" ولذلك توصلت من خلال الكتاب أنه لا توجد قيمة للحوار بدون لقاء حيث أنني أسمي الحوار "لقاء يتحول إلى كلمة" ولا يتحول كل لقاء إلى كلمة حيث أن هناك أناس يعيشون مع بعضهم بطريقة ممتازة ولكنهم لا يصلوا أبدًا إلى الكلمة.

وبالمناسبة، لقد انبثق هذا الكتاب من خبرة بسيطة جدًا وهي على وجه الخصوص خبرة لقاءات وعلاقات. وقد وضعت للكتاب العديد من الخيارات بالنسبة لعنوانه، ومن ضمنها "مسلمون ومسيحيون: إخوة أمام الله" كما هو العنوان في النسخة العربية، أما النسخة الفرنسية فقد تم وضع علامة استفهام بعد العنوان، وسألت جهة النشر: هل من الضروري وضعها؟ فأجابوا نعم، لأن الكتاب جزء من سلسلة تسمى "أسئلة مفتوحة" وبالتالي لابد من وجود علامة الاستفهام، لذا اعتقدت أن علامة الاستفهام لن تكون فكرة سيئة لأن الموضوع ليس بديهياً لكل المسيحيين والمسلمين. وأنا أقوم بتدريس الفلسفة دائمًا أقول لطلبتي أن يعتبروا الأسئلة أهم من الأجوبة؛ فالأجوبة تُغلق أما الأسئلة فهي تفتح المجال وتجعلنا نتحرك، ولقد كان من أهم نتائج دراساتي أنني تعلمت أن أعيش مع تساؤلات ليس هناك دائمًا ردود عليها. لذا فإن علامة الاستفهام لم تأت عن طريق الصدفة بل نشأت من خبرة، لكني لم أجد أهمية في وضعها في النسخة العربية.

وكذلك وضعت في النسخة العربية إهداءً يمثل بالنسبة لي خلاصة كتاب أهديه إلى صديق عشت معه صداقة عميقة جدًا لمدة ٤٠ سنة منذ اليوم الذي وصلت فيه إلى مصر من سنة ١٩٦٢ إلى سنة ٢٠٠٢، وقد توفي في الفترة التي قمت فيها بتأليف هذا الكتاب. هذا

---

* نص تفريغ الكلمة بعد تحريرها.

** راهب كاثوليكي يسوعي هولندي وأستاذ الفلسفة في كلية العلوم الإنسانية واللاهوتية – القاهرة.

الصديق اسمه محمود رجب وكان أستاذًا للفلسفة في جامعة القاهرة –مع الدكتورة/ زينب الخضيرى– ولقد أحببته كثيرًا، لذا فأهديت الكتاب إلى ذكرى محمود رجب أخي في الله وكانت صداقتنا منبعًا لهذا الكتاب. وبالمناسبة، هو كان شخصية رائعة، وقد كان والده شيخًا وكان مسئولاً عن المعاهد الأزهرية (الابتدائية، والإعدادية، والثانوية) فهو كان شيخًا عظيمًا جدًا وقد اعتبرني ابنًا له، وكان إنسانًا روحانيًا جدًا وفي نفس الوقت كانت عنده روح الفكاهة. واعتبر الفكاهة مهمة جدًا لأني أرى أن هناك نوع من اللقاء ما بين الايمان والفكاهة، فالاثنين معناهما أننا لا يجب أن نعطي الكلمة الأخيرة للظروف، فمهما كانت الظروف صعبة فإن الإيمان يدعونا لعدم الاستسلام لها، والفكاهة أيضًا تعد نوعًا من الرجاء. وتوجد خبرة مهمة في التراث المصري، فيما يتعلق بالرجاء، فقد كان هناك شيخ صوفي مصري منذ حوالي ١٣٠٠ سنة اسمه (ابن عطاء الله الاسكندري الشاذلي) الذي قال عن الرجاء أنه لا يقارنه عمل ولا هو أمنية.

وانطلاقًا من هذه العلاقة، بدأت في تأليف الكتاب الذي نتج عن عدد كبير من العلاقات من أنواع مختلفة وفي أماكن مختلفة، وفي مصر بصفة خاصة، ومنها علاقاتي بالأب/ جورج قنواتي الذي أسس المعهد الدومينيكاني للدراسات الشرقية والمكتبة الشهيرة للدومينيكان، وكان يقوم دائمًا بالربط ما بين الدين والثقافة بشكل عميق ومهم جدًا، فقد أكد أن الثقافة بلا دين تعد نوعًا من السطحية، ولكن الدين بدون ثقافة يصبح بسهولة نوع من الانغلاق والتعصب، ولهذا فقد تعلمت إمكانية فهم العلاقة بين الدين والثقافة من الأب/ قنواتي.

وأيضًا، انطلقتُ من خبرتي في جمعية الإخاء الديني التي أسسها مجموعة من المصريين في عام ١٩٤٠ من أهمهم الدكتور/ عبده محمود سلام، وهو شخصية عظيمة جدًا، وقد أسسها في السبعينيات وكانت هناك لقاءات واجتماعات لهذه المجموعة والتي تنتهي بدعاء مشترك من تأليف الشيخ/ أحمد حسن الباقوري.

واستنادًا إلى هذه الخبرات كلها، قمت بالتركيز على بعض النقاط منها أن اللقاء والحوار في الواقع له خلفية اجتماعية وخلفية تاريخية طويلة تمتد لمدة ١٤ قرن، وقد ركزت في معني هذه الخلفيات الاجتماعية والتاريخية، وحاولت أن أحدد أكثر العلاقة ما بين اللقاء

والحوار وشروط الحوار ومنها الحرية الداخلية، وهي أن يكون الشخص مستعد تمامًا لقبول الآخر وبالطبع السعي نحو معرفة الآخر وعدم التعميم.

وبعد ذلك وصلت إلى فصل آخر تناولت فيه أن الله تعالى هو المرجع لهذه الحقائق من لقاءات وحوار، وبالتالي نحن نلتقي في الله، وبالنسبة لي فإن كلمة لقاء مهمة لأنني أقول دائمًا أن الحياة الروحية هي موضع التقاء بين المسيحيين والمسلمين، ولا يعني الالتقاء الهوية، وإنما يكمن الاختلاف في مجال التحرك أي عندما تلتقي مجموعة من الناس يكون هناك تحرك نحو الله وفي ذات الوقت تحرك نحو الآخر، إذن اللقاء هو أساس مهم للحوار. ومن هنا، ركّزت بصفة خاصة على الحياة الروحية ما بين المسلمين والمسيحيين وبصفة خاصة بعد الصلاة. طبعًا لا تتشابه الصلاة في المسيحية والصلاة في الإسلام، لكن هنا يوجد موضع التقاء وتمت اختبارات كثيرة في هذا الشأن؛ فهناك مثلاً اتفاق بيني وبين عدد من الأشخاص للدعاء المتبادل. وبالإضافة إلى تحقيق هذه المحاولة للالتقاء، قمت بعمل نوع من الاستبيان عن خبرة الصلاة عند أصدقائي المسلمين، وقد كان الاستبيان سبب فرح كبير وشكر لله على ما يعيشه الناس من خبرات رائعة. وكتبت ملحقًا في هذا الفصل حول إمكانية وجود حوار ديني على مستوى الفكر الديني، لأنني مقتنع بإمكانية حدوثه في ظل شروط وأشكال معينة.

وفي النهاية، وصلت إلى واقعنا وكل الأمور التي نعيشها في المجتمع؛ فكيف نلتقي في داخل نفس المجتمع لأن هذا العيش المشترك ليس بالهين، فهناك العديد من المشكلات ولابد لنا من التعامل معها بالاعتماد على الوضوح والصراحة. وأظن أنه مهما تكن المشكلات، فيمكننا تجاوزها طالما سوف نعيشها سوياً، لكن إذا أصبح كل شخص منغلقًا على ذاته فلن نستطيع مواجهة تلك المشكلات. وما أتمناه هو أن يمثل هذا الكتاب مساهمة بسيطة لنواجه كل ظروفنا وواقعنا مع بعضنا البعض وأن يكون الله سبحانه وتعالى هو المنبع والمرجع الذي تنبع منه علاقتنا وما تعود إليه.

أعتذر إن كنت قد أطلت عليكم، وأشكركم علي حسن استماعكم .

التعقيبات

الأستاذة الدكتورة/ زينب الخضيري :

عندما تحدث الأب/ كريستيان عن علامة الاستفهام في الأصل الفرنسي، طرأ على ذهني قراءة مختلفة حيث أن المسألة صارت لدينا حقيقة يقينية، ولم تعد هناك حاجة لعلامة استفهام. فإذا كان السؤال مطروحًا في الغرب، فنحن لدينا اليقين بأن المسلم والمسيحي يمكن أن يكونوا أخوة في الله، وأعتقد أن المصريين خاصةً أجابوا على هذا السؤال بالنسبة للأب/ كريستيان. وهناك مقولة شهيرة للأب قنواتي: "لا دين بلا حضارة ولا حضارة بلا دين" وهي مقولة تستحق التوقف حيث كان على يقين منها نتيجة لمعرفته التاريخية بالتراثات الحضارية المختلفة، كما أن الأب قنواتي كان راهبًا كاثوليكيًا مسيحيًا، ولكنه كان أيضًا متخصصًا في الفلسفة الإسلامية والعلم الإسلامي. وأعتقد أن المناخ اختلف الآن وعلينا أن نحاول أن نتمسك بهذه المفاهيم القديمة التي كانت موجودة.

اشترك الأب كريستيان في جمعية إخوان الصفا التي تحولت إلى الإخاء الديني بعد عام ١٩٧٨ بعدما تحول اسمها إلى الإخاء الديني. ولقد بدأت جمعية أخوان الصفا سنة ١٩٤١، وقد قال الأب/ كريستيان معلومة جيدة بأن اللائحة والبرنامج الخاص بهذه الجمعية التي تجمع بين الأديان المختلفة سنة ١٩٤١ طُبعت في مطابع الأخوان المسلمين بأمر شخصي من حسن البنا، ثم حدث انشقاق الإخوان عن الجمعية سنة ١٩٥٣ لدعوى أمنية وأعيدت العلاقات مرة أخرى سنة ١٩٧٨.

الأستاذة الدكتورة/ أميمة عبود (أستاذ العلوم السياسية المساعد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية):

مساء الخير. أود توجيه شكر خاص لبرنامج الدراسات الحضارية لإتاحة هذه الفرصة لي للالتقاء بكل هذه الكوكبة من الأساتذة الأفاضل، ونظرًا لأن موضوع هذه الندوة ليس في نطاق اختصاصي فستكون ملاحظاتي انطلاقًا من تخصصي ألا وهو العلوم السياسية. فاسمحوا لي أن أبدي بعض الملاحظات التي قد تسهم أو لا تسهم في قيمة هذا الكتاب لأن الكتاب قيمته كبيرة، ولأن الأب كريستيان يمثل معلمًا نتعلم منه الكثير، وأنا قرأت وسمعت له الكثير من المحاضرات وفعلاً استفدت منه كثيرًا، لذا فملاحظاتي متواضعة ولا تؤثر في قيمة الكتاب ولا في بنيته وتركيبته، فلدي ملاحظتين محددتين هما:-

أولاً:- بداية أسأل الأب كريستيان هل من ضمن العناوين التي طرحت للكتاب "مسيحيون ومسلمون عقلاء أمام الله" وهذا مجرد سؤال، حيث أن من ضمن مقترحاتي أن يكون العنوان "مسيحيون ومسلمون عقلاء أمام الله".

وذلك لأننا أحيانًا عندما نقول كلمة أخوة يتضمن هذا نوعًا من الفرض أو الإلزام بأن يكونوا أخوة. وبالنسبة لعلامات الاستفهام فهي مهمة جدًا، ولكن ربما هذه العلامة مهمة في الغرب لأن الدين في الغرب ليس مكونًا أساسيًّا في المرجعية الغربية، ولكن بالنسبة لنا فإن الدين يمثل مرجعًا أساسيًّا لمنظومة القيم.

ثانيًا: لقد ذكرت أن اللقاء هو أساس الحوار وهذا أمر عظيم، والسؤال لدي هو: ما هي دوافع هذا اللقاء والتي تحدد بالضرورة أهداف وأنماط هذا الحوار. ولأني قمت بمسح بسيط على قدر استطاعتي لأنماط الحوار، وبالتالي فهمت أن اللقاءات هي التي تحدد أنماط الحوار، وحددت بشكل محدد وليس بشكل جامع مانع ستة أنواع للحوار، وأنا كسياسية يهمني نوعان فقط:

فهناك "حوار استقصائي أو معلوماتي" وهذه هي بدايات أي لقاء فيكن الاستقصاء عن معلومة أو التحقق منها.

ويليه الحوار التحقيقي أو الاستعلامي عن هذه المعلومة، وبالتالي يكون هدف الحوار في البداية هو الحاجة إلى المعلومة أو الحقيقة وكيفية التأكد منها.

والنوع الثالث: هو "الحوار الإقناعي" ويأتي هذا النوع معتمدًا على النوعين الأول والثاني؛ حيث أنني بعد الحصول على المعلومة والتأكد منها في فرضية، أحاول من خلال هذا النوع من الحوار أن أقنع بها الطرف الآخر لأن بيني وبينه نوع من تبادل الأفكار، وأريد أن أقنعه بوجهة نظري دون أن أغير أي شيء في سلوكه أو اتجاهه.

وهناك نوع رابع هو الحوار السجالي وهو صراع في الأفكار وأنا أريد أن أفرض معلومة أو هدف على الطرف الآخر.

وهذه الأنواع الأربعة من الحوار لا تهمني كباحثة سياسية، وما يهمني هما النوعان الأخيران "الحوار التفاوضي" و"الحوار التضامني أو التشاوري"؛ فيما يتعلق بالحوار التفاوضي: هو قائم على أن هناك تعارض وتفاوض في المصالح وبالتالي الهدف من هذا الحوار هو تحقيق أكبر قدر من المكاسب وتجنب أكبر قدر من الخسائر وإحداث نوع من التسوية المقبولة بين طرفي الصراع أو طرفي الحوار. أما الحوار التضامني أو التشاوري فهو قريب الشبه من الحوار التفاوضي، وقد يغني أحدهما عن الآخر، وهو يعني أن الهدف من هذا الحوار ليس فقط الكسب ولكن وضع مجموعة من الأهداف والأفعال.

وأود أن أطرح إشكالية كبيرة واجهتني وأنا أقرأ هذا الكتاب وهي:

١- ما هو الدافع لهذا اللقاء؟ لأن ليس كل الناس بهذه المثالية التي يصور بها الأب كريستيان المؤمنين..

٢- هل اللقاء لا يشمل من هم ليسوا بمؤمنين؟

٣- ماذا لو كان هناك مؤمنين لا يريدون الدخول في اللقاء؟

٤- ما هي أنماط هذا الحوار وما الذي يدفعنا بهذا الحوار أساسًا إن لم يكن هناك أزمة حقيقية توحدنا وليس أزمة مفتعلة تفرقنا؟

٥- وهل هؤلاء المؤمنين كتلة واحدة صماء لا تتغير أم هم يتغيرون ويغيرون من أفكارهم؟

٦- هل لو وضعنا الآلية سوف يغنينا هذا عن وضع أولويات بعض الموضوعات الـتي تجعلنا نتحدث بشكل فعال وحقيقي سواء اتفقنا أو اختلفنا؟ أي هل هذا اللقاء له أجندة مسبقة كما نقول في بعض المؤتمرات السياسية؟ أم هو مجرد تحضيرنا حـتى ندخل في مناخ هذا الحوار؟

فكل الكتابات في المرحلة الأخيرة تهدف جميعها إلى كيفية تحقيق العيش المشترك بين المسلمين والمسيحيون، وهنا استدعي أحد النماذج التي ربما كان الأب كريستيان يعرفها جيدًا، وهي نظرية لكاتب أمريكي -توفي منذ ثلاث أو أربع سنوات- وهو جون رولز، فبالرغم من أنه ليس له نفس المرجعية الدينية ولم ينطلق من رابطة إيمانية، لكنه توصل بشكل أو بآخر إلى أن حل أي مشكلة يكمن في تحفيز الجماعة لمواجهة خطر مشترك وبالتالي تحفيزهم للدخول في هذا اللقاء، وتبعًا لذلك تحديد نمط معين من الحوار وهو الحوار التفاوضي أو العقلاني أو التساومي لأن جميع هؤلاء الأفراد الذين يعيشون في هذا المجتمع بكافة ما يعتنقوه من أديان أو مذاهب سيحدث لهم نوع من التداخل المشترك أو الإجماع المشترك الذي نريد أن نشعر به حتى يكون الدافع للدخول لهذا اللقاء. وأشكر الأب كريستيان على هذا المجهود الذي لا يقلل منه أي ملاحظة أو مقترح.

الأستاذة الدكتورة/ زينب الخضيري:

لقد اعتبرت الدكتورة/ أميمة عبود علامة الاستفهام من الناحية السياسية، وأعتقد أن الأب/ كريستيان كان بعيدًا عن كل نماذج الحوار التي فيها أساس براجماتي أو تخطيط مسبق، إنما اللقاء -بالنسبة له- هو أمر تلقائي ولا يأتي نتيجة للتخطيط أو التدبير. وجون رولز افترض أن حتى اللقاء مخطط له، وهذا بعيد عما يقصده الأب كريستيان، ولكن مجموعة الأسئلة التي طرحتها تفتح آفاق مصيرية.

الدكتورة/ ناجية عبد المغني (نائب رئيس جمعية التسامح الخلقي):

أشكركم على دعوتي للحضور، والحقيقة أنا سعيدة جدًا بكتاب الأب/ كريستيان، ولقد التقينا منذ عدة سنوات في ندوة اكتشفنا فيها أن لدينا تراث مشترك من التسامح الخلقي. فلقد استمتعت جدًا بقراءة هذا الكتاب وكلما قرأته شعرت بأنه يؤكد حقيقة وتجارب عندي، فكلما قرأت سطرًا من هذا الكتاب وددت كتابة تعليق أو تجربة شخصية

لدي، وكنت أدعو لعمل مجلد يجمع تجاربنا الإيمانية بعنوان "معًا على طريق الأمل"، وما أوحى لي بهذا الاسم أنني حضرت منذ حوالي سنتين تأبين الدكتورة الراحلة كريس وادي، وهي أستاذة في جامعة أوكسفورد في انجلترا، وكانت أول من درس اللغة العربية في بريطانيا، وتخصصت في الحروب الصليبية من وجهة نظر العرب، ولها الكثير من الكتب منها العقل المسلم. وكان لها دورًا كبيرًا في بناء الجسور وتقريب المفاهيم بين الغرب والشرق أو الغرب والمسلمين، وكنت قد شرفت بحضور تأبينها في انجلترا. وكان العنوان الذي مثّلت به جمعية التسامح الخلقي المصرية في هذا التأبين المجموعة العربية، والعنوان الذي اخترته هو "الصحبة الإيمانية" التي تتخطى الأجيال والعوائق والحواجز الزمانية والمكانية. لذلك أنا سعيدة جدًا لما قام به الأب/ كريستيان، وهذا ما يؤكد عندي مقولة الإمام مالك "ما كان لله دام واتصل وما كان لغيره انقطع وانفصل"، ولهذا فاللقاء لو كان نيته لله فأكيد سيستمر ويدوم ويصل بين الجانبين.

ولي بعض الملاحظات:-

أولاً: العودة للمحاولات التاريخية للقاء الإسلامي-المسيحي لدابرايندوا وهو من أصل سويسري، وهو أول من ترجم القرآن الكريم بلغة أوروبية وراسل الأزهر الشريف وكان يسعى لهذا اللقاء. وكان من نسله فرانك نجومان، فهو الجد الأكبر له ومؤسس حركة التسامح الخلقي في العالم التي بدأت من قبل الحرب العالمية الثانية، لكنها ظهرت ونشطت بفاعلية بعد الحرب العالمية الثانية لتجنب حرب عالمية ثالثة. فالحوار قديم، وكانت في مصر جماعات وجمعيات تنادي بالتسامح الديني وصارت بها جمعية باسم التسامح الخلقي، وأود أن أذكر أن جمعية التسامح الخلقي أسست كجمعية وليست كحركة أو جماعة سنة ١٩٨٨.

الأمر الثاني: هو موضوع الجهاد الأكبر الذي تطرق إليه الأب/ كريستيان، وهنا أود أن أقول أن الأب/ كريستيان أشار بأن الصوفية هم الذين لفتوا النظر للجهاد الأكبر واستشهد بآيات من القرآن الكريم خاصة بهذا الجهاد، والحقيقة أن جهاد النفس يذكرني بما أشار إليه الأب/ كريستيان من المحبة والسلام والإخاء، كما يذكرني بما قاله فضيلة الدكتور/ علي جمعة في أن رسالة الإنسان على الأرض أو منهج حياته على الأرض تتلخص في عبادة الله وتزكية النفس وإعمار الكون. وأعتقد بأن روح كتاب الأب/ كريستيان متلاقية مع هذا

الفكر وأعتقد أننا جميعًا نتوصل لحقيقة واحدة هي ضرورة احترام الاختلاف، لأن فكرة التعصب يقابلها التعنت في الإيمان أو في الدين. فالاختلاف هو من سنن الله في الكون، ويجب علينا أن نحترم هذا الاختلاف، ولكن مع احترام الاختلاف يجب علينا البحث عن المشترك الذي يربطنا سوياً.

أريد الإشارة إلى أن سيدنا أبو بكر الصديق ر قال: "القوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه، والضعيف منكم قوي عندي حتى آخذ الحق له"، والرسول ز قال "انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا" فقال رجل "يا رسول الله أنصره إذ كان مظلومًا، أفرأيت إذا كان ظالمًا كيف أنصره؟" قال ز "تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره". وهو ما يتفق مع ما أشار إليه الأب/ كريستيان من نصرة المظلوم في كتابه.

كما أود الإشارة إلى موضوع الرجاء الذي ذكرته في كتابك، حيث أن موضوع الرجاء في الله موضوع في غاية من الأهمية؛ حيث هناك الدعاء الذي يقول: يارب ألهمني السكينة بالنسبة للأشياء التي لا أستطيع تغيرها والشجاعة أن أغير الأشياء التي أستطيع تغيرها والحكمة في التمييز بين الأمرين. فإذا لم نستطيع أن نلتقي في الله من خلال الشحنة الإيمانية والعبادة والرجاء، فيمكننا التمييز بين الأشياء التي نستطيع تغيرها وما لا نستطيع تغييره.

وهناك تمييز بين العادات والتقاليد أو الثقافة وبين الدين، وهذا تمييز مهم. لكن التساؤل عندي هو: هل هناك إسلام مصري وإسلام أندونيسي؟ أم هو إسلام واحد وإنما هناك تنوع في الفكر أو تنوع في المسلمين حسب ثقافاهم المحلية؟

الدكتورة / زينب الخضيري :

لقد ذكرت الدكتورة/ ناجية عبد المغنى الآية الكريمة: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾ التي تدل على الاختلاف، لكننا غالبًا ما نتوقف عند هذا الحد ولا نكمل الآية لقوله تعالى: ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ وكأن الاختلاف بين الأمم الهدف منه هو التقارب. إنما المشكلة المعاصرة هي أن لدينا الاختلاف، ولكننا غير مدركين كيفية التعامل معه. واعتقد أن الأب كريستيان قدم حلاً لمشكلة الاختلاف في كتابه.

القس الدكتور/ إكرام لمعي (أستاذ الأديان المقارنة):

حقيقةً، أنا أعرف الأب/ كريستيان منذ أكثر من عشر سنوات، وهو أيضًا أستاذ في الأديان المقارنة في الكنيسة الكاثوليكية في كلية اللاهوت الكاثوليك. وأنا أشهد أن الأب كريستيان يقول ما يعيشه ويعيش ما يقوله ويمارسه فعلاً، على عكس كثير من الذين يحترفون الوعظ أو التدريس، وبحكم كوني أُدرِّس، فأنا أشهد له ذلك.

يوضح لنا أسلوب التعليم التقليدي أن نتعلم في البداية ثم نتحرك أو نسعى لتطبيق النظرية، ولذا نقول اللاهوت أو الفقه أولاً ثم الحركة في المجتمع كنتيجة لهذا اللاهوت أو الفقه. فعندما نتفق على المبادىء العامة ثم يأتي التحرك أو التطبيق، فإذا اتفقنا على العيش المشترك ثم بدأنا في تطبيقه في مصر على سبيل المثال –وربما تطبيقه في مصر يختلف عن تطبيقه في أي بلد أخري لاختلاف الثقافة والتقاليد– لابد أولاً من بناء المعرفة ثم اختيار ما يمكن تطبيقه من هذا البناء الضخم للمعرفة، ومرجعية الداعين لهذه الرؤية هي مدارس الفقه واللاهوت. ويرفض البعض الآخر هذا الاتجاه، ويرون أن اللاهوت والفقه والعقيدة والتنظير يأتون في الدرجة الثانية من الأهمية، فيرون أن علينا أولاً أن نعمل، ثم بعد التجربة والاختبار، نضع ما نستخلصه من التجربة في إطار. وممثلو هذا الاتجاه مرجعيتهم الأنبياء أنفسهم، فمثلاً المسيح لم يُنظِّر في المقام الأول، ولكنه عاش آلام واحتياجات ومشكلات المسيحيين، وكان يأخذ مواقفًا عملية تجاه مشاكلهم وقضاياهم، ثم جاء الرسول بطرس ليُنظِّر ما قام به المسيح. ثم جاء اللاهوتيون لوضع النظريات لما قام به السيد المسيح، ومثل الأمر في الإسلام فكان الرسول محمد يعاصر مشكلات المسلمين ثم أتى الفقهاء الأربعة لتنظير ما قام به الرسول محمد.

أنا شخصيًّا أرى أن الترجيح بين إحدى المدرستين هو أمر غير مجدي؛ فبدلاً من أن نسأل ما الذي يأتي أولاً التنظير أم العمل، دعونا نسأل ما هو الأساس؟ أنا أرى أن الأساس هو الالتزام بقضية، فيجب على كل إنسان تبني قضية والانغماس فيها وتكريس حياته لأجلها، ومن خلال هذا الأساس يتشكل عمله وفقهه أو لاهوته.

اللاهوت أو الفقه الذي يخرج للعالم بدون إلتزام بقضية هو مجرد كلمات مستوردة أو قضايا غير معاشة أو آتية من تاريخ بعيد لا يناسب العصر. لكن، للأسف، أولئك الذين

ينغمسون في قضية ما ويعيشونها بكل جوارحهم يكونوا مصدر إزعاج للمؤسسة الدينية سواء المسيحية أو الإسلامية، ومصدر إزعاج للفقهاء واللاهوتيين وهدفًا دائمًا للتجريح والنقد. ذلك لأنهم عندما ينغمسون في قضية معينة يحطمون ما يسمى بالثوابت، لكنهم ذاقوا متعة الالتزام بقضية ما.

هم يكونوا على اقتناع كامل أن الله راضي عنهم وأنهم أحق وأقرب إلى الله من أولئك المنظرين والفلاسفة والفقهاء. وسأذكر لكم مثالين:

- الأم تيريزا في الهند كانت تخدم بين الأطفال الهندوس والمسلمين وعدد قليل جدًا من الأطفال المسيحيين، وعندما حصلت على جائزة نوبل للسلام دعاها البابا الراحل يوحنا بولس الثاني لتكريمها. وقام بعمل عشاء فاخر لهذا الغرض وأجلسها على يمينه، وقال لها إننا نفتخر بك لما قمتِ به، ولو أن هناك مشاكل كثيرة بينك وبين المؤسسة الكنسية لأنكِ كنتِ تتحركين بطريقة غير ملتزمة بالسياسات الكنسية. فصمتت ولم تتحدث، ثم سألها سؤال مفاجىء: عمدت كم ولد وبنت من الذين تخدمينهم؟ قالت: لا أحد. قال لها: إذًا أنتِ لا تحبينهم. قالت: لماذا؟ قال: لأن الذين يدخلون السماء لابد أن يكونوا مُعمَّدين، وبالتالي أنت ستحرمين من الأطفال الذين تحبينهم. فقالت: إنني عندما أدخل السماء سآخذهم معي كلهم، فأنا متأكدة أن السيد المسيح سيوافق، لكن لو رفض بطرس الرسول، سأريه يدي! وذلك لأن يدي الأم تيريزا كانت قد أصيبت أكثر من مرة بعدوى مرض الجذام من الأطفال التي كانت تخدمهم حتى تشوهت يداها ولذلك كانت دائمًا ترتدي قفازًا.

وعندما رأى البابا يداها فُزع ثم انحنى على يدها واعتذر لها. فهذا هو موقف الشخص الملتزم بقضية دائمًا يصطدم بالمؤسسة الدينية لأنه يري ما هو أبعد وما هو أعظم لأنه يُرجع نفسه لله وليس للعقائد المنظمة. وكانت للأم تيريزا علاقة شديدة وحميمة مع الأميرة ديانا، وكانت الأميرة تكون سعيدة للقاءها، وعندما توفت الأميرة ديانا، كانت الأم تيريزا في العناية المركزة وكان الأطباء على علم بالعلاقة الحميمة بينهما، ولذا رفض الأطباء إعلام الأم تيريزا حتى لا تسوء

حالتها، لكن الخبر وصل لها عن طريق الخطأ من خلال إحدى الممرضات، فلما عرفت الأم تيريزا بخبر وفاة الأميرة ديانا ساءت حالتها وتوفيت، وذلك في الوقت الذي كانت فيه كنائس كثيرة تقول الوعظ بأن ديانا الفاسقة قد ماتت، وأنها كانت أخت الشيطان، وأنها كانت لها علاقات كثيرة، وفي الوقت نفسه كانت الأم تيريزا التي لها علاقة حقيقية بالله حزينة حتى الموت على وفاة الأميرة ديانا!

- المثال الثاني رهبان الكنيسة الكاثوليكية: الذين تبنوا لاهوت التحرير، نزلوا في الشوارع من أجل مساعدة الفقراء وفي الحقول لمساعدة الفلاحين وعملوا بأيديهم لينموا ثروة الفقراء والفلاحين، كما أخذوا مواقفًا سياسية للدفاع عن حقوقهم وتحدوا المؤسسة الدينية.

ولهذا أنا أشكر البابا كريستيان على كتابه الرائع الناتج عن تجربة فعلية عن انغماس في قضية معينة. وأتساءل عن عنوان الكتاب "مسيحيون ومسلمون أخوة أمام الله" فأنا أفهم جيدًا ما المقصود بالمسيحيين والمسلمين، وأمام الله، لكن لا أفهم ما المقصود بالأخوة، فهل تستطيع أن تقدم لي تفسير كلمة "أخوة"؟

الدكتورة / زينب الخضيري:

المسكوت عنه في كلمة الدكتور إكرام لمعي كثير، فماذا نطلق أو نسمي هؤلاء الملتزمين بقضية ويعيشون من أجلها حتى النهاية ويكونوا مصدرًا للإزعاج؟!

الأستاذ/ سامح فوزي (الباحث والمحاور السياسي):

أوجه الشكر لبرنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات على عقد هذه الندوة. وبالطبع، أنا أعرف الأب كريستيان منذ إحدى عشر عامًا ولي معه ذكريات كثيرة، ولهذا السبب أردت الاقتراب من هذا الكتاب اقترابًا غير عادي، فبحثت في المدونات التي تُكتب على الانترنت؛ ماذا يكتب الشباب عن هذا الكتاب؟ وما رأيهم في هذا الإسهام الفكري للأب كريستيان؟ وحاولت من خلال هذا الاقتراب أن أقرأ الكتاب بعيون هؤلاء الشباب. ففي مدونة باسم شاب يدعى مينا، وأنا لا أمس عفوية الكلام، ذكر أن "هذا الرجل أحبه

وأحترمه، وهو من القليلين الذين حين أنظر إلى عينيهم أصدقهم، وما أندر هذا بين المتحدثين في الدين والسياسة"، وهذه الجملة لها الكثير من المعاني في رأيي الشخصي.

والأمر الثاني، يقول شاب آخر أن "العلاقة بين المسيحيين والمسلمين في مصر علاقة عريقة، لكن أشعر هذه الأيام أنها تتعرض لهزة واختبارات صعبة ما بين الجماعات الوهابية وحساسية بعض الأخوة المسيحيين المفرطة"، وشاب آخر أتصور من اسمه أنه مسلم يقول "أول ما أنزل مصر لابد أن تأخذني لرؤيته على الفور يا مينا" فيرد صاحب المدونة (مينا) "سآخذك إليه يا ابن عبد العزيز".

ويقول شاب آخر "كنت أبحث عن أي أخبار عن حادثة محرم بك بالأسكندرية، ولكن في وسط الأخبار الحزينة تعرفت على أشخاص مثل الأب كريستيان"، وهي إشارة مدهشة عن الأمل في مصر الحبيبة، ووجهت بدوري الدعوة إلى هذا اللقاء على موقع اسمه "العدالة للجميع" وأبدى الشباب آرائهم عليه؛ فقال أحدهم "نريد وطنًا بلا فتن بلا تمييز بلا شعارات". فيرد آخر: "هذا الأمر يمكن تحقيقه فعلاً، وبدون شروط عسيرة يا محمد، لكن أتمنى فقط أن يكون في وضع أفضل".

يقول مسلم يعيش في أمريكا: "كيف يصح أن يكون هناك تمييز تجاه المسيحيين وأن المسيحيين يقابلهم المسلمون ولا يتعاملون معهم بشكل حميمي؟ ويرى أن نبدأ بتغيير الاتجاهات مع الأطفال منذ الصغر بتعليمهم أن يحترموا الناس بغض النظر عن إيمانهم .

ويقول شاب آخر "المطلوب نقد الذات والبحث عن حلول وسط، وسد أبواب الظلم وخلق الأمل". وأعود مرة ثانية للأمل، فأنا أعتقد من خلال قراءتي لهذا الكتاب أنه من نوعية الكتب التي تخلق الأمل. والقضية ليست في أن نعلق على الكتاب فنقف أمام سطر أو عبارة أو سؤال لكاتبها، فهذه القضية تخص في المقام الأول كاتبها، لكن القضية هي كيفية استخلاص دروس وآراء ربما تسهم في خلق الأمل الذي عبّر عنه هؤلاء الشباب. في اللحظة الحالية في المجتمع المصري، وربما على نطاق إقليمي وكوني، هناك كثيرون يصنعون الكراهية، وهناك كثيرون "وكلاء للكراهية"، ولكن هناك القليل من الناس ممن يتصدون لصناعة الأمل، وهم الفئة التي تحدث عنها هؤلاء الشباب. ومن هذا المنطلق، حاولت قراءة الكتاب

قراءة أفقية لأستخلص بعض المحطات الرئيسية التي أتصور أنها من الممكن أن تصنع الأمل في المجتمع المصري المعاصر.

فالكاتب كان يعتبر الآخر هو المسيحي والمسلم عندما وطأت أقدامه أرض هذه المنطقة، لقد ذكر الكاتب هذا صراحةً فهو لم يعرف المسيحي المختلف عن المذهب الكاثوليكي، فالجميع كان بالنسبة له "آخر" وقد أتى ليكتشف الآخر بصرف النظر عن ديانته.

وأعتقد أن هناك سبعة بواعث على الأمل يمكن أن نستقيها من هذا الكتاب في ضوء قراءة ما نراه في المشهد الراهن.

(١) الدرس الأول: أن يدرك المسلم غيرية المسيحي ويعترف به لأن هناك فرق بين النظرة القراءنية -وهي جوهر إيمان المسلم بالعقيدة المسيحية والمسيحيين- ونظرة المسيحيين لأنفسهم. لابد أن يدرك المسلم بأن هناك غيرية في هذه العلاقة، وأن الحوار ليس حوار بين أديان ولكنه حوار بين المؤمنين بالأديان، وهذه هي القضية العميقة.

لأنني عندما انطلق من أن الحوار بين أديان فأنا أنطلق في حده الأدنى من النقاش وفي حده الأقصى من السجالات العقيدية، الذي يصل إلى حد التطاول على عقائد الآخرين في بعض الأحيان، ويعتقد كل شخص أنه يفعل هذا بسند من إيمانه ومعتقداته. ولكن شاءت الأقدار أن يجتمع أناس مختلفون في مكان واحد فيصبح الأمر هو اللقاء الذي تحدث عنه الأب كريستيان، وهو لقاء كفيل بأن يُشعر الجميع بأنهم أخوة متقاربين، ولا يشعر المسيحي بأنه محتوى في نظام إسلامي غير معترف بغيريته على حد تعبير الأب كريستيان.

(٢) الدرس الثاني: أن يدرك المسيحي أن الإسلام متنوع ومن خلال هذا التنوع يستطيع أن يختبر أنساق وعلاقات مختلفة ويري تيارات فكرية متنوعة، فليس من العدالة أن يُحسَب الإسلام على رأي فريق أو تيار، أو يُعتقد بأن تيار ما يقدم الرأي الإسلامي السديد حتى لو ادعي هذا التيار أو الفريق أنه يمتلك صحيح الدين من هذا المنطلق. فهناك دين وهناك قراءات وعندما تتعدد القراءات فهذا

يعد سبيلاً للتنوع ولإيجاد مساحة للانتقاء وحرية الاختيار بدلاً من القراءات المصمتة التي لا تعطي مساحات للقاء، وتخلق صورًا نمطية سلبية تجاه الآخر، فهذه هي مهمة المسيحي.

(٣) الدرس الثالث: تأتي النقطة المشتركة وهي أن يشعر المسيحي أن الثقافة الإسلامية هي جزء من تكوينه الثقافي ويشعر المسلم أيضًا بأن الثقافة المسيحية هي جزء من تكوينه الثقافي، ولعل مغزى القصة الطريفة التي ذُكرت في الفصل الأول من الكتاب عندما طلب شيخ مسلم وهو يفهم أمور دينه جيدًا من ابنته أن ترسم صورة للسيدة العذراء وهي تحمل الطفل يسوع، فالتصوير في حدود علمي ليس مسموحًا به في الإسلام، ولكن أعتقد أن هذا الشيخ تناول الموضوع من منطلق ثقافي، وهذه هي القضية، أن تسمح المساحات الثقافية بتبادل العلاقات واللقاء، وتسمح للمختلفين في الأديان أن يتعرفوا علي ثقافات الآخر، ولا يعني هذا تسليم إيماني بما يدين به الآخر بل يعني في المقام الأول احترامًا وتقديرًا لما يعتقد.

(٤) الدرس الرابع: أن نعترف بالمشاكل التي طرأت على العلاقات المسيحية الإسلامية بلا تهويل ولا تهوين؛ التهويل يمدد من أَجَل هذه المشكلات ويجعلها تنمو وتتكاثر وتتراكم، أما التهوين فيجعل أمر تجاوزها أمرًا بالغ الصعوبة، فالأمر يحتاج إلى مناقشة صريحة تتخلص من الخطاب المزدوج.

(٥) الدرس الخامس: أزمة الخطاب المزدوج: فجميعنا نعاني من أزمة الخطاب المزدوج؛ ما يقال في الغرف المغلقة وما يقال في اللقاء المسيحي الإسلامي قد يختلف عما يقال في لقاء كل طرف مع ذويه أو خاصته، فتصبح -في هذه الحالة- الذاكرة الجماعية نفسها للمجموعات المختلفة تحمل ترسيبات سلبية، ولعل هذا ما تصدى له الكاتب بالدعوة إلى شفاء الذاكرة الجماعية فهي بالفعل تحتاج إلى شفاء للتخلص مما علق بها من تراكمات السنين، ولحسن الحظ فإن هذه الذاكرة الجماعية في مصر والعالم العربي لا تحمل ما يشينها، لذا فأمر شفائها هو ممكن وقابل للتحقق إذا كانت هناك رغبة في هذا الشفاء، وهذا ما ينقلنا للدرس التالي.

(٦) الدرس السادس: الحوار الحقيقي هو حركة دؤوبة وليس مجرد كـلام؛ فالحركـة الدؤوبة هي حركة في مواجهة المشكلات المختلفة، وأتصور أنه لا يوجد لحظة مرَّ بها المجتمع المصري مثل اللحظة الحالية التي لا يوجد فيها اتفاق حول الحـد الأدنى من الثوابت، وهو ما يتطلب ليس بحث المجال العقائدي فقـط، ولكـن يتطلـب مواجهة حقيقية للمشكلات وربما تكون هذه المواجهة هي البداية لميلاد مواطنـة جديدة على أساس الاستقلال الثاني الجديد. فإذا كان الاسـتقلال الأول لم يـأتِ بالديمقراطية فربما الاستقلال الثاني يأتِ بعقد اجتماعي جديد يصبح فيـه الإيمـان بمثابة الإطار المرجعي للحركة، وهو ما ينقلنا للدرس السابع.

(٧) الدرس السابع: وهنا يجب أن يدرك المسلمون والمسيحيون أن الحركـة الوطنيـة تجمع الفريقين أما الحركة الدينية فهي تفرقهم، وعندما نقول الحركة الوطنية فهي حركة لابد أن تقوم على المواطنة والمساواة، ولا تتجه إلى مراجعة المراكز القانونية للمواطنين، وتعتد بمسيرة كفاحهم المشترك لنيل حقوقهم معًا. في هـذه الحالـة، ستشفى الذاكرة الجماعية، وفي هذه الحالة قد يتحقق اللقاء الذي تحدث عنه الأب كريستيان في كتابه.

كلمة الأستاذة الدكتورة/ نادية مصطفى:*

منذ أن صدر كتاب د.كريستيان باللغة الفرنسية في سبتمبر ٢٠٠٥، ونحن نفكر، أنا ود.كريستيان في مناقشة الكتاب حين تصدر النسخة المترجمة إلى العربية. فقد قرأت النسخة الفرنسية حين صدورها، ووجدت أن موضوع الكتاب يقدم زاوية جديدة للنظر في العلاقات بين أهل مصر من المسلمين والمسيحيين، كما يمثل إضافة في الأدبيات عن -أو في- الحوارات بصفة عامة.

وبالرغم من تأخر النسخة العربية في الظهور إلا أنني أحيي الدكتور/ أنور مغيث على هذه الترجمة المتميزة جدًا لأنني قرأت النسخة باللغتين العربية والفرنسية، وقد قام بترجمة رائعة ومتمكنة ومقتدرة في فهم النص الفرنسي والتعبير عنه بلا خلل كما يحدث في بعض الترجمات الأخرى.

* نص مكتوب من واقع تحرير تفريغ التعقب الشفوى.

إذن كيف قرأت الكتاب؟ وما محصلة القراءتين بالفرنسية والعربية؟

أولاً: لقد قرأت الكتاب انطلاقــاً من خبرة معرفتي بالدكتور كريستيان؛ لقد عرفت د.كريستيان منذ ما يقرب من أربع سنوات، كونت خلالها صورة عن د.كريستيان الإنسان قبل د.كريستيان رجل الدين الكاثوليكي.

ولذا بدأت قراءة الكتاب على ضوء هذه الصورة، إلا أنني سرعان ما وجدت أنني أقرأ أيضًا لرجل دين كاثوليكي حيث أن الكتاب يعبر عن خبرة حية وفاعلة لكيفية التفاعل بين الجانبين الديني والإنساني. ومن ناحية أخرى، تبينت أيضًا من القراءة الثانية، أنني أقرأ لإنسان اجتهد في فهم الإسلام في محاولة لبيان سبيل للعيش بين المسلمين والمسيحيين باعتبار هذا السبيل خدمة للمسيحية وتجسيدًا للإيمان بها.

ويتضح الهدف من هذا الكتاب –من وجهة نظري وكما تجسد بوضوح من الخيط الناظم للكتاب– في أنه عرض لخبرة مسيحية غنية تجتهد لفهم المسلمين، وليس كيفية فهم المسلمين للمسيحيين، والفارق كبير بين الأمرين، والعنوان يقول هذا: "مسيحيون ومسلمون"، وربما يمثل هذا تعليقًا مختلفًا عما ذُكر حول عنوان الكتاب، ولهذا أرى أن الكتاب هو تفكير إنسان ورجل دين كاثوليكي في المسلمين وكيفية فهمهم. وقد قال الأب كريستيان هذا في أكثر من مكان من الكتاب، ولا يوجد فسحة من الوقت لأن أفتح الكتاب وأقرأ منه فقرات دالة على ذلك.

ثانيًا: لم أقرأ هذا الكتاب بعين المتخصص في الفقه أو اللاهوت أو الأديان المقارنة، ولكن قرأته بعين المتخصص في العلوم السياسية الذي له رؤية "إسلامية" قد يكون بينها وبين أصحاب رؤى علمانية اختلاف حول هذا الكتاب. فأنا لا أهتم فقط بالعلاقة بين المسلمين والمسيحيين أمام الله، ولكني أهتم أيضًا بالعلاقة بينهم كمصريين أمام الحاكم وأمام المجتمع ومشاكله، وأعرف أنه مهما خَلُصت النوايا أمام الله، فالتسييس له آثار خطيرة، ذلك لأن التسييس وإن كان لا مفر منه في كل الحالات، إلا أن هناك فارق بين التسييس لما هو ديني حيث لا يمكن فصل الدين عن جوانب حياة الإنسان المختلفة بما فيها السياسة، وبين التسييس لما هو ديني والذي هو صراع قوي يخرج بالدين عن دوره المفترض حيث تؤممه

النظم (وفق مقوله د.سيف عبد الفتاح) فتستبعده أحيانــًا أو تستحضره كأداة أحيانًا أخرى، أو تختطفه بعض القوى السياسية فارضةً عليه رؤيتها دون غيرها.

ثالثًا: لقد قرأت هذا الكتاب على ضوء خمس سنوات من خبرة العمل في برنامج حوار الحضارات، ومن ثم معايشة الحوار فكرًا وفعلاً، بعد أن كونت خريطتي الخاصة – كباحثة وليس كمديرة للبرنامج– للموضوعات والنتائج التي تتمحور حول العلاقة بين الديني والسياسي في عالم يموج بانبعاث الهويات الدينية والحضارية، ويموج بالجدال حول العلاقة بين الديني أو الثقافي أو الحضاري وبين السياسي، داخليًا وخارجيًا، وهو الجدال الذي تتعدد الاتجاهات المشاركة فيه، وإن كانت جميعها استحضرت بصورة أو بأخرى "الديني"، سواء ما يتصل بالإسلام –وهو الغالب– أو المتصل بغيره من الأديان. حقيقةً، إن ما قدمه الدكتور كريستيان باعتباره إنسانًا وباعتباره رجل دين هو عمل يحمل رسالة إنسانية أخلاقية روحية هامة جدًا، إلا أنه من الصعب أن يلتزم الجميع بهذه الرسالة في العالم، وإن كنا نهتم –نحن المؤمنين بأهمية التعارف والحوار– بتوسيع دائرة المهتمين بها في هذا العالم، ولكن الواقعية تقتضي القول بأن الجميع لا يلتزمون بها أو غير قادرين على الالتزام بها من الجانبين –المسلم والمسيحي– سواء في الداخل أو في الخارج على حدٍ سواء.

رابعًا: قرأت هذا الكتاب في كليته؛ كهيكل وعلى نحو متراكم يطرح رؤية شاملة لرجل دين إنسان. وقد يوحي تعقيب د.إكرام لمعى بأن د.كريستيان قد كسر الكثير من القواعد والسياسات لأن ما هو مسكوت عنه في مداخلة د.إكرام أكثر بكثير مما أفصح عنه في نهايتها في جملتين، ولكني لا أرى هذا تمامًا. فالكتاب ككل يقدم رسالة وفكرة وطرحًا يمكن التعليق عليه في كليته، ولكن الأهم لمن قرأه بتدقيق أن يعلّق أيضًا على أجزاء منه لأنها تكون المحك لنعرف هل كسر د.كريستيان قواعد كثيرة أم حافظ على الكثير من القواعد ولم يذكر الكثير منها؟

إذن ما هي ملامح الرؤية الكلية وما هي بعض القضايا الجزئية ذات الدلالة؟

من ناحية، يقدم الكتاب رسالة هامة في الفصل الأول منه، وهو الخاص بالنشأة والتكوين، حيث يعرض الأب كريستيان خبراته ابتداءً من مراحل الدراسة وانتقالها لأكثر من مكان، ثم مرحلة ممارسته في مصر لحوارات عميقة عديدة على مستوى الجمعيات المختلفة

التي رصد إنجازاتها واهتماماتها. ولكن أريد أن أقول أن هذه الخبرة التي مرَّ بها د. كريستيان هي خبرة تبين أهمية النشأة والتكوين منذ بداية التعليم والتربية والخبرات العملية، فكما قرأت في الكتاب فهذه الخبرة أكسبت د.كريستيان عقلاً نقديًا مقارنًا ومنفتحًا يضع نفسه في مكان الآخر. وقد كانت هذه نقطة البداية فيما شعرتُ به من توازن يحاول أن يحققه د. كريستيان في كل كتابه، وأيضًا في الكثير من مقالاته، فهو يحاول تحقيق التوازن في كثير من الأمور لتحقيق الالتقاء بين المسيحيين والمسلمين. ويظهر ذلك مثلاً في اكتشافه أن تعلم اللغة العربية يمثل ضرورة لمعرفة الثقافة العربية، وأنه حين قرأ الحروب الصليبية من رؤية العرب، كانت هذه خطوة أولى للتعود والتعلم على الخروج من الذات ووضع نفسه مكان الآخر، ولقد بيَّن د.كريستيان كيف اكتشف خلال دراسته من مصادر فكرية متعددة أن الحضارة العربية هي نتاج تعاون بين مسلمين وغير مسلمين، كما وصف د.كريستيان "الشرق الأدنى" بأنه "سيمفونية للحضارات والثقافات". كذلك يشير د.كريستيان إلى خبرة الصداقة الحقيقية التي يقول أنها قد تكون أكبر من خبرة الدراسة نفسها، وخاصة خبرة الدراسة في الفكر الإسلامي. ويقول د.كريستيان كلمة مهمة جدًا وهي أن هناك تكامل بين معرفة الإسلام عن طريق العلاقات الإنسانية وبين معرفة الإسلام عن طريق الدراسة ومن خلال الفكر.

ومن ناحية أخرى، فلدي تعليقات على بعض الجزئيات التي نشرها د/كريستيان في كتابه، وهي جزئيات تتصل بمناطق الحوار بين المسلمين والمسيحيين –بالمعنى التقليدي الضيق لحوار الأديان– كما تتصل بالحوار الفكري حول قضايا الوطن والأمة والعالم.

فبالنظر إلى مناطق حوار الأديان، استدعى د.كريستيان قضايا هامة متبادلة ودائمة التكرار سواء بين النخب أو العامة: هل يعترف المسيحيون بمحمد كخاتم الرسل؟ ولماذا الدعوة لتعليم الأديان المقارنة في حين أن القرءان أفضل من نصوص المسيحية؟ –أو كما يرد على لسان المسيحيين– لماذا لا يدركنا المسلمون كما نحن وليس كما يكيفنا نظام إسلامي؟ أو أن من الواجب أن تكون حقوق المسيحيين وفق القانون وليس وفق تسامح الإسلام؟

وفي حين يتحدث د.كريستيان عن التسامح في الإسلام تجاه المسيحيين، أعتقد أن وضع المسيحيين في الإسلام ليس مقترنًا بقضية التسامح، لأن قضية التسامح تعني وجود من يختلف معي ولا أعترف به ولا أريده ولكني مضطرًا للتسامح معه. ولكنني أرى أن الاقتراب

من موقف الإسلام من المسيحيين ومن المسيحية يجب أن يكون من مدخل آخر غير قضية التسامح ألا وهي قضية الاعتراف والتعارف وفق قواعد وأحكام شرعية تحكم علاقة المسلمين بالمسيحيين، ومن ثم فحقوق المسيحيين لدى المسلمين والعيش معهم ليس مسألة تسامح ولكن مسألة التزام ديني وشرعي وفق قواعد وأحكام الشريعة التي هي قانون المسلمين.

ومن القضايا الأخرى التي أريد التوقف عندها تلك التي أثارتها فقرة مهمة جدًا في صفحة ٥٥ (النسخة العربية) تترجم كل الرسالة التي يريد د.كريستيان توصيلها وهي أن المسلمين والمسيحيين كبشر إذا التقوا واستطاعوا أن يتحاوروا، فهم بذلك يستطيعون التغلب على الكثير من الصعوبات. وفي هذا الصدد أريد التركيز على الأمر التالي: وهو أن الطرح الذى يقدمه د.كريستيان -كما يتضح من أجزاء كثيرة في كتابه- هو بمثابة دعوة إلى الروحانية والأخلاقية تُجسِّد رؤيته كرجل دين كاثوليكي، ولكن هذا ليس شأن الإسلام؛ فالإسلام ليس روحانية فقط، وليس جانبًا إيمانيـًا فقط، ولكن هناك ترجمة لكل هذا في نظام للحياة. ولذا فحين علَّق د.كريستيان على المشروع الإسلامي الذي قدمه بعض الإسلاميين قائلاً أنه لا يوافق عليه. إذن هو ينظر إلى القضية نظرة مجتزأة؛ المسلم في روحانياته وأخلاقياته يمكن أن يقترب من المسيحي، ولكن ربما ما يتصل بالإسلام كنظام للحياة سيظل محل خلاف مع كل الفرق الإسلامية التي تقول بهذا الأمر، وليس مع فريق واحد دون غيره كما أشار د.كريستيان. هذه نقطة مهمة لأن لها دلالة كبيرة حول مفهوم الإسلام عند د.كريستيان حين يتحدث عن اللقاء بين المسلمين والمسيحيين أخوة أمام الله. حقيقةً، يقدم د.كريستيان فكر رجل دين كاثوليكي يضع فكره لخدمة إيمانه، ومن ثم فإن مفاهيم مثل الرجاء واللقاء والآخرة والسلام ومعاً أمام الله، مفاهيم متكررة في أرجاء كتابه، ناهيك عن رفضه الخطابات المزدوجة، إلا أنه في مقابل ذلك، لا يمكن أن يكون ثمن الصداقة الإسلامية المسيحية هو التخلي عن الإسلام كنظام للحياة وقصره على المجال الخاص. فأين رؤية د.كريستيان لهذه القضية وهو دارس للفكر الإسلامي؟

القضية الثالثة هي كيفية تناول د.كريستيان القضية الفلسطينية؟ والصياغة التي قدمها عن القضية الفلسطينية لدي أكثر من تحفظ عليها؛ فهي تعكس مساواة بين الضحية والمعتدي

حيث تحدث عن الظلم الذي يتعرض له كل من الفلسطينيين والإسرائيليين، لدرجة قوله بأن ما يسمى بالعمليات الانتحارية هي غير مبررة فيما تُحدثه من ظلم بالإسرائيليين (صفحة ٦٠)، وأيضًا يتساءل د.كريستيان " لماذا استدعاء البعد الديني في القضية؟" كما لو كانت القضية الفلسطينية ليس لها بعدًا دينيـــًا إلى جانب أبعاد أخرى، فضلاً عن السكوت عن تبرئة الفاتيكان لليهود من دم المسيح، وعدم الاعتذار في المقابل عن الحروب الصليبية ضد المسلمين والعرب.

وهناك قضية رابعة تتعلق بإشارة د.كريستيان إلى أن المناخ الثقافي والاجتماعي في مصر لم يعد كما كان من قبل أي على النحو الذي يسمح بإيناع فكرى وتجديد صحي وسليم، والمثال الوحيد على ذلك الذي ذكره وأعرب في نفس الوقت عن استيائه لحدوثه، هو ما حدث للدكتور نصر حامد أبو زيد. فقد اعتبر أن د.نصر حامد أبو زيد هو نموذج على التجديد الفكري الديني الذي كان يجب أن يستمر، ولم يشر د.كريستيان إلى أي من النماذج الأخرى للتجديد الفكري الإسلامي –وأُفضِّل هذا المصطلح عن تجديد الفكر الديني– وأشار سريعًا إلى د.محمد سليم العوا ود.أحمد كمال أبو المجد دون التوقف عند ما قدَّماه. وربما يكون المبرر لهذا الاتجاه الانتقائي، أن د.كريستيان قال أن التجديد في الفكر الديني يستلزم أمرًا مهمًا وهو أن يكون المجدد مُلمًّا بالاتجاهات الحداثية وفي نفس الوقت ملمًّا وممسكًا بقوة بالتراث الإسلامي، وقال د.كريستيان أن هذا الشرط توافر عند د.نصر حامد أبو زيد وبعض المفكرين الآخرين إلا أنه قد أغفل كثيرين قدموا تجديدًا في الفكر الإسلامي، ويمثلوا علامة هامة في هذا المجال وهذه المرحلة، ولقد أدى هؤلاء المفكرون دورًا هامًا في الحوار الإسلامي–المسيحي في مصر عبر ما يزيد عن العقدين، وإن كانت السنوات الأخيرة قد أثارت الغبار حول كل ما أنجزوه في هذا المجال بالتعاونً مع نخب وطنية مسيحية تؤمن أيضًا بالحوار.

ولذا أنا أتساءل سؤالاً محددًا: ما الذي أصاب من وجهة نظر د.كريستيان المناخ الثقافي والاجتماعي الذي يتحدث عنه على نحو لا يجعله قادرًا على أن يفرز تجديدًا في الفكر الديني الإسلامي الذي يقول أنه يهتم بأن يتحقق؟ وفي صفحة كاملة، قام د.كريستيان بكتابة ما يشبه الاعتذار ويؤكد فيه أنه لا يقصد أنه مستاء لما حدث لنصر حامد أبو زيد، وهذا هو

دأب د.كريستيان دائمًا من محاولة الحفاظ على التوازنات في المواقف، فهو وإن رأى في أبو زيد اتجاه التجديد الواجب استمراره إلا أنه غير مستاء مما حدث له..!

وتوجد قضية خامسة في الجزء الثاني من الكتاب: وهي أن د.كريستيان بعدما عرض خبرته في الجزء الأول من الكتاب، تناول ما أسماه الإرث التاريخي والثقافي للعلاقات الإسلامية المسيحية. وتكلم عن نظرة القرآن للمسيحيين، وقال في النسخة الفرنسية أن النظرة التي يلقيها القرآن على المسيحية هي "Ambivalence" أي وفقًا للترجمة في النسخة العربية "رؤية ملتبسة". أنا لا أعرف كيف يمكن الحكم على النظرة القرآنية بأنها ملتبسة، الأمر الذي يستطيع من يدرسون الأديان المقارنة الرد عليه. ولقد سألت مختصين مسلمين في هذا الأمر وقدموا لي إجابة مكتوبة للرد على هذا الحكم، وهو حكم مرفوض بالطبع، حيث أنه من غير المقبول وصف محتوى في القرءان بأنه ملتبس. ولكن -كما قال الأستاذ سامح- المسيحيين يريدون الاعتراف بهم وبمغايرتهم على عكس ما يعرفه المسلمون وفق عقيدتهم عن المسيحية. هذا الأمر يدخلنا في منطقة حوار الأديان الذي به العديد من المشكلات. ويجب أن يكون مدركًا أن هناك اعتراف بهذه المغايرة وبالحقوق التي للمسيحيين عند المسلمين وبين النخب الواعية المتعلمة التي أسمتها الدكتورة/ أميمة عبود "النخب العاقلة"، ولكن خطاب العوام وسلوكهم يحتاج إلى ما هو أكثر من مجرد التأصيل، يحتاج إلى فهم ما قاله د.كريستيان في الجزء الأخير من كتابه؛ أي أن مشاكل العلاقات الإسلامية المسيحية لا يمكن فهمها -ويتحدث هنا عن مصر- بدون فهم مشاكل المجتمع المصري وسياساته واقتصاده، وهذه نقطة أتفق معه فيها تمامًا، فهذه المشكلات هي التي تولّد التوترات في علاقات أهل مصر من المسلمين والمسيحيين. ولم يصف د.كريستيان هذه العلاقات بما توصف به الآن بـ"الاحتقان" و"الطائفية" و"الفتنة"، فهو لم يصفها كذلك على الإطلاق وإنما أرجعها إلى مشكلات المجتمع. لكن إذا تطرقنا إلى الرؤى المتبادلة بين النظرة المسيحية للإسلام والمسلمين -وهي غير موجودة أصلاً- وبين الرؤية القرآنية عن المسيحيين، سندخل في اختلافات كبيرة واعتقد أن هذه المنطقة لا يجب الاقتراب منها لأنها من صميم العقائد، ومن الأجدر التركيز على الحوار في المشاكل التي تواجه المؤمنين بالديانتين.

ولهذا سأقول كلمة أخيرة تشرح مقولتي تلك: وهي أنني حين كنت قادمة إلى هذا اللقاء، وجدت صعوبات شديدة في الطريق من الزحام وعدم النظام والفوضى، وحين دخلت إلى الجامعة في وقت خروج المحاضرات، وجدت هذا الكم الهائل من الشباب الذين شعرت بأنهم تائهون لا يعرفون إلى أين يذهبون أو يسيرون، ولهم من السلوكيات والألفاظ وطرق الجلس والملبس ما لم يعد مصرياً على الإطلاق في قيمه ومواصفاته. حين أنظر إلى ذلك كله وأنا آتية لأتحدث عن موضوع الندوة "مسلمون ومسيحيون أخوة أمام الله"، شعرت بشعور مختلف وهو أنني كنت أفضِّل أن آتي وأتحدث عن "مصريين أمام الاستبداد والتخلف والتخلي عن كل قيم"، حيث لابد أن يكون للدين دور في مواجهة كل هذه السلبيات. وإذا كان د.كريستيان يرى أن الحوار الاسلامي المسيحي ليس غاية في حد ذاته بقدر ما هو مساهمة في بناء مجتمع أفضل في ظل مواطنة مشتركة، ويقدم الرؤية لكيف يمكن أن يكون الدين عاملاً محفزًا ومحركًا لقيم إيجابية تبني ولا تهدم، ولو على المستوى الإيماني الروحاني الأخلاقي. ولذا نحن –على الأقل من وجهة نظري بحكم رؤيتي– بحاجة لمثل هذه القيم لتنـــزل على أرض الواقع وتساعد على إحداث نقلة نوعية، فنستطيع أن نتحدث مرة أخرى عن مصريين متقدمين منظمين أحرار يتمتعون بمعنى العدالة والمساواة، فنكون بذلك نحن مصريون –مسلمون ومسيحيون– ملتزمون أمام الله بالتصدى للاستبداد والظلم الاجتماعي والعدوان الخارجي.

قضية سادسة وأخيرة؛ وهي الحاضر الغائب في الكتاب، ألا وهي مآل ونتائج الحوارات والتي في معظمها تأتي بمبادرات من هيئات مسيحية وطنية أو دولية. كما أن أجندة هذه الهيئات تتصل أساسًا بما يفعله ويقوله ويدركه المسلمون. ولقد ركز د.كريستيان –خلال عرض خبراته الحوارية– على مثل هذه الهيئات، مثل لجنة العدالة والسلام، وهي (وفق د.كريستيان) التعبير عن حضور الكنيسة الكاثوليكية في الحياة العامة للمجتمع المصري. إذن أين الخبرة مع مؤسسات إسلامية مناظرة، ووفق مبادرات مسلمة تسعى بدورها إلى فهم المسيحيين وكيف يفكرون؟ وأين بعد هذا كله تقييم مردودات ونتائج هذه الجهود الحوارية والفكرية على العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في مصر؟

وأخيراً، وعلى ضوء وضع نتائج قراءتي في كتاب د.كريستيان، في سياق نتائج ومخرجات أنشطة برنامج حوار الحضارات بصفة عامة أو خبرتي البحثية بصفة خاصة، فإنني أود التنويه إلى عدة أمور تحتاج لمزيد من الحوار أشارك فيها د.كريستيان وهي الآتية: من ناحية، ضرورة التمييز بين ثلاثة مستويات من الحوارات الإسلامية–المسيحية: بين الشرق والغرب، وبين مسلمي ومسيحيي الغرب، وبين مسلمي ومسيحيي الشرق. فمهما كانت خصوصية مشاكل هذه الحوارات في مصر فهي لا تنجو من تأثيرات وتدخلات خارجية. من ناحية أخرى، التوازن والمسئولية المشتركة مفهومان عزيزان على د.كريستيان ويجب الدفع بهما للأمام لمواجهة الآثار السلبية للأطر المحيطة الداخلية والخارجية، ذلك لأن الخلافات بين أهل مصر من المسلمين والمسيحيين ليست لأسباب دينية بالأساس بقدر ما هي أيضًا نتاج توترات مجتمعية وسياسية.

الأستاذة الدكتورة / زينب الخضيري:

قدمت الدكتورة نادية مصطفي قراءة على أثرها لابد أن يكتب البابا كريستيان كتابًا آخر! وأنا شخصيًا شعرت بضرورة معالجة "مسيحيون ومسلمون أمام الحاكم" كما أشارت الدكتورة نادية مصطفى، وكما أنهت حديثها بالشعور بالأسى على كل الشباب الذين في ملبسهم ونمط حياتهم لا ينتمون للقيم التي اعتدنا عليها. ولكن أود أن أشير إلى أن أحيانًا المظهر يبدو إسلامياً لكن الجوهر لا يمت بصلة لأي دين أو قيم وتلك هي المشكلة. كما أتفق مع الدكتورة نادية مصطفى في محاولة إعادة بناء الأساس حتى يتفق المظهر مع الجوهر.

كما أعتقد أن الدكتورة نادية لمست نقطة هامة وهي أننا نقف عند مشكلة الاعتراف المتبادل، لكن فيما يتعلق بالحياة والمجتمع والاقتصاد فليس هناك في الواقع عدالة فقط، إنما هناك تميز مسيحي (فمن أغنى الأغنياء في مصر ساويرس)، فالمشكلة هي أننا نركز فقط على الجانب العقائدي ونترك الجوانب الأخرى الاقتصادية والاجتماعية على أهميتها.

المناقشات

د. أنور مغيث:

أنا أعرف الأب كريستيان منذ سنوات وتناقشنا كثيرًا، وكثيرًا ما تتعارض آرائنا لكن دائمًا توجد المحبة والاحترام بيننا. عندما قرأت الكتاب أعجبت به لذاته وليس لأنه من تأليف الأب كريستيان، وتمنيت أن يكون في يد القارىء العربي. وبالطبع الكتب المهمة يمكن أن تكون لها قراءات مختلفة مثل جمهورية أفلاطون فهناك من يراه متفائلاً جدًا وآخر يرى فيه دعوة للحرية. وما أثارني حين قرأت هذا الكتاب ليس الجانب الديني فيه أكثر من النزعة الإنسانية وحب البشر بصرف النظر عن الدين والجنس والعرف، فهذا الجانب الإنساني دفعني لترجمة الكتاب. هذا علاوة على دعوته للحوار فهو حوار بلا هدف فلا يقف وراءه أجندة أو برنامج محدد وبالتالي فعندما ينتهي أو يتحقق هذا البرنامج سنفزع من الحوار، لأن الحوار ليس من المفترض أن ينتهي بل المفترض أن يستمر؛ فالحوار عند الأب كريستيان منبعه الحب. ومن هنا، أود التأكيد على النقطة التي أثارتها الدكتورة نادية مصطفي وهي "مسيحيون ومسلمون أمام الدولة" أكثر منها "أمام الله"، وهي النقطة التي تطرح مشكلة المواطنة وهذا موضوع وكتاب آخر. وهذا ما يبرر أن يكون لدى الأب كريستيان اعتراضات على المشروعات السياسية لتيار الإسلام السياسي حيث يصعب لمسيحي أن يوافق بتطبيق الشريعة الإسلامية، كما أنه من حق بعض المسلمين أن يعترضوا علي تطبيق الشريعة الإسلامية، فهذا حوار مفتوح.

وسؤالي للأب كريستيان: هل هذه الصورة التي قدمتها لنا عن المسلمين هي صورة المسلم المثقف فقط التي تتعامل معها؟

د. كمال حبيب:

أود التعليق على ما قاله الدكتور أنور مغيث من أن القرآن مبهم؛ فأظن أنه كلام غير صحيح لأن الله سبحانه وتعالى قال ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ ربما يكون القصد هو الإجمال بمعنى أنه وضع القواعد الكلية العامة التي يمكن الإحالة إليها؛ أي أنه المرجع والمرد الأساسي لكل القضايا. والله سبحانه وتعالي قال ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ والمحكم هو المفصل

الذي لا يحتاج إلى غيره لتفسيره. والأمر الآخر هو الذي قاله الدكتور إكرام لمعى في أمر مشكلة المؤسسة في الإسلام، فالمسلمون ليس لديهم إشكالية وجود مؤسسة وتجاوزها، إنما هناك فصل واجتهاد وهذا الاجتهاد له أشكال مختلفة في كل عصر وكل مكان، وهو ما يجعل المسلمين يستطيعون مواجهة كل مشكلات العصر الحديث. فهناك الثابت وهو الذي لا يتغير، وهناك ما يجتهد فيه الفقهاء لكي يجعلوا المسلمين أكثر قربًا للمعاصرة ومواجهة أمور في حياقم.

وأخيرًا، يبقى ما أشارت إليه الدكتورة نادية مصطفي وهو حقيقة أن هناك مسلمون ومسيحيون وكلٍ له دينه. ولكن القضية هي كيفية تنظيم العلاقة بين المسلم والمسيحي في وطنه، وكما هو معلوم أن الإسلام قد فصل بين العقيدة والمواطنة. فـ ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ ولذلك الإسلام اعترف بغير المسلم، وأقصد "غير المسلم" لأنه مفهوم عام يشمل المسيحي وغير المسيحي. فالقضية الهامة هي كيف نؤسس صيغة للتعايش المشترك دون إملاءات أو دون اعتبار أن الأقلية تُسلب منها حقوقها أو أنها مستوعبة قصرًا.

أ. ضحى سمير:

أود الإشارة إلى عدة تساؤلات بخصوص مداخلة الدكتور أكرم لمعي. فلقد أشرت إلى مدرستين؛ إحداهما تنطلق من النظرية إلى الواقع العملي والأخرى تنطلق من الواقع ثم التنظير يأتي في المرحلة الثانية، ثم انتهيت أنه بغض النظر عن هذين الاتجاهين لابد من التركيز على الأساس. وأنا أود مزيد من التوضيح حول ما المقصود بالأساس؟ لأني أرى أن الأساس هو أنه لابد من وجود نظرية. وإذا انطلقنا إلى الجزء الأخير وهو الانغماس في قضية لا أعتقد أن الانغماس في القضية ينفي عنها وجود الجانب التنظيري. الأمر الثاني هو علاقة من لديهم قضية لابد أن ينتهي الأمر بهم بتحدي المؤسسة الدينية، وهنا أعترض على فكرة التعميم على المؤسسة الدينية. وذكرت سيادتكم التعميم لكافة القرارات أو السياسات المتبعة للمؤسسة الدينية، فأي مؤسسة دينية تقصد؟ وفي نفس الوقت لا يعني أبدًا الانغماس في قضية أنها بالضرورة تأتي مخالفة للمؤسسة الدينية. كما أن الانغماس في قضية لا ينفي أنه ربما تكون المؤسسة الدينية نفسها منغمسة في إحدى القضايا.

وبالنسبة لمداخلة الدكتورة نادية مصطفى، أود مزيدًا من الإيضاح حول التساؤلات بخصوص أهمية الأخذ بالجانب العملي في الإسلام وتأثيره على العلاقة بين المسيحيين والمسلمين.

د. حازم حسني:

في الحقيقة، ما قيل حول "الالتباس" أعتقد أنها نقطة في غاية الأهمية؛ فهناك آيات في القرآن الكريم تتحدث عن المسيحية بودّ فيمكن أن تتلى في كنيسة دون أن يشعر أحد بأي اختلاف عن العقيدة المسيحية، وهناك آيات أخرى تتخذ موقفًا سلبياً من المسيحيين أو النصارى. فكلمة النصارى هناك من يقول أنها كلمة ملتبسة فلا يعرف من المقصود بالضبط بهذه الكلمة. فهذا هو المعنى الذي قصده الأب كريستيان أن هناك آيات من وجهة النظر المسيحية تعتبر إيجابية وهناك آيات سلبية ومن هنا جاءت كلمة الالتباس. ولكن الحديث تطرق لقضية هامة وهي أن القراءة لا تحتوي على أي ألفاظ بها التباس، وذكر أن النص القرآني به ﴿آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ ونسي أن النص القرآني نفسه يقول ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ وأن المؤمنين لابد أن يردوا الآيات المتشابهات إلى المحكمات. لكن المشكلة تكمن في تحديد الآيات المحكمات والمتشابهات؛ فمن الذي سيقرر هذا؟ فهل حتى مجمع الفقهاء اتفقوا على ذلك؟

وبعيدًا عن هذا الأمر، أود أن أذكر للدكتور إكرام لمعي أني مختلف معه لأنه فهم كل كلمات عنوان الكتاب ما عدا كلمة أخوة، فأنا لا أجد لدي فهم لأي من الكلمات سوى كلمة أخوة؛ فإذا رفعنا كلمة "المسيحيون" وجعلنا محلها مسيحية ورفعنا كلمة "مسلمون" وجعلنا محلها إسلام، ما الكلمة التي يمكن أن نضعها مكان كلمة أخوة؟

والسؤال الثاني: إذا كنا نتحدث عن مسيحيين ومسلمين أخوة أمام الله، أما كان يجب علينا التأكد أن المسيحيين مع بعضهم أخوة أمام الله وأيضًا المسلمين؟ وسأطرح سؤال مفخخ للدكتور سيف عبد الفتاح: "مسيحيون ومسلمون أخوة أمام الله" فهل مفهوم الأخوة مرتبط بمفهوم الأبوة؟ وكيف يمكن أن نجمع بين المفهومين ضمنياً في هذا العنوان؟

تعليق مكتوب:

الحوار يعني أساسًا الاعتراف بالغيرية أي الاعتراف بوجود الآخر كـ"آخر"، في حين أن نصوص تعاليم اللغة العربية في المدارس منذ أكثر من ثلاثين سنة لا تعترف بوجود آخر، فلقد تربى جيل كامل بل أجيال كاملة على هذا الطرح داخل دروس اللغة العربية في مدارسنا فكيف يكون الحوار ممكنًا في ظل وجود هذا الأمر؟

أ. شيرين حامد:

الأمر الأول الذي يجب التأكيد عليه هو أن التشكيك في العقيدة ينسف أي حوار، ومن ثم يجب الحفاظ على عقيدة الآخر وهذا أمر في منتهى الأهمية ومعظم الحوارات التي تفشل يكون هذا بسبب التشكيك في العقيدة. والأمر الثاني أن الدكتور إكرام لمعي ذكر أن الأنبياء بدأوا بالحركة ثم انتهوا بالتنظير. فأنا أرى عكس ذلك أن الأنبياء بدأوا بالتنظير ثم بالحركة؛ فالرسول عليه الصلاة والسلام بدأ بتثبيت نظرية التوحيد لمدة ثلاثة عشر عاماً في قلوب المسلمين، ثم بدأ يتحرك بهذه الدعوة على أرض الواقع، وبالتالي أي دعوة تبدأ بالتنظير وبترسيخ هذه النظرية في قلوب المؤمنين ثم بعد ترسيخها يبدأ التطبيق.

أ. ماريان:

لقد حضرت الكثير من الندوات التي تتحدث عن الآخر وكيفية التعايش مع الآخر واحترامه، لكن للأسف معظم هذه الندوات تكون على مستوى علية القوم، على مستوى القادة أو المفكرين، أي على مستوى هؤلاء المقتنعين فعلاً بهذه الأفكار، لكن يكمن التحدي في كيفية توصيل هذه الأفكار للعامة، لأن المشكلة الحقيقة ليست بين المفكرين والكتاب والمثقفين، لكن المشكلة صارت بين طلاب الجامعة والمدارس والصحف القومية، ولكي نصل إلى العامة لا يمكننا الاكتفاء فقط بالكتب والندوات، وإنما لابد أن نسعى للتأثير في دور رجال الدين داخل الجوامع والكنائس ودور المعلمين في المدارس وأساتذة الجامعة في الجامعات، أصبحت الأفكار بين العامة هي تجنب الحديث حول الدين بدلاً من تجنب الحديث حول السياسة كما كان الوضع سابقًا.

د. صلاح الجوهري:

أعتقد أن الزميلة ماريان عرضت المشكلة بالعكس، أعتقد أن مشكلة الآخر هي مشكلة مستوردة من الخارج؛ فالمثقفون المصريون عجزوا عن الإبداع، وبالتالي هم يستوردون مشاكل ومفاهيم من الغرب لملء الساحة المصرية. فإذا نزلت في الأحياء الشعبية لن تجد فارقًا بين مسلم ومسيحي. إذ المشكلة الحقيقة كما عرضتها الدكتورة نادية مصطفى هي أن كلنا مسلمون ومسيحيون صرنا أمام آخر والآخر واحد فقط؛ فالسلطة هي الآخر.

أ. أحمد أسامة:

بدايةً، أشكر السادة منظمي هذه الندوة، وأوجه الشكر للأب كريستيان الذي يطرح رؤية أساسية لمسلمي ومسيحيي مصر. وأود التأكيد على أن عنوان الكتاب يتحدث عن حوار إنساني وليس حوار لاهوتي. هذا الحوار ليس قائمًا على المقارنة بين الإسلام والمسيحية، وإنما هو يطرح رؤية ومعيشة لمسلمي ومسيحيي هذا البلد.

والأمر الثاني الذي استوقفني هو أن أحد الحضور قد قدم تعليقًا، ولكنه رفض أن يكشف عن نفسه فلماذا هذا الإرهاب الفكري؟ والأمر الآخر هو أننا عندما نتعرض لحوار إنساني فلابد أن نعترف بأن هناك مشكلات على أرض مصر، بل مشكلات عالمية قائمة على العقائد والمرجعية الدينية. ولابد لنا –ونحن أمام تعديلات دستورية جديدة– أن نعترف أننا نتحدث حول التساؤل هل مصر دولة مدنية أم دولة دينية؟ ولابد أن نعترف أيضًا أنه داخل الطوائف الإسلامية والمسيحية هناك اختلافات في الآراء. حتى أن أحد الآباء المسيحيين تراجع عن موقفه تجاه المادة الثانية في الدستور تقديرًا لدور قداسة البابا. فنحن حين نتحدث عن الحوار لابد من التصريح بالمشكلات التي تواجه العلاقة بين المسيحيين والمسلمين في مصر. وهذه المشكلات طبيعية، وكنتيجة لاستيرادنا لأفكار غير مصرية أدت إلى خلق جو من التوتر بين أبناء الوطن الواحد. ولكننا عندما نتحدث عن الإنسانية فلابد أن نحاول الإفادة من الكثير من الاجتهادات مثل عمل الأب كريستيان والتي تتعرض بجرأة وبوضوح لهذه المشكلات.

أ. أحمد:

لاحظت نقطة مهمة جدًا لم تُطرَح في هذه المناقشات وذكرها الأب كريستيان وهي "الجانب الروحي للمؤمنين"؛ نحن بحاجة إلى الإيمان وأهمية الدعاء لبعضنا البعض في الصلاة. ولدينا أمثلة كثيرة في التاريخ الإسلامية تؤكد الترابط الروحي بين الأديان، فعلى سبيل المثال، في الرسالة القشيرية دار حوار بين الراهب والصوفي: حيث قال الراهب: يا صوفي هل أنت صائم؟ فسأل الصوفي: وكيف صيامك؟ قال الراهب: صيامي بالله وإن تركته أفطرت.

وهناك أمر ثاني يتعلق بمفهوم الآخر؛ من هو الآخر بالنسبة لي؟ هل هو من يهدد حريتي أم إنسانيتي أم يعوق تقدمي أم الآخر هو الذي يختلف عني في الجنس، الدين، الشكل؟

أ. غادة حسام:

لقد حدد الأستاذ سامح فوزى سبع نقاط للدروس المستفادة من كتاب الأب كريستيان وكنت في غاية الإعجاب بنقطة الحوار المزدوج. لكني لا أتفق معه في النقطة الأخيرة: أننا في المجتمع نجتمع بالوطن ولكننا نتفرق بالدين. وقد قال الرسول ز أوصيكم بالنصارى وكررها ثلاث مرات حيث رأى أن عنصر الدين لا يجب أن يؤدي إلى الفرقة.

أ. صفاء زكي:

أود أن أقدم عميق شكري للأب كريستيان وللدكتور أنور مغيث مترجم الكتاب والدكتورة زينب الخضيرى على تقديمها للكتاب. فهو عمل مهم وخصوصًا أن مصر دائمًا ما كانت حاضنة لكل الحضارات والثقافات وكل ما هو غيري. فنحن المصريون –مسلمون ومسيحيون– شركاء في الوطن، وأخوة أمام الله. وأرى أن عنوان الكتاب بهذا الشكل إذا تحول لخطاب مجتمعي، سيدفع المجتمع للتغلب على التوترات الأخيرة التي شهدها.

الأمر الثاني الذي لفت نظري في هذا الكتاب هو أنه لم يستخدم مفهوم "الآخر" الذي ربما يشير إلى التباعد، ولكنه استخدم مفهوم المغايرة، أي أن المصري المسلم مختلف عن المصري المسيحي، وفي الحقيقة هذا يعد دقة وذكاء منه في استخدام المفاهيم.

الأستاذ الدكتور/ سيف الدين عبد الفتاح:

أود أن أطرح عنوان لهذه المداخلة وهي "قراءة في علامات استفهام" لأن من الواضح أن علامات الاستفهام كانت أكثر كثيرًا من الإجابات، وعلامات الاستفهام تفتح والإجابات تواكب. فالسؤال يعبر عن حيرة، والسؤال ليس برئ فكثير من الأسئلة مفخخة. فعندما قرأت مقالة "نهاية التاريخ والرجل الأخير" لفوكوياما في المجلة الأمريكية الشهيرة "الشئون الخارجية" **Foreign Affairs** تَبِع الكاتب العنوان "نهاية التاريخ" بعلامة الاستفهام، ثم طرح كتابه بدون علامة الاستفهام. وهنتجتون أيضًا عندما طرح المقالة، في نفس المجلة، جاء موضوع صراع الحضارات في شكل سؤال، وعندما طرح كتابه نزع علامة الاستفهام.

وأقصد أن أقول أن الكتاب "مسلمون ومسيحيون أخوة أمام الله" جاء في الطبعة الفرنسية علامة الاستفهام بعد العنوان، وهذه الإشارة غير بريئة. وأنا عندي السؤال

الصحيح نصف الإجابة، والسؤال الصحيح قد يكون أهم من الإجابة، والإجابات الصحيحة لا تأتي إلا بالخطأ والصواب. فلا يجب أن تكون الأسئلة مضيعة للوقت أو استعادة للمشكلات.

وأنا أزكي ما قام به الأستاذ سامح فوزى من اقترابه للكتاب عبر مدونات الشباب.

القس الدكتور/ إكرام لمعي:

هناك مبدأ هام يقول أنه لا توجد إجابات سهلة على أسئلة صعبة، ونحن في الوطن العربي أدمنَّا الرد بالإجابات السهلة على الأسئلة الصعبة. فمثلاً نقول ليس لدينا مشكلات بين المسيحيين والمسلمين في حين أن هناك خلافات بين المذاهب المسيحية في داخلها وكذلك الإسلامية أيضًا وبين المسيحية والإسلامية.

أولاً، عندما عرضت للمدرستين في كيفية تناولهما للعلم والمعرفة، عرضت رؤيتي الشخصية بأن السيد المسيح والرسول محمد لم يأتيا بنظرية علمية وإنما برسالة من الله لهداية الناس إليه، لكن الذين أتوا من بعدهم هم الذين نظَّروا. والأمر الثاني هناك فرق بين النص وتفسير النص؛ أي هناك فرق بين الدين والتفكير الديني. والأمر الثالث، أنه بدلاً من التنظير يجب أن ينغمس الفرد في قضية ويعيشها كإنسان، فيتحول إلى إنسان متفرد يكتشف أشياء كثيرة يختلف فيها مع التفسير وليس مع النص، وهذا ما يشبه النزعة الصوفية في الإسلام. فالذي يثير التوتر والخلاف ليس النص إنما التفسيرات المختلفة للنصوص.

وأخيرًا، أود أن أشكر الدكتور كمال حبيب على مداخلته حول أن الإسلام ليس فيه مؤسسة دينية. أنا أتفق معه أن الإسلام ليس فيه مؤسسة دينية، لكن هناك ممارسة المؤسسة الدينية، والشواهد على ذلك كثيرة جدًا؛ فمنها دور الشيخ محمد الغزالي في مصرع فرج فودة، ومضايقات أمراء الجماعات الإسلامية لنجيب محفوظ وإبداعه، والتكفير الدائم للكتب والأفلام. أليست هذه هي نفس الممارسة التي تمارسها المؤسسة الكنسية في المسيحية؟ صحيح هي ليست تحت نفس العنوان، لكن نفس الفعل أي نفس الممارسة. فيومياً نشاهد تكفير من قبل من يتشدقون بالدين لأعمال أدبية وفنية وغيره، فعلى أي أساس يُكفِّروا هؤلاء؟ أرجو أن يعود الدكتور كمال إلى محاكمة السماك الذي قتل فرج فؤدة، وخصوصًا شهادة الشيخ محمد الغزالي وهو من أعظم رموز المؤسسة الدينية في مصر.

الأستاذة الدكتورة/ زينب الخضيري:

من الممكن أن تكون المؤسسة الدينية معينة من قبل الدولة. أعتقد أن المسيحيين في أغلب الأوقات لا يعين لديهم البابا من قبل الدولة؛ لكن غالبًا ما يعين رموز المؤسسة الدينية الإسلامية من قبل الدولة وهذا ما نعاني منه.

الأستاذة الدكتورة/ نادية مصطفي:

لقد فتحت د.زينب الخضيرى لأفق جديد، وأود الإشارة إلى عدة نقاط تعقيباً على المداخلات التي وردت.

أولاً: فيما يتعلق بكلمة التباس لم أكن أقصد الترجمة صحيحة أم خاطئة، إنما قلت أن هذا موضوع لا يجب نقاشه. وأنا أعتبر أن هذا من موضوع العقائد، ولا أحب التدخل في العقائد وخصوصًا أن هذا ليس في نطاق تخصصنا العلمي.

ثانياً: بخصوص حجم التوترات بين المسيحيين والمسلمين على مستوى العامة، فأنا أقول أن هذه التوترات ليست فقط على مستوى العامة بل أيضًا على مستوى النخب والقيادات، فحجم المشكلة يحتاج إلى دراسة إمبريقية لتحديد دور المجتمع، وكيفية مواجهة هذه المشكلة، وما قدر الافتعال فيها، وما قدر البعد السياسي والعقائدي والاجتماعي فيها. ونحن في البرنامج نحاول على مدار عامين اكتشاف أنماط التطور في تصاعد هذه المشكلة ومتي ولماذا وكيف وما أسبابها؟

ثالثاً: أقدر جهد الأب كريستيان في الحركة، فهو لا يتحدث فقط بل يتحرك أيضًا، فهو يقول ويطبق قناعاته وإيمانه وانفتاحه على المسلمين والمسيحيين بمختلف أنواعهم.

الأستاذ/ سامح فوزى

أنا أتفق مع الدكتورة نادية مصطفي أن هناك جوانب للمشكلة لا نعرف حجمها لأنها على مستويات لم يقترب منها البحث بعد. أريد أن أختم بمقولة للدكتور/ رشدى سعيد وهو رجل ذو خبرة كبيرة وعايش الدولة والمجتمع لفترة طويلة وكان عضوًا في أول لجنة لتقصي الحقائق عقب أول أحداث طائفية في الخانكية. قال لي: "من خلال خبرتي أستطيع أن استنتج أن هناك ميراثان في الشعب المصري؛ هناك ميراث للتعايش وله جذوره وهناك ميراث للارتياب والشك والخوف المتبادل وأيضًا له جذوره، والحكومة الحصيفة تعلي من

الأول وتحمد الثاني أما الحكومة غير الحصيفة تحمد الأول وتعلي من الثاني. والدليل على هذا أن هذه الأزمات لا تأخذ خطًا متصاعدًا، فهي تهبط وتعلو حسب الإدارة السياسية للمشهد العام. والشواهد على ذلك كثيرة منها أنه في وقت تعديل المادة (٧٦) انشغل المجتمع بتعديل المادة باعتبارها مشترك سياسي عام ولم يهتم بأي فروق دينية.

الأستاذة الدكتورة/ ناجية عبد المغني سعيد :

أود فقط أعقب على تعليق أ.مريان بأن أذكر لها واقعة تطمئنها من مسألة العامة، كان هناك أحد الملاك لعقار سكني في الزقازيق وكان يرغب في طرد السكان، وكان بينهم المسيحيون والمسلمون، فقطع عنهم المياه وكان جيران هؤلاء السكان مسيحيين وهم الذين أمدوا هؤلاء السكان المسلمين بالمياه. وتدخل بابا الكنيسة لدى المالك المسلم ليرجع المياه للسكان ولحل المشكلة. فهؤلاء من العموم، ولكنه موقف يعبر عن الالتحام.

مداخلة من الحضور:

أود الإشارة إلى كلمة ما يدور في "الغرف المغلقة" ويقصد بها ما يجب على المثقفين أن يواجهوه بينهم وبين ما يحاورونهم فيه في الغرف المغلقة، وإذا كنت سأضرب مثلاً عن تجربتي الشخصية فلقد سمعت في إحدى غرف الدردشة إساءات كثيرة جدًا للإسلام، وإن كان لا يجوز ولا يمكن أن أحد من المسلمين أن يسئ للمسيح أو للسيدة مريم لأن جزء من عقيدتنا هو الإيمان بكل الرسل والكتب السماوية، ولهذا يجب على المثقفين أن يفعلوا دورهم في تصحيح صورة الآخر وألا يقتصر دورهم على الندوات فقط.

الأب الدكتور/ كرستيان فان نسبن :

سأحاول أن أقوم برد الفعل وليس الرد علي كل ما تم طرحه نظراً لضيق الوقت. وأود أن أعرب عن تقديري لكل القائمين والمشاركين لهذا اللقاء. وأود أيضا لفت النظر لأمر لم يذكر في هذا اللقاء، وهو أن هناك ترجمة إيطالية للكتاب وعلامة الاستفهام أيضًا موجودة كتعبير عن الاستفهام، لكن غلافه عليه رسم من القرون الوسطي لرسام إيطالي مشهور يدعي "بيوتو" والرسم عن حياة القديس فرانسيس والإيقاع بينه وبين السلطان. وهذا المشهد بالنسبة لي له معني هام وكبير لأن هذا الأمر حدث في دمياط وقت الحروب الصليبية، وكان جيش الصليبين موجود أمام دمياط رغبةً في الاستيلاء عليها، والمسلمين في

دمياط كان لديهم شعور غريب في إطار من العداء، وبالتالي كان هناك نوع من الكراهية المتبادلة. والمهم أن القديس فرانسيس كان مصممًا على لقاء السلطان وتمكن من الوصول للسلطان، وكان يهدف إلى أمر من الاثنين إما إقناع السلطان بالمسيحية أو الاستشهاد، لكنه لم يتمكن من تحقيق أي من الهدفين، وعلى العكس أكرمه السلطان وجعله يقيم أسبوعًا في بلاطه ولكنه أيضًا لم ينتصر.

ولكن ما أود التأكيد عليه من خلال عرض هذه القصة وغلاف الكتاب في نسخته الإيطالية هو أنه في هذا الإطار السيئ جدًا في العلاقات بين المسيحيين والمسلمين، لكن هناك إمكانية للقاء مبني على احترام ومحبة. وبهذا المعني ستظل هذه الزيارة مهمة إلى اليوم والمستقبل. وهذا ما يلمس الجانب الروحي للكتاب.

وإن كانت الحياة الروحية تعني عندي أن حقيقة الإيمان مرتبطة بالعدالة، وبالتالي لا إيمان من غير جهاد من أجل الدولة، والجهاد هنا يعني أولاً مجهود ونشاط، وأيضًا تحتمل الجهاد الأصغر والأكبر. وفي هذا الإطار، فإن القضية الفلسطينية تمثل ظلمًا كبيرًا، ويجب علينا أن نواجهها كقضية عدالة، وقد كان للمسيحيين دور هام في هذه القضية ولكنه أصبح هامشيًا في السنوات الأخيرة، فالقضية الفلسطينية هي قضية عدالة بالأساس.

وفيما يتعلق ببعض التعليقات أرى أن كلمة "أخوة أمام الله" أقصد بها أن العالم كله أخوة من حيث أننا كلنا أبناء آدم، كما أن الإيمان بالله يقوم على أن الله إله للجميع وليس لفئة دون أخرى. فالله هو المرجع الأساسي والهدف في علاقتنا، فالأخوة تجمع انتمائنا لله وللإنسانية، وأنا هنا لا أقصد فقط المؤمنين بل أقصد كل البشر لأن هناك أفراد لا يدركون أنهم مؤمنين ولا يعلم بذلك إلا الله. وفيما يتعلق بشفاء الذاكرة، فإن الذاكرة كثيرًا ما تتسبب في وجود نوع من المرض وهو الرفض المتبادل لحوار الحضارات، وتبادل الفكر هو آلية من آليات علاج هذا المرض، كما اعتقد أن الكتابة المشتركة من قبل المسيحيين والمسلمين للأحداث التاريخية الهامة تمثل أيضًا علاج لهذا المرض.

الأستاذة الدكتورة/ زينب الخضيري:

لقد فتحت الندوة مجالات واسعة لمناقشة الكتاب كما ألقت الضوء على الكثير من الجوانب المهمة، وهو ما سيدفعني (شخصياً) لقراءة الكتاب مرة أخرى. وأرجو أن تتحقق استفادة الجميع من هذه الندوة، وشكرًا لكم.

التقرير الختامي:
اتجاهات وقضايا المناقشة

إعداد:

* الأستاذ/ عطية عبد العزيز

التقرير الختامي: اتجاهات وقضايا المناقشة

الأستاذ/ عطية عبد العزيز*

يلعب الدين دورًا أساسيًا في مختلف العلاقات الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، الداخلية منها والخارجية. فالجانب الروحي بعد أصيل وجزء لا يتجزأ بحال عن الطبيعة الإنسانية فهو أصيل في هذه العلاقات.

ومع نهاية الحرب الباردة وبروز عملية العولمة في حقل العلاقات الدولية تجدد وبرز الاهتمام بالقضايا ذات الأبعاد الثقافية والحضارية في قلب وصميم التنظير للعلاقات الدولية، وفي القلب من هذه الأبعاد الدين والذي هو ركن أصيل وأساسي فيها جميعًا، إن لم يكن محددًا أو ناظمًا لها.

وعلى مستوى الحركة تجددت العديد من الأزمات التي يلعب فيها العامل الديني دورًا أساسيًا مثل كوسوفا والشيشان والبوسنة وأفغانستان والعراق ولبنان، وبرز الدين في رسم السياسات الخارجية لبعض الدول أو في التفاعلات عبر القومية بين معتنقي الدين الواحد. وظهرت فواعل دولية جديدة من غير الدول التي تستخدم الدين في حركتها وفي ارتكابها لأعمال إرهابية. وقد جسدت أحداث الحادي عشر من سبتمبر هذا الاهتمام بدراسة ما يتعلق بالدين خاصة والأبعاد الثقافية والحضارية عامة، ودفعت بهذا الاهتمام قدمًا إلى الأمام.

وعلى مستوى المجتمعات الداخلية، انهارت مقولة أن الدين سوف يتضاءل ويذوى حيث لا مفر من ذلك في عملية التحديث، وتجدد الدين كعامل سياسي يحدد ولاءات الأفراد، بالإضافة إلى دوره في تحديد خصائص الجماعات المتنافسة وفى أكثر الدول تحديثاً (الولايات المتحدة) يعتبر الدين عاملاً أساسيًا فى سياساتها الداخلية والخارجية، وهناك تأكيد على أن الدين يمثل أساسًا لمشروع جديد لتجديد أمريكا.

وفي المنطقة العربية والإسلامية، برز أثر البعد الديني بصورة كبيرة في النزاعات التي تعيشها العراق ولبنان وفلسطين ليس فقط في علاقتها مع القوى المحتلة (الولايات المتحدة

---

* باحث في العلوم السياسية.

وإسرائيل)، وإنما في علاقات الجماعات السياسية البينية. وهكذا أضحى الدين في قلب الجدال حول دوره كمصدر للصراعات، وهو الأمر الذي أفرز -على الجانب الآخر- هل يمكن أن يكون للحوار بين الأديان دورًا في حل الصراعات؟ وكيف؟ أم يصبح هذا الحوار سبيلاً آخر من سبل إدارة الصراعات ولكن بأدوات القوة الرخوة؟

هذا التجدد والبروز على مستوى التنظير والحركة يضع أهمية خاصة على الدين والمتدينين في لعب دور أكبر لمنع النزاعات وحلها حال وقوعها، سواء على مستوى العلاقة داخل المجتمعات الإسلامية وخاصة مع بروز العوامل الخارجية التي تسعى لاستغلال هذه الأحداث لتحقيق مصالح خاصة، أو على مستوى العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب.

وقد نظم برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات مجموعة متميزة من الندوات والمحاضرات واللقاءات والتي عالجت حوار أهل الأديان -المسلمين والمسيحيين- سواء على مستوى بعض الدول العربية أو على مستوى العلاقات بين العالم الإسلامي والغرب ودور الإعلام والأكاديميا، ودور الدين في التحالف الأمريكي الإسرائيلي، والعلاقة بين الإسلام والآخر. وقد عالجت هذه الفعاليات الموضوعات المطروحة على مستوى التنظير والحركة.

وقد شارك في هذه الفعاليات نخبة متميزة من الشخصيات البارزة المصرية والعربية والعالمية منها (دون ترتيب): البروفيسور أندرياس فان أخت رئيس وزراء هولندا الأسبق والمفكر البارز على المستوى العالمي، والأستاذ السيد يسين المفكر والرائد في الدراسات الثقافية، والصحفي والمفكر البريطاني الكبير روبرت فسك، والدكتور محمد سليم العوا المفكر الكبير في دائرة الفكر السياسي الإسلامي وذو الخبرة الطويلة في مجال حوار الأديان، والدكتور محمد أحمد الشريف رئيس جمعية الدعوة الإسلامية العالمية الليبية والتي نظمت العديد من لقاءات الحوار بين الأديان، والقاضي عباس الحلبي رئيس الفريق العربي للحوار الإسلامي-المسيحي، والدكتور رياض جرجور الأمين العام للفريق، والأب الدكتور كريستيان فان نسبن، والقس الدكتور ستيفن سايزر رئيس الكنيسة الأسقفية بفرجينيا ووتر، والدكتور محمد سعيد البوطي، والعديد من الشخصيات المسلمة والمسيحية المهتمة بالحوار الإسلامي المسيحي داخليًا وخارجيًا.

وعلى الرغم من تنوع مداخل محتويات هذا الكتاب إلا أنها ضمت أنماطًا متكاملة ومتراكمة من الخبرات والاهتمامات، وقدمت على التوالي تراكمًا من الرؤى المتكاملة وأحيانًا المختلفة ما بين التأصيل للحوار بين الأديان، وما بين عرض لتجارب عملية ورؤى إسلامية ومسيحية لما دار فيه، وتجارب عملية لمحاولة رأب الصدع وإحلال الوئام بين المسلمين والمسيحيين في بعض الدول العربية، ودور الإعلام والأكاديميا في العلاقة بين الثقافات وكيف يمكن أن تكون عامل تصالح أو تصادم، ماذا يجب على العرب والمسلمين والغرب فعله للحيلولة دون تكرار الأزمات ذات الطابع الثقافي، وحدود حرية التعبير وأسباب تكرار هذه الأزمات، وهل تزييف الحقائق في بعض وسائل الإعلام الغربية متعمد أم ناتج عن جهل وكيف يلتزم الإعلام بالحقيقة؟ ولماذا توجد هذه العلاقة الوثيقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل، ودور اليمين المسيحي في دعم هذه العلاقة وتوثيقها، وكيف استغلت إسرائيل هذا الوضع؟ وما هي القضايا الرئيسية التي يؤثر فيها هذا اليمين فيما يتعلق بوضع إسرائيل في المنطقة وعلاقاتها مع الدول العربية والإسلامية المحيطة بها؟

ويمكن جمع كل هذه الرؤى المتنوعة تحت عنوان واحد هو: دور حوار الأديان في تحقيق العيش المشترك

فما هو محور كل موضوع، وما العلاقة التراكمية بينها وأين دلالتها بالنسبة للواقع الراهن وآفاق المستقبل؟ وما هي الإشكاليات والقضايا الكبرى التي تطرحها هذه الندوات والمحاضرات والمناقشات؟

إن القراءة التفصيلية في هذه الفاعليات والمناقشات التي أعقبتها تقدم إجابات جدية على سؤال كيف يمكن تحقيق العيش الواحد على مستوى الوطن الواحد أو العيش المشترك إذا كنا في أوطان شتى، ويتفرع عن هذا السؤال الرئيسي أسئلة فرعية أخرى.

أولاً ـ كيف يساهم حوار الأديان في تحقيق العيش الواحد أو العيش المشترك: الشروط والمحددات:

يرى د. محمد سليم العوا في محاضرة "حوار الأديان .. الواقع والمستقبل" أن الحوار بين أهل الأديان ينطلق عقديًا لدى المسلمين من الاعتراف بأن لكل قوم دينهم، وأن هدف

الحوار بين أهل الأديان هو كيف نعيش معًا عيشًا واحدًا أو عيشًا مشتركًا. ومصدر الحوار ليس الإيمان وحده وإنما مصدره الحالة الإنسانية التي نعيشها ونتمتع فيها بالخيرات التي خلقها الله تبارك وتعالى على هذه الأرض لا يفرق بين صاحب الدين وغيره وبين المؤمن والملحد.

وهذا الحوار هو حوار أكفاء ومن ثم نستبعد الحوارات السياسية لـ (الشمال والجنوب – الشرق والغرب – شمال المتوسط وجنوبه) فهذه حوارات بين طرف أقوى وأضعف؛ مُسْتَغِل ومُسْتَغَل، أما حوار الأديان فهو حوار بين أكفاء ونظراء وأنداد متساويين وإذا لم يكن كذلك فلا حاجة لنا به ولا حاجة بنا إليه. ويرى د. العوا أن خبرة الحوار مع الفاتيكان لم تكن كذلك فهم الداعين للحوار وهم من يحددون أجندته والتي لم تتغير على مدى جولاته السبع وهم من يختارون من يشارك فيه، ومن ثم هذا الحوار لا جدوى منه. على عكس الحوار مع الإنجليين سواء الذي كان يجري بين المسلمين والإنجيليين في مصر والذي يدور حول قضايا وطنية لا خلاف كبير عليها، أوالحوار مع الكنائس الأمريكية والذي كان يتحاور معهم الفريق العربي للحوار الإسلامي–المسيحي وهذا حوار كان موجه للشعب الأمريكي نفسه. في حين أن الحوار مع الكنيسة الإنجيلية في بريطانيا والذي دعا إليه رئيس الوزراء البريطاني السابق توني بلير، فقد اقتصر على الأجندة التي تهم بريطانيا وتجاهل أجندة المسلمين.

وعرض د. محمد أحمد الشريف في محاضرة "التواصل الإسلامي المسيحي: مظاهره وآثاره" لخبرة جمعية الدعوة الإسلامية العملية مع تركيز على الحوار بين المسلمين والمسيحيين في الغرب، ويقدم رؤية مغايرة لخبرة الحوار مع الفاتيكان، وإن اشترك مع د. العوا في التأصيل للحوار دينيًا لدى المسلمين وأنهم مأمورون بالتواصل والحوار، والمكانة الخاصة للمسيحية والمسيحيين في القرآن الكريم والخبرة الإسلامية. ويقدم خبرة الحوار الذي عقد في ليبيا عام ١٩٧٦ برعاية الجماهيرية الليبية والفاتيكان حيث يرى على عكس د. العوا أن الحوار قد تم الإعداد له من الجانبين وقدم محاور للحوار تختلف عن تلك التي أشار إليها د. العوا، وأشار إلى أن هدف الحوار كان تبادل المعلومات والأفكار والحقائق التي تزيد من معرفة كل فريق بدين الآخر وتاريخه وحضارته وسائر أمره. ويرى أن هذه الندوة قد حركت

تظاهرة روحية ثقافية كبيرة وحركت فعاليات ومؤسسات العالمين الإسلامي والمسيحي وظهرت نتيجة لذلك كتابات وتعليقات وبيانات من هيئات دينية وثقافية، وقد أفادت هذه الندوة في انطلاق الحوار وتعزيز الثقة بين الجانبين.

ويشير د. الشريف إلى تواصل جهود الحوار الديني الإسلامي المسيحي، والذي ازداد بعد انهيار الاتحاد السوفيتي لتطويق الدعوات إلى صراع الحضارات واستهداف العالم الإسلامي وكأنه العدو البديل بعد سقوط الشيوعية. وتكثف بدرجة أكبر بعد ١١ سبتمبر لتطويق الدعوة للعنف والصراع والهروب من الحوار والتفاهم، وتوسع المشاركون فيه حيث شارك أهل السياسة والاقتصاد ورجال الأعمال والمنظمات غير الحكومية.

تم عقدت الجمعية ملتقى عام ٢٠٠٣ تحت شعار التعارف بين الناس، شارك فيها مسئولون سياسيين حاليين وسابقين من العالم الإسلامي بالإضافة إلى مندوب من الفاتيكان ومنظمة المؤتمر الإسلامي. وكان موضوع الحوار كيف نحيا معًا وكيف نحترم الثقافات الأخرى وكيف نحترم بعضنا بعضًا، والتأكيد على أن الدين لابد أن يعرفه أهله لأن الجهل به يضر ليس فقط بالمتبعين للدين وإنما يتعداها إلى الأديان والثقافات الأخرى.

وكان هناك دائمًا من يشكك في الحوار ويرفضه ويحاول أن يوجهه إلى اتجاهات معينة، إلا أن حجر الزاوية في مواجهة كل ذلك كان التواصل الإسلامي المسيحي ليس فقط من أجل انقاذ ما تم إنجازه في الماضي ولكن من أجل إنقاذ العالم من المتطرفين والمشوهين. وعلى سبيل المثال أدان الفاتيكان الإساءة للرموز الدينية. ويختتم بالقول لابد من استمرار التواصل الإسلامي المسيحي وأن ما تم إنجازه جيد ولكنه غير كافي.

وينقل القاضي عباس الحلبي فى الحلقة النقاشية عن دور الدين في حل النزاعات الحوار إلى جانب جديد يبتعد قليلاً عن الخبرة العملية ومقتربًا أكثر من التأصيل النظري، حيث يطرح سؤالاً كبيرًا: هل يشكل الدين سببًا للانقسام أو عنصرًا مساعدا للوحدة؟ وما هو دور الدين فى بناء السلم أو في تدمير صيغ الوحدة والعيش المشترك؟ ثم ما هو تأثير الدين في تاجيج الصراعات السياسية والطائفية في مناطق التوتر في الشرق الأوسط؟

ويرى أن هناك ٣ أصوليات يشهدها العالم اليوم، أصولية إسلامية تستخدم الدين لتبرير أعمال إرهابية، وأصولية مسيحية سيطرت على الولايات المتحدة جعلت محاربة الإرهاب مهمة دينية وتحاربه بالقيام بأعمال إرهابية أخرى، ثم أصولية يهودية تجسدها إسرائيل حيث تمارس أبشع السياسات في حق الفلسطينيين تحقيقًا لوعد إلهي ولنبوءة مزعومة.

ويشير إلى أن رسم المشهد السياسي المتأجج بالصراع يعطي فكرة واضحة عن دور الدين في هذا النزاع. فالسياسة الإسرائيلية تبرر عدوانها بتوليفة دينية مفادها أن اليهود يستعيدون أرضًا وُعدت لهم من قبل أنبيائهم، وردة فعل أهل فلسطين هي المناداة بالله أكبر. والمسيحيون العرب يقفون بين سندان الالتزام القوي مع إخوانهم المسلمين للدفاع عن حقهم في الوجود وبين مطرقة اليهودي الذي لا يفرق بينهم وبين المسلمين في احتلال الأرض والتهجير للخارج. وبالتالي يضطرون للهجرة إلى خارج الشرق الأوسط وهذا النزيف المسيحي يشكل خطرًا على النسيج الوطني في بلاد عربية كفلسطين ولبنان والعراق وبما يفقد هذه الدول معناها على اعتبارها دولاً تتشكل من جماعات دينية مختلفة.

يرى القاضي عباس الحلبي أنه من الممكن توظيف الدين في تلافي النزاعات السياسية من خلال إبعاد الدين عن السياسة منعًا لاستغلاله لكي يبقى له صفة الوصل بين المؤمنين. كذلك يجب استعادة الحوار بين المسلمين والمسيحيين، وأن يعملوا للانتصار للقيم التي تجمع بينهم والتي وضعتها الأديان والتي تهدف إلى السلام بين بني البشر. ويتساءل لماذا لم يأخذ المسلمون دورهم في الحرب على الإرهاب رغم أن كل عمل إرهابي هو محرم في الإسلام.

ثم يعرض لتجربتي اللجنة الوطنية الإسلامية–المسيحية للحوار في لبنان والتي تأسست عام ١٩٩٣ ثم الفريق العربي للحوار الإسلامي–المسيحي لمعالجة مشكلات العلاقات الإسلامية المسيحية في لبنان وسوريا وفلسطين والأردن والسودان وبعض دول الخليج.

وتحدث د. رياض جرجور فى ذات الحلقة النقاشية عن دور الدين في إيقاف تلك النزاعات التي يستخدم فيها الدين لإضفاء الشرعية، ويشير إلى أنه لكي يأتي الحوار الديني فعالاً في إزالة التوترات والنزاعات الدينية والطائفية والمذهبية، فعلينا أن ننقل الحوار إلى القواعد الشعبية وانتقاله من صيغة التعايش إلى العيش الواحد والمشترك، ويشير إلى أن دور

الفريق العربي للحوار الإسلامي-المسيحي قد نجح في السودان بسبب اقتناع الحكومة بأهمية دور الفريق والتركيز على معالجة المشاكل الحقيقية.

كما أعاد التأكيد على أن فريق الحوار العربي الإسلامي-المسيحي هو مجهود فـردي ومن الضروري أن يوجد في كل دولة ومدينة وقرية فريق يعمل على إيقاف النـزاعات.

وركزت محاضرة "الثقافات بين التصادم والتصالح: دور الإعلام والأكاديميا" والـتى تحدث فيها البروفيسور أندرياس فان أخت والأستاذ السيد يسين على ما يثار بشأن مصداقية وجدوى الحوار بين الثقافات والأديان نتيجة طبيعة السياق الإقليمـي والـدولي المحـيط، والسياسات الإسرائيلية والأمريكية تجاه العالم العربي الإسلامي، وتكرار الأزمات الثقافيـة. وقد أكدت الندوة على الحاجة إلى جهد من المسلمين لشرح إسلامهم وأوضاعهم، وجهـد من الغرب من أجل الفهم والحوار الحقيقي العادل والمتكافئ، ومعالجة المعرفة القاصرة عـن الإسلام وعن التاريخ الإسلامي وضرورة وصول معلومات جيدة وصحيحة للغربيين عـبر وسائل الإعلام وضرورة بذل العرب والمسلمين لجهد كبير لتوضيح وجهة نظرهم وباللغات الغربية وليس باللغة العربية فقط والالتزام بالمعايير الأخلاقية في الإعلام.

وعن دور الأكاديميا كان هناك تأكيد على دورها في ممارسة النقد الذاتي داخل كـل ثقافة، وتأكيد على أن الغرب ليس واحدًا والحاجة إلى التعاون بين الإعلام والأكاديميا.

وفي محاضرة دور الإعلام في تشكيل العلاقة بين الحضارات تحدث روبرت فسك عـن الدور السلبي الذي يلعبه الإعلام الغربي في حوار الثقافات، مشيرًا إلى أن هذا الإعلام نادرًا ما يهتم بتحليل لماذا حدثت أحداث ١١ سبتمبر، والانتقائية في بث المعلومـات، وتزييـف الحقائق حول الشرق الأوسط خوفًا من الاتهام بمعاداة السامية أو أنهم متحيزون ضد إسرائيل وكيف أن بعض الصحفيين يأخذ جزء من الحقيقة ثم يبنوا عليها قصصهم فتـأتي مـشوهة وكيف أن الإعلام الغربي يتحدث كثيرًا عن الحرية ويتجاهل العدالة تمامًا، وكيف أنها تشوه الوضع في العراق وتكذب في تصوير وتحليل ما يحدث من أجل تدمير العراق. وقـد قـدم فسك رؤيته للسياسة الأمريكية في العراق.

وركزت مناقشة كتاب الأب كريستيان فان نسبن "مسيحيون ومسلمون أخوة أمام الله" على المشترك بين الإسلام والمسيحية، ورصدت بعض الشخصيات الغربية التي سعت لتعميق الحوار بين الإسلام والمسيحية، والاتفاق بين الإسلام والمسيحية على نبذ التعصب والدعوة إلى التسامح ونصرة المظلوم. وكان هناك تأكيد على أن هذا القطاع يعطي الأمل في اللحظة الحالية في المجتمع المصري وربما على نطاق إقليمي وعالمي وكذلك على دور المؤمنين بالأديان المختلفة في خلق التعايش السلمي وتشجيع الحوار بينهما وعلى ضرورة الاعتراف بالآخر وإلى نقل الحوار خارج الغرف المغلقة.

وتحدثت محاضرة د.ستيفن سايزر "الصهيونية المسيحية: خريطة طريق إلى هرمجدون" عن كيف يمكن أن يساهم تفسير معين للمسيحية يهدف لتقوية التحالف بين إسرائيل والولايات المتحدة في تبرير وتأييد ودعم الممارسات العدوانية الإسرائيلية واعتبارها مُنفذَة بأمر من الله ويتعين كواجب ديني دعمها وحتى امتداحها من المسيحيين. وبالرغم من أن هذه العقيدة السياسية قد قربت بين إسرائيل والولايات المتحدة إلا أنها ساهمت في زيادة الفجوة بين دينين آخرين وعالمين آخرين العالم الإسلامي والغرب، واستعرضت الورقة نشأة الصهيونية المسيحية وأسبابها وزيادة دورها وأشكال الدعم الذي تقدمه لإسرائيل.

ثانياً ـــ القضايا المتفرعة من المحاضرات والندوات والمناقشات:

أثارت كل فاعلية مما يتضمنه هذا الكتاب عدد من التساؤلات والإشكاليات في إطار ما طرح من رؤى وأفكار.

حيث أثيرت في محاضرة د. محمد سليم العوا عن حوار الأديان تساؤلات حول ما هي أجندة المسلمين للحوار. وهل من الأفضل أن نبدأ بالحوار مع الداخل ثم في مرحلة تالية الحوار مع الخارج، وما هي نتائج خبرة الحوارات في الماضي، وما هي الصلة بين حوار الثقافات والحضارات وحوار الأديان، وإذا كنا نستطيع إبعاد الحوار السياسي والاقتصادي هل يمكن إبعاد الحوار الثقافي والحضاري عن الحوار الديني، وهل من سبيل لجعل حوار الأديان حوارًا ثقافيًا.

هذا الكتاب

يضم المحاضرات التي عقدها برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات في إطار أنشطة الموسمين الثقافيين الرابع والخامس في مجال "حوار الأديان" خلال العامين الدراسيين (سبتمبر ٢٠٠٥ - سبتمبر ٢٠٠٧). وتتأكد أهمية دراسة الحوار بين الأديان في ظل استمرار تجدد المبادرات الإسلامية والدولية في مجال حوار الحضارات، واستمرار تأثير صراعات القوى بأدواتها التقليدية العسكرية والاقتصادية على الحوار، وظهور حالات من التأزم أصابت الحوار سواء على مستوى الوطن الواحد أو بين العالم الإسلامي والغرب.

وبدأ الموسم الثقافي بمحاضرة للدكتور محمد سليم العوا بعنوان "حوار الأديان: الواقع والمستقبل" تناول فيها سلبيات الحوار ومعوقاته الحالية وسبل إيجاد حوار متوازن يحقق أهدافه المنشودة. ثم عقدت محاضرة تناول فيها القاضي عباس الحلبي والقس الدكتور رياض جرجور دور الحوار بين الأديان في تلافي النزاعات تركيزاً على الخبرة اللبنانية في هذا الإطار. وتناول الدكتور محمد رمضان البوطي تاريخ علاقة الإسلام بالآخر مبيناً الجوانب الشائكة في تلك العلاقة وتبعات استغلال الدين من أجل تحقيق المصالح السياسية. كما عرض الدكتور محمد أحمد الشريف في محاضرة "التواصل الإسلامي-المسيحي: مظاهره وآثاره" للخبرة الثرية لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية في الحوار وضرورة استمراره على أسس سليمة لتطويق الدعوة للعنف والصدام. وتم تسليط الضوء على دور فرعين هامين وهما الإعلام والأكاديميا وأثرهما على العلاقة بين الثقافات والحضارات من خلال محاضرتين؛ الأولى تحدث فيها الدكتور أندرياس فان أخت والأستاذ السيد يسين على المستوى النظري ومستوى تفاعل الغرب مع العالم الإسلامي، والمحاضرة الثانية عرض فيها الصحفي المشهور روبرت فسك لخبراته التفاعلية التي تضمنها كتابه "الحرب الكبرى تحت ذريعة الحضارة".

أما على مستوى الحالات، فتم تسليط الضوء على عدة جوانب، ففي إطار إعادة بحث دور الدين في المجتمعات المعاصرة، جاءت محاضرة الدكتور سوسومو شيمازونو لتؤكد على الأهمية المت
والقيم وضرورة إعادة تعريف دور الدين في المجتمعات. ومن ناحية أخرى، ركز القس الد
سايزر على الأبعاد الدينية المتجذرة في رؤية النخبة السياسية الأمريكية والتحالف الصهيو
القائم والذي يدفع لمزيد من الصدام. وختام هذه السلسلة هي الندوة التي عقدت لمناقشة
كريستيان فان نسبن وضمت نخبة من المفكرين لبحث مستويات التعايش واللقاء بين المسلمين
على المستوى الروحي والفعلي.

